الآيات البينات

ترجمة

الباقيات الصالحات

تأليف:

نواب محسن الملك سيد محمد مهدي علي بن سيد ضامن علي رحمه الله

تعريب:

الدكتور مصطفى محمدي

تعليقات:

الشيخ محمد عبد الشكور اللكنهوي رحمه الله

فهرس الموضوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

تقريظ الشيخ أبو الحسن الندوي رحمه الله

كان نواب محسن الدولة محسن الملك الشيخ مهدي علي بن سيد ضامن علي الحسيني (١٢٥٣هـ ـ ١٣٢٥هـ) من أبرز الوجوه وألمع الأسماء في سماء شبه القارة الهندية في عصره. فقد كان من أشهر القيادات التي أدت دورا بارزا في صناعة الأجيال القادمة وصياغة الفكر الإصلاحي والتنويري في الصف الإسلامي.

بعد دراسات عميقة هداه عقله العبقري الفذ وفطرته السليمة وشجاعته في مواجهة الحقائق إلى اختيار مذهب "أهل السنة والجماعة" منهلا ومشربا دينيا له.

بناءا على دعوة من "مختار الملك" انتقل إلى حيدر آباد عام ١٢٩١م وتولى مناصب إدارية هامة، أدى من خلالها دورا إصلاحيا شاملا، شهد على عبقريته وقدراته وصدقه وإخلاصه.

عام ١٣٠٥هـ سافر إلى بريطانيا واطلع على المراكز العلمية والمناهج الدراسية فيها ليعود ويصبح اليد اليمنى لسيد أحمد خان في إسراع حركة عجلة النهضة والتقدم العلمي للمسلمين.

عام ١٣١٥هـ الموافق لـعام ١٨٩٧م تولى إدارة مدرسة العلوم عليكره ورئاسة المؤتمر التعليمي المحمدي ـ محمدن ايجوكيشن كنفرانس ـ. وظل يؤدي دورا بارزا في تطويرهما إلى آخر أيام حياته.

كان نواب محسن الملك الشيخ مهدي يتمتع بقدرات فائقة؛ فقد وهب شخصية فذة قوية لا تزعزعه العواصف الهوجاء ولا تقلعه العواطف الجاهلة، وقد كان خطيبا مفوها يملك ناصية الكلمة وسحر بيانها كما أنه أوتي قلما صادقا سيالا.

وكتابه "الآيات البينات"، أقام الدنيا ولم يقعدها!..

عالج في كتابه " الآيات البينات" ما افترى به الشيعة على الصحابة الكرام وما تفوهوا به من العقائد الباطلة والإفتراءات الساذجة بأسلوب يشبع العقول، ويثير العواطف والقلوب التي في الصدور. وهو شاهد صدق على سلامة طبع هذا العبقري الفذ وهذا العالم الجليل وعلى صدق نيته وإخلاص طاعته وهداية سريرته[1].

(١) راجع: صورتان متضادان لدين الإسلام والرعيل الأول، ص/ ٦١-٦٠. (دين اسلام أور اولين مسلمانون كي دو متضاد تصويرين)

المدخل

عايش الفكر الإسلامي طوال رحلته الطويلة ألوانا من الأمزجة العقدية حاولت أن تحول بين عقيدة التوحيد وعباد آمنوا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا.

لكن الكون جعل البقاء للأصلح، فظلت رآية عقيدة التوحيد ترفرف دوما وتنظر إلى تلك العقائد بعين السخرية وهي تأتي فتزمجر أياما ثم تذهب أدراج الرياح من دون رجعة!

ولم يحيرني أمر تلك العقائد التي لا تكاد تجد لها رمسا إلا في خبر كان في كتب التاريخ و الملل والنحل ما حيرني أمر مجموعة من الآراء الممجوجة والعقائد السقيمة التي لا تتفق أبدا مع التفكير السليم، وكنت أتساءل دوما كيف استطاعت هذه العقائد أن تعيش في قلوب قوم إلى اليوم برغم الانفتاح الثقافي والفكري في عصرنا الحديث، وكان أجدر بها أن تصبح موضوعا في ذمة التاريخ كأخواتها من العقائد التي لدغت الحقيقة أياما ثم انطفئت شمعتها للأبد، لا أن تظل عقيدة حية في قلوب الملايين من المعتنقين الذين يسمون وبكل فخر (!) الشيعة الإثنا عشرية أو الإمامية، بعقيدة معلقة على؛ الإيمان بأحقية سيدنا علي بالخلافة واعتبارهم ذلك أصلا من أصول الاعتقاد؛ وبناءا عليه كفروا الصحابة وشتموهم ولعنوهم فاضطروا إلى صناعة مصطلح "الإمامة" وتجهيزه بأدوات النبوة من العصمة والوحي في زمن انتهى فيه أمر سيدنا علي من الدنيا والسياسة تماما!..

وإذا نظرت إلى التاريخ تجد رحلة التشيع رحلة مشبوهة تحركت من خلال قافلة من الأهواء، يقول الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله :«... والتشيع محبة علي وتقديمه على الصحابة، فمن قدمه على أبي بكر وعمر فهو غال في تشيعه، ويطلق عليه الرافضي، وإلا فشيعي، فإن انضاف إلى ذلك السب، أو التصريح بالبغض، فغال في الرفض، وإن اعتقد

الرجعة إلى الدنيا، فأشد في الغلو»[١]. وقال رحمه الله أيضا:« التشيع في عرف المتقدمين هو اعتقاد تفضيل علي على عثمان، وأن عليا كان مصيبا في حروبه، وأن مخالفه مخطئ، مع تقديم الشيخين وتفضيلهما. وربما اعتقد بعضهم أن عليا أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإذا كان معتقد ذلك ورعا، دينا، صادقا، مجتهدا، فلا ترد روايته بهذا، لا سيما إذا كان غير داعية، وأما التشيع في عرف المتأخرين، فهو الرفض المحض، (أي السب والشتم)، فلا تقبل رواية الرافضي الغالي، ولا كرامة»[٢].

« وتحت ظل الرفض تجمعت الشعوبية والأهواء، والكيد للإسلام، والطموحات السياسية، فأدخلت على الإسلام الطامات، ووجد باسم التشيع ـ وهو في الحقيقة الرفض لا التشيع ـ جدار سميك بين أهل السنة والجماعة وبين الرافضة، يظهر بين الحين والحين بصراع مسلح.

إن الشعوبية الحاقدة على الإسلام والعرب، بثت سمومها من خلال الرفض والأهواء، وأوجدت أطرا وعقائد فاسدة لتفرق بين الأمة، ولتجمع الجهلة.

والحاقدون على الإسلام لم يجدوا شيئا يبثون فيه سمومهم، ويخرجون الناس عن الإسلام، كمثل العلم تحت شعار الرفض.

هذا؛ وقد أصبحت لهذا الرفض دول وحكومات، كان من مصلحتها أن تعمق الهوة بين العالم الإسلامي وبين شعوبها، فعمقت الشذوذ والانحراف، وكثفت الحجب بين العالم الإسلامي وبين هذه الشعوب»[٣].

(١) في مقدمة الفتح الباري شرح صحيح البخاري، ص/ ٤٥٩.

(٢) أنظر: التهذيب، ج/ ١، ص/ ٩٤.

(٣) سعيد حوى، في تقديمه لكتاب التشيع بين مفهوم الأئمة والمفهوم الفارسي، لمحمد البنداري.ص/ ١١ـ١٢، ط/ ٢، دار عمار١٩٨٨م.

وقد فطن حجة الإسلام الغزالي رحمه الله لبعض هذا الكيد، فألف كتابه "فضائح الباطنية"، ومما قال فيه:

« تشاور جماعة من المجوس، والمزدكية، وشرذمة من الثنوية الملحدين، وطائفة كبيرة من ملحدة الفلاسفة المتقدمين، وضربوا سهام الرأي في استنباط تدبير يخفف عنهم ما نابهم من استيلاء أهل الدين، وينفس عن كربة ما دهاهم من أمر المسلمين، حتى أخرسوا ألسنتهم عن النطق بما هو معتقدهم من إنكار الصانع، وتكذيب الرسل، وجحد الحشر والنشر والمعاد إلى الله في آخر الأمر ... وقد تفاقم أمر محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ واستطارت في الأقطار دعوته، واتسعت ولايته، واتسقت أسبابه وشوكته، حتى استولوا على ملك أسلافنا، وانهمكوا في التنعم في الولايات، مستحقرين عقولنا، وقد طبقوا وجه الأرض ذات الطول والعرض، ولا مطمع في مقاومتهم بقتال، ولا سبيل إلى استنزالهم عليه بمكر واحتيال، ولو شافهناهم بالدعاء إلى مذهبنا لتنمروا علينا، وامتنعوا من الإصغاء إلينا، فسبيلنا أن ننتحل عقيدة طائفة من فرقهم ... ونتحصن بالانتساب إليهم، والاعتزاز إلى أهل البيت عن شرهم، ونتودد إليهم بما يلائم طبعهم... ونتوصل به إلى تطويل اللسان في أئمة سلفهم الذين هم أسوتهم وقدوتهم، حتى إذا قبحنا أحوالهم في أعينهم، وما ينقل إليهم شرعهم بنقلهم وروايتهم، اشتد عليهم باب الرجوع إلى الشرع، وسهل علينا استدراجهم إلى الانخلاع عن الدين، وإن بقي عندهم معتصم عن ظواهر القرآن، ومتواتر الأخبار، أوهمنا عندهم أن تلك الظواهر لها أسرار وبواطن، وأن إمارة الأحمق الانخداع بظواهرها، وعلامة الفطنة اعتقاد بواطنها، ثم نبث إليهم عقائدنا، ونزعم أنها المراد بظواهر القرآن، ثم إذا تكثرنا بهؤلاء، سهل علينا استدراج سائر الفرق بعد التحيز إلى هؤلاء، والتظاهر بنصرهم. ثم قالوا: طريقنا أن نختار رجلا ممن يساعدنا على المذهب، ونزعم أنه من أهل البيت، وأنه يجب على كافة الخلق مبايعته، ويتعين عليهم طاعته، فإنه خليفة رسول

الله صلى الله عليه وسلم، ومعصوم عن الخطأ والزلل، من جهة الله تعالى»[١].

ثم إنه جدت أمور وأمور بعد الغزالي ـ رحمه الله ـ، تحت شعار التشيع الرافض، تشيب من هولها الولدان، مما جعل الضرورة ملحة لرصد مسيرة هذا الرفض الملعون، وإرجاع الأمة إلى صفاء العقيدة ونقائها، ومن هنا جاءت تلك الدراسات الكثيرة والمستفيضة في المكتبة الإسلامية بشتى لغاتها تحاول الإصلاح ما استطاعت إلى ذلك سبيلا. من تلك الدراسات الإصلاحية ما كتبه علماء السنة ردا على شبهات الشيعة، وقد خرجت بطابع دفاعي، وهذا ما أراده الشيعة أنفسهم إذ جعلوا الخصم يقف في خندق الدفاع، وهذا موقف الضعيف غالبا.

ومنها ما جاءت عن علماء عرفوا مصادر الشيعة فكشفوا الستر عن ترهاتهم وبذلك أوقدوا شموعا على الدرب لكل من يريد الهداية ويهواها، وقد أدت هذه الدراسات دورا مشهودا وظلت تعيش إلى اليوم، وستبقى معالم على طريق أهل الدعوة والإصلاح إلى يوم الدين. أمثال ما كتبه الإمام ابن تيمية الحراني صاحب "منهاج السنة"، والإمام الشاه ولي الله الدهلوي صاحب "إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء"، والشاه عبد العزيز الدهلوي صاحب" التحفة الإثنا عشرية" و غيرهم الكثير...

واللون الأخير الذي ظفر بأجرين في هذا الباب هو ما قدمه علماء الشيعة الذين اهتدوا إلى الحق بعد الدراسة والتحقيق والتمعن والتمحيص.

فتميزت دراساتهم بحرقة في القلب على ما كانوا يرون فيه إخوانهم، وحرص وإخلاص في دعوتهم إلى الهداية التي ظفروا بها بعد جهد جهيد، ودراسة وبذل مجهود مجيد، كما تميزت بالشمولية في فهم المذهب الشيعي، والإحاطة الكاملة على ما في مصادره ومراجعه من التناقض والتضاد الذي يعارض العقل السليم والنقل الصحيح! ومن المعروف لكل طالب

---

(١) فضائح الباطنية، للإمام الغزالي، ص/ ٧ــ٨.

علم أن العقل السليم لا يعارض نقلا صحيحا قط.

وبحمد الله عز وجل فقد تجاوز عدد من خرج في هذه القافلة ـ قافلة المهتدين ـ الحصر والعد، ولاسيما في الآونة الأخيرة التي فتحت العولمة أبواب المكتبات فلم يعد العلم حكرا على أحد دون آخر.

وأصبح الشيعي قادرا أن يتصفح في كتب العلامة آية الله البرقعي وفي "التحفة الإثنا عشرية" وفيما كتبه الأستاذ حيدر علي قلمداران والشهيد مرتضى رادمهر، والأستاذ محمد باقر السجودي وغيره الكثير من المهتدين، كما أصبح قادرا أن يتصفح في كتب أهل السنة والجماعة بشتي لغاتها بكبسة زر.

ولا شك بأن كتاب "الآيات البينات" يعتبر من أكبر تلك المراجع الهامة التي يحتاجها أي شيعي يتعطش للحقيقة، ويحرص عليها ويبحث عنها، لكن مع الأسف الشديد ظل هذا الكتاب يطارده أصحاب الأهواء ويحرصون على القضاء عليه بقوة السلاح، بعدما عجزوا عن رده بقوة الحجة والدليل والبرهان. ففي البلاد التي تحكمها سيوف الصفوية وفرعنتها وعقلية الإرهاب الفكري يحكم على من يحمل هذا الكتاب أو يتصفح فيه بالإعدام، والبلاد التي كانت للصفوية فيها بصمة من السلطان منعت طباعة الكتاب وتداوله!..

لكن أنى للسيف أن يقهر إخلاصا وصدقا سطر هذه الكلمات....

وأنى للقهر أن يغلب دوي التوحيد في قلب المؤمن الأبي ...

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (الصف٨)

﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (التوبة٣٢)

ونحن إذ هدانا الله إلى تعريب هذا الكتاب جزء من هذا القدر الذي يأبى إلى أن يكتب المستقبل

لهذا الدين، ولعقيدة إمام الموحدين سيدنا إبراهيم وابنه خاتم المرسلين وسائر الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

بدأنا تعريب هذا الكتاب من ترجمة فارسية للجزء الأول منه لإمام أهل السنة الشيخ عبد الشكور اللكنهوي رحمه الله، وكانت تلك الأوراق التي حصلنا عليها أشبه بمخطوط ظلم بكثرة الأخطاء الإملائية، لكنها تميزت بتعليقات قيمة جدا للإمام المترجم، ثم كتب الله لنا أن اطلعنا على نسخة من الكتاب الأصلي ـ باللغة الأردية ـ طبع عام ١٩٧٩م في كراتشي ثم منع طبعه وتداوله بعد ذلك من قبل الحكومة الباكستانية تحت ضغط من الشيعة!

فراجعنا التعريب من خلاله، بل استطيع القول بأنني أعدت ترجمة أجزاء كبيرة من الكتاب مرة أخرى، لأقدم للمكتبة الإسلامية العربية ما أعتز به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

لكنني ظللت أعاني من كثرة الأخطاء ورداءة الطبعة في هذه النسخة كذلك، إلى أن من الله علينا بنسخة منقحة صدرت عام ٢٠٠٦م في الهند، فعدنا من جديد إلى مراجعة الكتاب في ضوء الطبعة الهندية الجديدة، فجاء الكتاب في ثوبه الجديد كما هو بين يديكم؛ التعليقات التي في الهامش كلها للشيخ عبد الشكور اللكنهوي ما عدا ما أشيرت إليه بـ (م) فهي من المترجم إلى العربية، أو (الشيخ محمد فراست) فهي وكذلك "تكملة زواج أم كلثوم" و"فهرس أعلام الكتاب" للشيخ محمد فراست المشرف على الطباعة الهندية الأخيرة، وقد أشرنا على ذلك في الهوامش.

هذا؛

ونسأل الله عز وجل أن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه، وأن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، ويبارك فيه كما بارك في أعمال عباده الصالحين،

وألا يجعل لنفوسنا وأهوائنا فيه شيئا، إنه سميع مجيب وإلى الإجابة جدير.

المؤلف في سطور[١]

نواب محسن الملك نجم لامع في سماء حركة الإصلاح الديني في شبه القارة الهندية، فهو من الرعيل الأول الذين حاولوا القيام بنهضة إصلاحية شاملة في الصف الإسلامي، وسعوا إلى توعية العقل المسلم أيام هيمنة الاستعمار الإنجليزي على المنطقة.

اسمه؛ مهدي علي، وترجع شجرة نسبه إلى الأسرة الشهيرة من سادات "باره". أبوه؛ السيد ضامن علي كان ينتمي إلى فرع من هذه الأسرة استوطنت في مدينة "أتاوه"[٢]، ومع أنه لم يكن ميسور الحال اقتصادياً إلا أنه كان يحظى باحترام وتقدير بين الناس، وذلك لأن والده كان عالماً مشهوراً، وكانت الأسرة تتوارث العلم جيلاً عن جيل. و جد محسن الملك من أمه كان عالماً نحريراً له صيته وسمعته في المحافل العلمية والمجالس الدينية والنوادي السياسية، وقد تقلد منصب الوزارة في ولاية "تونك".

في هذه الأسرة التي خلت من الأموال وامتلأت بالشرف والعلم والصلاح ولد نواب محسن الملك سيد مهدي علي عام ١٨٢٧م الموافق لعام ١٢٥٣هـ في مدينة "أتاوه"، فإن لم يكن والداه يستطيعان أن يضعا ملعقة ذهبية في فمه فقد استطاعا أن يضعا قلماً بين يديه منذ نعومة أظفاره، فما أن وجد نفسه كان يجلس بين يدي العلماء، فانبهرت قواه العقلية وانفجرت ينابيع ذكاءه، وما أن بلغ السابعة عشر من عمره إلا وقد أكمل دراسة العلوم المتداولة آنذاك، فقد بلغ في الأدب الفارسي وعلومه مبلغاً يغبط عليه، كما أنه حاز في العلوم العربية من الأدب والحديث

---

(١) هذه السطور كتبها الأستاذ ثناء الحق الصديقي، وقدمها لدار الإشاعة في كراتشي، وضمت إلى الكتاب لأول مرة في الطبعة التي خرجت عام ١٩٧٩م.

(٢) مدينة "أتاوة" من ولاية "أترابراديش" في الهند.

والتفسير مبلغ الأستاذية، أما حظه في الإنجليزية فقد كان أقل، إلا أنه كان يكتب بها ويقرأ بشكل جيد.

في الثامنة عشر من عمره دخل غمار الحياة العملية ليرفع عن كاهل أبيه بعض معاناة الحياة، فبدأ يشتغل سكرتيراً لإحدى المكاتب الحكومية، لكن؛ رفض ذكاءه وهمته وإخلاصه وأخلاقه الكتمان، فانتشر أريج سمعته بين المسئولين الذين قدروا له إخلاصه في العمل فحصل على عدد من الجوائز التشجيعية من الحكومة، كما أن رئيس الولاية قال في وصفه: «أستطيع أن أجزم بأنه لا أحد أكثر ذكاءاً وإخلاصاً في الولايات الشمالية والغربية في هذا البلد من مهدي علي ...».

انتشرت صيته بين رجالات الحكومة فطلبه القائد العام للجيش عام ١٨٧٤م إلى مدينة "حيدر آباد" ليتولى الإدارة المالية في مكتبه، واستطاع مهدي الشاب أن يؤدي واجبه بشكل ممتاز زاده سمعة ورفعة في عيون المخلصين حتى اشتهر عنه: «ما قام به مهدي علي في "دكن" هو نفس ما قام به "تودرمل"، في عهد الملك "أكبر" وما قام به "مستر تامسن" رئيس الأيالات المغربية والشمالية، فسياسته وحكمته جعلت بيت المال عامراً كما أنها جعلت الشعب سعيداً آمنا».

قدر الناس والحكام إخلاصه وصدقه ومؤهلاته العملية وقدراته العلمية، فبدأ يرتقي في مدارج الوظائف الحكومية ما بين عامي ١٨٧٦م و ١٨٨٤م وحصل على ألقاب؛ "محسن الدولة"، و"محسن الملك"، وفي هذه الفترة كذلك بعث إلى بريطانيا والتقى برئيس الجمهورية "كليد مستن".

وبما أن نشاطاته الإصلاحية وإخلاصه وصدقه في العمل كان يتعارض مع مصالح كثير من أصحاب الفساد الإداري، وأن عمله كان يكشف عن الأوراق الخفية لهؤلاء المفسدين،

حاولوا بشتى الطرق أن يحولوا بينه وبين سياساته الإصلاحية، ولما كثرت المؤامرات عليه ووجد أن الساحة السياسية لم تعد مجالاً خصباً للعمل الإصلاحي والتربوي اجتنبها عام ١٨٩٣م، وانعزل إلى "عليكره" والتحق بزملائه في العمل الإصلاحي.

في عام ١٨٩٨م لما توفي "سر سيد أحمد خان" تولى مكانه رئاسة الكلية العلمية، وضرب أمثلة رائعة في الإخلاص والصدق والتفاني في العمل، واستطاع أن يحدث ثورة إصلاحية تنويرية بين المسلمين أدت إلى رفع مستواهم الاجتماعي والديني والاقتصادي.

وفي تلك الأيام التي غزت الهند رياح الغزو الثقافي من قبل الاستعمار بقي سيد مهدي علماً شامخاً يدافع عن اللغة الأردية كرمز للمسلمين.

في أيام رئاسته للكلية ازدهرت التخصصات العلمية والدراسات العليا فيها، كما أن الكلية استقلت اقتصادياً وأصبحت تؤدي دوراً مشهوداً في الصف الإسلامي، ومع الأيام ارتفع الوعي الإسلامي وحصل المسلمون على حقوقهم السياسية وصار لهم دور مشهود في المجتمع الهندي.

نذر سيد مهدي علي وقته كله لفكرته وأهدافه، لكن ذلك لم يسعفه فبدأ يفديهما بصحته ونشاطه.

هذا العمل الدؤوب والنشاط والحركة أنسته نفسه والاهتمام بصحته، فبدأت الأمراض تهاجم عليه، لكنه لم يبال لها ولم يخضع أمامها، سافر إلى "شملة" في سبتمبر عام ١٩٠٧م، وقاد حركة إصلاحية هادفة للحصول على الحقوق المشروعة للمسلمين في تلك المنطقة، وقد التقى بكبار المسئولين والقيادات الحكومية وناقشهم في ذلك.

وفي أكتوبر من هذا العام هجمت عليه الأمراض هجمتها الأخيرة فطلبت رئاسة الحكومة في تلك المنطقة أطباءه الخاصة لعلاجه، وأنى للعلم البشري أن يقاوم مرض الموت!

ففي الساعات الأخيرة من يوم الثامن من شهر رمضان المبارك لعام ١٣٢٥ هـ الموافق لـ ١٦/ أكتوبر/ ١٩٠٧م انتقل سيد مهدي علي إلى خالقه ليرى تقريراً شاملاً عن أعماله الإصلاحية ودعوته وجهاده الميمون قد سبقه إلى الله عز وجل ويشهد له[1].

نسأل الله عز وجل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يعامل هذا المجاهد الفذ والعالم العبقري بفضله ومنه وأن يحشره في ركب الأنبياء والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

فقد ولد محسن الملك في أسرة فقيرة، واضطرت أن يغوص غمار الحياة مع أول مرحلة المراهقة، لكن ما وهبه الله عز وجل إليه من الهمة والذكاء الخارق والعبقرية والإخلاص ساندوه في أن يرتقي مدارج الكمال العلمي والعملي، وأن يصل إلى رتب عالية يضرب الناس في سبيلها أكباد الإبل!

فقد وهب الله له من المال أكثر مما كان يتوقعه وشرفه بالعز والجاه ورزقه لساناً صادقاً وقلباً مؤمناً يعرف كيف يؤدي شكر الله عليه، وقد استغل كل هذه المؤهلات والقدرات في سبيل دعوته وفي سبيل الإصلاح الديني وخدمة الخلق وإخراج الناس من دنس الحياة ودياجير الظلمات إلى نور الإيمان والصدق والإخلاص وإلى التفكر في الآخرة وما أعد الله لهم فيها.

وقد أحبه الناس وأحبوا عمله وجهاده وإخلاصه، فقد كان همه الوحيد أن يخدم العباد، ويخرجهم من عبادة العبيد إلى عبادة رب كريم رحيم.

فقد خرج من بيت التواضع والزهد وظل يحافظ على أخلاق هذا البيت إلى آخر أيامه، فلم يتكبر ولم يغتر بما هو فيه من المناصب الإدارية العليا والمال، وكان يعامل جميع الفئات من الناس بالإخلاص والحب، وكان يرى أن أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس. وكان ينفق جزءاً

---

(١) توفي في "شملة" عاصمة "هماجل براديش" بالهند، وحمل جسمانه إلى "عليجراه"، ودفن هناك بجوار زميله السيد أحمد خان. (م)

كبيراً من ماله على الفقراء والمساكين والأيتام والأرامل. فقد قرر لكثير منهم نفقات شهرية كان يصرفها عليهم من ماله الخاص، دون أن يعلم بذلك أحد من الناس.

يوم أن كان في "حيدر آباد" لم يكن أحد يعرف حكاية هذه الصدقات الخفية، لكن يوم أن ترك العمل وزهد فيه وسافر، افتقد الفقراء تلك اليد السخية التي كانت تنفق عليهم، وظهر للناس مكانة الرجل وتبين لهم كرمه.

ويوم أن استقر في "عليكره" وأصبح راتبه شيئا رمزياً لم يقبض يديه عن الناس، وإنما ظل على سيرته الأولى ينفق في سبيل الله إنفاق من لا يخشى الفقر.

كل من سعد بصحبته كان يذكره بالخير، ويمدح صفاته وخصاله، والأقربون إليه كانوا أكثر الناس مدحاً له، وافتقدوا بموته أسوة من الإخلاص والصلاح، وحتى الذين عارضوه طوال حياته وعادوه وآذوه لم يستطيعوا أن ينكروا فضله، ففي الأيام التي قضاها السيد مهدي في "حيدر آباد" كان "نواب سرور جنك" من أشد مخالفيه ومن ألد أعدائه ، لكنه كتب في كتابه "ماي لايف" ـ حياتي ـ: «فقد كان -السيد مهدي- رجلاً رحيماً وشفيقاً، وكان واثقاً بنفسه، أوتي لساناً حلواً وكلاماً مؤثراً، وكان على أتم الاستعداد أن يحسن إلى أي إنسان مهما كان، وظل كل من كان يعمل عنده وفيا به إلى آخر أنفاسه».

من المعروف أن الشاعر الأردي -والشعراء بشكل عام- لا يمدحون الأمراء والقيادات والرؤساء إلا طمعاً في أموالهم، ولعل هذا الوصف يصدق على معظم الشعراء لكن لكل قاعدة استثناءات. فالشاعر المشهور "داغ الدهلوي" كان ذا مكانة وشرف في "حيدر آباد"، ولم يكن يطمع في شيء مما عند "نواب محسن الملك رحمه الله" لكنه لم يتمالك نفسه فوجد لسانه يصور سيد مهدي في أبيات صادقة قائلا:

« إذا اعتبرت السيد مهدي خير أهل زمانه ــ أو اعتبرته رجلاً أحسن إلى بلده ـ أجدر لك

يا "داغ" أن تسميه "محسن العالم"».

وقال فيه أيضاً:

« هل هناك أفضل منك يا هذا ـ أعلى مكاناً وأرفع مقاماً

تراعي مشاعر الناس جميعا وترعاهم ـ من يرعى قلبك الكبير يا هذا»

فقد نذر محسن الملك حياته كلها لخدمة دينه وشعبه، وقد رأيناه يوم أن كانت الأمراض تهاجمه من كل حدب وصوب، لم يعبأ بهم وذهب إلى "شملة" عسى أن يصلح شيئاً من أمر المسلمين هناك، فذهب يطرح أفكاره على موائد السلاطين والحكام ويحذرهم من سياساتهم الخاطئة ويحثهم على العدل وعلى أداء حقوق المسلمين لئلا ينفرط الأمن وتندلع الثورات التي تأكل الأخضر واليابس!

اهتم بالنهضة العلمية ورفع المستوى التعليمي للشعب، فهو شرب منذ صغره من كأس التعليم الديني حتى الثمالة، وكان يرى بأنه لابد للمسلمين أن يهتموا بالتعليم الديني للناشئة وذلك لأن شخصية الطفل تستقر في هذه الفترة من العمر، فإن مال الطفل إلى الصلاح وحسن الخلق والإخلاص والتفاني سوف يكمل نفس المسيرة في حياته المستقبلية مهما واجهته من سيول الأيام ومصائب الدهر.

فهو لم يكن مثل العلمانيين في هذا العصر الذين يعتبرون التعليم الديني للطفل ضياعاً للوقت وإنما كان يؤمن بأن المجتمع يتشكل من الأفراد وأن صناعة الفرد تؤدي إلى صناعة الحياة وإصلاح المجتمعات، وأن بناء الشخصية تبدأ من صباه.

وهذا لا يعني أنه لم يكن يهتم بالعلوم العصرية، بل قد قضى معظم نضاله في سبيل الإصلاح التعليمي بين الجامعات والمعاهد العلمية والدراسات العليا فيها، وكان يحرض شباب المسلمين على أن يخوضوا تلك المجالات بروح المؤمن الواثق من ربه ومن نفسه.

فقد دخل سيد مهدي غمار الحياة العملية منذ عهد مبكر إلا أنه لم يغفل عن تثقيف نفسه بنفسه لحظة واحدة، فلم يضيع من وقته ساعة واحدة. وظل يقرأ ويطالع ويدرس ويكتب ويؤلف ويدرّس طوال حياته. وقد شهد بتفوقه العلمي كل من عاصره من العلماء والأفاضل. وتشهد كذلك كتاباته على سعة علمه وعبقريته، فما كتبه في "الأخلاق" يشهد على تبحره العلمي وعبقريته في أسلوب المعالجة. وقد كان ملماً بالعلوم الدينية وشغوفاً بها، وقد درس المذاهب الإسلامية وغيرها بشكل علمي دقيق. كتب عنه شمس العلماء الشيخ "ذكاء الله ": « .. فقد كان الشيخ مهدي علي عالماً فذاً في العلوم الدينية بشتى تخصصاتها ومذاهبها، ولم يكن ملماً بمذهبي الشيعي والسني فحسب وإنما درس الأفكار والعقائد الدينية التي تنتشر في العالم بشكل علمي دقيق، وقد أنفق وقتاً طويلاً في قراءة الكتب الإنجليزية التي ألفت في المذاهب والنحل المنتشرة في العالم، وأنفق من ماله كثيراً في ترجمة كثير من تلك الكتب، وقد ألم بتاريخ المذاهب في العالم إلمامه بمذهبه، وقد أثبت صدق الإسلام بعدما تخصص في سائر الأديان والمذاهب، وكان يسعى دوماً أن يزيل شبهات المسلمين ويهدئ عن تعصباتهم الممقوتة، ويقضي على ما تعلقت بهم من الخرافات بسلاح القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة و اجتهادات العلماء وأقوالهم العلمية الرصينة».

جرته هذه الدراسات العميقة والمحايدة إلى ترك المذهب الشيعي في عمر كان يناهز الاثنين وعشرين عاماً، وأصبح من أهل السنة والجماعة قلباً وقالباً. كتب عن ذلك في مقدمة كتابه "الآيات البينات" ما معناه: «أحمد الله عز وجل ألف ألف مرة أن جعلني من ذلك الركب المبارك الذين نذروا حياتهم في البحث عن الحقيقة ودرسوا أصول هذين المذهبين دراسة علمية صادقة محايدة، فوصلوا إلى أن مذهب أهل السنة والجماعة هو مذهب القرآن الكريم فتقلدوه، كما وجدوا مذهب الإمامية خلافاً لما عليه القرآن الكريم فتركوه. فقد تركوا ما ورثوه عن

آبائهم وأجدادهم ولم يبالوا بكلام الناس ولم يخافوا في الله لومة لائم، وتقلدوا فخورين مذهب الأئمة الكرام، مذهب أهل السنة والجماعة، ونبذوا وراء ظهورهم العقائد الباطلة التي تطعن في الأئمة الكرام ...».

طرق سيد مهدي علي باب التأليف منذ عهد مبكر، فقد ألَّف كتاباً سماه "ميلاد شريف" عام ١٨٦٠م، ولما كان والياً على بعض المدن وضع كتابين في القانون، أحدهما في "القوانين المالية" والثاني في "القوانين العسكرية".

وبعدما انعزل عن العمل في "حيدر آباد" بدأ يكتب في مجلة "تهذيب الأخلاق" لسر سيد أحمد خان[1] مقالات تجمع بين الدراسة الدينية والتاريخية وتكشف عن عبقرية الكاتب وسعة علمه.

كتب العالم الهندوسي "رام بابو سكسينة"عنه وعن مقالاته: «... فقد كتب في مجلة "تهذيب الأخلاق" مقالات علمية قيمة في الدين والتاريخ، يهدف من خلالها تغيير مجرى الحياة لدى المسلمين ليعودوا إلى ما كان عليه سلفهم، فلن يصلح الخلف منهم إلا ما أصلح سلفهم، وأنهم لن يخرجوا من الفقر والضياع إلا إذا عادوا إلى مدارج السلف وأخلصوا في

---

(١) السيد أحمد خان المعروف بـ (سر سيد)، هو القائد الإسلامي الكبير الذي لعب دورا بارزا لحماية حقوق المسلمين أيام الاستعمار الإنجليزي، وقد دعا المسلمين إلى الخوض في مجالات التعليم العصري لئلا يهمشوا في المجتمع فيصبحوا أذلة تحت أيدي الهندوس والإنجليز، فهم أجدر من يستطيع أن يقود الهند. وقد أسس جامعة "عليكره" الإسلامية المعروفة لهذا الهدف. عليه بعض المؤاخذات العقدية إلا أن دوره الإصلاحي والعلمي والفكري في شبه القارة الهندية متفق عليه في الصف الإسلامي. وقد توفي عام ١٣١٥هـ. وقد كان لمؤلف الكتاب الشيخ مهدي محسن الملك علاقة وطيدة معه، إذ أعجب بشخصيته وشاطره جميع أنشطته نحو النهوض بالمسلمين في شتى مجالات الثقافة الحديثة ونبذ كل ما يدعوهم إلى التخلف والضعف والهوان. بعد ما فارق السيد أحمد خان الحياة عين المؤلف رحمه الله خلفا له في إدارة جامعته وكليته العلمية فقاد المسلمين من خلالها سياسيا وحارب الجهل والتخلف وسعى في نشر الثقافة الإسلامية. (م)

مجالات التعليم وأصلحوا أخلاقهم وخاضوا غمار السياسة بروح المؤمن التقي الواثق بربه. ولا شك أن هذه المقالات تكشف عن رؤيته العلمية الواسعة وحبه للعدل والإنصاف ...».

وكذلك طبع له عدد من المؤلفات القيمة مثل: "الآيات البينات" و"كتاب المحيط والسوق"، وكتاب "التقليد والعمل بالحديث" ومجموعة من المقالات.

ولعل كتاب "الآيات البينات" أكبر أعماله، وبه اشتهر المؤلف.

ويا ترى! لماذا كتب المؤلف هذا الكتاب؟!

فلنصغي إليه وهو يحكي لنا عن سبب تأليف كتابه "الآيات البينات": «... وبما أن أحبابي وأقاربي وإخواني وأولادهم لم يزالوا على مذهبهم القديم -المذهب الشيعي- ويعتبرونني قد ضللت، فرأيت أن أكشف لهم عن تلك الأدلة العقلية التي جعلتني أكره مذهبهم، وأوضح لهم تلك الأدلة النقلية التي جعلتني أعشق مذهب أهل السنة والجماعة وأختاره لي ديناً. وها أنا أكتب هذا الكتاب لأوضح حقيقة مذهب أهل السنة والجماعة وصدقه عسى أن يقرأه أقاربي وإخواني وعسى أن ينظروا فيه بعين العدل والإنصاف لينكشف لهم زيف عقائدهم فيتركوها وليتضح لهم صدق مذهب أهل السنة والجماعة فيهتدوا إليها. اللهم آمين».

سمعت يوم أن ترك الأستاذ نواب محسن الملك رحمه الله دين آبائه وأجداده والتحق بمذهب أهل السنة والجماعة بدأ الناس يؤذونه بكلامهم ويسطرون حوله الأساطير والأوهام، حتى أن بعض الناس سألوا أقاربه عن سبب ترك "مهدي" لدينه، فقالوا لهم: إن مهدي علي لا يعرف دين آبائه جيداً فهو قليل العلم به، وقد انخدع بكلام بعض أهل السنة فضل الطريق!

وقد وصل هذه الافتراءات إليه، فأراد أن يبرئ نفسه منها فبدأ بتأليف هذا الكتاب، وقد قال: «أثبت لهم بأنني لم أترك ديني جهلاً مني به، وإنما أجبرتني إلى ذلك كثرة دراساتي في المذاهب والأديان إلى أن تبين لي وجه الحق من الضلال».

أول ما خرج "الآيات البينات" إلى الناس أحدث ضجة في الصف العلمي والوسط المذهبي، ولاسيما بين الشيعة إذ كشف لعامة المثقفين منهم كثيراً من الزيف الذي كانوا يجهلونه، وأظهر للعيان كثيراً من الشبهات التي تحيط بالمذهب الشيعي من كل جانب. فشعر علماء الشيعة أن هذه الضجة قد تؤدي بسحب البساط من تحت أرجلهم فآلوا على أنفسهم أن يردوا على الكتاب، فشمر أحد أقارب الشيخ محمد مهدي عن ساعدي الضلال ليرد على الكتاب ظلماً وزوراً، فوضع كتاباً في مجلدين كبيرين سماه "الآيات المحكمات" على وزن "الآيات البينات". لكن خرج كتابه هشاً ضعيفاً، يتطرق إلى الأمور الجانبية دون أن يخوض في أصل الموضوعات، فقد وضع في إحدى الصفحات ما قاله السيد مهدي ثم حاول أن يرد عليه في الصفحة المقابلة، ولم يستطع في رده أن يأتي بكلام فصل، وإنما ملأ كتابه بنفس الروايات التي سبق أن كشف زيفها صاحب "الآيات البينات" ورد عليها. والنظرة المحايدة تكشف عن ضعف "الآيات المحكمات" وهشاشته وأن واضع الكتاب لم يضعه إلا بدافع العصبية ورد الصاع صاعين، إلا أن الحظ لم يجانبه فأصبح كتابه دعاية للآيات البينات دون أن يشعر مؤلفه!

ولا شك بأن كتاب "الآيات البينات" يعد كتاباً فريداً في بابه، ولعلنا نستطيع أن نصنفه بالكتاب الثاني بعد "التحفة الإثنا عشرية" في هذا التخصص.

فقد جمع مؤلف "التحفة الإثنا عشرية" ما قاله الشيعة الإثنا عشرية وسائر الفرق الشيعية وعالجها معالجة قيمة في أسلوب تقريري بياني، لكن "الآيات البينات" اختصر على الشيعة الإثناعشرية وعالج شبهاتهم وافتراءاتهم في أسلوب حواري، وقد كان مؤلف هذا الكتاب ملماً بكل جزئيات المذهب وتفصيلاتها ودقائقها، وقد درس المذهبين -المذهب الشيعي ومذهب أهل السنة والجماعة- دراسة واعية عميقة محايدة، مما كشفت له عن نقاط الضعف وجوانب الضلال والظلام في المذهب الشيعي. واستطاع أن يكشف في هذا الكتاب عن سوءة أمور في

المذهب الشيعي يجهلها عامة الشيعة بل كثير من المثقفين وطلاب العلم منهم.

أسلوب الكاتب في كتابه أسلوب رائع جذاب، ترى فيه الروح العلمي بعيداً عن الحماس والثوران العاطفي يوضح الشبهات وردود القوم بأدلة متوالية ولا يترك للقارئ مجالاً للشك. وإن كان موضوع الكتاب في المسائل المذهبية إلا أن المؤلف لم يختر أسلوباً جافاً جامداً وإنما ارتضى لنفسه أسلوباً أدبياً ليناً أطعمه بشيء من الظرافة والطرف.

يعد هذا الكتاب ثروة علمية هامة لا يستغني عنه المناظرون، كما لا يستغني عنه طلاب العلم وعامة المثقفين من الشيعة والسنة وطلاب مقارنة الأديان والمذاهب. فمن يريد أن يجدد دينه ويقوي عقائده لابد أن يقرأ هذا الكتاب مرة بعد أخرى، ولا أظن أن يقع في ظمأ الشبهات من يشرب من منهل هذا الكتاب الصافي!

خرج الكتاب لأول مرة عام ١٨٧٠ يوم أن كان المؤلف يناهز الثالثة والثلاثين من عمره، ولما انفصلت باكستان عن الهند طبع الكتاب عدة مرات من قبل مؤسسات عديدة في باكستان، وقد طبعته دار الإشاعة في كراتشي عام ١٩٦٣م، ثم أعادت طبعه أكثر من مرة...

أسأل الله أن يهتدي طلاب الحق إلى هذا الكتاب، وأن يكتب الله الهداية لجميع الضالين من أهل البدع والخرافات، فإنه ﴿... يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾!

المقدمة

الحمد لله الذي سلم ميزان العدل إلى أكف ذوي الألباب. وأرسل الرسل مبشرين ومنذرين بالثواب والعقاب. وأنزل عليهم الكتب مبينة للخطأ والصواب وجعل الشرائع كاملة لا نقص فيها ولا عاب. أحمد حمد من يعلم أنه مسبب الأسباب. وأشهد بوحدانيته شهادة مخلص في نيته غير مرتاب.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله وقد سدل الكفر على وجه الإيمان بالحجاب. فنسخ الظلام بنور الهدى وكشف النقاب. وبين للناس ما أنزل إليهم، وأوضح مشكلات الكتاب. وتركهم على المحجة البيضاء لا سرب فيها ولا سراب. فصلى الله عليه وعلى جميع الآل وكل الأصحاب. وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الحشر والحساب. وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد؛

يجب أن نؤمن بأن الله عز وجل أرسل إلينا رسولا ليخرجنا من الظلمات إلى النور وليهدينا إلى الصراط المستقيم، وهو حبيب رب العالمين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وقد أوحى إليه كلامه (وهو ما نسميه بالقرآن الكريم) رحمة منه وفضل؛ أخرجنا به من ظلمات الكفر وضلالات الشرك، ونوّر به قلوبنا بنور الإيمان وسعادة التوحيد. وأوضح لنا بأن الإسلام أو الإيمان هو أكبر نعمة أنعم الله بها علينا ولا نستطيع أن نؤدي شكرها مهما بذلنا في ذلك من الجهود.(من هنا كان ينبغي على جميع من نطق بكلمة التوحيد وتشرف بالدخول في دولة الإيمان أن يقدر ما أنعم الله به عليه فلا يزيغ عنها مع مكائد الأعداء وأهواء الشياطين من الإنس والجن). لكن لم تجر الأمور على ما كان ينبغي؛ بل استطاع الشيطان أن يضل بعض أهل التوحيد فيسطو على قلوبهم ويزيغ صدورهم ويخرجهم من النور إلى الظلمات. واستطاع أن

ينفذ في صف من نطق بالتوحيد ويفرق جمعهم فيضل منهم اثنين وسبعين فرقة، وهذا ما تنبأ به الرسول الأمين صلى الله عليه وعلى آله وسلم(١).

ولا ينبغي أن نغتر باسم الإسلام وأن نباهي الأمم بمجرد إقرارنا بالتوحيد والنبوة، فنزعم بأننا نحن الفرقة الناجية دون غيرنا، بل ينبغي أن نحقق في مسائل العقيدة فنعرضها على الكتاب والسنة واحدة تلو أخرى، فما وافق الكتاب والسنة نأخذها في عين الاعتبار وما عارضهما ضربنا بها عرض الحائط، وينبغي أن نوقن بأن سعينا لن يبور، وأن كل من أقبل إلى كتاب الله بقلب صاف وصدر رحب يطلب الآخرة ويخشى عذاب الله دون عناد ولا تعصب لمذهب أو مشرب لابد وأن يهتدي إلى التمييز بين الحق والباطل، ولاشك أن مثل هذا الذي أقبل يطرق باب الله لن يعود من باب رحمة الله خائباً(٢).

أجل، سيبقى في الضلال من يقبل إلى كتاب الله، لا بقلب يطلب الهدى، وإنما بقلب يسعى أن يشفي غليل ما في صدره من المذاهب والأفكار التي يتعصب لها، ويصدق فيه قوله تعالى: ﴿... إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ (الزخرف: ٢٣)، فمثل هذا

---

(١) إشارة إلى ما رواه أبوداود والترمذي وابن ماجه والدارمي وأحمد في مسنده أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «تفرق اليهود إلى إحدى وسبعين فرقة وتفرقت النصارى إلى اثنتان وسبعين فرقة وستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، وهي ما أنا عليه وأصحابي». وهذا الحديث لا يعني عددا بعينه وإنما يعني الكثرة. وقد روى هذا الحديث كذلك الكتب المعتبرة لدى الشيعة، فقد جاء في صفحة ١٤١ من الجزء الثاني لكتاب "خصال" لابن بابيه ـ طبع في إيران ـ: «إن أمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة؛ يهلك إحدى وسبعون ويتخلص فرقة! قالوا: يا رسول الله! من تلك الفرقة؟ قال: الجماعة الجماعة الجماعة». ولم تسمي الشيعة نفسها بأهل الجماعة أبدا، ولم يحصل أن سماهم به أحد قط. وفي السطور الآتية عند شرحنا لمصطلح "أهل السنة والجماعة" سنزيد الأمر إيضاحا، إن شاء الله وتعالى.

(٢) وقد أشارت إلى هذا المعنى آيات عديدة من كلام الله عز وجل، تقول بأن من يقبل إلى الله عز وجل بقلب صادق يرجو الآخرة ويخشى عذاب ربه لن يبور سعيه.

الرجل لا شك أنه سوف يبقى في ضلالته ولا يستطيع أن يزيل عن قلبه شوائب العقائد الباطلة.

ففي هذه الإطلالة السريعة يقول العبد الفقير إلى رحمة مولاه **مهدي علي بن سيد ضامن علي** غفر الله ذنوبه[١]، لإخوته: فإن من أبرز المذاهب المتباينة لدى من ينطق بكلمة التوحيد مذهب أهل السنة والجماعة[٢] ـ وقد كانوا من أول أمر الإسلام إلى يومنا هذا يشكلون السواد

---

(١) هو المؤلف: نواب محسن الملك سيد محمد مهدي علي بن سيد ضامن خان من كبار أئمة الشيعة وعلمائهم في الهند، وقد من الله عليه بنعمة الهداية. والحمد لله رب العالمين.

(٢) ليس هذا اللقب محدثا ولا متصنعا كما يزعم الشيعة، بل كان في عهد الصحابة صفة رائجة للفئة الناجية، حتى سيدنا علي المرتضى رضي الله عنه وصف نفسه الأقدس بهذه الصفة في رواية روتها الشيعة كذلك. ففي "الاحتجاج" للطبرسي ـ طبع إيران، صفحة ٨٣ ـ جاء عن سيدنا علي رضي الله عنه أنه قال: أما أهل الجماعة فأنا ومن اتبعني وإن قلوا، وأما أهل السنة فالمتمسكون بما شرعه الله ورسوله. وفي نهج البلاغة ـ طبع/ مصر، ج/ ٢، ص/ ٩٧ ـ جاء عن سيدنا علي المرتضى رضي الله عنه عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَّ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهَّ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهَّ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (النساء: ٥٩) "أنه قال:« فالرد إلى الله: الأخذ بمحكم كتابه. والرد إلى الرسول: الأخذ بسنته الجامعة غير المفرقة.

ومن هذه الرواية يتضح وجه تسمية أهل السنة والجماعة، وأن إضافة السنة إلى الجماعة جاءت من أنهم يعملون بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الجامعة ولا يفرقون بين أهل الإسلام، ولا يخفى على أحد أن هذه الصفة هي السمة البارزة لأهل السنة والجماعة دون غيرهم. والشيعة لا شك بأنهم محرومون من هذه الصفة إذ أساس مذهبهم وضع على الفرقة! فإذا لم يفرق الشيعة في الرعيل الأول من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ـ الذين حملوا الإسلام على أكتافهم في أحلك الظروف، وأوصلوه إلينا مضحين بالغالي والنفيس ـ ولم يطعنوا في بعضهم، ولم يجرحوا الآخرين، ولم يرفعوا ألوية العداوة في وجوههم؛ لفني مذهبهم وانتهى..

الأعظم[١] لأمة الإسلام ـ ومذهب الإمامية[١]. وكل من ينتسب لواحد منهما يرى مذهبه هو

(١) هنا نقطتان ينبغي الإشارة إليهما؛

الأولى:

لا يستطيع أحد أن ينكر بأن أهل السنة والجماعة كانوا دوما هم السواد الأعظم لهذه الأمة، فهي من بديهيات التاريخ لا ريب، وحتى الشيعة أنفسهم يقرون بذلك. ففي "الاحتجاج" للطبرسي ـ طبع / إيران، ص/ ٤٨ ـ ورد في بيان خلافة الصديق:" ما من الأمة أحد بايع مكرها غير علي وأربعتنا" ـ أي: أن الأمة جميعا بايعت أبابكر راضية مختارة إلا علي ونحن الأربعة ! ـ فيتضح من هذا الكلام أن الأمة أو الصحابة الذين حسب رواية الأمام أبوزرعة كانوا مائة وأربع وعشرون ألفا كلهم بايعوا، ولم يكن على مذهب الشيعة إلا خمسة أشخاص فقط! فماذا تعني البيعة لأبي بكر طائعة مختارة من دون إكراه ولا جبر. يقول القاضي نور الله الشوستري ـ الملقب لدى الشيعة بالشهيد الثالث ـ في كتابه "إحقاق الحق" ـ طبع/ إيران، ص/ ٢٢٣ ـ:" والسبب في أن سيدنا عليا ـ رضي الله عنه ـ لم يعلن عن مذهبه أيام خلافته أنه رأى بأن جمهور المسلمين كانوا يؤمنون بحسن سيرة الشيخين، وكانوا يرونهما على الحق. وكذلك من بايعوه كانوا من أعدائه، ولذلك لم يكن لسيدنا أمير المؤمنين عليه السلام قوة ولا منعة في أن يظهر مذهبه.

وقد ورد هذا المعنى بكثرة في كتب الشيعة بروايات صحيحة عن سيدنا علي رضي الله عنه وعن الأئمة الآخرين: بأن سيدنا علي رضي الله عنه لكثرة أهل السنة وقلة أتباعه أو ندرة شيعته في زمانه لم يكن قادرا على إظهار مذهبه. فيتضح من هنا أن الشيعة حتى في زمن سيدنا علي رضي الله عنه كانوا فئة ضيئلة جدا، بل كانوا أقل من القليل، إلى درجة أن الذين بايعوا عليا رضي الله عنه للخلافة، وكانوا يحاربون أعدائه تحت لوائه وقد فدوه بأرواحهم في المعارك الدامية التي خاضها كانوا هم من أهل السنة والجماعة!

النقطة الثانية:

من المسلمات واليقينيات والثوابت أنه إذا ظهر الخلاف والفرقة في القرن الأول فالسواد الأعظم هم الذين يميلون إلى الحق، وهم الذين يحمونه لقرب عهدهم بالرسالة والنبوة، وقد أمر أهل الإسلام أن يتبعوهم. ففي نهج البلاغة ـ طبع / مصر، ج/ ١، ص/ ٢٧١ ـ عن سيدنا علي رضي الله عنه أنه قال:" وسيهلك فيّ صنفان: محب مفرط؛ يذهب به الحب إلى غير الحق، ومبغض مفرط؛ يذهب به البغض إلى غير الحق. وخير الناس فيّ حالا؛ النمط الأوسط، فالزموه. الزموا السواد الأعظم، فإن يد الله مع الجماعة، وإياكم والفرقة! فإن الشاذ من

الحق الذي لا مرية فيه، ويرى الآخر يتوه في الضلال والبطلان. ويعتبر نفسه ناجيا، ويرى الآخر ناريا. وقد ألفت في هذا الباب آلاف من الكتب وسجلت مئات الرسائل والصحائف، لكن النزاع ظل قائما على حاله ولم يتنازل فريق للآخر، وبقي كل يعتز بما هو عليه. اللهم إلا عدد جد قليل ممن دخل غمار المعركة بقلب مخلص سليم، فهداه الله عز وجل إلى الصواب فترك ما كان عليه مما ورثه من آباءه وأجداده، واختار المذهب الآخر طمعا لمرضاة ربه وجنانه الخلد

الناس للشيطان، كما أن الشاذة من الغنم للذئب. ألا من دعا إلى هذا الشعار فاقتلوه، ولو كان تحت عمامتي هذه".

لابد أن يكتب هذا الكلام البليغ بماء الذهب، ولابد أن يقف العاقل أمامه وقفة المتأمل والمتدبر، فسيدنا علي رضي الله عنه يرى الشيعة كلهم من الهالكين، وأغلق باب التأويل والتحريف، وأشار بأن العقيدة الصحيحة والموقف السليم تجاهه هو موقف السواد الأعظم من المسلمين واعتقادهم، وينبغي أن تأخذوا به. وأخيرا نراه يبالغ في التأكيد ويأمر بقتل من يدعو إلى مخالفة السواد الأعظم، حتى ولو كان هو نفسه! ـ ولو كان تحت عمامتي هذه ـ. ما أعظمه من فقيه! وما أعظم درايته! جزاه الله في الإسلام خيرا..

(١) هذا اللقب أحدث واصطنع فيما بعد؛ لا نرى أبدا فرقة من الفرق الإسلامة قد تسمى بهذا الاسم في القرون الإسلامية الأولى، وإنما اخترع الشيعة هذا الاسم ليخفوا أصل الخلاف الذي بينهم وبين أهل الإسلام وراء ستار هذا اللقب، فيختلط على الناس حقيقة أمرهم فيظهروا أمام الناس وكأنهم يتبعون الأئمة وغيرهم لا يتبع الأئمة!

لكن كل من درس مبحث الإمامة في كتب الشيعة المعتبرة، واطلع على أوصافهم للإمام يعرف جيدا أن هذا اللقب يرادف الكفر ويساوي إنكار ختم النبوة! لأن الإمام في مذهب الشيعة يساوي سيد الأنبياء صلى الله عليه وسلم في كل صفاته ومناقبه وفضائله، فالإمام مثل سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم معصوم ويجب طاعته، وينزل الله عليه الكتاب والوحي، فينزل عليه في عمره كتاب، بل في كل سنة ينزل عليه كتاب، ويسلمه الله عز وجل خيار التحليل والتحريم، فالأئمة قادرون أن يحللوا ما يشاءون ويحرموا ما يحلوا لهم!.. كل هذه الأمور تجدها في كتاب "أصول الكافي" أقدم وأوثق كتب الشيعة وغيره، وسنشير إلى بعض منها في الصفحات القادمة، بإذن الله.

يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وأحمد الله عز وجل وأشكره جزيل الشكر أن منَّ علي بفضل منه ورحمة وجعلني من هذه الفئة القليلة، ووفقني لدراسة أصول المذهبين ومراجعة ما فيهما بعين الناقد البصير، وبقلب لا يخاف في الله لومة لائم، ولا يريد إلا مرضاة ربه عز وجل، فوصلت **إلى أن مذهب أهل السنة والجماعة يوافق ما جاء في كتاب الله عز وجل، وأن مذهب الإمامية يعارض كلام الله عز وجل ويناقضه، فتركت دين آبائي ـ مذهب الإمامية أو الشيعة الإثنا عشرية ـ دون خوف من الأهل والأقارب والخلان والناس أجمعين، مخاطبا مولاي عز وجل: إذا صح منك الود فالكل هين ... وكل ما فوق التراب تراب!**

استخرت ربي واستشرت عقلي وفطرتي، فأستدبرت مذهب الإمامية الذي يخالف القرآن وما كان عليه الأئمة الكرام عليهم السلام، وأقبلت بقلب راض منشرح إلى الطريق السوي؛ مذهب أهل السنة والجماعة.

وبما أن هذه النقلة من الظلمات إلى النور أعقبتها ثورة في الأهل والأقارب والخلان والإخوان إذ اعتبروني قد صبأت بتركي دين آبائي، واعتبروني قد ضللت ضلالاً مبيناً وخسرت خسراناً عظيماً، وجدت أن أضع بين أيديهم وأيدي غيرهم ممن يحوم في حماهم الأدلة العقلية التي جعلتني أتنفر من مذهبهم، كما أوضح الشواهد النقلية التي جعلتني أقبل مذهب أهل السنة والجماعة وأرتضي به ديناً ومشرباً.

وللحصول إلى هذه الغاية رفعت القلم لأسطر هذا الكتاب الذي أسميه «**الآيات البينات**» تبياناً لما في مذهب أهل السنة والجماعة من الحق والصواب.

أسأل الله عز وجل أن يوفق إخوتي من الشيعة أن ينظروا في هذا الكتاب بعين الإنصاف وبقلب الخاشع المنيب الذي لا يريد إلا وجه الله فيصلوا من خلاله إلى الحق المبين ويتركوا

عقائدهم الباطلة.

اللهم آمين....

التمهيد

لا يخفى على أحد أن أساس الخلاف بين الشيعة والسنة يرجع إلى قضية الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، ورؤية كل فريق تجاههم[١]، فأهل السنة يعتقدون فيهم؛ أنهم كانوا كراما بررة رباهم الرسول صلى الله عليه وسلم، وتعهد إليهم بحمل رسالته إلى الأجيال القادمة، في حين يزعم الشيعة أنهم كانوا أخبث رجالات هذه الأمة التي وصفها الله عز وجل:﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ...﴾ (آل عمران١١٠)

---

(١) بنى المصنف رحمه الله كلامه على ما هو المشهور على ألسنة الشيعة، لكن في الحقيقة يرجع أصل الخلاف بين الفريقين إلى "الإيمان بالقرآن الكريم"، وسيأتي تفاصيل ذلك في الصفحات الآتية. ـ إن شاء الله ـ ويتضح لك بأن مذهب الشيعة وضع على عداوة القرآن الكريم وإنكاره! ويرجع كذلك أصول الخلاف بين الفريقين إلى قضية "ختم النبوة"؛ فالشيعة في أساس عقيدتهم لا يؤمنون بختم النبوة، ولذلك قلما تجد في كتبهم أحاديث تروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وإنما كل أحاديثهم تروى عن الأئمة، وهي في معظمها موضوعات افتروها على الأئمة ظلما وزورا.

في جواب مطاعن القوم في الصحابة طبع كتاب عن افتراءاتهم في قضية "فدك" والرد عليها، فجزا الله المؤلف خير ما جازى عبدا نبذ الغبار عن الحق المبين. وقد وضعت رسالة في مطاعنهم في قضية "القرطاس" وقد طبعت عدة مرات، ولعلها كانت رسالة فريدة في بابها لم تسبق بمثيل، والحمد لله على كل ذلك. وكذلك سبق أن ألفت كتابا في الرد على افتراءاتهم على الصحابة وفي مطاعنهم إجمالا. وقد ثبت بالأدلة العقلية والبراهيم الثابتة بأن ما يقوله الشيعة يؤدي إلى وضع قواعد لو أخذنا بها وراجعنا القرآن في ضوءها لوجدنا الآيات القرآنية تلعن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ـ العياذ بالله ـ !

من خلال قراءتك لهذه الدراسة تصل لا محالة إلى أن الشيعة بطعنهم في الصحابة لم يكونوا يقصدون إلا تخريب الدين وإهانة الأنبياء ـ عليهم الصلاة والتسليم ـ والله تعالى أعلى وأعلم.

وأنهم قد ارتدوا وكفروا بعد إيمانهم!

وفي الحقيقة هذه القضية هي التي يمكننا من خلالها أن ندرك حقيقة كل مذهب من هذين المذهبين، وفي فلكها تنكشف سوءات البطلان عن العقيدة الفاسدة والمذهب الباطل: فإذا ثبت بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة أن الصحابة قد آمنوا وصدقوا في إيمانهم، ثم ثبتوا واستقاموا إلى أن أدركهم الموت، فلا نشك في أن مذهب أهل السنة والجماعة هو الحق الذي لا غبار عليه، وأن مذهب الشيعة مذهب باطل لا أساس له، وإذا ثبت عكس هذه الحكاية وتبين أن الصحابة قد ارتدوا على أدبارهم بعد أن من الله عليهم بنعمة الإيمان، نصل إلى كفر أهل السنة والجماعة وبطلان مذهبهم!

وعلى هذا المنهج سأتتبع ما ورد في مناقب الصحابة وفضائلهم، ثم أدرس حكاية الخلافة الراشدة، ثم أراجع مطاعن الإمامية ـ الشيعة ـ في الصحابة وأدرسها في ضوء الحقائق التاريخية والمفاهيم المتفق عليها.

المبحث الأول: الأدلة العقلية

الدليل الأول: الرعيل الأول وإخلاصهم.

الدليل الثاني: الخلفاء الراشدون على خطى المصطفى صلى الله عليه وسلم.

الدليل الثالث: الهدف من بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم.

الدليل الرابع: صحبة الرسول صلى الله عليه وسلم.

الدليل الخامس: موقف أهل مكة والمدينة من الصحابة.

المبحث الأول: الأدلة العقلية

ولقد أوردنا خمسة أدلة عقلية على كذب الشيعة فيما يزعمونه من كفر الصحابة وارتدادهم!

الدليل الأول: الرعيل الأول وإخلاصهم

مما يعرفه الناس جميعا، وحتى المهتمين بالدراسات التاريخية والدينية من غير المسلمين أن الله عز وجل بعث رسوله ومصطفاه ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم [١]ـ إلى البشر في بلاد

---

(١) عطف المؤلف رحمه الله في صلاته على الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا المقام الصلاة على آله دون أصحابه(!)، ولعل ذلك يرجع إلى شيء كان قد اعتاده فيما سبق من أمره ـ قبل الهداية. . وقد كنت عالجت هذا الأمر في كتاب سميته " إحياء الميت في تحقيق الآل وأهل البيت" وبسطت الكلام فيه وذكرت تفصيله، فليرجع إليه طلاب العلم والمعرفة. خلاصة هذا الكتاب هو:

لم يرد لفظ "آل" في لغة العرب بمعنى "أولاد الرجل"؛ يقول علماء اللغة بأن؛ آل الرجل: من يؤول أمرهم إليه. أي أن كلمة "آل" تدل على المتبعين، وقد وردت هذه الكلمة في عدة آيات تحمل هذا المعنى، ففي قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾(البقرة: ٤٩)" فكما هو واضح من هذه الآية "آل فرعون"، هنا تعني أتباع فرعون، وكذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنظُرُونَ﴾ (البقرة: ٥٠) ، وقد جاءت في آية أخرى :﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ (القصص: ٤٠) ، فجنود فرعون في هذه الآية هم "آله" في الآية التي قبلها. وقد أخرج القرآن الكريم من دائرة "آل"؛ أولاد الرجل الذين لا يتبعون أباهم، ففي قصة سيدنا نوح عليه السلام نقرأ قوله تعالى :﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنْ الْجَاهِلِينَ﴾. (هود: ٤٥ ٤٦). فقد وعد الله

عز وجل عبده الصالح نوحا بأن يحفظه وآله من الغرق، لكن ابن نوح وقد كان يعصي أباه ويكفر بدعوته غرق وهلك مع الهالكين، فنادى نوح ربه متضرعا: يا رب! إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق! فبين الله عز وجل له: يا نوح، إن ابنك قد ارتكب المعاصي وعمل أعمالا غير صالحة، فهو ليس من آلك. فمن هنا تبين لنا أن مدار الصلة مع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يرجع إلى الإيمان والعمل الصالح ولا اعتبار لروابط الماء ووشائج الطين هنا، ولنعم ما قاله العارف الجامي:

يا جامي! أترك الأنساب وقد أصبحت عبداً للعشق ... ففي هذه الطريق لا قيمة لقولهم: فلان بن فلان.

(بنده عشق شدى ترك نسب كن جامى ... كه در ين راه فلان بن فلان چيزى نيست!).

وكذلك قال الله عز وجل في محكم تنزيله:﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(آل عمران٦٨) فهذه الآية تخرج أمثال أبي جهل ـ وإن كانوا من أولاد سيدنا إبراهيم عليه السلام ـ من أن يكونوا ذويه وقرابته، ويدخل في دائرة أقرب الناس إلى سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام أمثال بلال الحبشي رضي الله عنه، وإن كانوا لا يمتون إليه بأدنى صلة رحم ولا نسب !

خلاصة الكلام: هناك شواهد كثيرة وأدلة عديدة في كتاب الله عز وجل تؤيد هذا المعنى الذي أشرنا إليه بأنه: إذا اتبع رجل رجلا فهو من آله، ومن لم يتبعه لا يعد من آله وإن كان ابنه الذي خرج من صلبه.

وهناك شواهد تؤيد هذا المعنى في كتب الشيعة كذلك، ففي نهج البلاغة ـ ط/ مصر، ج/ ٢، ص/ ١٦٣ ـ عن سيدنا علي المرتضى رضي الله عنه أنه قال: «إن أولى الناس بالأنبياء أعلمهم بما جاءوا به، ثم تلا عليه السلام : ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾(آل عمران٦٨) ثم قال عليه السلام:إن ولي محمد؛ من أطاع الله وإن بعدت لحمته، وإن عدو محمد؛ من عصى الله وإن قربت قرابته»!

فمن هذه الدراسة الدقيقة تتضح لذوي العقول بأن كلمة "آل" لا تعني الأولاد والذرية، وإنما تعني "الأتباع"، فمن هنا نقول بأن صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم من آله لا محالة. وعلى هذا المعنى اكتفت ألفاظ بعض الأدعية والصلوات على الرسول صلى الله عليه وسلم في الصلاة على لفظ "آل" ولم تذكر "الأصحاب" فيها. وفي الأدعية والصلوات التي ذكرت كلمة "الأصحاب"، بعد كلمة "آل" كانت من باب التخصيص بعد التعميم ـ ذكر الخاص بعد العام ـ وهذه قاعدة في لسان العرب حيث يطلقون اللفظ العام ثم يتبعونه بذكر بعض أفراد من ذلك العام ليظهروا مقامه ومكانته وميزته، كما هو في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٩٨) فكلمة "الملائكة" تشمل جبريل

العرب وفي مدينة مكة المعظمة، وقد أظهر دينه في مكة المكرمة وأعلن عنه يوم أن كانت مكة كلها كافرة تعبد الأوثان وتشرك بالله عز وجل. وقد نزلت دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم كالصاعقة على أهل مكة وأقارب الرسول صلى الله عليه وسلم وذويه فلبسوا لباس العداوة والتكذيب منذ أن سمعوا كلامه صلى الله عليه وسلم وبدأوا بتشويه صورة دعوته والنكال من شخصيته فاتهموه بالجنون وبالسحر وبأنه شاعر أو مسحور. نعوذ بالله من كل ذلك.

في السنوات الست الأولى مع كل ما بذله الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم من الجهود الجبارة، ومع كل ما أظهره من المعجزات الباهرات والبراهين القاطعة لم يؤمن بدعوته إلا فئة ضئيلة لم تتجاوز أربعين شخصا. بعد ست سنوات من الدعوة زاد العدد شيئا بسيطا، وخرجت الدعوة من مرحلة السرية إلى الناس وبدأ الرسول صلى الله عليه وسلم يظهر أركان دينه على الأشهاد، وكان من نتيجة ذلك أن وقف الكفر سدا منيعا أمام الدعوة الإسلامية وبدأت رماح الظلم والطغيان تصوّب في صدور المؤمنين، وبدأت مرحلة التعذيب والتنكيل بالرسول صلى الله عليه وسلم وأتباعه واشتد التعذيب إلى درجة أن ضاقت بهم الأرض بما رحبت فأمروا بالهجرة إلى المدينة. وبعد الهجرة بدأت بشاشة الإسلام تدخل القلوب فتحييها، وفي أيام قليلة أصبح للإسلام صيت وشوكة، وتجاوز عدد المسلمين المئات ثم الألوف حتى بلغ مئات الألوف.

ولا شك بأن الذين سبقوا إخوانهم إلى هذا الدين وانضموا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في بداية دعوته وصدقوه يوم أن كذبه الناس وشهدوا بصدق دعوته يوم أن رفضه

وميكال كذلك إذ هما من الملائكة لا ريب، لكن الله عز وجل خصصهما بالذكر بعد العموم إظهارا لمقامهم وتبيانا لرتبتهم عنده.

فقد اتخذت الشيعة لفظ "آل" و"أهل البيت" بمثابة مصيدة سحرية يصيدون بها السذج من الناس. وسوف تكون لنا وقفة مع كلمة "أهل البيت" كذلك في الصفحات الآتية بإذن الله عز وجل. والله ولي التوفيق.

الناس، ونطقوا بالشهادة من أول وهلة، وتركوا ما ورثوه من آباءهم وأمهاتهم من العقائد الباطلة والأفكار الوثنية، وانفصلوا عن أقاربهم وذويهم وسارعوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وتشرفوا بطاعته وبالوقوف بجانبه في المحن كلها. تصور معي مدى قوّة إسلام هؤلاء الناس ومدى رسوخ هذه العقيدة في صدورهم في تلك الآونة العصيبة وتحت تلك الظروف المستعصية التي هي جديرة بأن تستأصل الجبال الراسيات. فما أصعب أن يترك الإنسان دين آباءه وأجداده ويتقلد دينا جديدا! وما أصعب أن يترك المرء كل دواعي السعادة والراحة ليضع نفسه هدفا للرماح والسيوف والآلام والغربة والفقر وألوان العذاب، فهذا أمر لا يتفق مع فطرة البشر ولا مع طبائعهم! فلا شك أن مثل هذه المواقف لن تحصل إلا إذا كانت وراءها دواعي عظيمة وخطيرة تفوق قوتها طبائع البشر وما جبل عليها. وإذا أمعنا النظر في هذا الأمر، وتساءلنا: يا ترى، ما الذي جعل هؤلاء السابقين الأولين من المؤمنين يقبلون إلى الإيمان ويسارعون إلى التوحيد خلافا لما تقتضيه الطبيعة البشرية والجبلة الإنسانية؟

فلا يخطر ببالنا إلا سببين اثنين لا ثالث لهما؛

إما هم قبلوا الدعوة الجديدة عن قناعة وإيمان ويقين، وطمعا في جنات النعيم، وإما طمعا في الأموال والدنيا.

فإن قلنا بأنهم لم يؤمنوا بالرسول صلى الله عليه وسلم إلا خوفا من عقاب الله عز وجل وطمعا في رضوانه وجناته يوم الدين، ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ . إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَّ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾، فآمنوا ابتغاءَ وجه الله عز وجل وتركوا أهلهم وديارهم وأموالهم في سبيل الله وما كانوا يخافون في الله لومة لائم، وكان حبهم في الله ولله، وبغضهم في الله ولله، يوالون من والاه ويعادون من عاداه، فلا يمكن أن نتصور أنهم يوما ما يمكن أن يتنازلوا عن كل هذه المبادئ فيكفروا بها ويرتدوا عن دين الإسلام. فأنى لمحبة الإسلام وحب الله أن يخرج من صدور

سيطر عليها وتغشاها إلى درجة أن غلب على مقتضيات الطبيعة والجبلة الإنسانية فيها؟!

ونقول لا محالة أن من أسلم تحت تلك الظروف الحرجة، واستقبل كل تلك الآلام والمصائب والمحن ببسمة الصبر والثبات واحتسبها عند الله وبقي سنوات عديدة يهتف باسم الله وتوحيده تحت السياط الظالمة لا يفتنه ذلك عن دينه؛ لن يرجع عن عقائده وإيمانه أبدا، وسوف يبقى معتزا بدينه وإيمانه ما بقيت في عروقه قطرة دم.

وإذا قلنا بأنهم لم يؤمنوا إلا طمعا في المال والدنيا، يعاقبنا ضميرنا وعقلنا، فهذا أمر لا يستطيع العاقل أن يتصوره، ومن له أقل درجة من الإيمان وأقل شيء من الفهم والعقل والحياء لا يستطيع أن يتصور هذا المعنى الرخيص. لأن الإسلام بدأ مغمورا وخرج صوته من بين السياط والمحنة والتعذيب والنكال أنينا، فقد كان يقف الشعر على الجسم من هول ما يلقاه المؤمن من التعذيب، فأنى للمسلم حينئذ أن يطمع في مال أو جاه أو دنيا.

أين كان مال الرسول صلى الله عليه وسلم أو أين كانت دنياه في تلك الفترة ليطمع فيها الناس فيستسلموا لدعوته؟![1]

---

(١) ما أسخف ما قاله صاحب "حمله حيدري"، وقد نقل المؤلف رحمه الله أشعاره في هذا الكتاب وقد أجاب على هذه النقطة إجابة ذكية (!)، فقال في بيان إيمان السابقين الأولين في أبيات منه:

لم يؤمنوا كلهم عن يقين منهم .... وإنما البعض طمعا في الدنيا والآخر طمعا في الدين

والذي يقول أين كانت الدنيا عند المصطفى .... فهو جاهل لا يدري حقيقة الأمر

أجل، بدأت الحكاية بالمحن ... لكنهم كانوا ينظرون إلى المستقبل الزاهر!!

ما أعجب جوابه! وما أذكاه!! فقد أثبت للصحابة أنهم كانوا يعلمون الغيب من حيث لا يدري (!)، فقد كانوا يعلمون ما سوف يحصل في المستقبل وإن كانت كل العلامات الظاهرة تدل على عكس ذلك، فلم يكن يتصور أحد أن بضعة أشخاص ضعاف مساكين يغلبون تلك الجيوش الجرارة من الكفار ويكون لهم الغلبة يوما ما.

بل كانت كل الأسباب الظاهرية وكل العلامات في تلك الفترة تشير إلى أن المسلمين لن يستطيعوا أن يواجهوا هيلمان الكفر، وأنهم سرعان ما يمسحون من على وجه الخريطة، فما قيمة بضعة أنفار ضعاف من المساكين العزل أمام الأعداد الهائلة والقوة الخطيرة للأعداء؟!

الدليل الثاني: الخلفاء الراشدون على خطى المصطفى صلى الله عليه وسلم

نظرة واحدة في حياة الخلفاء الراشدين وسيرتهم وحياة سائر المهاجرين والأنصار وسيرتهم ومنهجهم في العبادات والمعاملات تجعلنا نوقن بأنهم كانوا يسيرون على خطى الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم، وعلى نهجه في الحياة، ولم يكونوا يبغون وراء ذلك إلا اتباع الحق ورضى الرحمن جل جلاله، فقد وهبوا حياتهم لله وجعلوا همهم طاعة الرسول وإتباعه وكانوا حريصين جدا على متابعته صلى الله عليه وسلم في كل خطاه. ولا يستطيع أحد مهما بلغ من العداوة أن ينكر حسن تعاملهم للرسول صلى الله عليه وسلم وحسن صحبتهم إياه، فقد وهبوا حياتهم كلها له وفدوه بأموالهم وأنفسهم، وقد تحملوا في ذلك ألوانا من العذاب وصورا من المحن تقشعر من هولها الجلود، ويوم أن سعى الكفار في إيذاء الرسول صلى الله عليه وسلم وقف هؤلاء الصحابة الأخيار بجانبه يفدونه بأرواحهم ويضربون في ذلك صورا رائعة من التضحية والإيثار يفتخر بها التاريخ البشري، كما يعتز بها المسلمون مدى الدهر ، وكانوا نجوما ساطعة في سماء الدعوة الإسلامية " وقد سطر التاريخ تلك الصور على صفحاته، من شاء فلينظر"[1].

ما أعجب مقام الصحابة الكرام! فكل ما يحاول الحاقدون أن يصوبوا رماحهم في صدورهم تنقلب عليهم الدائرة، فها هم أرادوا أن يطعنوا فيهم وينقصوا من مقامهم ويثبتوا بأنهم كانوا طماعين للدنيا، فإذا بهم يثبتون لهم "علم الغيب"!!!

(١) هذه العبارة الأخيرة اقتباس من كتاب "إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء". للإمام الشاه ولي الله الدهلوي رحمه الله.

فقد وضع الصحابة صدورهم في وجه الرماح يستقبلون كل الآلام التي تصوب نحو رسولهم وحبيبهم صلى الله عليه وسلم، وقد كانوا يتمنون أن يقطعوا إربا إربا على أيدي الأعداء، ولا يلمس رسول الله بشوكة بين ظهراني أهله!

وما أعظم، وما أشد المحن والابتلاءات التي تحملوها يوم أن أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالهجرة! فحكاية الهجرة صورة من التضحيات والبطولات لا مثيل لها في التاريخ الإنساني كله.

وكذلك يوم أن أذن الله لهم بالجهاد فقد تحملوا ألوانا من العذاب يشيب لهولها الولدان ويقشعر منها الجلود، كل ذلك حبا لله ورسوله.

يا ليت شعري؛ إن لم يكونوا يحبون الله ورسوله، وإن لم يكن الإيمان قد تغشى صدورهم وقلوبهم فلم تحملوا كل تلك المحن والابتلاءات؟! ولم أفنوا أموالهم وأنفسهم في سبيل الرسول ودعوته؟!

يجب أن نفتح عيوننا وننظر بعين البصيرة بعيدا عن النزعات الجاهلية وهوى الأنفس؛ ما الذي جعل المهاجرين يتركون ديارهم وأموالهم ويستقبلون الصحراء القاحلة والمستقبل المجهول والغربة والمرارة والحرمان؟!

ما الذي جعل الأنصار يفتحون دورهم وصدورهم أمام هؤلاء الغرباء والمشردين ويشاطرونهم في كل ما يملكون؟![1]

(١) لا يستطيع أحد أن يتغاضى الطرف عن كل تلك الصور الرائعة من التضحيات والحب والتفاني، وحتى غير المسلمين كذلك شعروا بتلك المعاني واعترفوا بجلالها وكمالها وبسالتها، ويعتبرون ذلك من فراسة الرسول صلى الله عليه وسلم وفن قيادته. يكتب المؤرخ الأوروبي الشهير "گبن" في تاريخه باللغة الإنجليزية:" يجب على النصارى أن يضعوا بعض الصور نصب أعينهم دائما. فقد فعلت دعوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتعاليمه في اتباعه فعل السحر وجعلهم يفدونه ودعوته في صور تذكارية تمتلئ حبا وفناءا لا تجد لها مثيلا

من الذي زين عيوني وجملها إلى هذه الدرجة ... ومن الذي وهب لي هذه الجواهر واللآلي[١].

أريد أن اسأل سادة الشيعة سؤالا: هل وقف الصحابة وعلى رأسهم المهاجرين والأنصار مع رسولهم في كل تلك المحن والمصائب وساندوه فيها أم لا؟

هل فدوه بأموالهم وأنفسهم وأعراضهم أم لا؟

هل تركوا أقاربهم وذويهم من أجل مرافقتهم للرسول صلى الله عليه وسلم أم لا؟

هل تحملوا في سبيل دعوة الإسلام ألوانا من العذاب والنكال أم لا؟

ليس أمام الشيعة إلا أن ينكروا كل هذه البديهيات التي لا يجحدها عالم، بل عاقل! أو أن يعترفوا بها ويقبلوها. وبما أن أحدا لا يستطيع أن ينكر هذه البديهيات الواضحة، فليس أمامهم إلا الاعتراف والإذعان بها.

فبالله عليكم، صدقوني القول: ألا ينبغي أن تمتلئ صدورنا وقلوبنا حبا لهؤلاء المظلومين الذين تحملوا كل هذه المصائب والمحن والشدائد، لدرجة أنهم تركوا ديارهم وأموالهم في سبيل دعوة الحق سبحانه وتعالى؟

كيف لا تحب من أذاب نفسه في سبيل أن يصل نور الإيمان إليك؟ كيف لا تحب شمعة ذابت لتنور الدرب أمامك فتخرج من الظلمات إلى النور؟

فبالله عليكم، يا سادة الشيعة، أصدقوني القول؛ هل إذا وقف رجل بجواركم في أشد أيام المصائب والمحن وشارككم آلامكم وهمومكم إلى درجة أن ترك أهله وذويه واختار

حتى في الرعيل الأول من أتباع سيدنا عيسى عليه السلام". ثم بدأ المؤلف يذكر صورا من تلك المصائب والآلام التي تحملها الصحابة رضي الله عنه، في سبيل دعوتهم وما أذاقوه من ألوان التعذيب والنكال في سبيل مرضاة الله.

(١) رنگين كه كرد پنجه مژگانم اين چنين ..... لعل وگهر كه ريخت بدامانم اين چنين

مصاحبتكم ورفاقتكم، وفضلكم على أبيه وأمه وزوجته وأولاده، وفداكم بماله ونفسه، ألا تمتلئ قلوبكم محبة واحتراما وإجلالا وتكريما له؟ إذا كنتم تحبون مثل هذا الإنسان وتبجلونه وتحترمونه، فقيسوا هذا المعنى على الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته، وتصوروا معي مدى حب الرسول لصحابته، ومدى مكانة المهاجرين والأنصار في عين الرسول صلى الله عليه وسلم.

تذكروا معي يوم أن كان الناس من كل جانب يرمون الرسول صلى الله عليه وسلم بأشنع الألفاظ وأقبح الشتائم والبذاء؛ ينادونه بالساحر والمجنون ويفسدون مشاعره وإحاسيسه، من كان يلطف عليه الجو ويقترب إليه كالعاشق الولهان ويناديه: يا رسول الله ... يا حبيب الله ...!

وتذكروا معي؛ يوم أن كان أهله وأقاربه ينزلون عليه ألوانا من العذاب والنكال، ويؤذونه بشتى الأساليب، من وقف أمامهم يحميه بصدره ويحافظ عليه ويفديه بنفسه وماله؟! فتصوروا الآن معي؛ مكانتهم واحترامهم لدى الرسول صلى الله عليه وسلم.

يا أصحابنا!..

افتحوا عيونكم وانظروا إلى الحقائق بقلوب سليمة وأعين منصفة لتروا بأن مناقب الصحابة لا يجاريها شيء، ومن الاستحالة بمكان أن يبلغ إنسان في هذه الدنيا مبلغهم، ويصل إلى ما وصلوا إليه من الشأو والمكانة ـ وإن رزق عمرا كعمر سيدنا نوح عليه السلام، واستطاع أن يبذل كله في أنواع من العبادات البدنية والرياضات الروحية ـ فأين رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم ليدعو إلى دينه فيطرده قومه، ويبدأوا بتعذيبه والتنكيل به وتكذيب أمره، ليسعد أحدنا فيقف أمام تلك الطعنات وينادي الرسول في لطف وسعادة: يا رسول الله؟!

أنى لنا أن ندرك ذلك الوقت الذي طردت مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج مهاجرا إلى الله واختفى في غار ثور، ليسعد أحدنا بصحبته في هذه الرحلة الخطيرة وليدخل معه

ذلك الغار المخيف الذي كان مأوى الثعابين والعقارب، فيتشرف بلقب "صاحب الغار"، على ألسن الدهر إلى يوم الدين، ويسجل القرآن[١] له هذه المنقبة لتتلى إلى يوم الدين، يوم لاينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم؟!..

أنى لنا أن ندرك ذلك الوقت الذي وصل فقراء المهاجرين بأمر من رسولهم وحبيبهم إلى المدينة الطيبة، ليستضيفهم أهل المدينة بقلوب راضية، وصدور واسعة وشفاه مبتسمة، تؤهلهم إلى درجة يضع القرآن[٢] وسام لقب " الأنصار" على أكتافهم؟

هل يمكن أن تعود تلك الأيام التي قام فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومصطفاه وحبيبه ومجتباه يريد بدرا، لنلبي دعوته ونسعد برفقته وصحبته فينزل الله ملائكته لتنصرنا، ولتقف معنا في حربنا، ثم يرضى الله عنا وعن جهادنا فينزل قرآنا يخبرنا برضاه، يتلى إلى يوم القيامة: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة: ١٠٠)".

---

(١) فقد قال الله تعالى في سورة التوبة: ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة٤٠). فقد سجلت هذه الآيات مناقب سيدنا الصديق رضي الله عنه، في أبلغ الوجوه وأروع تصوير. وقد كانت لي وقفات عند تفسير هذه الآيات في رسائلي التفسيرية في تفسير القرآن الكريم، فتح الله بها علي، فليراجع في مواطنها. ولله الحمد والمنة.

(٢) يقول الله تعالى في سورة "الحشر" بعد أن بين فضائل المهاجرين: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمْ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ﴾. (الحشر: ٨- ٩) وارجع إلى تفسير هذه الآيات في الرسائل التفسيرية.

يا إخواني الشيعة!..

فقد فاتنا تلك الفرص الذهبية، وقد تشرف بها من جعلهم الله عز وجل من أهلها، ومن منّ الله عز وجل عليهم بإدراكها، فمن كان عند الله أهلا وجديرا بأن يكون من المهاجرين دخل في تلك العصبة من المؤمنين، ومن كان جديرا وأهلا عند الله أن يكون من الأنصار كتب من أهل تلك الفئة السعيدة وشملته رحمة الله عز وجل وبركته. واليوم مهما ننفق في سبيل الله ونقدم من أرواحنا ودمائنا لن نبلغ منقبة ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ﴾! واليوم إذا امتلأت الأرض ذهبا وفضة فقام أحدنا وأنفق كلها في سبيل الله لن يعد من "أهل البدر" ولا من "أصحاب بيعة الرضوان"! فقد سعدت بتلك الصفات والمعالي والمناقب أناس منّ الله بها عليهم، وصارت كل هذه المناقب والأوصاف غنائم لهم دوننا!

سبقنا الأصحاب فشربوا حتى الثمالة .... وتركوا لنا الكؤوس فارغة [1]

يا أصحابي!...

ماذا دهاكم، وماذا أصاب قلوبكم وصدوركم؟

كيف تخلو قلوبكم من محبة رجال تربوا في مدرسة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأخذوا العلم من شفتي الرسول صلى الله عليه وسلم، دون واسطة من أحد، واهتدوا على يديه صلى الله عليه وسلم؟

كيف تسمحون لأنفسكم أن تطعنوا فيهم وتتجاهلوا مكانتهم ومناقبهم؟ " إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌعَجِيبٌ ".

يا أصحابي!...

كيف يصدق عقولكم أن من هؤلاء الألوف، بل مئات الألوف ممن صاحبوا الرسول

---

(١) حريفان باده ها خوردند ورفتند ... تهى خمخانها كردند ورفتند.

صلى الله عليه وسلم سنينا طوالا وأعواما عديدة لم يدخل الإيمان قلب رجل واحد منهم، كما كان ينبغي؟! ولم يثبت على الإسلام من هؤلاء الجماهير الذين صلوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم، وقاتلوا بجواره أحد منهم؟!

فقد كانوا أناسا رافقوا الرسول صلى الله عليه وسلم في سفره وحضره وصاحبوه في منشطه ومكرهه، وكانوا بجواره ليلا و نهارا، يسمعون مواعظه وحكمه، ويلتقطون القرآن من فمه ويرون بأم أعينهم آثار جبريل وهو ينزل بالوحي صباحا و مساءا، ثم تزعمون أنهم لم يؤمنوا وظلوا على الكفر والنفاق ـ العياذ بالله ـ!

كيف تصدقون أنفسكم وأنتم تسمعون أدعية الرسول صلى الله عليه وسلم في حق هؤلاء الناس، وتشاهدونه وهو يقدم لهم المعجزات تلو المعجزات، فهل لم تؤثر فيهم معجزة ولم تغير أفئدتهم وقلوبهم دعاء منه صلى الله عليه وسلم فيهم؟!

فبالله عليكم!..

هل يستطيع مسلم أن يقبل كل هذه الترهات والخرافات التي تزعمونها، وهي تهين رسول الله ومصطفاه صلى الله عليه وسلم إهانة بالغة ، وتطعن في تلامذته ومريديه هذا الطعن الفاضح، فيرميهم جميعا بالكفر والارتداد؟

يا أيها الناس، افهموا ما تتفوهون به! إذا كان كل تلامذة عالم من العلماء؛ جهلاء لا يفقهون شيئا، أو كانوا جميع مريدي شيخ من الشيوخ؛ فساقا فجارا، أو لا يشك الناس في علم ذلك العالم أو إخلاص ذلك الشيخ وصلاحه؟!

أجل، لا شك أن الناس سيشكون في ذلك العالم أو الشيخ، فكذلك من يرمي الصحابة رضي الله عنهم بالكفر والارتداد، في الحقيقة يطعن في نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم ـ شعر بذلك أم لم يشعر ـ ، ويدعو غير المسلمين إلى الطعن والشك في صدق رسالة المصطفى صلى الله

عليه وسلم ـ قصد ذلك أم لم يقصد ـ!

الدليل الثالث: الهدف من بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم

لا أحد ينكر أن الناس قبل مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا في جاهلية جهلاء، ينكرون توحيد الله عز وجل ويشركون به في العبادات ويستعينون بالأصنام والأوثان، فقد اندثرت دعوات الأنبياء السابقين أو حرفت تحريفا بليغا، فقد حرفت الحنيفية السمحة، دين سيدنا إبراهيم عليه السلام ، ولم يبق منه إلا اسمه. وكانت تحكم المنطقة سياسة الغابة؛ القوي يأكل الضعيف، والكبير يظلم الصغير، وكانوا كالبهائم يتناحرون، وكالوحوش يتقاتلون، وكانوا أبعد الناس من العلم والحكمة، وأوحشهم من الأخلاق الحسنة، ولم تكن بينهم إلا بعض العادات الجاهلية والقوانين الظالمة التي جعلت حياتهم كلها نكدا.

كان من مشيئة الله عز وجل أن يبعث إلى الناس في هذه الفترة العصيبة رسولا من عنده يعالج تلك الأمراض المستعصية التي شاعت في المجتمع، ويكمل مكارم الأخلاق، ويحيي الناس بالتوحيد بعدما غرقوا في أدران نجاسة الشرك، وليخرجهم من الظلمات إلى النور، وليعلمهم طرق عبادة الله عز وجل، فيعيدهم إلى أصل الملة الحنيفية، دين أبيهم إبراهيم عليه السلام.

جعل الله واجب دعوة الناس أجمعين على عاتقه صلى الله عليه وسلم، وكلفه بمسئولية الرسول الخاتم الذي لا نبي بعده، ولهذا زوّده بكل الفضائل والكمالات والمعجزات والبينات التي كان قد زوّد بمثلها جميع الأنبياء السابقين فردا فردا، وزاد عليها. وأنزل عليه جميع طرق الهداية وأساليب التعليم التي كان قد زود بمثلها جميع الأنبياء السابقين، ومن هنا قيل فيه: كل ما كان يملكه الطيبون تملكه أنت وحدك.

بما أن خطاب هذا الدين لم يكن لأقوام بعينها ولا لأزمان محددة بل كان للبشرية كلها،

وفي جميع أزمانها وأطوارها وأدوارها إلى يوم القيامة، فكان لابد لدعوته ألا تضمحل مع الزمن، وألا تنتهي آثاره مع المحن، لتتم الحجة على جميع سكان الأرض، فلا يسع إنسانا إنكار ختم النبوة، ومن هنا جعل الله في هذه الدعوة وهذه الهداية الإلهية قوة في التأثير وسرعة في الانتشار تفوق تأثير جميع الأديان والدعوات السماوية السابقة.

وكذلك زوّد الله عز وجل هذه الدعوة ورسولها بمعجزات ودلائل وبراهين عديدة لتكون أسبابا لهداية الناس. من ذلك؛

من كان أديبا بليغا أو خطيبا فصيحا وقف منبهرا أمام بلاغة القرآن وفصاحته، فلم يكن منه إلا أن آمن. ومن كان من أهل العلم والحكمة والمعرفة؛ أول ما فتح عينيه ووجد بحار العلم والحكمة التي يتمتع بها الرسول صلى الله عليه وسلم، وسمع شيئا من علمه وحكمته لم يجد نفسه إلا وهي تقر موقنا بنبوته صلى الله عليه وسلم. ومن كان يرغب في خوارق العادات ويذعن لها وقف مشدوها أمام معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم التي كانت تفوق الحصر، ولم يكن منه إلا أن آمن. ومن كان من عشاق البطولات والمعارك، ومن هواة الشجاعة، لما رأى معارك الرسول صلى الله عليه وسلم، وما ربى عليه أصحابه من دروس الشجاعة والبطولة وفنون التضحيات والإيثار التي أصبحت قصص البطلولات في التاريخ لعبة صبيان أمامها لم يجد سبيلا إلا الإيمان والاعتراف بنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم، والإقرار برسالته.

خلاصة القول: أن ما كان يريده الله عز وجل من بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ـ أي: شيوع الإسلام وانتشار دعوة التوحيد وغلبة الإيمان على الكفر ـ قد تحقق على أتم الوجوه مع سيد الكونين رسول الله ومصطفاه صلى الله عليه وسلم.

لكن كل ما قلنا لا يثبت إلا على أصول مذهب أهل السنة والجماعة، ولا يثبت بحال من

الأحوال على أصول المذهب الشيعي. وذلك؛ لأن ما قلناه لا يثبت إلا إذا اعتقدنا بأن الذين رباهم الرسول صلى الله عليه وسلم، وآمنوا على يديه كانوا على درجة الكمال من الإيمان، وعلى مكانة في الإسلام لا يبارى، وكانت ألسنتهم تنطق ما تؤمن به قلوبهم، وقد بقوا على الطريق المستقيم والصراط السوي، إلى أن سلموا أرواحهم إلى بارئهم. فبذلك كانوا آية صادقة تشهد على نجاح دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم، وعلى تحقق مراد الله عز وجل من بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم في أحسن الوجوه. وقد كان نجاح الرسول صلى الله عليه وسلم في أداء مسئولية الدعوة وفريضة النبوة أكبر وأبرز من أي نبي من الأنبياء السابقين، فقد انتقل إلى الرفيق الأعلى بعد ما أدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده وترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يمكن أن يزيغ عنها إلا هالك! وهذا لا يتحقق إلا بعد الإقرار بما يراه أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين.

لكن إذا اعتقدنا في الصحابة الكرام رضي الله عنهم ـ العياذ بالله ـ؛ أنهم نطقوا بالتوحيد بألسنتهم فحسب وكانت قلوبهم تنبض كفرا ونفاقا، وقد ارتدوا جميعا مع وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ـ كما يزعم الشيعة ـ، فكيف نستطيع أن نقول بأن مراد الله عز وجل من بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم قد تحقق؟ وأن دعوته كانت هداية ونورا للبشرية، وقد اهتدى الناس بدعوته؟!

ففي الحقيقة ما يقوله الشيعة في الصحابة وما يفترونه عليهم طعن جد عظيم في نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم ـ من حيث يدرون أو لا يدرون ـ ! ومن يسمع ما يعتقدون به لا محالة سوف يشك في أصل دعوة الإسلام وأساس الدين والنبوة. وذلك إذا آمن المرء بأن من صاحبوا صاحب الرسالة ورافقوه لم يكن في قلوبهم ذرة إيمان، ولا بصيص من نور التوحيد، بل كانوا ينافقون رسولهم ويبطنون الكيد والكفر في صدورهم، وما أن سمعوا أنه مات انقلبوا

على أعقابهم، وأظهروا ما يبطنون من الكفر والنفاق، فهو لا يستطيع أبدا أن يصدق نبوة كان هذا شأنها من أول يومها. بل يستطيع أن يقول: كيف كان هذا الرسول صادقا ولم يكن لدعوته أي أثر في هداية أقرب الناس إليه، ومن رافقوه وصاحبوه كل هذه السنين الطوال. فلو كان صادقا لكان لدعوته أثرا، لآمن به ولو بعض من الناس، فعلى الأقل؛ من هؤلاء المئات الألوف الذين صاحبوه ورافقوه وقاتلوا معه كل هذه السنين الطوال، لكان يثبت على الإيمان ولو بضع مئات من الناس.

يا إخوتي الشيعة!....

فبالله عليكم: إذا كان الصحابة كما تزعمون؛ لم يؤمنوا، ولم يستقر الإيمان والإسلام في قلوبهم، فمن هم الذين تأثروا بدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم، وكم كان عدد من استفاد من دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن نبوته، وأفاد بذلك الدعوة؟!

إذا كان الصحابة كما تزعمون؛ ارتدوا جميعا ونافقوا الرسول صلى الله عليه وسلم[١]، فمن هو الذي قبل الإسلام وانتفع من دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم، واستفاد من تعاليمه[٢]؟!

---

(١) يزعم الشيعة أن أكثر الصحابة أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، ويوم أن انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى، ارتدوا جميعا إلا ثلاثة أشخاص أو أربعة. فقد ورد في "روضة الكافي" ـ في صفحة / ١١٥ ـ: عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: كان الناس أهل ردة بعد النبي صلى الله عليه وسلم إلا ثلاثة. فقلت: ومن الثلاثة؟ فقال: المقداد بن الأسود، وأبوذر الغفاري، وسلمان الفارسي رحمة الله عليهم وبركاته. وفي هذه الرواية لم يذكر اسم عمار بن ياسر، وذلك لأنه تأخر عن امتثال أمر أمير المؤمنين، وكذلك ورد في روايات الشيعة أنفسهم أن إيمان واحد من هؤلاء الأربعة فقط، قد اكتمل تماما!!!

(٢) بعد ما بالغ الشيعة في قضية ارتداد الصحابة ووضعوا فيها كتبا كثيرة ومصنفات عديدة، وافتروا روايات لا حد لها ولا حصر، شعر بعض علمائهم بخطورة هذا المذهب وفشل هذه العقيدة التي سوف تجلب لها اعتراضات لا يستطيعون الإجابة عنها، وسوف يفضحون أمام العالمين، فتبعاً لذلك بدءوا بوضع مؤلفات أخرى ليستروا

من هو الذي ترك الشرك والكفر نتيجة دعوة الرسول وهدايته، وآمن بالتوحيد وتعلّم الدين منه صلى الله عليه وسلم؟

ومن هو الذي أشاع دين الرسول صلى الله عليه وسلم في العالمين ، ودعا الناس إلى التوحيد والإسلام والإيمان؟

إن كنتم تؤمنون بكل هذه الترهات والخزعبلات، فهل يليق بكم أن تنسبوا أنفسكم إلى الإسلام، وأن تقروا بنبوة الرسول الأمين؟!

الدليل الرابع : صحبة الرسول صلى الله عليه وسلم

نعتبر نحن المسلمين سنة وشيعة زيارة الرسول صلى الله عليه وسلم من أفضل القربات ومن أعلى مراتب السعادة التي يتمناها كل مسلم، وبما أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد انتقل إلى الرفيق الأعلى، وليس بيننا، نعتبر زيارة قبره المبارك والروضة الطاهرة شرفا وسعادة كبيرة لنكتحل برؤيتها، وإذا تشرف أحدنا وسعد بزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم في المنام يعتبر فينا فاضلا يستحق كل الاحترام، والمعروف أنه لا يسعد بشرف رؤية الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم في المنام إلا من بلغ في التقوى مبلغا عظيما وقطع في الإخلاص والخير والصدق غاية جليلة.

فبعد هذه ألا يكون من دواعي الأسف الشديد والحزن والألم أن يتجاهل بعضنا مقام أناس تشرفوا بزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم، بل بمرافقته ومصاحبته أعواما عديدة

بعض فضائحهم، فكتب صاحب كتاب "الخصال" في مؤلفه هذا أن: اثنا عشر ألف صحابي كانوا على كمال الإيمان وكلهم كانوا من شيعة علي عليه السلام! وبدأ علماء الشيعة يقولون أن أهل السنة قد قضوا على كتبنا، فضاعت أسماء هؤلاء الصحابة فيما أتلفه أهل السنة من مؤلفات الشيعة!! حقا، فإن الشيعة لا مثيل لهم في الكذب والإفتراء وتحريف التاريخ... ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (الصف: ٨).

وأزمنة مديدة، وكانوا في ركبه ليلا ونهارا، يتشرفون بزيارته في كل ساعة، ويسعدون بالكلام والحديث معه متى شاءوا، ليس هذا فحسب بل كانوا يشاركونه أفراحه وأطراحه، فيفرحون بفرحه ويحزنون بحزنه، وينصرونه في إعلاء كلمة الله عز وجل.

هاجروا من أوطانهم .... صبروا على البلايا والآلام

كانوا يرافقونه في الأسفار .... يتشرفون بالحديث معه في الحضر

وقفوا بجواره في أشد الأهوال ... وفدوه بالأرواح والأموال

ارتفعت أعمدة الدين على أكتافهم .... وانتشرت الشريعة بجهودهم

فقد بشرهم الله عز وجل بالسعادة فقال:" رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ"[1].

تعتبر صحبة الرسول الأكرم سيد الأنبياء وأشرف المخلوقات صلى الله عليه وسلم شرفا ومنقبة تفوق كل المناقب، وكان حسبا للصحابة رضي الله عنهم لو لم يكن لهم غيرها، إلا أنهم جمعوا مع هذه المنقبة مناقب عديدة كثيرة. فليست لمناقبهم وفضلهم ومكانتهم نهاية...

الدليل الخامس: موقف أهل مكة والمدينة من الصحابة

يتفق المسلمون جميعا على أن الإسلام بدأ من مدينتي مكة والمدينة، وانطلق منهما نحو

(١) هذه أبيات لمولانا جامي (قدس سره) سجلها في كتابه "سلسلة الذهب":

از وطنها مهاجرت كردند — بر المها مصابرت كردند

در سفر همركاب او بودند — در حضر هم خطاب او بودند

همه آثار وحى ديده ازو — همه اسرار دين شنيده ازو

با نبى در شدائد اهوال — بذل ارواح كرده واموال

پايه ى دين بلند ازيشان شد — كار شرع ارجمند ازيشان شد

رضى الله عنهم از سوى حق — پى ايشان بشارت مطلق

سائر العالم، ومن هنا لهاتين المدينتين شرف وتقدس ومكانة بين المسلمين، ويرى المسلمون أنهما أقدس وأفضل بقاع الأرض على الإطلاق، فإحداهما تحتضن بيت الله عز وجل، وفيها مولد الهدى والرسول الأمين والأخرى هي بلد الرسول ومدفنه.

وضع حجر أساس دين الله عز وجل في مكة وترعرع وارتقى إلى العالم من المدينة، ومن مكانة هاتين المدينتين وفضلهما؛ أن أي مذهب من المذاهب الباطلة لا يستطيع الظهور فيهما،[1] وكذلك لا يستطيع الدجال الملعون أن يدخلهما.

ويجدر لنا أن ندرس موقف سكان هاتين المدينتين تجاه الصحابة من اليوم الأول إلى يومنا هذا. ولابد أن نعد موقفهم أصلا وأساساً للإيمان فيهم. ولا يخفى على أحد من الناس وضوح موقف من سكن هاتين المدينتين على مدى التاريخ، بل موقف جميع البلاد العربية تجاه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فإذا صدقنا الشيعة فيما يزعمونه وقلنا بأن هؤلاء كلهم ضلال، وأنهم على ضلالهم القديم، لكان هذا قدحا وطعنا شنيعا في الإسلام. كيف يترك الله عز وجل من ذلك اليوم إلى الآن ـ ولعل إلى يوم القيامة ـ أناسا على الضلال يقطنون أرضا مقدسة ولد فيها الرسول صلى الله عليه وسلم، وبعث منها ثم دفن فيها، وكذلك انطلق منها الإسلام، وقد رفع الله منقبتها وجعلها بمقام العرش والكرسي،[2] فترك هذه البقعة المباركة من أرضه لفئة ضالة كل هذه

(١) يقطن أطراف المدينة بعض من الشيعة، لكن لا يمكن أن نعتبر ذلك ظهورا لمذهبهما، وذلك لأنهم لا يستطيعون أن يظهروا شعائرهم الخاصة فيها، فلا يقدرون على الأذان حسب مذهبهم، ولا على الصلاة أو غيرها من الشعائر. ويصرح المؤلف فيما بعد أن الشيعة لا يستطيعون البقاء هناك إلا تحت أستار "التقية".

(٢) مكانة مكة المكرمة وفضيلتها أظهر من الشمس، فمكة مدينة مباركة مقدسة، بها بيت الله عز وجل وكعبة المسلمين وقبلتهم وقد أشارت كثيرة من الآيات القرآنية إلى فضائل الكعبة المكرمة، من ذلك؛ أن الله عز وجل

السنين الطوال والقرون والأزمان. ولم يضع لأي مؤمن فيها سلطانا أو شأنا، وهذا هو سنة الله إلى يومنا هذا حيث ظلت المدينة ومكة موطن هؤلاء الضالين، وأن ضلالتهم وغوايتهم هي التي تسود العرب. وبعد هذه الأزمنة الطويلة لا يستطيع أي مؤمن تقي من أصحاب العقيدة السليمة أن يظهر إيمانه وشعائره في هذه البقعة، ولابد له من أن يحفظ نفسه فيه "بالتقية"!

ها هي الساعة قد اقتربت، وها هي الدنيا تكاد تنتهي، ومازال الله عز وجل لم يطهر بيته ولا بيت رسوله ولا مهد رسالته من هؤلاء الظالمين والضلال، فلا هو رفع شأن المؤمنين فيها ولا طهرهما من الضالين!

ومما يلفت النظر ويجعل العاقل حيرانا أنه كلما ابتعدنا عن عهد الرسالة والنبوة وظهر الضعف والوهن في الإسلام؛ ازدهر مذهب الشيعة وشاعت عقائدهم الباطلة بين الناس، وأحيانا في ظل ضعف الإسلام بلغ بهم الأمر أن تسلطوا على الحكم والسلطان على بعض البلاد، وصار لهم شوكتهم وسلطانهم. مع هذا كله ظل الناس في مكة والمدينة وسائر بلاد العرب على ما كانوا عليه منذ عهد الرسالة، فلم يتغير مذهبهم مع كر الأزمان والعصور.

مازال النادي على ما كان عليه .... ولم يزل النشيد ينشد كما كان[1].

لا أدري كيف أفسر وكيف أفهم أنه في كل هذه القرون الطويلة لم يخرج من مكة المعظمة،

وسمها بأنها بيته، ومنها؛ خليل مالك العرش إبراهيم عليه الصلاة والسلام وفلذة كبده إسماعيل توليا القيام بشؤون هذا البيت العتيق، ومنها: أنها سبب لأمن العالم وقيامه... وغير ذلك من الصفات.

وأما المدينة المنورة، فيرجع فضلها وتقدسها من أنها تحتضن الروضة المطهرة لأشرف أنبياء الله عز وجل، نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وقد أشار بعض العلماء إلى مكانة هذه الروضة إلى درجة أن فضلوا ما اتصل منها بذات الرسول صلى الله عليه وسلم على العرش. راجع في ذلك كتاب "جذب القلوب"، وكتاب " وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى".

(١) هست محفل بران قرينه هنوز .... هست مطرب بران ترانه هنوز.

ولا من المدينة المطهرة مسلم صادق صاحب عقيدة سليمة، ولم يمر على تلك المقامات المقدسة مؤمن موحد يعبد الله عز وجل على دينه الحق الذي أنزله على رسوله الكريم.

يا ربي!.. ماذا أصاب المؤمنين الصادقين، فقد تركوا بيتك العتيق ودار رسولك الأمين، ولا أدرى إلى أين اتجهوا؟!

يا ترى، أين موطن هؤلاء المؤمنين أصحاب العقيدة الصحيحة؟!!

يا إخوتي الشيعة!..

لا حل إلا أن تذعنوا بدين الحق، وتقبلوا مذهبا ارتضاه أهل مكة وأهل المدينة لأنفسهم منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا[1].

---

(١) اكتفى المصنف رحمه الله ـ خشية الإطالة ـ بذكر خمسة أدلة عقلية فقط، في حين أن الأدلة العقلية في هذا الباب كثيرة جدا. ومن يرغب في الاستزادة يمكنه الرجوع إلى "مباحث مكريان"، حكاية مناظرة دارت بين هذا العبد الحقير إلى رحمة مولاه، وأحد الأفاضل من الشيعة، وقد أوردت فيه عشرة أدلة عقلية.

المبحث الثاني: الأدلة النقلية

الدليل الأول: من التوارة

الدليل الثاني: من الإنجيل

الدليل الثالث: الصحابة في القرآن

الدليل الرابع: أقوال الأئمة الكرام في فضائل الصحابة

المبحث الثاني: الأدلة النقلية

(أي:الشواهد النقلية في فضل الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين...)

وهنا نورد ثلاثة أقسام من الأدلة في مناقب الصحابة الكرام وفضائلهم.

الأول: ما ورد في التوراة والإنجيل في شأنهم.

الثاني: ما قاله القرآن الكريم عنهم.

الثالث: ما روي عن الأئمة الكرام في كتب الإمامية.

- الصحابة في التوارة والإنجيل

لاشك أن الإمامية كغيرهم يقرون بأن الله عز وجل تحدث عن خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم في الكتب السماوية السابقة، وذكر صفاته فيها، وكذلك ذكر الله عز وجل في تلك الكتب صفات صحابة الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم ومناقبهم.

ولاشك بأن الإمامية لا يمكنهم أن ينكروا هذه الحقيقة الثابتة، وذلك لأن القرآن الكريم قد سجلها في سطور من آياته الواضحات مبينات، ففي سورة الفتح نقرأ قوله تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمْ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الفتح: ٢٩)[١].

والآن نتصفح في تلك الأمثلة التي جاءت في التوراة والإنجيل، وقد أشار إليها القرآن الكريم في هذه الآية:

الشهادة الأولى من التوراة:

فقد جاء في التوراة في كتاب الاستثناء، الباب الثالث عشر، الدرس السادس:«إذا أجبرك أبويك أو ابنك أو زوجتك أو صديقك أن تعبد غير الله، لا تسمع له أبدا ولا تترك قلبك يميل إليه ولا تنظر إليه بعين الشفقة والرحمة، ولا تخف إيمانك ولا تخف في الله لومة لائم، بل اقتله ولا يكن أحد أسبق إليك في قتله».

ولابد أن ننظر بعين البصيرة الصادقة كيف حقق الصحابة هذه المفاهيم التي كان سيدنا موسى عليه السلام يمليها على قومه، فقد رأينا بأم أعيننا أن كل تلك المعاني الشديدة التي وردت في التوراة قد عمل بها الصحابة الكرام رضي الله عنهم في حياتهم، وضربوا فيها أمثلة سطرتها كتب التاريخ والسير. وهذا هو ذلك المعنى الذي وصف الله عز وجل صحابة رسوله بها " أشداء على الكفار".

وإن كنا نرى بأن الإمامية لا يمكنهم أن ينكروا شدة الصحابة وصلابتهم في دينهم، ولكن لتطمئن قلوبهم نرى أن نوضح بعض ما روي عن الشيخين الجليلين الذين يتقرب

(١) ينبغي للدارسين أن يراجعوا تفسير هذه الآية الكريمة في "إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء"، أبرز أعمال الإمام الشيخ المجدد شاه ولي الله الدهلوي رحمه الله. وقد وضعت بعون من الله عز وجل رسالة في تفسير هذه الآية باللغة الأردية سميتها "تفسير آيت معيت"، - "تفسير آية المعية" - وهي تجمع خلاصة ما قاله الإمام الدهلوي في تفسير هذه الآية.

الشيعة إلى الله عز وجل بشتمهما إلى درجة أن يصفونهما بـ"صنمي قريش"![1]

ونتمنى أن يرجع الشيعة إلى ما ورد في كتبهم عن الصحابة رضي الله عنهم، ثم يضعوا كل ذلك أمام ما ورد في القرآن الكريم والتوراة ثم يحكموا بعين العدل والقسط والإنصاف، ولاشك أنهم إن تركوا العناد والتعصب الأعمى سوف يقرون ولا محالة بمناقب الشيخين ومكانتهم، وسوف يتركون ـ ولا محالة ـ عقائدهم الباطلة التي بنيت على هذه الأسس الزائفة، ثم ينضمون إلى جماعة المسلمين.

١ـ الرواية الأولى: ينوي الصديق رضي الله عنه أن يقتل أباه.

يكتب الشيخ "الحلي"[2] من أكابر أئمة الشيعة في الفصل السادس من كتابه "تذكرة الفقهاء": «ولأن أبابكر أراد قتل أبيه يوم أحد، فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك، وقال: دعه ليلي قتله غيرك».

يا إخوتي الشيعة!...

بالله عليكم، أنظروا إلى إمامكم الأعظم الشيخ الحلي وهو يقر ويعترف بصديقية سيدنا الصديق الأكبر رضي الله عنه، ويقر فيه بتلك الصفة التي وردت في التوراة:"أشداء على الكفار".

يا أصحابي!...

هذه الصفة "أشداء على الكفار"؛ هل تجدون لها محلا أنسب من رجل يريد أن يقتل أباه

---

(١) "صنمي قريش" تشير إلى رواية للشيعة اصطنعوها، يصفون فيها سيدنا أبابكر وسيدنا عمر رضي الله عنهما بصنمي قريش!!..

(٢) جمال الدين بن مطهر الحلي (٦٤٨هـ ٧٢٦هـ)، من كبار علماء الشيعة وصاحب كتاب "منهاج الكرامة في معرفة الإمامة"، وقد رد عليه الإمام ابن تيمية بكتابه "منهاج السنة في نقض كلام الشيعة والقدرية". راجع ترجمته في تراجم أعلام الكتاب. (م)

في الله؟! وهل تجدون موقفا أصدق على منهج التوراة ـ الذي يأمر بقتل الأخ أو الابن أو الزوجة أو الصديق الذي يجبرك على عبادة غير الله عز وجل؛ -"ولابد أن تكون أسبق من غيرك إلى قتله"- عن رجل يريد أن يقتل أباه؟!

عجبا لأمر الشيعة ولإمامهم الأعظم هذا، يصدقون هذه الرواية ويرونها ويقرون بأن الصديق رضي الله عنه دفعه إيمانه وصدقه إلى أن يقتل أباه، ولم يكن يخاف في ذلك لومة لائم، ثم ينكرون صديقيته رضي الله عنه.

٢ـ الرواية الثانية: يشير سيدنا فاروق رضي الله عنه بقتل قرابته...

يكتب مفسري المذهب الإمامية في تفسير "مجمع البيان" و"منهاج الصادقين" و"خلاصة تفسير الجرجاني": لما انكشف غبار معركة البدر عن النصر والعز للمسلمين، وقد أسر عدد كبير من أهل مكة، وكان معظمهم من أقارب المهاجرين. جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه يستشيرهم في أمر الأسرى، فقام سيدنا عمر رضي الله عنه وقال: يا رسول الله، دع كلا منا ـ من المهاجرين ـ يقتل قرابته من المشركين، لئلا يبقى في صدورنا شيء أرفع وأعلى من محبة الله، وأن تكون محبة الله عندنا فوق محبة الأهل والأقارب والخلان، يا رسول الله، دع عليا يقتل أخاه عقيل، ودعني أقتل "نوفل"[1]، ودع فلانا يقتل فلانا .

يا أيها الشيعة!...

---

(١) وأوضح من هذه الحادثة كان موقف آخر تجلى على أيدي الفاروق الأعظم رضي الله عنه في غزوة بدر كذلك. أوردها الشاه ولي الله الدهلوي رحمه الله في كتابه "إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء"، في المقصد الثاني عند حديثه عن مآثر سيدنا الفاروق رضي الله عنه، حيث قال: من ذلك؛ فقد حصل للفاروق رضي الله عنه مناقب جليلة ومآثر عظيمة في غزوة بدر من عدة وجوه، منها؛ أنه قتل خاله لله وفي الله، ولم يمنعه محبة القربى، ولم يأخذه في الله لومة لائم، فقد باشر القتل بنفسه إمعانا في تجلي الإيمان وإظهارا لمحبة الرحمن، ففي الإستيعاب؛ قتل العاص بن هشام بن مغيرة كافرا يوم بدر، قتله عمر بن الخطاب، وكان خالا له.

راجعوا هذه الرواية في تفاسيركم ثم قولوا بالله عليكم؛ بعد هذا كله ألا تنطبق صفة "أشداء على الكفار"، على سيدنا عمر رضي الله عنه؟! وألا ينطبق عليه وصف التوراة في باب الشدة على الكفار؟ وإذا لم تقروا بذلك هل سوف يتجاوز الله عنكم؟!..

الشهادة الثانية: من الإنجيل

فقد جاء في الباب الثالث عشر، الدرس الواحد والثلاثون والثاني والثلاثون من إنجيل متي:" حكم السماء كحبة زرع صغيرة، أصغر من سائر الحبوب كلها، يزرعها المرء في أرضه، لكنها لما تنبت تصبح شجرة كبيرة؛ أكبر من كل الأشجار، تتخذ الطيور من أغصانها أوكارا لها".

والآن طبقوا هذا التنبؤ والإخبار المستقبلية من الإنجيل على الآية المذكورة، أي:﴿.... وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾(الفتح: ٢٩)[1]. فكما ترى فإن معنى الآية واضح جلي في عبارات الإنجيل، وبها تثبت مكانة الصحابة؛ شهادة من القرآن وأخرى من الإنجيل.

ولا شك بأن هذا المثال صورة صادقة مما كان عليها الصحابة الكرام، فقد كانوا في بداية أمرهم فئة قليلة ثم ازدادوا يوما بعد يوم إلى أن أصبحوا جيشا. وكان الكفار يستغربون

---

(١) ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾: الشطء فرخ النبت والشجر، ينبت من عرقه أو جذعه. "فَآزَرَهُ"؛ أي قواه وأعانه وشده، أي: إن الزرع قوي الشطء، لأنه تغذى منه واحتمى به." فَاسْتَغْلَظَ"؛ أي؛ صار ذلك الشطء غليظا بعد أن كان دقيقا. "فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ":أي؛ فاستقام على أعواده. "يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ": أي؛ يعجب هذا الزرع وأغصانه الجديدة زراعه لقوته وحسن منظره. وهذا مثل ضربه الله سبحانه لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وأنهم يكونون في الابتداء قليلا، ثم يزدادون ويكثرون ويقوون، كالزرع، فإن فراخه تكون في الابتداء ضعيفة، ثم تقوى حالا بعد حال حتى يغلظ ساقه. (زبدة التفسير، محمد سليمان الأشقر).

ويتعجبون من أمرهم ومن كثرة جموعهم يوما بعد يوم، وكانوا يحترقون غيظا لما يرونه من ازدياد قوة المسلمين وشوكتهم.

يتبين لنا من هنا جليا أن من ينكر مكانة الصحابة وفضلهم فهو في الواقع ينكر القرآن الكريم، ويجحد الإنجيل والكتب السماوية كلها.

يا أيها الشيعة!...

إذا كنتم لا ترون إيمان صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم وإسلامهم فبالله عليكم قولوا؛ ماذا يعني قول الله عز وجل:﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِّ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾؟!

فمن هم الذين يمدحهم الله عز وجل في هذه الآية الكريمة؟

ومن هم الذين يصفهم قوله تعالى: ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ ﴾، أي؛ من كان شديدا على الكفار يومذاك؟

تزعمون بأن الصحابة الكرام كانوا كفارا ومنافقين ـ نعوذ بالله من ذلك ـ إلا أربعة أشخاص أو ستة ـ فقولوا لنا بالله عليكم؛ من هم الذين ترعرع دين الإسلام على أيديهم، وأصبح شجرة كبيرة بعد أن كان حبة صغيرة؟

وقولوا: كم كان عدد هؤلاء الذين كان الكفار يغتاظون من رؤيتهم؟ فهل تصدقون بأن الكفار كانوا يغتاظون من رؤية أربعة أشخاص أو ستة؟ وكانوا يتعجبون من إيمان هؤلاء النفر القليل؟!

وإذا لم يكن قد آمن آلاف من الناس، ولم يكونوا قمما في الإيمان؛ كيف كان الله عز وجل يقول:﴿ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ ﴾؟!

وإذا لم يكن قد أمن آلاف من الناس؛ فرؤية من كان يغيظ الكفار؟!

فلا شك أن المرء لا يستطيع أن يصدق ويقر معنى هذه الآية إلا إذا أقر واعترف بمكانة

الصحابة العظيمة، وبمنقبتهم الجليلة وبكثرة عددهم كذلك.

يا أصحابنا من الشيعة!...

والله إننا نستغرب من أناس يصدقون هذه الآية ويتلونها، ويستدلون بالمثال الذي ورد في الإنجيل ويقرون إخبار الإنجيل بالرسول صلى الله عليه وسلم، وبصدق رسالته ثم ينكرون فضيلة الصحابة الكرام ومناقبهم وكثرة عددهم، يحصرون الآية في أربعة أشخاص أو ستة، ويرفعون خنجر العداوة في وجه الصحابة الكرام ولا يخافون من وعيد الله عز وجل: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾؟!

الصحابة في القرآن الكريم

الآية الأولى:

قال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمْ الْفَاسِقُونَ﴾ (آل عمران١١٠).

يخبر المولى عز وجل في هذه الآية الكريمة صحابة رسوله الأمين بما لهم من الفضائل والمناقب، فيخاطبهم ويقول لهم: أنتم خير الأمم وقد اصطفيتكم لهداية الناس، وها أنتم تقومون بما اخترتكم من أجله، وبما هيأتكم له، وبما جعلته على عاتقكم من الأمانة والمسئولية:﴿ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ ﴾.

ومع كل هذا التأكيد الإلهي، يزعم السادة الشيعة بأنهم أخبث أمة أخرجت للناس، وينكرون مكانة هؤلاء الصحابة وفضلهم.

يا للعجب؛ كيف لا يهتدي القوم إلى فساد عقيدتهم وبطلان مذهبهم مع وجود هذه الآيات الصريحة والدلائل الواضحة الجليلة، لماذا لا يتمعنون في كتاب الله عز وجل بعين الصدق والإخلاص والتجرد عن الأهواء؟!

فإذا لم يكن الصحابة خير الأمم فيا ترى؛ من هم الذين يخاطبهم الله عز وجل، ويعرفهم بأنهم ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾؟!

وإذا لم يكونوا أصحاب أعمال حسنة؛ فمن هم الذين يخاطبهم الله عز وجل في قوله تعالى: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ ﴾؟!

وإذا لم يكونوا قد آمنوا بصدق وإخلاص، فيا ترى؛ ماذا تعني تزكية الله عز وجل لهم في قوله:﴿تُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾؟!

هذه الآية من الوضوح بمكان، فلم تترك في نفسها مكانا للتأويل والتحريف، إعجازا من الله عز وجل.

تكاد تبقى أفواهنا فاغرة وعقولنا جامدة لا تعي من هول موقف الشيعة وغرابته؛ فهل يزعم القوم بأن ألفاظ هذه الآية مهملة لا معنى لها؟! أو أن هذه الآية نكتة مجهولة لا تصل العقول إلى إدراكها وفهمها؟ أو أن هذه الآية ليست من كلام الله عز وجل وأن من جمع القرآن الكريم أتى بها ليزكي بها نفسه وأصحابه، وليسجل من خلالها مناقب له ولأصحابه؟!

إذا كان الأمر ليس على كل هذه الافتراضات، فما السبب في أنهم مع إقرارهم بأن هذه الآية من كلام الله عز وجل، ومع تصديقهم في أنها نزلت في شأن الصحابة الكرام؛ تراهم لا ينكرون فضل الصحابة ومناقبهم الجليلة فحسب بل ينكرون إيمانهم وإسلامهم كذلك، ويقولون فيمن زكاه الله عز وجل واعتبره ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾: بأنهم "شر أمة"، ويعتقدون فيمن قال الله عز وجل عنهم:﴿ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ ﴾: أنهم كانوا يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف؟!

وإن لم تكن هذه الآية الواضحة الجليلة بحاجة إلى التصفح في التفاسير من شدة وضوحها وسهولة عباراتها وجلاء معانيها فإننا نرجع إلى بعض التفاسير المعتبرة لدى الشيعة أنفسهم لتطمئن قلوبهم إلى ما نقوله: عسى أن يهدينا الله إلى الصراط المستقيم، صراط الأنبياء والشهداء والصديقين.

يا إخوتي:...

فقد ورد في صفحة ٣٠٠ من تفسير "مجمع البيان"، من أفضل وأوثق التفاسير لديكم ـ المطبوع بطهران، العاصمة الإيرانية عام ١٢٧٥هـ ـ:" لما تقدم ذكر الأمر والنهي عقبه تعالى بذكر من تصدى للقيام بذلك ومدحهم ترغيبا في الإقتداء بهم، فقال:﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ

لِلنَّاسِ ﴾. قيل: فيه أقوال:منها؛ أن معناه أنتم خير أمة". وفي التفسير نفسه لإزالة الشبهة في مواطن الخطاب في "كنتم"؛ من هم؟ جاء: "واختلف في المعنى في الخطاب، فقيل: هم المهاجرون خاصة. وقيل: هو خطاب للصحابة ولكنه يعم سائر الأمة...".

يا أصحابنا!..

انظروا إلى هذا التفسير وإلى تصديق مفسركم وإقراره في أن الآية ذكرت الصحابة ترغيبا للناس في الإتباع والإقتداء بهم. فهل الإقتداء هو ما تفعلونه أنتم؟! إلا إذا كنتم تسمون التبري واللعن والبذاء إتباعا (!)، إن كان الأمر كذلك فحقا أنكم تصدقون كلام الله عز وجل (!) لكن إن كان الأمر على الحقيقة الواضحة فلا شك أنكم تكذبون صراحة كلام الله عز وجل؟!

ومن الطرفة أن نذكر بأن البعض ليضحكوا على عقول الجهال يزعمون بأن الآية وردت بصيغة الماضي "كنتم"،وهذا يعني أنكم في الماضي كنتم خير أمة، فالآية لا تدل على أنهم كانوا خير أمة إلى آخر أيامهم، ومن الممكن أن يصبحوا بعد هذه الآية شر أمة أخرجت للناس!!..

والحمد لله الذي سخر العلامة الطبرسي يجيب على هذه الشبهة الشوهاء في تفسيره هذا، فقال:" ورابعها: إن كان مزيدة دخولها كخروجها إلا أنها تأكيد لوقوع الأمر لا محالة، لأنه بمنزلة ما قد كان في الحقيقة، فهي بمنزلة قوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ ﴾، وفي موضع آخر ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ﴾ ونظيره قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾، لأن المغفرة المستأنفة كالماضية في تحقيق الوقوع".

أي: إن الله عز وجل جاء بلفظ "كنتم" لتأكيد المعنى؛ أي أن الأمر على هذا على وجه اليقين، ولاشك في ذلك ولاريب، فالصحابة الكرام هم كانوا خير أمة، وسيظلون كذلك. وأمثلة ذلك كثيرة في القرآن المجيد، منها: أن الله عز وجل يقول عن نفسه ﴿ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾، وذلك لا يعني بأن الله عز وجل كان غفورا رحيما في الماضي، وليس كذلك الآن، أو

أنه لا يكون غفورا رحيما في المستقبل!

بعد هذا البحث والدراسة؛ لما رأى الشيعة بأن الآيات القرآنية وتفاسيرهم تصرح بفضيلة الصحابة ومناقبهم، ولا تترك مجالا للتلاعب بالحقائق أو إنكارها اختاروا سبيلا آخر[1] وقالوا:

---

(١) في الواقع لم يكن هذا سبيلا أو طريقا آخر، بل هو عين مذهب الشيعة وطريقته في التفكير. فمن يتمعن في مذهب الشيعة وينظر فيه بعين الإنصاف والعدل يتضح له جليا أن أساس مذهب الشيعة قد وضع على شيئين:

أحدهما: عداوة القرآن الكريم.

والثاني: إنكار ختم النبوة.وقد سبق أن أشرنا إلى ذلك.

وهنا نشير إلى عداوتهم للقرآن الكريم. إذا راجع أحد كتاب "فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب" لمؤلفه العلامة نوري الطبرسي ـ طبع في إيران عام ١٢٩٨هـ ـ يتضح له من خلال هذا الكتاب وحده ما يكنه علماء الشيعة ـ السلف منهم والخلف ـ من العداوة للقرآن الكريم، وأن ما بذلوه من الجهود والمساعي في سبيل ذلك تفوق عشرات المرات ما بذله اليهود والنصارى والمشركين. ولا شك أن تلك المساعي والعداوة لو وجدت سبيلا إلى النجاح لحرم العالم من نور القرآن وهدايته ولم يكن على ألسن الناس إلا إشارة بأن القرآن كان كتابا زعم محمد العربي صلى الله عليه وسلم أنه أنزل عليه من الله عز وجل!!..

لكن هيهات لهم ذلك، فقد تكفل الله عز وجل بحفظ كتابه فباءت كل تلك المؤامرات بالفشل وبقي قول الله تعالى حيا طريا كما أنزله الله ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ (إبراهيم٤٦).

ومن يريد أن يطلع على تفاصيل هذا الموضوع يمكنه الرجوع إلى كتاب "الأول من المائتين على المنحرف عن الثقلين"، وسيجد في ذلك الأمور الآتية:

١) فقد ورد في الكتب المعتبرة لدى الشيعة ـ تلك الكتب التي عليها مدار مذهبهم ـ أكثر من ألفي رواية عن أئمتهم المعصومين في أن الصحابة الكرام قد حرفوا كلام الله عز وجل.

٢) هذه الروايات الكثيرة التي تفوق ألفي رواية عندهم ترافقها ثلاثة أحكام يتفوه بها علماء الشيعة:

الأول: هذه الروايات كثيرة ومستفيضة ومتواترة.

الثاني: أنها تدل دلالة واضحة صريحة على تحريف القرآن الكريم.

الثالث: أن عقيدة الشيعة تجاه القرآن الكريم مبنية على هذه الروايات.

٣) وخلاصة ما تشير إليه هذه الروايات هو: أن تحريف الصحابة للقرآن الكريم كان على خمسة أوجه:

الأول: أنهم أخرجوا آيات عديدة وسورا من القرآن الكريم، وقضوا عليها، من ذلك أنهم أخرجوا ثلث القرآن من مكان واحد من سورة النساء، وضيعوه، وكانت فيه كثير من الأحكام.

الثاني: أنهم أدخلوا كثيرا من كلام البشر في مواطن عديدة من القرآن.

الثالث: غيروا بعض الكلمات من القرآن الكريم.

الرابع: غيروا حروفا من الكلمات القرآنية.

الخامس: خربوا ترتيب القرآن الكريم، وقد كان ترتيب القرآن على أربعة أنواع:

النوع الأول: ترتيب السور.

النوع الثاني: ترتيب الآيات في السور.

النوع الثالث: ترتيب الكلمات في الآيات.

النوع الرابع: ترتيب الحروف في الكلمات.

تشير هذه الروايات بأن تحريف القرآن الكريم وتخريبه من قبل الصحابة كان قد شمل كل هذه الأنواع من التخريب، وأن القرآن قد تطرق إليه كل هذه الصور من التحريف والتخريب.

٤) تصرح هذه الروايات التي تفوق ألفي رواية أن خلقا كبيرا من عباد الله يضلون بهذا القرآن الموجود، وسوف تقام أعمدة الكفر. وأن العبارة القرآنية دخلها الخبط وعدم الترابط والتهاون في الفصاحة والبلاغة. وأنه يشمل على الطعن والإهانة في الأنبياء عامة وفي الرسول الأمين خاصة.

٥) أوصى الأئمة المعصومون بعدم تعيين مقامات التحريف تقية.

٦) من الخصائص البارزة في مذهب الشيعة أن أحكامه كلها من العقائد إلى الأعمال، والأعمال من كتاب الطهارة إلى كتاب المواريث، لم تسلم من الاختلاف في الروايات واختلاف أقوال المجتهدين، وأصحاب الأئمة المعصومين، لكن الغريب أن هذه هي المسئلة الوحيدة عندهم ـ أي مسئلة تحريف القرآن ـ التي لم تختلف فيها رواياتهم قط!!..

فلا تجد بين علماء الشيعة من ينكر جميع وجوه التحريف في القرآن ما عدا أربعة أشخاص: ١ـ شريف المرتضي . ٢ـ ابن بابويه القمي. ٣ـ الشيخ صدوق. ٤ـ أبو علي الطبرسي، مؤلف تفسير "مجمع البيان".

بأن هذا القرآن ـ معاذ الله ـ قد حرف، وهذه الآية لم تكن " كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ... " وإنما هي "كنتم خير أئمة..." وكان الله عز وجل قد خاطب الأئمة، وقال لهم: بأنكم خير أئمة أخرجت للناس. لكن الذين تولوا جمع القرآن الكريم حرفوا الكلمة من بعض موضعها وكتبوا مكان "الأئمة" لفظ "الأمة".

هذا التجني على كلام الله عز وجل والتطاول عليه لم يرض بعضا من علماء الشيعة، وقد

وقد رد علماء الشيعة الآخرون أقوال هؤلاء الأربعة الأفاضل. وذلك لأن الأخذ بمذهب هؤلاء الأربعة يعني القضاء على مذهب الشيعة!

وإن كان هؤلاء الأفاضل الأربعة لا يجيبون على هذه الروايات التي تفوق الألفين في كتبهم المعتبرة، إلا أن يعلقوا عليها بأنها روايات ضعيفة، ولا يوضحون وجه الضعف فيها. وهذا الجرح المبهم لا يقبل بالإتفاق. وكذلك لا يروون ولو رواية ضعيفة عن أئمتهم لتأكيد مذهبهم، وكل ما ذكروه من الأدلة والروايات لنصرة مذهبهم مأخوذ من روايات أهل السنة وكتبهم! من هنا لم يكن لأقوال هؤلاء الأربعة أي وزن في مذهب الشيعة، ولا تعد آراؤهم من المذهب أبدا. وإذا نظرت إلى حقيقة آرائهم تبدو لك الحقيقة على أن هؤلاء الأربعة لم يقولوا بما أشرنا إليه من عدم تحريف القرآن الكريم إلا تقية.

٧) ومن يزعم من الشيعة أنه ينكر تحريف القرآن الكريم؛ لا يقول أبدا بخروج القائل بتحريف القرآن الكريم من الملة! بل يعدون من يعتقد بتحريف القرآن أمثال محمد بن يعقوب الكليني وغيره من أساطين المذهب عندهم.

٨) وكذلك صرح علماء الشيعة بأن الرسول صلى الله عليه وسلم خوفا من الصحابة -رضي الله عنهم أجمعين- قد أخفى بعض الآيات ولم يبلغها، ويتحمل الصحابة جريرة ذلك وأثمه، وذلك لأنهم كانوا السبب المباشر في عدم تبليغ هذه الآيات، وهذا وجه من التحريف!

٩) وصرح علماء الشيعة بأنه لا يجوز العمل بكل آية في القرآن يخالف إجماع ما عليه المذهب الشيعي.

١٠) وبعد ما قاله السادة الشيعة في تحريف القرآن الكريم إلتجئوا إلى أمور عجيبة جدا واتخذوها مآخذ لمذهبهم. تجد تفصيل هذه الأمور العشرة وتحقيقها وإخراجها من كتب الشيعة ونص عباراتهم في أول المئتين. إن شاء الله . من شاء فليرجع إليها وليطالعها.

شمروا في الرد عليه ، لكن يرى أهل العلم بأن أثر هذا المذهب لم يزل مسيطرا على القوم، كما نرى ذلك عند بعض علماء الشيعة أمثال "ميرن" في الباب الثالث من كتابه "حديقة سلطانية" عند حديثه عن هذا الأمر، وقد استشهد بما كتبه أبوه في كتابه "صوارم"، إذ قال: "للتغيير و التحريف في القرآن الكريم وجوه أربعة: منها تغيير لفظ بآخر، مثل أن يقال: بأن أصل الآية في "كنتم خير أمة" كان "كنتم خير أئمة"، فغيرها بعض أعداء أهل البيت". ثم يقول هو بنفسه: وإن كنت استبعد هذا الوجه. والأولى للشيعة أن يقرءوا مكان "كنتم خير أمة "، بـ "كنتم خير أئمة" لئلا يصدقوا بالآية ثم ينكروا خيرية الصحابة ومكانتهم. فيقولوا بذلك بتحريف القرآن، ولا يكونوا ممن ينكر الآيات البينات"!

وا أسفا!..

فقد انتقل السيد ميرن، وأبوه السيد مولوي دلدار علي، من هذه الدنيا الفانية، فلو كانوا على قيد الحياة لكنت أحمل إليهما "حديقة سلطانية"، و"صوارم"، وكنت اسألهما: ما هو الصحيح عندكم؟ "كنتم خير أمة " أو كنتم خير أئمة؟ فلو قالوا: (خير أئمة) هو الصحيح، لسألتهما؛ بالله عليكم عند نزول هذه الآية من كان هناك من أئمتكم، ممن كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ـ غير سيدنا علي المرتضى ـ رضي الله عنه ـ، ليكون الخطاب القرآني موجها إليه؟! ولينطبق عليه هذه المواصفات القرآنية التي ذكرها الله عز وجل في هذه الآية؟!

(ومن المعروف أنه لم يكن أحد من الأئمة ما عدا سيدنا علي المرتضى رضي الله عنه يومذاك، ليصلح لهم صيغة الجمع في هذه الآية الكريمة، وإطلاق صيغة الجمع على هذا النحو، على المفرد خلافاً للغة العرب وفصاحتها، وذلك لا يليق بالقرآن المعجز بفصاحته وبلاغته).

وإذا قالوا: "خير أمة" هو الصحيح. فكنت أرجوهم أن يبينوا لي ما حكم من يتبرأ

ويطعن فيمن وصفهم الله عز وجل بـ "كنتم خير أمة"، وبين لهم كل هذه الفضائل والمناقب ـ التي أنتم تقرون بها. هل يعد مثل هذا الإنسان كافرا أم لا؟!

ثم كنت أفتح أمامه الصفحة السادس والثمانون بعد مائة من نفس الكتاب، التي ورد فيها عن الإمام الصادق عليه السلام، أنه قال:"إن هذا القرآن فيه منار الهدى ومصابيح الدجى"[1]. فكنت أناشدهم بالله عز وجل ليصدقوني في القول، ماذا كتب في القرآن الذي قال عنه الإمام الصادق فيه منار الهدى ومصابيح الدجى عن الصحابة الكرام؟ فإذا كان فيه ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ فلماذا: أنتم تنكرون ذلك، ولماذا تتركون النور المبين وتلجئون إلى الظلمات الهالكة؟!

ثم كنت أقدم لهما من نفس الكتاب ـ حديقة سلطانية ـ ما روي عن الإمام محمد الباقر عليه السلام إذ قال: "إذا التبس عليكم المتون كقطع الليل المظلم ارجعوا إلى القرآن ففيه الشفاعة، وهو يقبل الشفاعة، ومن قدم القرآن ساقه الله إلى الجنة". وكنت أقول له: يا قبلة الشيعة وكعبتهم، ليس اليوم هناك فتنة أعظم و أكبر من أننا نقول بأن الصحابة كانوا " خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ "، وتقولون أنتم بأنهم "شر أمة أخرجت للناس"، ولا أنتم تقرون بما نقوله وتصدقونه، ولا نحن نستطيع أن نقبل ما تزعمونه، فتعالوا نتحاكم إلى قول الإمام الباقر عليه

---

(١) لا يجوز الاحتجاج بهذه الرواية، ولا ينبغي أن يستدل بها على أن الشيعة لا يؤمنون بتحريف القرآن الكريم، وذلك لأنه يحتمل أن يكون الإمام قال ذلك تقية! ويقوي هذا الاحتمال ويؤيده ما روي عن الإمام نفسه وعن سائر الأئمة من الروايات التي تقول بالتحريف، وهي موثوقة في كتب الشيعة المعتبرة!!

والأمر الآخر الذي هو أقوى من الاحتمال السابق، هو أن هذه الإشارة موجهة إلى القرآن الذي كان عند الأئمة ،والآن ليس منه إلا نسخة واحدة عند الإمام الغائب في غار في مدينة " سر من رأى" ـ سامرا ـ في العراق! وليست الإشارة إلى ما هو موجود بين يدي المسلمين ومتداول في كل مكان. وقد طرح هذين الاحتمالين في مباحث أمره أمام مجتهديهم، لم يكن لهم جواب عليها. ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾.

السلام، ونرجع إلى القرآن الكريم. فإذا كان القرآن يقول عن الصحابة " كنتم خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ "، فاختاروا أنتم طريق الجنة واتركوا مذهبكم، وإذا كان القرآن يقول عنهم "شر أمة" خذونا نحن إلى مذهبكم، وأخرجونا من الظلمات الى النور!!

ولا أدري ماذا كان جواب هؤلاء السيدين لو كانوا أحياء. ولا أدري بماذا عسى أن يجيبني أتباع هؤلاء وخلفائهم من بعدهم؟!..

الآية الثانية:

قال تعالى: ﴿... فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللهِ وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ (آل عمران١٩٥).

في هذه الآية يزكي الله عز وجل المهاجرين ويبشرهم بالجنة، ويقول: من ترك أهله ودياره وعشيرته وقبيلته من أجلي وتحمل كل ألوان العذاب والعقاب من أجلي فقط، وتحمل في سبيلي كل صور التعذيب، ليس لي إلا أن أعامله مثل هؤلاء المخلصين الصادقين بغاية كرمي وفضلي وأن أؤجرهم على مصائبهم وآلامهم وتضحياتهم خير الجزاء، وحسن الثواب، فأغفر لهم ذنوبهم وأتجاوز عن سيئاتهم وزلاتهم، بل أبدل سيئاتهم حسنات وأدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار، دون سؤال ولا حساب. ولا يجدون في الجنة غما ولا هما ولا نصب. فهذا ثوابهم وجزاءهم الذي أقدمه لهم بفضل مني وكرم.

أي: إن مدارجهم ومراتبهم عند الله أرفع بكثير مما قدموه من الأعمال.

لابد أن نضع هذه الآيات نصب أعيننا ثم ننظر إلى فضل المهاجرين ومنقبتهم، وإلى رحمة الله وعطفه عليهم، وحبه لهم ورضاه عنهم، وكيف أنه يذكرهم بكل محبة وشفقة، ويبين مراتبهم ومدارجهم ويبشرهم بجنان الخلد والفردوس الأعلى، ويعدهم مغفرة من عنده، بل

يبشرهم بأن يبدل سيئاتهم حسنات. وبأسلوب كله حب ورحمة يبين ما يتفضل به عليهم من الأجور والمثوبة.

أسأل من يقرأ هذه الآيات: بالله عليكم؛

من هم هؤلاء المهاجرين الذين يبشرهم الرب الكريم عز وجل بكل هذه الوعود ويذكرهم بأنهم من أهل الجنة؟!

أولم يكن هؤلاء السادة الذين ملأت اسمائهم الآفاق: أبوبكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان ذي النورين من هؤلاء المهاجرين؟

أولم يكن هؤلاء الذين يتقرب الشيعة إلى ربهم بشتمهم ولعنهم من الصحابة، من جماعة المهاجرين الذين تركوا بلادهم وأهاليهم وأقاربهم؟!

أم استثنت الآية هؤلاء الأبرار؟!...

هل أخرجوا من دائرة البشرى الرباني لهم ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ﴾؟!...

يا إخوتي الشيعة!..

بعد ما اطلعتم على هذه الآيات لا تضيعوا أوقاتكم في البحث والتجسس عن عيوب المهاجرين، ولا تضيعوا أعماركم في البحث عن أخطائهم وزلاتهم وعيوبهم. تصوروا أنكم وجدتم عيبين أو بضعة عيوب عنهم، فلا تصلون إلى شيء أبدا. فما لم تنكروا أنهم من المهاجرين لا يضرهم ذلك شيئا، ولا يعرقل ذلك ـ قطعا ـ بشرى الله لهم بالجنة، لأن الله عز وجل صرح مؤكدا " لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ "، ثم أكد قائلا:﴿ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾. ذلك لأنهم ﴿ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا﴾ وتحملوا ألوان العذاب والمصائب من أجلي، فتركوا أحبابهم وخلانهم واختاروا صحبة حبيبي وخليلي محمد صلى الله عليه وسلم. وفي الحقيقة مجرد هجرتهم أفضل من مئات الأعمال وآلاف العبادات ومئات

الآلاف من الحسنات.

الآية الثالثة:

قال الله تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾(التوبة١٠٠).

ففي هذه الآية يعلن الله عز وجل على الملأ عن رضاه عن المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان ويبشرهم بالجنان.

يرى هذا العبد الفقير إلى رحمة الله عز وجل: إذا فكر الإنسان قليلا وتمعن في هذه الآية لن يطعن في الصحابة الكرام، ولن يقول فيهم ـ ولاسيما في المهاجرين والأنصار منهم ـ إلا كل الخير، ويعتقد بفضلهم ومنقبتهم لا محالة، وذلك لأن الله عز وجل قال فيهم" رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ". وكذلك بشرهم وقال:" وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ".

يا ليت شعري: هل هناك من يستطيع أن يتفوه بغير كلمات الاحترام فيهم، أو يعتقد بغير فضلهم ومنقبتهم.

لابد للشيعة أن يفكروا مليئا، ويراجعوا أنفسهم؛ هل هؤلاء الصحابة الكرام الذين يعاديهم الشيعة ويطعن فيهم يعدون من المهاجرين والأنصار أم لا؟

إذا كانوا هم من المهاجرين والأنصار، فما وجه الطعن فيهم بعد هذه البشائر؟!..

وإذا لم يكونوا منهم، فلمن هذه البشائر الربانية؟!..

يا إخواني الشيعة!...

فكروا قليلا وتدبروا: هل هذا هو الإيمان بالقرآن أن تلعنوا وتبغضوا من أعلن الله رضاه عنه في كلامه المجيد؟! وأن تسلبوا الإيمان عمن قال الله عز وجل أنهم من أهل الجنة؟!

وإذا قال أحدهم إنه لا يرى في هذه الآية ما نراه؛ ففي هذه الآية لم تذكر أسماء الخلفاء الثلاثة، فإنكار فضلهم ومنقبتهم لا يعني إنكار الآية.

نجيب هذا الشخص بما شهد به الإمام الباقر عليه السلام، حيث عد الخلفاء الثلاثة ضمن من تشملهم هذه الآية. افتحوا آذانكم واشرحوا صدوركم لما أثبتته كتبكم ورواياتكم. ففي كتاب "الفصول" من كتبكم المعتبرة والموثوقة لديكم؛ في قصة الإمام الباقر عليه السلام والذين طعنوا في الخلفاء الثلاثة:" إنه قال لجماعة خاضوا في أبي بكر وعمر وعثمان: ألا تخبروني؟ أنتم من ﴿ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ اللهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ ﴾؟ قالوا: لا. قال: فأنتم من ﴿الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾؟ قالوا: لا. قال أما أنتم فقد تكونوا أحد هذين الفريقين: وأنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (الحشر: ١٠)[(١)].

يا إخواني الشيعة!..

تسمون أنفسكم بالإمامية، وتزعمون أن أقوال أئمتكم لا تقل أهمية عن الآيات القرآنية، لكن لا ندري ما هو السبب في أنكم لا تقبلون أقوالهم في فضائل الصحابة، فقد تركتم اتباع الأئمة في باب فضائل الصحابة، وكأنكم ترمونهم بالكذب فيما قالوه في فضائل الصحابة؟!

خلاصة ما صرح به الإمام الباقر عليه السلام كان أن عد الخلفاء الثلاثة في دائرة من

---

(١) سبق لي أن اطلعت على هذه الرواية في كتب السنة والشيعة، وكذلك رأيت هذه الرواية بعينها عن الإمام زين العابدين في صفحة ١٩٩ من كتاب "كشف الغمة" من كتب الشيعة ـ طبع في إيران ـ. وفي كتب أهل السنة ففي كتاب "إزالة الخفاء" من رواية سيدنا عبد الله بن عمر. وقد خرجت هذه الرواية من كتب الفريقين من طرق متعددة وروايات عديدة في رسالتي في "تفسير آيت تقسيم".

تشملهم الآية الكريمة، وفيمن بشرهم الله عز وجل بالجنة من المهاجرين والأنصار. واتضح للجميع بأن الإمام الباقر عليه السلام يتبرأ عن كل من يسيء إلى الخلفاء الثلاثة، ويراه خارجا عن الإسلام والإيمان. ولم يبق أمامكم إلا أن تعدوا ذلك من باب "التقية"!

ولا ندري إلى أين سوف تجري بكم عذر "التقية"؟ وإلى متى تتسترون وراء "التقية"، وتركبونها في الحصول على مآربكم؟

مما يؤسف العاقل أن يسمع الله عز وجل يبين في كل وضوح مكانة المهاجرين والأنصار ويزكيهم، ويرى الأئمة عليهم السلام يصرحون بفضائل الخلفاء الثلاثة ومناقبهم ثم يرى السادة الشيعة ينكرون ذلك كله. فلا ندري بماذا نستدل بعد هذا كله لتطمئن قلوب الشيعة؟!

هنا يخطر ببالي نقطة ظريفة جدا وهي: إن بعض الشيعة زعموا بأن الله جل شأنه مدح المهاجرين والأنصار الذين هاجروا أو نصروا لوجه الله عز وجل خالصة من دونه، لا الذين خرجوا طمعا في الدنيا أو نصروا حرصا على الدنيا!

أجيب على هذه الشبهة من ثلاثة أوجه:

الوجه الأول:

بالله عليكم، أين كانت الدنيا والمال والسلطان يوم أن هاجر المهاجرون أو يوم أن نصرهم الأنصار حتى يطمعوا فيها؟

هل أخبر المهاجرون بأن كنوزا مثل كنوز قارون قد أخرجت من أرض المدينة ليهاجروا إليها طمعا في الحصول عليها؟

أو أن المهاجرين حملوا معهم من الأموال والأمتعة والكنوز شيئا كثيرا فطمع فيها الأنصار ورحبوا بهم في بيوتهم عسى أن ينهبوا من تلك الأموال شيئا؟!

على الشيعة أن يراجعوا أنفسهم ويسألوا عقولهم: لمن هاجر المهاجرون، ولمن نصرهم

الأنصار، إن لم يكونوا قد فعلوا ذلك كله لله عز وجل وطمعا في رضوانه؟

الوجه الثاني:

لا يخرج الأمر من صورتين: إما أن كل المهاجرين والأنصار قاموا بها قاموا به طمعا في الدنيا، أو أن منهم من فعل ذلك طمعا في الدنيا ومنهم من كان لا يريد إلا وجه الله عز وجل.

إذا طعنا في نوايا جميعهم فهذا يعني أن ما قاله الله عز وجل في مدح المهاجرين والأنصار لا يخلو من أن يكون كلاما لغوا مهملا ـ العياذ بالله ـ. فإذا لم يكن أحد منهم قد خرج أو نصر لله وفي الله ففيمن قال الله عز وجل ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾؟

وفي الصورة الثانية: لابد للشيعة أن يقدموا قائمة بأسماء المخلصين من المهاجرين والأنصار لنعرف عددهم. وقد رأينا أنهم لم يجدوا مخلصا إلا ثلاثة أو أربعة أشخاص ذكر اسمائهم في كتبهم ورواياتهم. ولاشك أن هجرة ثلاثة أو أربعة أشخاص أو نصرتهم ليس أمرا يبلغ من الأهمية ما بلغه حكاية المهاجرين والأنصار في القرآن الكريم.

الوجه الثالث:

أزال الله عز وجل في كتابه الكريم هذه الشبهة عن المهاجرين والأنصار، فقد صرحت آيتان من كلام الله عز وجل أن كل ما قام به المهاجرون والأنصار لم يكن إلا لله وفي الله، ففي سورة الحج جاء في حق المهاجرين ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾...(الحج٤٠) أي: تركوا الكفر وآمنوا بالله.

يفهم من الآية أن المهاجرين لم يهاجروا إلا لأن الكفار عاندوهم وجالدوهم وعادوهم بسبب أنهم أسلموا وقالوا: "رَبُّنَا اللَّهُ "، ومن هنا أخذ الكفار على عاتقهم إيذاء المؤمنين وفتنتهم في دينهم، إلى أن اضطر المهاجرون إلى ترك ديارهم وأموالهم.

هل بعد هذه الآية يبقى مجال للشيعة في الطعن في إخلاص المهاجرين وأنهم خرجوا طمعا

في الدنيا؟! نحن لا نستطيع أن نردد ما يتفوه به الشيعة، وعليهم وحدهم وزر ما يرددونه من الاتهامات...

والآية الثانية: قال الله تعالى في حق الأنصار في سورة الحشر ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(الحشر٩).

هل رأيتم كيف مدح الله عز وجل نصرة الأنبياء لإخوانهم من المهاجرين، وكيف زكاهم في إخلاصهم وتضحياتهم، وكيف اعتبر كل ذلك لوجهه الكريم؟

أتحير من الشيعة كيف يتجرأون ـ بعد كل هذه الآيات البينات والتصريحات القرآنية الجلية ـ على الطعن في صدق نوايا المهاجرين والأنصار ويزعمون أنهم لم يفعلوا ذلك إلا طمعا في الدنيا.

يا أصحابي!...

فكروا مليئا وتدبروا: هل ما تتفوهون به يعني تصديقا لكلام الله عز وجل أم تكذيبا له؟!

يقول الله عز وجل في المهاجرين والأنصار أنهم كانوا متقين صالحين، وأنتم تزعمون أنهم كانوا مفسدين.

يقول الله تعالى فيهم: أنني رضيت عنهم وأنهم رضوا عني. وأنتم تتجرأون على مقام الألوهية وتقولون: لا، والله لم يرض الله عنهم ولا هم رضوا عن الله عز وجل!

يقول الله عز وجل أنهم هاجروا ونصروا من أجلي. وأنتم تقولون: حاشا وكلا، إنهم لم يهاجروا ولم يناصروا إلا طمعا في الدنيا والأموال.

يا إخواني!...

تمهلوا قليلا وراجعوا أنفسكم فيما تقولونه!

لو اختصرت الأمر على آية أو آيتين لعله كان بإمكانكم تأويلهما، ولكن ها هو القرآن كله يحتفل بذكر المهاجرين والأنصار، فأية آية يمكنكم أن تأولوها؟ وأية آية يمكن أن تقولوا فيها بالتحريف المعنوي؟!

فقد تمزق الجسد كله، أين تريد أن تضع الجبيرة؟!.[١].

الحق الذي لا مراء فيه هو أنكم دون أن تفكروا في عاقبة ما تتفوهون به زللتم إلى مذهب عبد الله بن سبأ، واتخذتموه منهجا لكم، والآن وقعتم في الفخ ولا تستطيعون إنكار القرآن الكريم ولا تصديقه!

الآية الرابعة:

قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (الفتح١٨) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (الفتح١٩) وَعَدَكُمْ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (الفتح٢٠) وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللهُ بِهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (الفتح٢١)﴾.

سبب نزول الآية:

في السنة السادسة من الهجرة؛ أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يعتمر فتحرك نحو مكة، ودعا الأعراب والقبائل أن يصحبوه في هذه الرحلة، وذلك لأن المشركين كانوا مسيطرين على مكة، وكان من المتوقع أن يحولوا بين المعتمرين وحج بيت الله عز وجل، ويمنعوهم من دخول مكة ـ فكان من الحكمة أن يرافق الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الرحلة جمع غفير ـ لكن معظم الأعراب لم يلبوا دعوة الرسول صلىالله عليه وسلم، فلم

(١) تن همه داغ داغ شد، پنبه كجا كجا نهى؟!..

يتشرفوا بالحصول على سعادة "المعية" مع الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الرحلة ما عدا من ملأ الإخلاص قلبه وسيطر الإيمان على جسمه كله، فكانوا شعلا من النور وآيات من الإخلاص وأمثلة من التضحية والتفاني، فقد سعدوا بمرافقة الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا السفر. ولما وصل هؤلاء السادة الأبرار إلى "الحديبية" ـ على قاب قوسين من مكة ـ خرج الكفار يصدونهم عن أداء شعيرة الله.

أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم خراش بن أمية الخزاعي إلى أهل مكة ليفاوضهم، لكنهم أرادوا قتله. فما أن رأى الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك أرسل إليهم سيدنا عثمان رضي الله عنه. أمسك الكفار عثمان وأخروه عن الرجوع، وأشاعوا بأن عثمان قد قتل! ما أن سمع الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الخبر جمع أصحابه وكان عددهم على اختلاف في الروايات زهاء ألف وأربع مائة رجل، وجلس صلى الله عليه وسلم تحت شجرة يبايع صحابته على القتال حتى الموت. وقد بايعه على ذلك كلهم، ولم يتخلف عن البيعة أحد إلا جد بن قيس المنافق. فقد ظهر نفاق المنافقين وإخلاص المخلصين في هذا السفر وضوح الشمس في رابعة النهار، فأعلن الله عز وجل في كتابه الكريم رضاه عن جميع الذين بايعوا الرسول صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة، ومن هنا سميت هذه البيعة "ببيعة الرضوان". فقد قال تعالى: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾، ثم قال : ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ أي؛ علم الله إخلاصهم ، وما في صدورهم، فلو كانوا منافقين ما كانوا يرافقونك في هذا السفر، وما كانوا يبايعونك في مثل هذا الوقت الحرج. ﴿ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ ﴾ وملأ قلوبهم وصدورهم بالطمأنينة والسكون، ليواجهوا الكفار دون خوف ولا وجل، وقد بايعوك على الشهادة والقتال إلى آخر قطرة دم في عروقهم. ﴿ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ وليرفع عزائمهم وليزيل آثار الهزيمة عن نفوسهم وهب لهم غنائم كثيرة و وعدهم بالبشائر والفتوحات العظيمة مثل فتح

بلاد الفارس والروم.

فقد ثبتت من هذه الآيات فضائل هؤلاء الصحابة الكرام الذين بايعوا الرسول صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة، واتضح إخلاصهم وإيمانهم للعيان.

لم يترك الله عز وجل في هذه الآية مجالا للمتأول أو الجاحد والمنكر أن يطعن في فضل الصحابة ومكانتهم، بل أعلن رضاه عنهم بأسلوب يفهم منه دوام الرضى واستمراره. وما وعدهم من الفتوحات حققه على أيديهم في وقت جد قريب.

والآن آن لي أن اسأل من يزعم أنه من شيعة علي رضي الله عنه:

الأول: أخبروني بالله عليكم، هل هذه الآيات الكريمات من كلام الله عز وجل وفي قرآنه أم لا؟

إذا كانت قد نزلت في هذه الواقعة، فهل كان سيدنا أبوبكر الصديق وعمر الفاروق وسائر الصحابة الكرام ممن بايعوا الرسول صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة أم لا؟

وإذا كانوا ممن بايعوا الرسول صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة، فهل هم في دائرة من يشملهم قول الله عز وجل ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ....﴾، أم لا؟

إذا ليسوا ممن رضي الله عنهم، فما دليلكم على هذا الاستثناء؟

وإذا كانوا ممن يشملهم قوله تعالى، وأن الله قد رضي عنهم، فألا يعد طعن من رضي الله عنه وشتمه إنكارا للآيات القرآنية وطعنا فيها؟!

يزعم الشيعة أنهم كانوا منافقين، وها هو الله عز وجل قد أجابهم قبل أن يتفوهوا بطعنهم:﴿ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: أنني امتحنت قلوبهم فوجدت الإيمان قد رسخ فيها، ووجدتهم مخلصين لي، فأنزلت سكينتي عليهم، وأثبتهم فتحا قريبا.

فلو كانوا منافقين هل كان الله عز وجل يشهد بإيمانهم؟ وهل كان الله عز وجل يعدهم بالفتح والغلبة ـ وهي من بشائر المخلصين ـ؟

والآن إذا تساءل أحد الشيعة، وقال: كيف يمكن أن ينكر علمائنا الأفاضل فضيلة الصحابة ومنقبتهم بعد هذه الآيات الصريحات والأدلة الواضحة؟ فلا شك أن لهم أدلة أقوى من هذه، فلم يكن علمائنا وأفاضلنا جهالا ليجهلوا مثل هذه الأدلة أو لينكروها ويطعنوا في الصحابة؟! فلابد أن هناك شيئا قد دعاهم إلى سب الصحابة وعدهم من الأشرار؟!..

ولأرفع لثام هذا التساؤل عن قلوبهم وأفهامهم، أرى أن نرجع إلى التفاسير المعتبرة لدى الشيعة، ولندرس الأمر في ضوء ما قالوه، ولأترك المجال للشيعة أنفسهم ليحكموا بعد ذلك؛ هل كان علمائهم جهالا أم لا؟

وهل كانوا مؤمنين مخلصين أم غير ذلك؟

هل كانوا منصفين أم متعصبين؟ إقرأوا تفاسيركم ثم احكموا بما يملي عليكم ضمائركم....

يا إخوتي الشيعة!...

اسمعوا إلى ما كتبه كبار مفسريكم، فهذا هو العلامة فتح الله الكاشاني يكتب في تفسيره:" فقد قال صلى الله عليه وسلم: أنه لن يدخل النار من هؤلاء المؤمنين الذين بايعوا تحت الشجرة. وسمى هذه البيعة ببيعة الرضوان. وذلك لأن الله عز وجل قال فيهم: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ "﴾.

إذا لا يطمئن قلوبهم على هذه الرواية، ويشتاقون لاستماع أجوبة المتكلمين والمتعصبين من علمائهم فليسمعوا إلى ما تفوهوا به كذلك:

اعلم أن علماء الشيعة أجابوا على الشبهة المثارة حول هذه الآية من وجهين:

قال بعضهم: تتضح من هذه الآية أن الله عز وجل قد رضي عن موقفهم هذا، وعن بيعتهم هذه، وهذا لا يعني أن الله عز وجل قد رضي عن جميع أعمالهم، ولا يعني كذلك أن تستمر رضاية الله عز وجل لهم عن هذه البيعة طوال حياتهم[١].

وقال الآخرون: فقد ظهر من الصحابة بعد هذه البيعة مواقف أخرى نقضت بيعتهم، فقد هربوا من الغزوات، واغتصبوا خلافة الخليفة المنصوص عليه، فبذلك خرجوا مما وعدتهم الآية، وزالت عنهم رضاية الله عز وجل وانتهت تلك البشائر التي بشروا بها[٢].

والجواب على الوجه الأول:

قولهم بأن الله عز وجل لم يكن قد رضي عن سائر أعمال الصحابة وكان رضاه عن هذه البيعة فحسب فأنزل فيهم " لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ... "، اتهام شنيع وطعن في الحق سبحانه وتعالى، لا يتصوره أي مسلم. هل يمكن أن يتصور عاقل أن الله عز وجل لم يكن راضيا عن هؤلاء القوم، لكنه أنزل هذه الآية ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ... ﴾ فقط باب تطييب قلوب القوم، من باب "التقية"، وأنه سكت

(١) منهم القاضي نور الله الشوستري في "مجالس المؤمنين" حيث قال:« مدلول الآية عند التحقيق هو أن الله عز وجل قد رضي عن ذلك الفعل الخاص، أي: البيعة. ولا أحد ينكر أنه قد صدر منهم بعض الأفعال المرضية. لكن بيت القصيد في أنه صدر منهم أفعال قبيحة نقضت العهد والبيعة، مثل ما حدث في أمر الخلافة ...».

(٢) كتب صاحب "تقليب المكائد" في رده على كيد الواحد والتسعون من "التحفة الإثنا عشرية":« لا ينفع أبابكر وعمر بيعتهما ضمن بيعة أهل الرضوان، وذلك لأن الله عز وجل يقول: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الفتح١٠) فهذا الكلام المعجز منه يدل على أن بعضا من أهل بيعة الرضوان ينكثون بيعتهم بعد حين، كما ظهر ذلك من أبي بكر وعمر وغيرهما. تبين ذلك من أنه فقد كان من شروط البيعة عدم الفرار والهزيمة، والثبات في الحرب إلى الموت. وقد وقعت غزوة الخيبر بعد البيعة في نفس العام وهرب منها أبوبكر وعمر وانهزموا».

عن سائر أعمالهم التي لم تكن ترضيه "تقية" منه؟! سبحانك هذا بهتان عظيم!

وأعجب من هذا ؛ من أين عرف الشيعة عدم رضاية الله عز وجل عن صحابة الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم؟ فقد يستغرب المرء من هذا الموقف العجيب؛ إذ أعلن الله عز وجل رضاه عن هذا الموقف على الملأ، في قرآنه المجيد ليتلى إلى يوم القيامة في حين أنه لم يخبر عن عدم رضاه عن سائر أعمالهم إلا شيعة عبد الله بن سبأ!

لعل أحدا من الشيعة يزعم: أننا سوف نجد عدم رضى الله عز وجل عن أعمال الصحابة ومواقفهم في القرآن الذي يحتفظ به الإمام المهدي في الغار.

لكننا لا نستطيع أن نستمع إلى هذه الترهات والخزعبلات ما لم نر ذلك بأم أعيننا، وما لم نسمعه من الإمام المهدي نفسه. ولكن هيهات هيهات! لا نرى أثرا من الإمام، ولا من القرآن الذي يحمله، فقد مضى أكثر من ألف عام ولم يظهر الإمام، ولا ندري كم بقي لظهوره بعد؟!

الإجابة على الوجه الثاني:

يظهر مما زعمه علماء الشيعة أن الصحابة نكثوا البيعة ، وبذلك خرجوا من رضوان الله عز وجل؛ أنهم ولاسيما المهاجرين والأنصار منهم كانوا إلى يوم البيعة ـ على الأقل ـ كاملي الإيمان وصادقي الإسلام، ولم يكونوا منافقين ولا كفارا، وأن بيعتهم كانت صادقة لا بيعة نفاق، وهذا هو مقتضى كلام مؤلف "تقليب المكائد"[1] الذي قال:" يدل هذا الكلام المعجز؛ أن بعضا من أهل بيعة الرضوان ينكثون البيعة بعد حين". أي: أنهم إلى زمن البيعة لم يكونوا منافقين ولا كفارا، وأن آية " لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْ الْمُؤْمِنِينَ..." تشملهم جميعا.

(١) صاحب "تقليب المكائد" هو سيد محمد قلي بن سيد محمد حسين. (ولد عام ١١٨٨هـ/ الموافق لـ١٧٧٤م، ومات عام ١٢٦٠هـ الموافق لـ ١٨٤٤م). راجع ترجمته في فهرس أعلام الكتاب. (م)

وكذلك كلام الشهيد الثالث ـ قاضي نور الله الشوستري[1] ـ إذ قال: « مدلول الآية عند التحقيق هو أن الله عز وجل قد رضي من ذلك الفعل الخاص، أي؛ البيعة. ولا أحد ينكر أنه قد صدر منهم بعض الأفعال المرضية...»، يشهد على أن بيعة الصحابة الكرام كان عملا حسنا وصالحا، وبذلك يظهر بطلان عقيدة الشيعة فيما يزعمونه من أن الصحابة كانوا من أول أمرهم منافقين، وثبت أنهم إلى يوم بيعة الرضوان كانوا مسلمين مؤمنين. ويبقى زعمهم في أن الصحابة نكثوا البيعة!

وهذا يقتضي منا أن ننظر إلى أعمالهم ومواقفهم بعد البيعة، وما الذي صدر منهم، مما يمكن أن نعده نكثا للبيعة. ومتى صدر ذلك؟ هل حصل ذلك في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم أو بعد وفاته صلى الله عليه وسلم؟

يتضح مما كتبه صاحب "تقليب المكائد" أن نكث البيعة وقع في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم إذ لم يثبت الصحابة في غزوة خيبر وهربوا من المعركة! ونحن نقول بأن حبل الكذب قصير!..

لا أحد ينكر بأن قلاع خيبر لم تفتح على أيدي أبوبكر الصديق رضي الله عنه، ولا على أيدي عمر الفاروق رضي الله عنه، لكن في أية لغة يسمى عدم الفتح فرارا؟!

ولو افترضنا جدلا أنهم هربوا من خيبر، فقد ثبت بالقرآن المحكم أن الله عز وجل قد رضي عنهم " لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْ الْمُؤْمِنِينَ..."، فلابد للشيعة أن يقدموا دليلا على هذا المستوى من القوة عن هروبهم من غزوة خيبر وعن نكثهم للبيعة وعن عدم رضى الله عنهم، وليأتوا بآية من القرآن تثبت دعواهم، وتنسخ الآية السابقة! و إلا فلا اعتبار لما يزعمونه...

---

(١) هو نور الله الشوستري شريف بن نور الله، الملقب بالشهيد الثالث، ولد عام ١٥٤٩م الموافق لعام ٩٥٦هـ وقتل عام ١٠١٩ هـ، الموافق لعام ١٦١٠م. راجع ترجمته في فهرس الأعلام في نهاية الكتاب. (م)

ونحن على يقين تام لو أن الصحابة الكرام ارتكبوا عملا ينقض بيعتهم ويغضب الله عز وجل عنهم لا شك بأن الله عز وجل كان يخبرنا عن ذلك، كما أخبرنا عن رضاه عن بيعتهم " لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ..."، فكان يخبرنا بأنه مثلا غضب عليهم لفرارهم ونكثهم للبيعة، ولقال مثلا؛ لقد غضب الله عليهم ـ، وذلك لأن هذا حدث في زمن الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم وكانت السماء متصلة بالأرض بحبل الوحي. وكان جبريل ينزل ويصعد على الرسول صلى الله عليه وسلم كلما اقتضى الأمر.

فما هو السبب في أن الله عز وجل ذكر أعمالهم الحسنة وتقاضى عن أفعالهم القبيحة، وأنه مدح أعمالهم الطيبة وأثنى عليها وأذاعها وأشهرها في كتابه الكريم، وستر أفعالهم الخبيثة أو القبيحة؟! وهذا لا يخرج من أمرين لا محالة:

إما ـ العياذ بالله ـ كان الله عز وجل يخاف منهم، فلم يذكر مساوئهم خوفا منهم، وإما أنه ما كان يصدر منهم أعمال قبيحة ليشهرها الله عز وجل أو يذمها. وإذا كان يحدث منهم بعض الزلل فكان الله يغفرها لهم رحمة منه وفضلا، ويستر على زلاتهم لما لهم من الحسنات الكثيرة التي تغطي بها الله السيئات.

وإذا زعم أحدهم أنهم ارتكبوا تلك الأعمال الشنيعة التي نقضت بيعتهم وأغضب الله عليهم، بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، كأن اغتصبوا الخلافة وغيره من الخيانات!

نقول: لو كان يمكن أن يحدث مثل هذه الأمور فكان الله عز وجل يخبر عن ذلك في كتابه الكريم الذي﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾(فصلت٤٢)، وما كان يمكن أن يزكيهم ويعلن عن رضاه عنهم ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ...﴾ مع وجود ذلك!، ولا تنسى أن الله عز وجل علم ما في صدورهم " فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ "، ولهذا " فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ ".

بعد هذا لا يمكن للعاقل أن يتصور أن هؤلاء القوم الذين علم الله ما في قلوبهم وشرفهم بإنزال سكينته عليهم وأعلن رضاه عنهم أن يضلوا الطريق، ويعثروا عن منهج الله عز وجل وينحرفوا عن الصواب.

ثم أقول للسادة الشيعة: لماذا تضيعون أوقاتكم في مثل هذه الأسئلة والأجوبة؟ لماذا لا ترجعون إلى تفسير العلامة الكاشاني على هذه الآيات إذ قال:" لا يدخل النار أحد من هؤلاء المؤمنين الذين بايعوا الرسول صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة". أنظروا إلى مفسركم هذا حيث لم يترك مجالا للبحث والجدال، وفهم القرآن على صريح العبارة وأقر بأن بشرى الجنة عام لكل من بايع الرسول صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة. وإذا لا تطمئن قلوبكم بهذه الرواية فاسمعوا إلى رواية أخرى تؤيدها. فقد ورد في ترجمة "كشف الغمة": " عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال: كنا يومذاك ألف وأربعمائة شخص. وقد سمعت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم، إذ خطب في الجماهير وقال: أنتم خير أهل الأرض. وكلنا بايعنا الرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم ولم يتخلف عن البيعة أحد إلا جدبن قيس المنافق الذي نقض البيعة".

وفي هذه الرواية عدة فوائد:

الفائدة الأولى:

فقد ثبت أن عدد الصحابة الذين شاركوا في بيعة الرضوان وشهد الله عز وجل على إيمانهم وإخلاصهم وقال " فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ "، وأعلن رضاه عنهم " لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ... " كان ألفا وأربعمائة صحابي.

والفائدة الثانية:

أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال في شأنهم: « أنتم خير أهل الأرض ».

الفائدة الثالثة:

لم ينقض البيعة منهم أحد إلا منافق واحد معلوم النفاق.

فيا أيها الشيعة الأطهار (!)...

فكروا مليئا بعيدا عن التعصب الممقوت والتعنت الأعمى في رواياتكم هذه، وراجعوا أنفسكم فيها وانصفوا في الأمر، ثم انظروا كيف يتجرأ شهيدكم الثالث، ومؤلف "تقليب المكائد" على كل معاني الإنصاف والإيمان ويكذب آيات الله عز وجل تحت ستار حب أهل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم، وينكر كل هذه النصوص الصريحة.

وإذا سلمنا جدلا بما يتفوه به الشهيد الثالث، لا ينفعنا ذلك بعد ما رواه العلامة الكاشاني في تفسيره عن النبي صلى الله عليه وسلم إذ قال:" لا يدخل النار أحد من هؤلاء المؤمنين الذين بايعوا تحت الشجرة". ولا نستطيع التلاعب بهذا النص النبوي الصريح إلا أن نقول أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال ما قاله من باب "التقية"، والحق هو أن هؤلاء الصحابة يدخلون النار ـ معاذ الله من ذلك ـ.

بقي هنا نقطة أخرى ينبغي أن نتطرق إليها، وهي : يوسوس الشيعة بأن عثمان لم يشارك في بيعة الرضوان، فلهذا حرم من هذه البيعة وفضائلها!

الإجابة على هذه الوسوسة:

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحب عثمان حبا جما، فمع أنه لم يكن حاضرا في البيعة، لكن الرسول صلى الله عليه وسلم أبى إلا أن يشاركه فيها، فوضع إحدى كفيه في الأخرى وقال هذه يد عثمان. وأرى أن أنقل هنا ما كتبه السيد مولانا أبو الفضل علي بخش خان في إحدى رسائله بنصه:« ليحصل عثمان على شرف بيعة الرضوان أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم يده، ووضعها في يده الأخرى عن عثمان الغني، وجعل يده المباركة الطاهرة بمثابة يد

عثمان وبايع عن عثمان ».

وكذلك ورد هذا الحديث في "روضة كليني" ـ من أقدم وأوثق المصادر لدى الشيعة ـ وفيه: « أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم البيعة من المسلمين ثم وضع إحدى يديه في الأخرى عن عثمان لأنه قد حبس عند الكفار»[١].

لم يثبت من هذا الحديث أن عثمان تشرف بفضائل بيعة الرضوان على التمام والكمال وأنه شملته مغفرة الله عز وجل ورضوانه فحسب، بل ظهرت نقطة يستحق الوقوف عندها وهي: أن يد الرسول صلى الله عليه وسلم هي يد عثمان رضي الله عنه، ويد الرسول صلى الله عليه وسلم يد الله ولو مجازا، وقد قال الله تعالى: " يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ "، فبهذه الأدلة يعتبر الشيعة عثمان الغني يد الله أو يد النبي! أو يرون هذا اللقب لسيدنا علي المرتضى ـ مع مثل هذه الأدلة الصريحة ـ دون غيره؟". انتهى بلفظه. ولله دره وعليه أجره.

وكذلك يظهر من هذا الحديث الذي رواه "روضة كافي" أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعرف مدى إخلاص أصحابه له، وكان يعتمد عليهم ويثق فيهم وفي إيمانهم وصدقهم، فيوم أن قال الناس: ما أسعد عثمان! فقد استطاع أن يطوف بالبيت دوننا. قال الرسول صلى الله عليه وسلم: لا يمكن أن يطوف عثمان دوننا. وكذلك حدث، فلم يطف عثمان دون الرسول

---

(١) « ... فلما انطلق عثمان لقي إيان بن سعيد فتأخر عن السرج، فحمل عثمان بين يديه. ودخل عثمان فاعلمهم. وكانت المناوشة. فجلس سهل بن عمرو عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلس عثمان في عسكر المشركين وبايع رسول الله المسلمين وضرب صلى الله عليه وسلم بإحدى يديه على الأخرى لعثمان. قيل: طوبى لعثمان فقد طاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة وأحل. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما كان يفعل. فلما جاء عثمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أ طفت بالبيت؟ فقال: ما كنت لأطوف بالبيت ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يطف به. ثم ذكر القصة وما كان فيها. (كتاب الروضة)

صلى الله عليه وسلم، وقد نظم هذا المعنى الجليل مؤلف "حمله حيدري" شعرا فقال[١]:

"طلب الرسول صلى الله عليه وسلم ما طلبه من عمر، فقبل الأرض بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم طائعا مختارا، ولبى أمره فانطلق كالسهم إلى القوم. قال الناس في اليوم التالي: ما أسعد عثمان! فقد ظفر بطواف بيت الله، فسمع الرسول صلى الله عليه وسلم هذه المقالة منهم فقال: إننا لا نظن في عثمان أن يطوف بالبيت دوننا"[٢].

ثم يكمل المؤلف الرواية فيقول:" لما وصل عثمان إلى مكة أخبر أبا سفيان أن الرسول صلى الله عليه وسلم يريد أن يدخل مكة ليطوف بالبيت ليس إلا. رد عليه أبو سفيان وقال: هذا أمر مستحيل، لكن إن أردت أن تطوف بالبيت فلا مانع لدينا. وما كان من عثمان إلا أن أبى، فحبسه أبو سفيان". وهذا ما صوره مؤلف "حمله حيدري" في شعره[٣]:

---

(١)

طلب كرد پس اشرف انبيا — ز اصحاب عثمان صاحب حيا

باز هم همان گفت خير البشر — كه زان پيشتر گفته بد با عمر

ببوسيد عثمان زمين در زمان — بمقصد روان شد چو تير از كمان

چو او رفت اصحاب روز دگر — بگفتند چندي به خير البشر

خوشا حال عثمان با احترام — كه شد قسمتش حج بيت الحرام

رسول خدا چون شنيد اين سخن — بپاسخ چنين گفت با انجمن

به عثمان نداريم ما اين گمان — كه تنها كند طوف آن آستان

(٢) حمله حيدري، ج/ ١،ص/ ٢٠٧، مطبع سلطاني، ١٢٦٧هـ.

(٣)

بجوشيد انگه بدل مهر خون — به عثمان چنين گفت آن سرنگون

كه گر ميل داري تو طوف حرم — بكن مانعت نيست كس زين حشم

وليكن محال ست اين بي گزاف — كه آيد محمد براي طواف

"تحركت حمية الدم في عروق أبي سفيان، وسمح لعثمان أن يطوف بالبيت. وقال: لا يمكن أن نسمح لمحمد أن يدخل الحرم أو يطوف بالبيت. ولما سمع عثمان هذا الكلام رد عليه بالشدة، وقال: لا يجوز لأتباع محمد صلى الله عليه وسلم أن يطوفوا بالبيت دونه. فغضب أبو سفيان وثار وأمر أصحابه أن يحبسوا عثمان ومرافقيه العشرة، ولا يسمحوا لهم بالعودة إلى محمد. لما سمع عثمان هذا الحكم الجائر صبر واحتسب أمره إلى الله. فقيده المشركون وسأذكر حكاية نجاته بعد هذا"[١].

والآن أرجو من السادة الشيعة أن ينصفوا مفسريهم، ومحدثيهم، ومؤرخيهم فيما يكتبونه عن الصحابة الكرام، وكيف يقرون باستقلالهم وصبرهم ويعترفون بإيمانهم وثباتهم وتضحياتهم وإسلامهم. ثم مع ذلك كله يرفعون سيف العداوة في وجوههم! ويرمونهم بالكفر والنفاق والردة ـ العياذ بالله ـ ! من كان يثق الرسول صلى الله عليه وسلم بإيمانهم وإسلامهم ويشهد على إخلاصهم، ولم يحدث منهم قط أن أغضبوا رسولهم، وقد وهبوا حياتهم وأموالهم لرسولهم، وفدوه بكل غال ونفيس يملكونه، ولم يخرجوا عن طاعته قيد أنملة أبدا، إلى درجة أن شهد الله عز وجل لهم بالصبر والثبات.

چو بشنيد عثمان ازو اين سخن	چنين داد پاسخ بآن اهرمن
كه طوف حرم بي رسول خدا	نباشد بر پيروانش روا
ازين گفته سفيان براشفت بيش	بگرداند از سوي او روي خويش
به فرمود پس با دگر مشركان	كه عثمان و اين ده كس از پيروان
نيابند رفتن به نزد رسول	اگر شاد باشند زين گر ملول
چو عثمان ازو اين حكايت شنيد	علاجي بجز صبر كردن نديد
مقيد نمودندش اعداي دين	بيان نجاتش كنم بعد ازين

(١) حمله حيدري، ص/ ٢٠٧.

لا نفهم أبدا، لماذا يرمي السادة الشيعة مثل هؤلاء الأبرار المؤمنين المخلصين الصادقين بالنفاق؟ ولماذا ينكرون هذه الآيات البينات الصريحة، وهذه الروايات الصحيحة؟!

لا يمكن أبدا لمن يقرأ هذه الآيات والأحاديث والروايات الصريحة أن يشك بعد ذلك في مقام الصحابة وفضلهم، أو أن يوسوس الشيطان في صدره فيجعله يطعن في الصحابة، أو يرميهم بالنفاق والردة.

وقد رأينا جليا بأن الله عز وجل لم يكتف بالكنايات والإشارات في بيان مناقب الصحابة الكرام وفضلهم، بل بين ذلك في عبارات صريحة وألفاظ واضحة لا تقبل التأويل والتحريف، وبين من خلالها علاماتهم وصفاتهم، ووضح في تلك الآيات ما يرد كل شبهة قد يثيرها المنكرون والجاحدون.

لو أن الله عز وجل مدح من آمن بالرسول صلى الله عليه وسلم جملة واحدة دون تفصيل، لعل المعاند كان يجد محملا للتأويل، لكنه صرح وخصص الذين بايعوا على يدي الرسول صلى الله عليه وسلم، وقال بأنه راض عنهم، بل عين موطن البيعة ومكانها، إذ كانت تحت الشجرة، وقال بأنهم لم يبايعوا على يدي رسولي بل بايعوا على يدي. فمن يستطيع بعد كل هذا أن يطعن في إيمان الذين شاركوا في هذه البيعة، ويشك في إخلاصهم؟!

أجل! كان هناك مجال لوضع شبهة ضعيفة في أن يزعم أحدهم أن الذين بايعوا في تلك الحادثة كانوا عددا قليلا لم يتجاوزوا الذين يقول الشيعة بإيمانهم، لكن علماء الشيعة لم يتركوا مجالا لمثل هذه الشبهة، فأقروا واعترفوا بأن عدد الذين شاركوا في هذه البيعة كان ألفا وأربعمائة شخص. وأقروا كذلك بأن هذه الآيات نزلت في هؤلاء الذين شاركوا في هذه البيعة. وسلموا كذلك أن أحدا منهم لم يرفض البيعة إلا رجل منافق يسمى جد بن قيس، ويبقى الأمر يثير العجب والدهشة؛ فبعد هذا كله كيف يتجرأ القوم في أن يعتقدوا في هؤلاء المبايعين بمثل هذه

العقائد الفاسدة والضالة؟!

ولكن يبدوا لا مجال للدهشة والاستغراب، فالشيعة لا يثقون بكلام الله عز وجل ولا بحديث رسوله صلى الله عليه وسلم، ولا حتى بأقوال أئمتهم! فلو كانوا يؤمنون بأي منها، أو يثقون بواحدة منها، لما اعتقدوا بمثل هذه العقيدة الفاسدة في كفر الصحابة والطعن فيهم!

يا إخواني الشيعة!...

اسأل الله عز وجل أن يرزقكم حبة خردل من إيمان، فتعترفوا بفساد عقائدكم، وتقروا بأخطائكم، وافهموا ما أسعى أن أوضحه لكم.

يا أصحابي!...

راجعوا عقائدكم، وتدبروا فيها بعين البصيرة، بعيدا عن التعصب الممقوت، ثم احكموا أنتم بأنفسكم؛

هل في عقائدكم أدنى أثر من الإيمان والإسلام؟!..

إذا وجدتم أي أثر فأظهروه لنا وقدموه للعالم...

أين آلامكم الحزينة؟ أين حرقة القلوب والأنين؟

إلى متى تزعمون العشق والمحبة، لابد للعشق من علامة![1]

الآية الخامسة:

قال الله تعالى: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنْ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(الأنفال٦٨).

سبب نزول الآية: لما ظفر المسلمون في بدر وأسروا من المشركين بعض الأسرى، جمع الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه يستشيرهم في الأسرى، أشار أبوبكر بأن نأخذ منهم فدية ونتركهم، وأشار عمر بأن يقتلوا جميعا؛ ويسلم لكل مؤمن قرابته من المشركين ليقتله بيده،

---

(١) ناله حزينت كو، آه آتشينت كو لاف عشقبازى چند، عشق را نشانيهاست.

لئلا تبقى في صدور المؤمنين محبة بعد محبة الله عز وجل. لكن الرسول صلى الله عليه وسلم مال إلى ما استشار إليه أبوبكر والصحابة الآخرون، فأخذ من الأسرى الفدية وتركهم. فنزلت هذه الآية.

وقد ذكر علماء الإمامية ومفسريهم هذه الرواية في سبب نزول هذه الآية، فقد قال العلامة الكاشاني في تفسيره "خلاصة المنهج":"أسر المسلمون من المشركين سبعين رجلا في بدر كان منهم عباس وعقيل. شاور الرسول صلى الله عليه أصحابه في الأسرى، قال أبوبكر وكان من المهاجرين: يا رسول الله! صغارهم وكبارهم من قومك وعشيرتك وأقربائك، فلو فدى كل واحد منهم نفسه لكان ذلك قوة وشوكة لدولة الإسلام". وجاء في "مجمع البيان" للطبرسي أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يوم بدر عن الأسرى؛ "إذا أردتم أقتلوهم جميعا، وإن أردتم فكوا أسرهم. فقال عمر: يا رسول الله! فقد كذبوك وأخرجوك من مكة، دعنا نضرب أعناقهم، سلم عقيلا لعلي ليقطع عنقه، واعطني فلانا أضرب عنقه، فهم رؤوس الكفر وسادته. ثم تحدث أبوبكر فقال: يا رسول الله ! هؤلاء ليسوا إلا قومك وقرابتك، دعنا نأخذ منهم الفدية ثم نتركهم. أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا الرأي. فنزلت هذه الآية. فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: لو أن عذابا نزل من السماء لما نجى منه إلا عمر وسعد بن معاذ".

من هذه الروايات التي أثبتها وأقر بها علماء الإمامية نصل إلى عدة فوائد:

الفائدة الأولى:

أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يستشيرهم.

الفائدة الثانية:

كان سيدنا عمر شديدا على الكفار، وما كان يأخذه في الله لومة لائم. وكان الله أحب إليه

من قرابته وإخوته وذويه.

والآن نشير إلى النتائج التي يمكن أن تستنتج من هذه الفوائد:

النتيجة الأولى:

ثبت بأن سيدنا أبوبكر وعمر كانا من المهاجرين، فتشملهم كل هذه الفضائل التي ذكرها الله عز وجل للمهاجرين وسبق أن أشرنا إليها.

النتيجة الثانية:

فقد بطل ما زعمه بعض علماء الإمامية من أن هؤلاء الثلاثة رضي الله عنهم لم يكونوا من المهاجرين. كما زعم ذلك مؤلف "تقليب المكائد" في رده على كتاب "التحفة الإثنا عشرية" للشيخ مولانا شاه عبد العزيز رحمه الله، فقد قال في جواب كيد الواحد والتسعون:"هؤلاء الأصحاب الثلاثة لم يكونوا من المهاجرين".

والنتيجة الثالثة:

كذلك ثبت بطلان تلك العقيدة الفاسدة التي تقول بأن سيدنا أبوبكر الصديق وسيدنا عمر الفاروق رضي الله عنهما لم يسلما قط، وكانا من المنافقين من أول يومهما ـ معاذ الله ـ، فلم يدخل الإيمان في قلوبهما، وكانا يكيدان للإسلام. كما زعم ذلك قبلة الشيعة وزعيمهم "السيد ميرن" في باب الثالث من "حديقه سلطانية" ما نصه:" تدل سيرة الشيخين على خبث نواياهما، فقد طلبا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعلن عن دينه يوم أن كانت الدعوة سرية، وأرادوا إيذاء الرسول صلى الله عليه وسلم وكانوا لا ينصرونه عند الإعلان عن دعوته. فاعتبروا يا أولى الأبصار". انتهى كلامه.

لو كان السيد ميرن حيا لسألته: بالله عليك، لو كان الشيخان لا يريدان للإسلام إلا شرا، وكانا ينسحبان عن المواقف الحرجة ولا يعينان الرسول صلى الله عليه وسلم، فلماذا شاركا في

غزوة بدر؟ ولماذا فتح الله على أيديهما؟ ولماذا شهد أجدادكم الكبار أمثال الكاشاني والطبرسي؛ بأنهما كانا من المهاجرين، ومن أهل الشورى؟!

يا إخوتي من أهل الإيمان!...

أنظروا وتمعنوا في عقلية الشيعة، و في إيمانهم وغيرتهم على الإسلام! كيف يتجرأون على الطعن في السادة الذين رباهم الرسول صلى الله عليه وسلم، وكانوا بمثابة وزيرين له، وقد فدوه بأموالهم وأنفسهم، ووضعوا رقابهم ثمنا لهذا الدين، واجتهدوا ليلا ونهارا في سبيل إعلان كلمة الله عز وجل، وقد أصروا على رسولهم أن يعلن دعوته لتسمع البشرية صوت الحق ولتزلزل رعب الإسلام وهيبته عروش الظالمين وليعيش المسلم حرا أبيا لا يخاف في الله لومة لائم، فيزعم هؤلاء القوم ـ معاذ الله ـ أنهما أصرا على الرسول صلى الله عليه وسلم أن يعلن دعوته ليؤذيه الكفار وليقتلوه! ما أتعس هذه العقيدة!..

للسيد ميرن أن يتفوه بما يشاء ولأبيه الفاضل أن يخرج من صدره ما تراكم من الأحقاد كيفا يشاء، لكنهما مهما بلغا فلا يستطيعان أن ينكرا هذه الحقيقة الثابتة على مدى الدهور بأن الشيخين كانا من المهاجرين ومن أصحاب البدر.

وهذا يكفينا فيما نعتقده ونقوله فيهما؛ فبما أنهما من المهاجرين فتثبت لهما جميع الفضائل التي ذكرها الله عز وجل ووهبها بكرمه وفضله للمهاجرين في أماكن عديدة من كلامه المجيد. وبما أنهما من أهل بدر فتشملهم وعود الله وبشائره بالمغفرة لأهل البدر. وهذه البشائر وهذه الوعود الربانية قد أقر بها علماء الإمامية كذلك، والحق ما شهد به الأعداء!

يقول العلامة الكاشاني في تفسيره " خلاصة المنهج" عند قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (الأنفال٦٧):« إذا لم يكن قد سبق حكم الله وتقديره في اللوح المحفوظ أنه لا يعاقب

دون نهي صريح، أو أنه لا يعذب أصحاب البدر».

وكذلك جاء في تفسير "مجمع البيان" للطبرسي أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال:« لعل الله اطلع على أهل بدر فغفر لهم، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم!». وورد في تفسير "خلاصة المنهج":« وعد الله عز وجل أهل بدر بمغفرة من عنده وخاطبهم بخطابه الشفيق الطيب: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم».

فإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أعلن صراحة أن أهل البدر يدخلون الجنة لا محالة، وأن الله عز وجل قد غفر لهم، فهل تبقى بعد هذا شبهة في دخول هؤلاء الصحابة الكبار ولاسيما الخلفاء الثلاثة الجنة ومغفرة الله عز وجل؟!

يا أصحابي الشيعة!..

لا أدري؛ على ماذا يدور مذهبكم؟ وعلى ماذا بنيتم عقائدكم؟ إذا كان أساس مذهبكم كلام الله عز وجل فها هو قد امتلأ بالآيات التي تشهد بفضائل الصحابة الكرام. وإذا كنتم قد بنيتم عقائدكم على أسس من الحديث النبوي الشريف وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فها هي الأحاديث تصف الصحابة وتبين مكانتهم ومقامهم عند الله ورسوله. وإذا كانت ركائز مذهبكم على أقوال الأئمة، فهم كذلك مدحوا الصحابة وأثنوا عليهم وذكروا مناقبهم وتحدثوا عن فضائلهم بالشيء الكثير.

وإذا كنتم قد بنيتم عقائدكم من خلال تفاسيركم وكتبكم، فها هو قد ذكرنا شيئا مما ورد في كتبكم وتفاسيركم في فضل الصحابة الكرام.

والآن قولوا لنا؛ أي نوع من الأدلة تريدون؟ وأي براهين تطلبونها في إثبات فضائل الصحابة لكم؟

الحقيقة؛ لو كان لدى القوم شيء من الإيمان أو الإنصاف لاستمعوا إلى كلام الله عز وجل

وإلى أحاديث الرسول الأمين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وإلى أقوال الأئمة الصالحين، لكن يبدو أن الإيمان والإنصاف قد رحلا عن قلوبهم، فجعلوا إتباع مرشدهم عبد الله بن سبأ نصب أعينهم، ولا يمكنهم أن يتركوا عقائد مرشدهم هذا وتعاليمه مهما كان الثمن!...

آه...، آه...، كم يتأسف المرء، فقد مضى على ذلك اليهودي اللعين ابن سبأ أكثر من ألف عام ومائتي عام، وقد أكل التراب عظامه وأصبح رميما، لكن لم تزل تعاليمه التي نفث بها في صدور شيعته تجري في عروق الشيعة ودمائهم إلى اليوم، وقد حفظها الشيعة عن ظهر الغيب يتوارثونها جيلا بعد جيل، ويتبعونه خطوة بخطوة، ولا يخالفونه. فمهما قدمت لهم من الأدلة والبراهين وتلوت أمامهم من الآيات والأحاديث لن تستطيع أن تحرك ما زرعه مرشدهم في صدورهم وعقولهم، فهم قد أشربوا آراء ذلك اللعين، ولا يريدون أن يتجاوزوها إلى غيرها!

يحرفون أعناق الآيات إلى حيث ما يحلو لهم، ويطعنون في الأحاديث الصريحة الصحيحة بخنجر الوضع، ويردون أقوال الأئمة بسفاهة وخبث، لكنهم لا يتنازلون قيد أنملة عن آراء سيدهم ومرشدهم عبد الله بن سبأ. إذا نظرت إلى أية عقيدة من عقائد الشيعة فسترى أيادي ذلك اللعين بادية عليها، وإذا راجعت أية مسألة في المذهب فسترى صوت ذلك اللعين يهتف هناك، ولنعم ما قيل:

لم تزل شفتي تتأوهان لآلام صدري ولم أزل أجلس على الطريق كما كنت أجلس[1]

الآية السادسة:

قال الله تعالى: " وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِّ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا

---

(١) به لب ز درد آهی که داشتم دارم نشستن سر راهی که داشتم دارم.

أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (الأنفال٧٤)".

أنى لمن يؤمن بهذه الآية القرآنية أن تعتريه أية شبهة في إيمان المهاجرين والأنصار وفي إسلامهم، وأن يشك في أن الله عز وجل قد غفر لهم، وأنه يدخلهم جناته العدن، وذلك لأن الله عز وجل قال بأن الذين هاجروا وتركوا أوطانهم وأموالهم وخلانهم وذويهم، والذين آووا ونصروا النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين الذين خرجوا بأمره صلى الله عليه وسلم، وفتحوا أبوابهم وقلوبهم لهؤلاء واستقبلوهم خير استقبال، فهؤلاء كلهم صادقون في إسلامهم وراسخون في إيمانهم، وأنني قد غفرت لهم وسوف أهبهم رزقا كريما.

من يستطيع الآن بعد هذه الشهادة الربانية أن يشك في إيمان المهاجرين والأنصار، أو ينكر مغفرة الله عز وجل لهم.

ألم يأن لشيعة عبد الله بن سبأ، أن يراجعوا أنفسهم ويفكروا فيما اختاروه لأنفسهم من العقائد؟

كيف يتجرأون أن يطعنوا في أناس قال الله عز وجل فيهم:﴿ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾، وقال عنهم:﴿ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾؟

كيف يحلو لهم أن يرموا بالكفر والارتداد والنفاق من رفع القرآن شأنهم، ومدحهم المولى عز وجل في آيات صريحة في عدة سور قرآنية ﴿... كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ (الكهف٥)؟

وإذا قال أحدهم أن هذه الآية لا تعني من يطعن فيهم الشيعة من الأنصار والمهاجرين، سوف أحيله إلى الصفحة الثانية والخمسون بعد أربعمائة من تفسير "مجمع البيان"، من أشهر التفاسير وأوثقها لدى الإمامية ـ وقد طبع في طهران عام ١٢٧٥هـ ـ إذ جاء فيه ما نصه:« ثم عاد سبحانه إلى ذكر المهاجرين والأنصار ومدحهم والثناء عليهم، فقال:﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا

وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ﴾، أي:صدقوا الله ورسوله وهاجروا من ديارهم وأوطانهم، أي؛ من مكة إلى المدينة. وجاهدوا مع ذلك لإعلاء دين الله. ﴿ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا﴾؛ الذين هاجر النبي وأصحابه إليهم فنصروه، ﴿ أُوْلَئِكَ هُمْ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾؛ أي أولئك الذين حققوا إيمانهم بالهجرة والنصرة».

إذا لم يقر الشيعة بفضل المهاجرين والأنصار ولم يعترفوا بمنقبتهم بعد هذا التفسير الواضح، فلا نجد لهم في ذلك عذرا إلا التعصب الأعمى والضلال المبين.

ويا ليتهم وجدوا آية أو آيتين في القرآن الكريم، تذم المهاجرين والأنصار بتلك الوضوح والصراحة التي نراها في الآيات التي مدحتهم، حتى نلتمس لهم عذرا. لكن للأسف الشديد نحن نقدم لهم أدلة واضحة وبراهين جلية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال الأئمة، ومن كتبهم هم، ثم لا نرى من هؤلاء القوم إلا أنهم يضربون بكل ذلك عرض الحائط، ويتبعون بعض ما افتراه الكذابون والدجالون ويعملون بها، ويتخذونها عقيدة لهم.

وفي الصفحات القادمة سنورد بإذن الله عز وجل كلام الأئمة في هؤلاء الكذابون والدجالون الذين يعتبرهم الشيعة قادة لهم ويتبعونهم حذو القذوة بالقذوة، فقد ثبت أن طرد الأئمة هؤلاء من مجالسهم، ولعنوهم و وصفوهم بالكذب والخداع!

ولقد آن أن ينصفنا التاريخ والناس أجمعين: أ نحن الذين نؤمن بالقرآن الكريم، أم الشيعة؟!

أ نحن الذين نصدق الآيات القرآنية الكريمة ونخضع لها، أم شيعة عبد الله بن سبأ؟!

يا أصحابنا!...

لو افترضنا جدلا ـ من باب فرض الممتنعات ـ؛ أن عقيدتنا في الصحابة الكرام عقيدة باطلة، وأن الحق مع الشيعة، فلو قامت القيامة وتجلى الله عز وجل على عرش عدالته وقسطه

وأراد أن يحاسبنا على عقيدتنا الباطلة، فنحن نقدم إلى جلاله كلامه المجيد، ونقول: يا ربنا إنك إله العدل والقسط، بل يجب العدل عليك ـ بناء على أسس المذهب الشيعي الذي يرى عقيدة العدل من أصول الإيمان ـ، يا ربنا! أنصفنا، فهذا كلامك وقرآنك الذي أنزلته علينا عن طريق رسولك الأمين، وقلت بأنه الكتاب المبين و﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾(فصلت٤٢) وأنه بعيد عن الغموض والعوج وأنك جعلته ﴿ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾، وحفظته من كل تحريف وتبديل.. فقد اتخذنا كتابك نصب أعيننا وآمنا بكل ما فيه.

يا ربنا! إنك قد بينت في كتابك فضائل المهاجرين والأنصار، فلم نجد بدا إلا أن نعتقد فيهم بما قلته حرفا بحرف، ووصفا بوصف، فقد قلت وقولك حق:﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَائِزُونَ﴾ (التوبة٢٠) وأنك قلت:﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُوْلَئِكَ هُمْ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (الأنفال٧٤) ، وأنك قلت فيهم :﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمْ اللهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾(الحج٥٨) ، وغيرها الكثير...

يا ربنا! فتحنا كتابك ولم نجد فيه موضعا واحدا خلى عن ذكر المهاجرين والأنصار، ولم نجد فيه آية تذم بها هؤلاء الناس، بل لم نجد ما يشككنا في فضلهم ومكانتهم. إلهنا وخالقنا، طلبنا من كتابك أن يدلنا على حقيقة أمرهم، فسمعناه يقول﴿ أُوْلَئِكَ هُمْ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا.. ﴾، ولما سألناه عن عاقبة أمرهم ومآلهم قال لنا: ﴿ أُوْلَئِكَ هُمْ الْفَائِزُونَ ﴾. ورأيناك وأنت غني عنهم وعن جميع خلقك، وقد ملأت كتابك بأوصافهم وفضائلهم وقلت فيهم مرة بعد أخرى ﴿ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾، وأكدت علينا أن نتبعهم ونمشي على خطاهم وحرضتنا على محبتهم وأنذرتنا من مخالفتهم، فبعد هذا هل تركت لنا مجالا لنترك محبتهم أو نبغضهم؟!

وماذا كان أمامنا لو لم نؤمن بهم ونعتقد فيهم كل البر والصلاح والخير ولم نتبعهم؟

يا ربنا! إنك لم تخلقنا في زمرة تلك الفئة التي قلت فيهم ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ اللهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمْ الصَّادِقُونَ﴾ (الحشر٨) كما أنك لم تخلقنا فيمن قلت فيهم ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر٩).

إلهنا! فقد خلقتنا على أثرهم وقلت فينا قبل أن تخلقنا :﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (الحشر١٠) ، فكيف لنا ألا نحب هؤلاء الذين سبقونا بالإيمان؟ وكيف يمكننا أن نعاديهم أو نبغضهم؟

إلهنا! هذا هو كتابك الذي قلت فيه ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر٩) بيننا، وعلى أساس هذا الذي وعدتنا بحفظه ، لم نتجرأ أن نشك في كتابك واعتبرناه بعيدا عن أيدي التحريف وأيقنا وآمنا بما فيه.

إلهنا وخالقنا! إن كانت هذه الآيات التي نستشهد بها في قرآنك ومن كلامك فما ذنبنا؟ فقد آمنا بصدق من صدقته وبإيمان من أقررت إيمانه، وبصلاح من اعتبرته صالحا، وأحببناهم فيك.

أجل، إن كان لهذه الآيات ولهذه العبارات الصريحة معنى آخر لا يفهمه أي إنسان آخر، فلا ذنب لنا كذلك، فقد وجدنا كتابك واضحا جليا تبيانا لكل شيء، ولم نكن نظن أنه كان مجموعة من الألغاز؟!

لا يمكن أن يخطر ببال أحد من العقلاء أن الله عز وجل سوف يعاقبنا بعد هذا الجواب

الشافي! فلن يغضب الله علينا ولن يفصلنا من قائمة من آمنوا بكتابه حق إيمان وصدقوه. ولا شك بأنه سوف ينجينا من عقابه ويهب لنا من مغفرته ورزقه الكريم ما تقر به عيوننا وما نسعد به في جنانه الخلد.

يا أصحابنا!..

فقد استمعتم إلى جوابنا، وآن لكم أن تفكروا فيما سوف تجيبون به ربكم. فلو كانت عقيدتكم في باب الصحابة باطلة ماذا سيكون جوابكم يوم توضع الموازين، يوم﴿ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (الشعراء٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَّ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (الشعراء٨٩)؟!

أجل، لن يكون أمامكم أي جواب إلا أن تقولوا: يا ربنا! لم نركن إلى كتابك، ولم نتبعه لأننا وجدنا أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم لعبوا فيه، وغيروا حروفه وحرفوا حدوده، وزادوا فيه ونقصوا منه، فلم يبق على ما كنت قد أنزلته عليه، وكان كتابك الحق عند الإمام الغائب، ولم يكن باستطاعتنا أن نطلع عليه، ولم نجد للإمام أثرا لنبحث عنه أو نسأله.

فيا ربنا! كيف كان لنا أن نعمل على هذا المصحف العثماني؟ ما كان لنا أن نصدق مثل هذا القرآن الذي ما كنا نرتاح لرؤيته، فكيف بتصديقه أو حفظه؟ وما كنا نتلوه، بل كنا ندعوا دوما أن يخرج الإمام الغائب من غاره ويطلعنا على ما عنده من القرآن الحق.

إلهنا! فما ذنبنا بعد هذا؟ فقد أخفيت الإمام الغائب عن العيون، ولم تترك لنا أثرا عنه. وقد تضرعنا كثيرا ودعونا لكن الإمام لم يرد علينا. أرسلنا مئات الرسائل عن طريق الخضر وإلياس في البحر، ولكن الإمام لم يلتفت إلى واحدة منها، ولم يرد عليها أبدا. سألنا علمائنا العظام ومجتهدينا الكرام فلم يكن منهم إلا أن قالوا: انتظروا وادعوا الله له بالظهور، فلم يحن وقت ظهوره بعد!...

إلهنا! فقد انتظرنا طويلا، لكنه لم يظهر في حياتنا، بل لم نسمع له عن أي خبر... أدركنا

الموت ولم ندرك الإمام الغائب!...

فقد قطعنا في سبيله الصحاري والفيافي، فقد خرجنا من الهند ومن إيران وسائر بلاد العالم ـ إلى مكان غيبته العالية ـ في العراق ـ حفاة على الأقدام، لكننا لم نحظ برؤية وجهه الكريم المنير. إلهنا! ماذا كان عسانا أن نفعل دون الإمام؟ كيف كنا نهتدي من دونه؟

أجل، آمنا بكل ما قاله عنه من سبق أن رآه، وصدقناهم فيما قالوه، ولم نخالفهم قيد أنملة أبدا...

ولكن لعل الله عز وجل سوف يرد عليكم بعد أن يسمع كلامكم:

يا أيها الأشقياء! أنا قد وعدتكم أني أحفظ كلامي من كل تحريف وتبديل، ألم أقل لكم ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر٩)؟ من كان يستطيع أن يغلبني ويحرف كلامي أو يغيره بعد هذا؟ ومن الذي أخبركم بأن كلامي قد حرف وغير؟

ولعلكم سوف تجيبون وتقولون:

فقد أخبرنا بذلك "زرارة" و"شيطان الطاق" و "أبو بصير" و"ابن أبي يعفور" وغيرهم من أصحاب الأئمة. فقد قال لنا هؤلاء أن القرآن قد حرف وبدل وغير.

عند ذلك سوف يرد عليكم القهار الجبار جل علاه:

يا أيها الأشقياء، أ أنا كنت صادقا أم زراة؟ أ كان رسولي الأمين صادقا أم شيطان الطاق؟

ولا أدري ماذا سيكون جوابكم؟ لابد وأنكم سوف تعترفون بالجريمة ناكثي رؤوسكم، وسوف يحكم عليكم﴿ فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾(الملك١١).

الآية السابعة:

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ * إِلَّا تَنفِرُوا

يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ *﴾ (التوبة ٤٠ ـ ٣٨).

فقد تحدثت الآيات السابقة التي سردناها عن فضائل المهاجرين والأنصار عامة. لكن هذه الآية التي أوردناها فهي خاصة في مدح سيدنا أبي بكر رضي الله عنه، وفي بيان مكانته وفضله.

والآن نشير إلى مناقبه في ضوء هذه الآية:

لم يمر من عودة الرسول صلى الله عليه وسلم من غزوة الطائف إلى المدينة بضعة أيام، إلا وهو أظهر رغبته في غزو بلاد الروم. وقد صعب هذا الأمر على كثير من الناس، وذلك لأن الجو كان حارا، وكان السفر بعيدا وشاقا. كما كان أيام جني ثمار النخيل، زد على ذلك هيبة الروم وما تركه من الخوف في قلوب كثير من الناس. فأنزل الله هذه الآية يرغب المؤمنين إلى الجهاد في سبيله ويحرضهم على طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، وعدم الركون إلى الحياة الدنيا، فقال تعالى :﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (التوبة: ٣٨)، فبين تعالى حقارة الدنيا وضئالتها للمؤمنين ورغبتهم في الجهاد، ثم قال﴿ إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (التوبة: ٣٩)، فإذا انتكستم ورغبتم عن الجهاد فالله غني عنكم، وهو قادر أن يبعث قوما آخرين ويرزقهم شرف الجهاد في سبيله، واعلموا بأنكم إذا رغبتم عن نصرة الله ورسوله فلن تضروا الله ولا رسوله، فالله غني عنكم، واعلموا ﴿ إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ ... ﴾، أي؛ إذا لم تنصروا

النبي صلى الله عليه وسلم، فلا حاجة له بنصرتكم إياه، لأن الله هو ناصره ومعينه، وقد سبق أن أظهر الله نصره إياه في صورة رائعة ﴿ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ ...﴾، فمن سانده يومئذ؟ أي جيش أو جماعة وقفوا بجواره في تلك المحنة؟ لم يرافقه يومذاك إلا صاحبه الذي ظل بجواره يحميه ويسانده في الغار. وقد وصل الكفار إلى الغار، ولم يكن بينهم وبين القضاء على الرسول شيء، فاضطرب من ذلك صاحبه، وخاف عليه وحزن على ما قد يصيب صاحب الرسالة من أذى الكفار، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك الموقف الحرج الشديد الذي يزلزل الشجعان ويقلع قلوب الأبطال من صدورهم كالصخرة الصماء صامدا لا يخيفه شيء، وقال لصاحبه بلهجة الواثق بعون الله عز وجل يسليه ويزيل عنه حزنه ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَّ مَعَنَا ﴾، وقد أنزل الله ـ بناء على كلام حبيبه ورسوله ـ سكينة على قلب صاحبه وأزال عنه كل الخوف والحزن، ﴿ فَأَنزَلَ اللهُّ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ﴾!

وبعد هذا الموقف الشديد، كان هناك موقف آخر يشيب لهولها الولدان في غزوة بدر، وقد أرسلت جيوشا تقف بجوار رسولي، ولم تكن عيونكم قادرة على رؤيتها ﴿ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا ﴾، وهكذا وضعت خطط الكفار وكلامهم وعقائدهم تحت النعال، وجعلت رآية الحق ترفرف على العالمين ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهَّ هِيَ الْعُلْيَا وَاللهُّ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

فقد اتفق المفسرون من الشيعة والسنة على أن قوله تعالى: ﴿ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَّ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللهُّ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ .... ﴾ يحكي حادثة الهجرة النبوية الشريفة، كما أنهم اتفقوا جميعا أن قوله تعالى ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ ﴾ يعني؛ أبابكر الصديق رضي الله عنه.

والكل يعترف بأن الهجرة كانت أمرا في غاية الصعوبة والشدة والخطر، وكانت محنة

قاسية، فيها من المصائب ما كانت فيها!

ولا شك أن من يرافق الرسول صلى الله عليه وسلم في تلك المحنة القاسية، وفي تلك المصائب الشديدة لابد وأن يكون من المقربين إليه، ومن أصحاب المكانة العالية والرتب الجليلة، وأن يكون أقرب من غيره إلى قلب الرسول صلى الله عليه وسلم، وأعز منهم إليه.

وكذلك لا أحد يستطيع أن ينكر أو يناقش في أن أبابكر الصديق رضي الله عنه كان من لحظة الخروج من مكة إلى ساعة وصول المدينة يرافق الرسول صلى الله عليه وسلم كالظل، وقد كان بجواره في الغار لا محالة.

فأين موطن الخلاف؟

الخلاف بيننا وبين الشيعة في أننا نعتبر صحبة الصديق رضي الله عنه للرسول الأمين صلى الله عليه وسلم صورة رائعة من التضحية والإيمان والإخلاص والتفاني، وبذلك نعده أفضل المهاجرين بعد الرسول صلى الله عليه وسلم ...، في حين أن الشيعة يعتبرون كل هذه التضحيات والصبر والثبات صورة من صور النفاق، ويعدون ـ معاذ الله ـ ذلك المؤمن المثالي الذي بلغ في الإيمان قمته منافقا خداعا.

فمن هنا وجب أن ندرس فضائل سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه في ضوء هذه الآية الكريمة، ثم نتطرق إلى شبهات الشيعة واحدة تلو أخرى:

بيان عشر فضائل للصديق رضي الله عنه في ظلال هذه الآية...

هذه الآية الكريمة تضع البصمة على عدد كبير من الفضائل والمناقب لسيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه، نشير إلى بعض منها:

الأول:

يوم أن اتفقت كلمة أهل مكة على قتل الرسول صلى الله عليه وسلم، وأبلغ الله جل شأنه رسوله بالمؤامرة الظالمة والدسيسة الرخيصة التي دبرها الكفار وأذن له بالهجرة. أبلغ الرسول صلى الله عليه وسلم أبابكر بأمر الله عز وجل في رفقته وصحبته إياه. (ومن مقتضى العقل أن يختار المرء لصحبته في مثل هذا السفر الهام والخطير من يثق بإيمانه وإخلاصه وحبه وشجاعته ورجحان عقله، ليعتمد عليه اعتمادا كاملا): فمن هنا يثبت لنا بأن أبابكر الصديق رضي الله عنه كان عند الله ورسوله على درجه الكمال في هذه الصفات التي ذكرناها، لو لا ذلك لما اختاره الله عز وجل لصحبة رسوله ولما رافقه الرسول صلى الله عليه وسلم في هجرته هذه.

الثاني:

لم يكن الصديق رضي الله عنه على استعداد تام ليفدي الرسول صلى الله عليه وسلم بماله ونفسه، لما طار فرحا لصحبة الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا السفر المخيف الذي قد يفقده حياته، وكان بإمكانه أن يعتذر عن المشاركة أو المرافقة بألف حيلة وحيلة، وينجي نفسه من هذا الخطر الجسيم.

الثالث:

صورة الهجرة من لحظة الخروج من بيت أبي بكر إلى الوصول إلى المدينة المنورة وما قام به ابوبكر طوال هذا السفر من حسن الصحبة والرفقة صورة تتجلى فيها كل معاني التضحية والفداء، وتكشف أن الصديق بلغ مع الرسول صلى الله عليه وسلم رتبة العاشق الولهان، فكان يصون الرسول صلى الله عليه وسلم ويحميه بكل ما يملك. فما أهون المال والنفس والعرض عنده في سبيل الرسول صلى الله عليه وسلم!

الرابع:

لم تجتمع في أحد من صحابة الرسول صلىالله عليه وسلم كل تلك السمات والأوصاف

التي ينبغي وجودها فيمن يرافق الرسول صلى الله عليه وسلم في مثل هذا السفر إلا في أبي بكر، فاكتفى به الرسول صلى الله عليه وسلم وحده، بل لم يكتف بأن يجعله مرافق هجرته فحسب بل شرفه بأن يكون صاحبه في الغار. ومن هنا يتضح أن أبابكر الصديق رضي الله عنه كان أفضل الصحابة في الأوصاف الكمالية.

الخامس:

فقد رضي الله عز وجل عن موقف الصديق رضي الله عنه في هذا السفر أشد الرضى إلى درجة أن جعله مثالا ونموذجا ليحتذى به، وقد ذكره الله عز وجل في هذه الآية في أسلوب يرغب كل من يسمعه إلى الإقتداء به وإلى تقديم مثل هذه الصور من التضحيات. ولو لم تكن خدمة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وصحبته ورفقته للرسول صلى الله عليه وسلم على هذا المستوى الراقي وعلى هذه الدرجة العالية من الكمال، ما كان القرآن يضعه في موضع الإقتداء والترغيب.

السادس:

فقد أظهر الله في كلمة " ثَانِيَ اثْنَيْنِ " لكل ذي بصيرة وعقل سليم أن أبابكر في الرتبة الثانية بعد الرسول صلى الله عليه وسلم في المناصب الدينية.

السابع:

فقد وصف الله عز وجل أبابكر الصديق رضي الله عنه بكلمة " لِصَاحِبِهِ "، وبذلك أثبت له صفة "الصحبة"، ورتبة "كونه صحابي الرسول صلى الله عليه وسلم"بصورة لم يثبتها لأحد من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم بتاتا. وبذلك يعد إنكار صحبة أبي بكر للرسول صلى الله عليه وسلم، وإنكار كونه صحابيا إنكارا للنص القرآني. (وقد اعتبر علماء الأمة ذلك كفرا).

الثامن:

يبدوا لكل ذي قلب سليم أن عبارة ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَّ مَعَنَا ﴾ تشير إلى؛ أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يحب أبابكر الصديق رضي الله عنه حبا جما، ولم يكن يصبر على حزنه فكان يسليه ويرفع عنه مشاعر الحزن والتوتر، وقد شاركه في المعية الإلهية وفي الحفظ والنصرة الربانية له. ومن هنا ثبت بأن الله عز وجل كما حفظ ونصر رسوله ـ في المعية التي شرف بها رسوله ـ كذلك حفظ ونصر صاحب رسوله صلى الله عليه وسلم في الغار ـ وقد أشركه في شرف المعية الإلهية ـ، و "المعية الربانية" رتبة ودرجة لا يرتقي إليها إلا المتقون والأبرار. كما في في قوله تعالى: " إِنَّ اللهَّ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (النحل١٢٨) "، وعلى هذا فقد كان أبوبكر من المتقين والمحسنين، لا محالة.

التاسع:

فقد أنزل الله عز وجل سكينته على أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ولا ينزل الله عز وجل سكينته إلاّ على من بلغ في الإسلام مبلغا وارتقى في الإيمان درجات عالية حتى يستحق ما قاله الله عز وجل في الصديق رضي الله عنه﴿ فَأَنزَلَ اللهُّ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ﴾.

العاشر:

إذا تمعنا في الآية وفكرنا في مدلولاتها وتدبرنا في معانيها يظهر لنا وجوه عديدة من الفضائل الجليلة لسيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

أنظر إلى هذه الآيات؛ فإنها نزلت لترغيب المؤمنين إلى الجهاد ولتهديد من يطغى عليه الصفات البشرية العامة فيتكاسل عن الجهاد ويركن إلى الملذات والراحة فجاءت فيها:

أولا: تحقير الحياة الدنيا وزينتها. ثم؛ الوعيد بالعذاب وأنكم إذا تكاسلتم ولم تنصروا رسول الله فيسهلككم الله ويأتي بقوم آخرين﴿ إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا

غَيْرَكُمْ﴾. ثم؛ بين غناه عنهم وعدم حاجة الرسول صلى الله عليه وسلم لهم، وفي حديثه عن غناه عنهم وعدم حاجته إليهم، ضرب لهم مثالا بحكاية أبي بكر الصديق ومرافقته لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وبين شدة حبه له وتفانيه في الصحبة والمرافقة. ولو نظر أحدنا في هذا المعنى الجليل سيتضح له صديقية أبي بكر وكمال صحبته في أبهى صورها كما يتجلى له صور من مناقبه وفضائله، وأن مقامه العالي تكاد تفوق القياس والخيال.

كفاك أن نصرة أبي بكر رضي الله عنه للرسول الأمين صلى الله عليه وسلم بلغت عند الله عز وجل مبلغا ومنزلة ذكره المولى عز وجل كمثال لترغيب الآخرين وتهديدهم وترهيبهم من خلال الوحي السماوي ليتلى إلى يوم القيامة ولتكون للبشرية مثالا يحتذى به.

هذه غيض من فيض ما يمكن أن نستخرجه من هذه الآيات في بيان فضائل الصديق رضي الله عنه.

والآن، آن لنا أن نذكر شبهات الشيعة ونراجعها في ضوء النصوص الثابتة والعقل السليم. وإن كانت شبهاتهم بذيئة ركيكة تصرخ ببطلانها من عند نفسها، ومعالجتها وردها أشبه ما يكون بسرد الأدلة والبراهين لمن ينكر الشمس في رابعة النهار، لكن ماذا عساي أن أصنع، فالحال كما قاله خاتم المحدثين الشيخ الشاه عبد العزيز الدهلوي رحمه الله في كتابه " التحفة الإثنا عشرية":« وبما أنه وضع بناء الكلام على أصول جماعة من الناس، فيضطر المرء أن يترك اللجام في أيديهم ليجروه إلى حيث ما يشاءون وليلونوه حيث ما يحلو لهم»!

رجائي الوحيد من أهل البصيرة والعقل السليم أن ينظروا في شبهات الشيعة بعين الإنصاف، ليروا تعصب علمائهم وعناد مجتهديهم، فقد بلغ عداوتهم لأولياء الله وأحباء رسوله مبلغا، وقد ستر عقولهم حجاب التعنت وغشي قلوبهم ظلمات التعصب، فلا يكادون يفقهون حديثا، فتراهم ينكرون النصوص الصريحة ويلجئون إلى التأويلات الركيكة والتفلسفات

المضحكة لإنكار فضيلة أفضل صحابة الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم.

وها أنا أشرع في بيان هفواتهم وزلاتهم:

مآخذ الشيعة وشبهاتهم على هذه الآية:

نرتب شبهات القوم على نفس الترتيب الذي قدمنا فيه فضائل الصحابة لتسهل المقارنة بين كل فضيلة والشبهة التي أثيرت حولها.

١- الشبهة الأولى على المنقبة الأولى:

سبق أن بينا في حديثنا عن المنقبة الأولى أن النبي صلى الله عليه وسلم اختار الصديق رضي الله عنه بأمر من الله عز وجل ليرافقه ويصاحبه في رحلة الهجرة.

يزعم الشيعة أن هذه الصحبة وهذه المرافقة لم تتم بحكم من الله عز وجل ولا بطيب صدر من الرسول صلى الله عليه وسلم، وإنما خرج أبوبكر يرافق الرسول صلى الله عليه وسلم في هجرته دون رضاه، ودون أمر من الله سبحانه وتعالى. يقول قبلة الشيعة ومجتهدهم الأعظم مولوي دلدار علي في كتابه "ذوالفقار"[(١)]:« لا يجوز الاحتجاج بهذه الآية إلا إذا ثبت أن أبابكر صاحب الرسول صلى الله عليه وسلم بأمر منه صلى الله عليه وسلم. والشيعة لا يقبل ذلك»! وكذلك قال أكثر من مرة قاضي نور الله الشوستري في "مجالس المؤمنين"، وسائر رسائله، وكما ذكره في "منتهى الكلام":« أن القاضي نور الله الشوستري أورد في كتابه "مجالس المؤمنين" ورسائل أخرى له بأن أبابكر كان من المنافقين، وخلافا لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم وقف على طريقه، فزجره النبي صلى الله عليه وسلم زجرا شديدا ثم أخذه معه لئلا يدل الكفار عليه».

ويكتب أحد سادات القوم في الرسالة الشهيرة بـ "مواعظ الحسينية": « لما قطع الرسول

---

(١) ذوالفقار، ص/ ٥٧، ط/ لدهيانة، ١٢٨١هـ.

صلى الله عليه وسلم شوطا من الطريق، رأى رجلا قادما إليه، فتوقف الرسول صلى الله عليه وسلم، ولما اقترب الرجل تبين أنه أبوبكر، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: يا أبابكر! ألم أبلغكم أمر الله ألا يخرج أحد من بيته؟! لماذا خالفت أمر الله عز وجل؟! قال: يا رسول الله ! كنت خائفا عليك، فلم استطع البقاء في بيتي. فتحير الرسول صلى الله عليه وسلم من هذا الموقف، إذ لم يكن من أمر الله عز وجل أن يصحب معه أحدا في هذا السفر، ففي هذه اللحظة نزل جبريل وقال للرسول صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، قسما بالله لو تترك هذا الرجل ولم تأخذه معك سيدل الكفار عليك، وسيتبعك معهم ويقتلك. فاضطر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يصحب أبابكر معه ويدخله الغار».

خلاصة ما يقوله علماء الشيعة هو: أن أبابكر الصديق رضي الله عنه خرج من بيته يسعى لإفساد الهجرة وليدل الكفار على مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقبضوا عليه، فوقف على طريق الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد زجره الرسول زجرا شديدا، وأمره بالعودة لكنه لم يمتثل لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان يريد إيذاء الرسول صلى الله عليه وسلم. وفي النهاية اضطر الرسول صلى الله عليه وسلم بعد استشارة جبريل أن يصحبه لئلا يدل الكفار عليه ولئلا يقع الرسول صلى الله عليه وسلم في أسر الكفار.

وإن كنا نرى بأن هذه الخزعبلات تصرخ من عندها أنها خرجت من قلوب امتلأت حقدا وضغينة، وهي تسعى في انكار البديهيات، وكذبها واضح من ركاكة ألفاظها ومعانيها، ولا حاجة إلى الخوض في الرد على ما يظهر كذبه من بين سطوره، لكننا نذكر بعض الأمور لنكشف عن سفاهة هذه الشبهة الرخيصة التي تزعم بأن أبابكر الصديق كان يسعى في تسليم الرسول صلى الله عليه وسلم للكفار ، ولم يكن يريد إلا إيذاء الرسول والنيل منه والفتك به!

الأول: دعونا نسأل: هل كان أبوبكر الصديق رضي الله عنه في هذا الوقت صديقا

للرسول صلى الله عليه وسلم أم عدوا له؟

فإذا قلتم : إنه كان صديقه، فما معنى إرادته إيذاء الرسول صلى الله عليه وسلم، والكشف عنه ليتم القبض عليه؟! وإذا قلتم أنه كان عدوا له فلماذا لم يذهب إلى بيت الرسول صلى الله عليه وسلم للنيل منه كما فعل أبوجهل وغيره من أعداء الرسول صلى الله عليه وسلم حيث قصدوا بيته وأرادوا قتله؟!

الثاني: ودعوني أسألكم: أ كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أخبر أبابكر الصديق رضي الله عنه بهذا السر الخطير ـ أي أنه سيخرج مهاجرا إلى المدينة، وسينطلق في الوقت الفلاني، وسيكون مصيره إلى غار الثور أولا ـ أم لا؟

إذا قلتم: أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يخبره بشيء من ذلك فيطرح السؤال نفسه: إذن كيف اطلع أبوبكر على السر واستطاع أن يقف في طريق الرسول صلى الله عليه وسلم في الموعد المعين ليسد طريقه؟ وإذا قلتم بأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أخبره بذلك فسوف أتساءل: أ كان الرسول صلى الله عليه وسلم يريده لصحبته ومرافقته أم لا؟ إذا قلتم أنه لم يكن يريده للمصاحبة، فلماذا أفشى الرسول صلى الله عليه وسلم هذا السر الإلهي الخطير لأبي بكر؟ وإذا قلتم: كان يريده لصحبته؛ فلماذا إذن هذه الافتراءات وهذه القصص والأساطير التي اصطنعتموها؟!

الثالث: إذا افترضنا بأن أبابكر الصديق خرج ينوي قتل الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد كان مصمما على هذه النية الخبيثة، إلى درجة أن خاف جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل مباشرة من سدرة المنتهى ليشير إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بأخذ ابي بكر معه لئلا يدل الكفار على مسير الرسول صلى الله عليه وسلم، ولئلا يتسبب في قتل المصطفى صلى الله عليه وسلم...

والآن نسأل القوم: هل كان أبوبكر في هذا الوقت وحده أم أنه خرج في رفقة غيره من الكفار، وهل كان مدججا بالسلاح أم لا؟ لم يقل أحد من الشيعة بأن أحدا من الكفار كان يرافق أبابكر في هذا الموقف، إذن فقد خرج أبوبكر وحده (!) فهل يعقل أن يخرج أبوبكر وحيدا دون أن يرافقه أحد من جماعته من الكفار ودون أن يأخذ معه شيئا من الأسلحة ليسد الطريق أمام الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو يعرف شجاعة المصطفى صلى الله عليه وسلم وبسالته وقوته.

وإذا قلتم بأنه لم يخرج إلا للاستطلاع، كما يظهر من قول جبريل عندما قال:" إذا لم تأخذه معك، سيصحب الكفار وسيأتي وراءك"، فسوف اسألكم: هل كان الكفار بعيدين من المكان الذي إلتقى فيه أبوبكر بالرسول صلى الله عليه وسلم، حتى يحتاج أبوبكر لإرسال رسول يبلغهم خبر الرسول صلى الله عليه وسلم، أم كانوا قريبين يمكنه أن يناديهم؟ إذا كانوا على مقربة منهما فلماذا لم يصرخ أبوبكر ولم ينادهم، ووقف صامتا؟ وإذا كانوا بعيدين فلماذا لم يجر إلى أصحابه ليخبرهم خبر الرسول صلى الله عليه وسلم؟

وأعجب من هذا موقف جبريل الذي أشار للرسول صلى الله عليه وسلم أن يصحب معه هذا العدو اللدود الشرس! ألم يكن أنسب لجبريل بدل أن يشير إلى النبي صلى الله عليه وسلم بوضع الثعبان في كمه أن يشير إليه بأن ينتظر قليلا حتى يذهب العدو لينادي أصحابه ثم هو يستغل فترة غيابه وينتقل إلى الغار مباشرة؟

لا شك ـ كما يزعم القوم ـ بأن جبريل أفقد صوابه من هول هذا الموقف الحرج فأشار إلى النبي صلى الله عليه وسلم خائفا وجلا بهذا الرأي الخطير " أن يصحب معه عدوا بهذه الشراسة وبهذا الخطر"، ولم يسعفه رأي سديد في إخراج الرسول صلى الله عليه وسلم، من هذه الورطة وفي نجاته من هذا الموقف الخطير؟!

الرابع: والأعجب من كل هذا وذاك؛ موقف أبي بكر رضي الله عنه ، فيما يزعم الشيعة: كيف أنه استمع لمشورة النبي صلى الله عليه وسلم ورافقه في السفر، وكان قد خرج لقتله والقضاء عليه، ثم إنه جلس بجوار الرسول صلى الله عليه وسلم صامتا في غار الثور، ولم يفكر في حيلة يقضي بها على خصمه؟!

افترض معي لو كان شخص آخر من الكفار كأبي جهل مثلا في ذلك الموقف، أي؛ خرج في تلك الليلة يريد قتل الرسول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم فوجده في طريقه ماذا كان يصنع؟ هل كان يقف صامتا خاضعا يسمح للموقف أن يتحكم عليه، ولا يفكر في حركة أو حيلة للقضاء على خصمه، كما صنع أبوبكر؟!

لو كان العقل يقبل حدوث مثل هذا الموقف من كافر آخر، ينبغي لنا أن نصدق شيعة عبد الله بن سبأ فيما يفترون به من الأوهام على مقام سيدنا أبي بكر رضي الله عنه.

يستغرب العقل السليم من عقول شيعة ابن سبأ، كيف ختم الشيطان عليها، وكيف غلبها اتباع الأهواء الجانحة فأصبحوا لا يدركون الواقع؛ ألا يفهمون بأن الهجرة جاءت وقد اجتمعت كلمة الكفار جملة واحدة على قتل سيد البشر وهادي الدين والدنيا صلى الله عليه وسلم، وأنهم جميعا خرجوا في مؤامرة خطيرة للقضاء على الرسول صلى الله عليه وسلم فهجموا على بيته وقد خرج الرسول صلى الله عليه وسلم من بيته وهم لا يشعرون به، وكان الكفار قد أيقنوا بوجوده في بيته وعلى فراشه، أي بمقاييس البشر كان الموت يحيط بالرسول صلى الله عليه وسلم من كل جانب، فيخرج في هذا الموقف الخطير الذي لا يحسد عليه إنسان مهما بلغ من الشأن، رجل من أصحابه ليفديه بنفسه ويرافقه في هذا الخطر الذي لا يبقي للمرء صديقا ولا قريبا، ثم يأتي هؤلاء القوم فيتجرأون على هذا الرجل المؤمن ويلفقون عليه الأساطير والأوهام التي نفث فيهم الشيطان، ويعتبرونه عدوا شرسا للمصطفى صلى الله عليه

وسلم!

لو لم يكن هذا الرجل صاحبا مخلصا للرسول صلى الله عليه وسلم، ولو لم يكن قد خرج طائعا مختارا يبتغي وجه الله ورضاه، لا شك أنه كان يلحق بالفئة التي خرجت تفتك بالرسول صلى الله عليه وسلم في بيته، لا أن يخرج وحيدا للقاء الرسول صلى الله عليه وسلم ثم يرافقه!

هذه التي سردناها كانت بعض الأدلة العقلية التي يمكن أن نناقش بها القوم في أساطيرهم وأوهامهم هذه، والآن ننتقل إلى سرد بعض الأدلة النقلية التي وردت في الكتب المعتبرة والمراجع والمصادر الهامة لدى الإمامية أنفسهم، لنكشف عن سوءة هذه الأوهام الرخيصة، ولنثبت أن صحبة الصديق رضي الله عنه للمصطفى في هذه الرحلة كانت بأمر من الله عز وجل، وبرغبة الرسول صلى الله عليه وسلم وطلبه. ويا ليتهم يفتحوا آذانهم ويصغوا إلى ما قاله علمائهم ومجتهديهم.

يقول العلامة فتح الله الكاشاني الذي يعتبر علما من أعلام الشيعة في تفسيره "خلاصة المنهج": « ثم جعل الرسول صلى الله عليه وسلم أمير المؤمنين عليا يبيت على فراشه، ثم لحق أبابكر في بيته، وخرج برفقته في نفس الليلة إلى الغار».

والآن ينبغي للسادة الإمامية ـ الشيعة ـ أن يصغوا إلى كلام مفسرهم هذا ثم يقارنوه بما تفوه به القاضي الشوستري عندما زعم :« كان أبوبكر من المنافقين، ووقف في طريق الرسول صلى الله عليه وسلم خلافا لأمره، فزجره الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم اضطر أن يصحبه معه»، ثم يحكموا هم بأنفسهم أيهما صادق وأيهما كاذب؟!

وإذا بقي في صدور السادة الشيعة شيء، ولم تطمئن قلوبهم لهذه الرواية فليسمعوا إلى رواية أخرى. وليست هي في هذه المرة مقولة تنسب إلى أحد علمائهم أو مجتهديهم، وإنما حديث ثابت عن الإمام الحادي عشر:

فقد جاء في تفسير الإمام الحسن العسكري، في سورة البقرة:« قال جبريل للرسول صلى الله عليه وسلم: يبلغك الله السلام، ويقول لك: فقد دبر أبو جهل وسائر قادة القوم مكيدة للقضاء عليك، ويسعون في قتلك، أترك عليا في مكانك ليفديك بنفسه كما فعل إسماعيل عليه السلام، وخذ أبابكر معك ليرافقك في السفر، فإنه إن آنسك في السفر وثبت في عهده سيكون رفيقك في الجنة، وسيكون من خاصتك في غرف الجنة العالية. فأخبر الرسول صلى الله عليه وسلم عليا بذلك، واستعد علي للفداء، ثم قال لأبي بكر: يا أبابكر، هل ترضى أن تكون رفيقي في هذا السفر، ليبحث الكفار عنك ويسعوا في قتلك بحثهم عني وسعيهم في قتلي، وليتحدث الناس أنك ساندتني في هذا الأمر ويلحقوا بك ألوان المحن لمصاحبتك لي. فقال أبوبكر: يا رسول الله ! ليلحقني من العذاب ألوان ومن المحن ما أبقى فيها إلى يوم القيامة في سبيلك، أحب إلي من أن أقطع صحبتك! فداك أبي وأمي ونفسي وروحي ومالي يا رسول الله، إن مرافقتك أحب إلي من الدنيا وما فيها...

(يا عزيزي ويا حبيبي! سأظل أقبل بشفتي خيالي ما بقيت... أرضا وطئتها بقدميك!)[(١)]

... وكان جواب الرسول صلى الله عليه وسلم أمام هذه الكلمات التي تفوح إخلاصا ومحبة وشوقا أن قال: إذا وافق قلبك لسانك فلا شك في أن الله سيجعلك بمثابة سمعي وبصري وستكون لي بمثابة الرأس من الجسد والروح من الجسم»[(٢)].

---

(١) كف پا بهر زمينى كه رسد تو نازنين را .... به لب خيال بوسم همه عمر آن زمين را.

(٢) لو أننا نكتفي بما أوردناه من معنى النص قد يتهمنا البعض بالتحريف في النص، وإليك نص العبارة كما ورد في "منتهى الكلام":« إن الله تعالى أوحى إليه: يا محمد! إن العلي الأعلى يقرأ عليك السلام ويقول لك: إن أبا جهل والملأ من قريش قد دبروا عليك قتلك. إلى أن قال: وأمرك أن تستصحب أبابكر فإنه إن آنسك وساعدك ووازرك وثبت على تعاهدك وتعافدك كان في الجنة من رفقائك وفي غرفاتها من خلصائك. إلى أن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر: أ رضيت أن تكون معي يا أبابكر تطلب كما أطلب،

ولا أدري بعد هذه الرواية كيف استطاع هذا الافتراء الرخيص وهذا الهذيان الذي زعم "بأن أبابكر خرج دون إذن الرسول صلى الله عليه وسلم، وأراد أن يسد الطريق أمامه" أن يجري على ألسنة الشيعة؟! فها هو الإمام الحسن العسكري الذي يعتبره الشيعة إمامهم الحادي عشر (ويزعمون فيه من الصفات والمراتب ما تفوق بها الرسول المعصوم، ويقولون بوجوب طاعته) يصرح بأن الرسول صلى الله عليه وسلم بحكم من الله عز وجل وبأمر من السماء جعل أبابكر يرافقه في هذه الرحلة.

أنظروا إلى الحوار الذي دار بين الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبوبكر في هذه الرواية ـ وإن كان القلم فيها بيد الخصم ـ وتمعنوا فيه ليظهر لكم مدى حب أبي بكر وعشقه ومحبته للرسول صلى الله عليه وسلم، ومدى حب الرسول صلى الله عليه وسلم له إذ جعله بمثابة سمعه وبصره وجسمه وروحه.

ومن الطرائف واللطائف الجميلة أن الشيخ حيدر علي[1] رحمه الله أخذ هذه الرواية من تفسير الإمام الحسن العسكري وبعث بها إلى سبحان علي خان. والأخير لما قرأ الرواية كاد يفقد صوابه! وحق له ذلك! فقد رأى بأم عينه أن الإمام أقر بمعية الصديق بوحي من السماء،

وتعرف بأنك أنت الذي تحملني على ما ادعيه فتحمل على أنواع العذاب؟ قال أبوبكر: يا رسول الله، أما أنا لو عشت عمر الدنيا أعذب جميعا أشد عذاب لا ينزل علي موت مريح ولا فرح، وكان ذلك في محبتك لكان ذلك إلى أن أتنعم فيها وأنا مالك لجميع مماليك ملوكها في مخالفتك، وهل أنا ومالي وولدي إلاّ فدائك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا جرم أن اطلع الله على قلبك ووجد ما فيه موافقا لما جرى على لسانك فجعلك مني بمنزلة السمع والبصر والرأس من الجسد وبمنزلة الروح من البدن كعلي الذي هو مني كذلك، وعلي فوق ذلك لزيادة فضائله وشرف خصاله. يا أبابكر إن من عبد الله ثم لم ينكث ولم يغير ولم يحسد من فدا بأنه الله بالتفصيل وهو معنا في الرفيق الأعلى». انتهى بلفظه.

(١) الشيخ الحافظ حيدر علي فيض آبادي بن محمد حسن، توفي عام ١٨٨١م. راجع ترجمته في تراجم أعلام الكتاب.

وبحسن صحبته للرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الهجرة، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم شبهه بسمعه وبصره، فلم يجد أمامه إلا أن يقر ببطلان مذهب الإمامية! فأخذ سبحان علي يكتب رسالة في ذلك لأخيه في الدين الشيخ نور الدين الذي كان قرة العين للشهيد الثالث عندهم ـ أي: القاضي نور الله الشوستري ـ وقد جاءت تلك الرسالة في الصفحة ١٨٩ من كتاب "رسالة المكاتيب في رواية الثعاليب والغرابيب" والذي طبع عام ١٢٦٨هـ، ولا يخلو رؤية هذه الرسالة وقراءتها من اللطف، ورأينا أن ننقلها بنصها هنا:

«... لكن المشكلة تظهر من أن الناصبي ـ أي: الشيخ حيدر علي ـ اقتبس بالفعل أحاديث المذهب الإمامي وبعث إلي خمسة أجزاء من كتاب "بصارة العين" أو ما يسمى بذلك، وقد ورد فيه ذلك الحديث الذي ينسب إلى تفسير سيدنا الإمام الحسن العسكري عليه السلام وحكايته لقصة الهجرة وفيها مدح لأبي بكر، فإذا وقع تأليفه وما ألفته أنا بيد أحد من المتمذهبين بغير مذهب الإسلام؛ فوا حسرتاه، ووا أسفاه، ولابد أن يحكم معاذ الله بالتعارض والتساقط. اسأل مدبر العالم جلت قدرته أن يعجل بظهور الإمام الغائب ليرفع عنا ستائر هذه الخلافات»!

لسبحان علي خان أن يتحسر كيفما يشاء وأن يتأوه حسب ما يحلو له ويدعو بالظهور للإمام الغائب حتى يكل، لكنه لا يستطيع أبدا أن يكذب الإمام الحسن العسكري!

لكن يا أصحابي!...

لابد أن تفكروا في الأمر مليا، وتتأملوا في الحكاية؛ ها هو الإمام يذكر مناقب أبي بكر ويرى أنه رافق الرسول صلى الله عليه وسلم، بأمر من السماء، فماذا عسانا أن نصنع الآن، هل نسمع له ونصدقه أم نسمع للشوستري هذا!..

أو لا يكشف لنا موقف الشوستري هذا أنه يزعم حب الأئمة واتباعهم في ظاهر أمره لكنه يبطن في الحقيقة تكذيبهم، ويطعن من وراء ستار التشيع في الإسلام؟!

إذا عجزت هذه الرواية كذلك من أن تملأ عيون الشيعة وتثلج صدورهم أو أن أصحاب اللغة الفارسية والأردية قد يعجزون عن فهمها، فها أنا أقدم لهم كتابا آخر لواحد من الشيعة الخلص، وهو كتاب "حمله حيدري" في الفارسية، وهو متوفر في الأسواق والمكتبات. فليجعلوا هذا الكتاب نصب أعينهم ولينظروا إلى قدرة الله عز وجل؛ كيف أنه سخر أقلام رجال من مجتهدي الشيعة وعلمائهم ممن امتلأوا حقدا وضغينة وعداوة لأصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم لتكتب في مدح صاحب غار الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم. أو ليس هذا فضلا من الله عز وجل أن جعل شفاء أمراض الحقد والضغينة والبغض التي أفسدت قلوب القوم في كتبهم؟! فهل بقي لهم عذر في أن يعالجوا أنفسهم؟!

يقول العلامة باذل ـ وهو يعرف بقبلة الشيعة (!) ـ مؤلف "حمله حيدري" في وصف الهجرة أبياتا نوجزها هنا:[1]

---

(١)

چنين گفت راوی که سالار دين	چو سالم بحفظ جهان آفرين
زنزديک أن قوم پر مکر رفت	به سوی سرای ابوبکر رفت
پی هجرت او نيز آماده بود	که سابق رسولش خبر داده بود
نبی بر در خانه اش چون رسيد	بگوشش ندای سفر در کشيد
چو بوبکر از آن حال آگاه شد	زخانه برون رفت وهمراه شد
گرفتند پس راه يثرب به پيش	نبی کند نعلين از پای خويش
به سر پنجه آن راه رفتن گرفت	پی خود زدشمن نهفتن گرفت
چو رفتند چندی بداماں دشت	قدم فلک سای مجروح گشت
ابوبکر آنگه بدوشش گرفت	ولی زين حديث است جای شگفت
که در کس چنان قوت آمد پديد	که بار نبوت تواند کشيد
برفتند القصه چندی دگر	چو گرديد پيدا نشان سحر

« ترك الرسول صلى الله عليه وسلم أصحاب المؤامرة، وذهب في حفظ ورعاية من الله عز وجل إلى بيت أبي بكر، وكان قد سبق أن جاء رسول السماء وبلغ رسول الأرض بأن يأذن لأبي بكر بالصحبة. وصل الرسول إلى بيت أبي بكر وأخبره بالسفر، فخرج أبوبكر من فوره وانطلقا نحو يثرب. خلع الرسول صلى الله عليه وسلم نعاله وبدأ يمشي على أطراف قدميه ليخفي مسيره عن العدو، فلما قطعوا شوطا من الطريق في الصحراء جرحت أقدام المصطفى صلى الله عليه وسلم. فحمل أبوبكر النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا كان من أعجب العجائب أن ترى رجلا يستطيع أن يحمل حمل النبوة. قبيل السحر وجدوا غارا في ظلام الليل. كان العرب تسميه غار ثور. سبق أبوبكر النبي صلى الله عليه وسلم في دخوله للغار ومزق ردائه وسد بها الجحور التي كانت في الغار، ولم تبق منها إلا جحر واحد، سده صاحب غار الرسول صلى الله عليه وسلم بقدمه، وليس لأحد أن يقوم بما قام به صاحب الرسالة هذا! وبعد أن رتب المكان دخل الرسول صلى الله عليه وسلم الغار وجلس الصاحبان بجوار البعض ..»[(١)].

ترى في هذه الرواية أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي ذهب إلى بيت أبي بكر

بديدند غاری در آن تیره شب	که خواندی عرب غار ثورش لقب
گرفتند در جوف آن غار جای	ولی پیش بنهاد بوبکر پای
بهر جا که سوراخ یا رخنه دید	قبا در بدرید وآن رخنه چید
بدین گونه تا شد تمام آن قبا	یکی رخنه نه گرفته ماند از قضا
بران رخنه مانده آن یار غار	کف پای خود را نمود استوار
نیامد جز او این شگرف از کسی	که دور از خرد می نماید بسی
نیامد چنین کاری از غیر او	بدینسان چو پرداخت از رفت ورو
درآمد رسول خدا هم بغار	نشستند یکجا بهم هر دو یار

(١) حمله حيدري، ج/ ١، ص/ ٤٧ ـ ٤٨.

وأخذ أبابكر معه. وكان أبوبكر ينتظر الرسول في بيته وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد أخبره بقرب موعد الهجرة، وكذلك ذكرت الرواية بعض ما قامت به الصديق رضي الله عنه في هذا السفر، مثل: حمله الرسول صلى الله عليه وسلم على عاتقه، دخوله في الغار أولا، وتجهيز المكان وتقطيع ردائه وسد الجحور بها، ووضع قدمه في جحر لم يبق لسده شيء من القماش...

ما قام به أبوبكر صفحة ناصعة في دفتر العشق والحب والتفاني ـ نعجز أن نجد لها مثيلا في تاريخ البشرية ـ فإذا كانت كل هذه الصور من التفاني من علامات النفاق والشقاق، فلا ندري ما هي علامات الصدق والوفاق لدى الشيعة!...

ولم يبق إلا ما قاله علماء الشيعة ـ وسبق أن نقلناه عن الرسالة الحسينية ـ: من أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى جميع أصحابه عن الخروج من بيوتهم ليلة الهجرة، وخالف أبوبكر رضي الله عنه أمره وخرج من بيته! وهذا كذلك كلام لا أساس له وليس إلا من أساطيرهم:

فقد ذكر مؤرخو الشيعة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد بعث جميع أصحابه إلى المدينة ولم يبق في مكة إلا اثنان؛ أحدهما سيدنا علي رضي الله عنه، وقد تركه ليبيت في مكانه. والثاني سيدنا الصديق الذي اصطحبه معه في الهجرة. فيا ترى؛ من كان من الصحابة يومئذ في مكة ليمنعه الرسول صلى الله عليه وسلم عن الخروج من بيته؟! أو كما قال صاحب "الرسالة الحسينية" بأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر الصديق رضي الله عنه:" ألم أبلغكم أمر الله عز وجل بعدم الخروج من بيوتكم؟! فلماذا خالفت أمر الله؟".

يقول العلامة باذل في "حمله حيدري"[(1)]:" لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما

---

(1)

حبيب خدا چون بديد آن ستم — چنين داد فرمان زلطف وكرم

كه اصحاب هجرت به كنند — نهان يک يک از چشم اعدا روند

نهادند ياران بفرمان قدم — برفتند پنهان به دنبال هم

يعانيه أصحابه من التعذيب والبلاء، أشفق عليهم وأمرهم بالهجرة إلى يثرب. واحدا تلو آخر بعيدا عن أعين الكفار. استجاب الصحابة لأمر نبيهم وانطلقوا سرا إلى المدينة ولم يبق في مكة إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي وأبوبكر"[١].

٢- الشبهة الثانية على المنقبة الثانية:

سبق أن قلنا؛ لو لم يكن أبوبكر الصديق رضي الله عنه شعلة من العشق والحب للرسول صلى الله عليه وسلم لما رافق النبي صلى الله عليه وسلم في هذا السفر الخطير.

يقول علماء الشيعة بأن نية أبي بكر في هذا السفر لم تكن خيرا. حيث يقول مجتهدهم الأعظم مولوي دلدار علي في "ذوالفقار":« وكذلك مما يتفق عليه الفريقان أن أجر الهجرة يترتب على صحة النية، وما لم نتيقن من صحة نية أبي بكر في هذه الهجرة لا نستطيع أن نتيقن على دخوله في مدلول هذه الآية، وما لم يثبت عندنا ذلك لا يصح الاحتجاج بهذه الآية على علو مرتبته »! ويقول القاضي الشوستري في "إحقاق الحق":« وقد ظهر من جزعه وبكائه ما يكون من مثله فساد الحال في الاختفاء.... إلى قوله .. فأفضليته في الغار يفتخر بها لأبي بكر لو لا المكابرة واللداد ».

وجواب هذه الشبهة واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار فيما نقلناه سابقا من عبارة تفسير الإمام الحسن العسكري، فلما سأل الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الرواية عن الصديق:" أرضيت أن تكون معي يا بابكر تطلب كما أطلب؟"، وأجاب الصديق :" قال أبوبكر: يا رسول الله، أما أنا لو عشت عمر الدنيا أعذب جميعا أشد عذاب" ـ أقبل ذلك

وين گونه رفتند ياران تمام　　　　على ماند وبوبكر وخير الانام

(١) حمله حيدري، ج/ ١، ص/ ٤٣.

ولكني لن أترك مصاحبتك ومرافقتك ـ من هذا الجواب الصالح يظهر صلاح أبي بكر وحسن نيته ظهور الشمس في رابعة النهار، فلا تفهم حسن نية المرء أو قبحها إلا من خلال أفعاله وأقواله وأحواله، فالجوارح تكشف ما تدور في الصدور لا غير.

زد على ذلك ما قام به الصديق رضي الله عنه في رحلة الهجرة من صور التضحية والفداء كل ذلك تشهد على حسن نيته وصدقه وإخلاصه. (إلا إذا كان لدى الشيعة وحي من الله عز وجل كشف عن خبث نية أبي بكر وفساد طويته، عند ذلك نستطيع أن نعدل عن ظاهر حاله وعن ما تشهد عليه أقواله وأفعاله. فإذا كان لديهم مثل هذا الوحي فليأتوا به. وأنى لهم ذلك! لكن لدى السنة من الوحي الصريح أدلة قاطعة في فضل المهاجرين عامة وسيد المهاجرين وأفضل الصديقين خاصة، وهي مازالت رطبة على الألسن وستظل تتلى إلى يوم القيامة).

٣- الشبهة الثالثة على المنقبة الثالثة:

سبق أن وضحنا أن ما قام به أبوبكر الصديق من الأعمال والأفعال ومن صور التضحية كلها تدل دلالة واضحة لكل ذي حس وشعور سليم على محبته الشديدة بالرسول صلى الله عليه وسلم وعلى عشقه وإخلاصه وصدقه بالله وبرسوله ومصطفاه صلى الله عليه وسلم. لكن الشيعة ينكرون ما قلناه ويزعمون بأن ما قام به الصديق ليس إلا صورا من العداوة والنفاق!

وهنا نورد غيضا من فيض ما قام به أبوبكر الصديق رضي الله عنه في تلك الرحلة ليتضح لأصحاب القلوب السليمة والعقول الواعية أن ما فعله أبوبكر لم يكن إلا ترجمانا لعشقه ومحبته وصدقه وإخلاصه.

الأول:

أول ما خرج الرسول صلى الله عليه وسلم برفقة صاحبه من مكة، كان أبوبكر يلتفت يمينا وشمالا، فيمشي خلف الرسول صلى الله عليه وسلم حينا، وحينا أمامه وأحيانا عن يمينه

وأحيانا عن شماله. فاستفسر الرسول صلى الله عليه وسلم عن سبب ذلك، فقال الصديق: يا رسول الله، أريد أن أسد عنك المخاطر وأحفظك من كل سوء. وذلك ما أورد خلاصة منه مؤلف "منتهى الكلام" ـ أحله الله دار السلام ـ من كتاب "رياض النضرة":«... لما أشار الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الصديق بالذهاب نحو الغار، كان الصديق يتقدم حينا ويتأخر عنه حينا، ويمشي عن يمينه حينا ويقطع شوطا من الطريق عن شماله ساعة. سأله الرسول صلى الله عليه وسلم : ماذا حدث يا أبابكر، لم أرك مضطربا هكذا أبدا، لماذا تغير وجهتك وطريقك على هذا النحو؟ فقال الصديق: أريد أن أحفظك من شر الأعداء ومكرهم، أذكر الرصد فأتقدم بين يديك، وأذكر الخيانة فأتأخر عنك، وأخاف أن تأتي الرمية عن يمينك فآتي إلى يمينك، وأخاف مجيء العدو عن الشمال فأقف على يسارك »!

الثاني:

لما شعر الصديق بتعب في أقدام الرسول صلى الله عليه وسلم دون أن يبدي الرسول شيئا من الألم أو الانزعاج حمله الصديق على ظهره إلى أن وصلا إلى الغار.

فما أعظم شرفك يا بابكر، إذ حملت صاحب النبوة على ظهرك!

وسبق أن استدللنا على ذلك بالروايات التي اعتمد عليها صاحب "حمله حيدري" من خلال أشعاره.

الثالث:

لما وصلا إلى الغار، دخل سيدنا الصديق الغار ليهيء المكان للمصطفى صلى الله عليه وسلم، نظف أرضية الغار وسد الثقوب والجحور، ثم طلب من المصطفى أن يشرف الغار بالدخول، ووضع رأس النبي صلى الله عليه وسلم على فخذه وتركه ليرتاح وينام. وقد اعترف

القاضي نور الله الشوستري في "إحقاق الحق"[1] أن أبابكر سبق الرسول صلى الله عليه وسلم في دخوله للغار.

الرابع:

لدغ ثعبان أبابكر في قدمه التي كان قد سد بها إحدى الجحور. ولما شعر الرسول صلى الله عليه وسلم بما يعانيه الصديق من الألم دعا له ليخفف عنه آلامه.

الخامس:

كان ابن أبي بكر يحضر لهما الطعام والشراب إلى آخر يوم بقيا في الغار، فكان هذا هو طعامهما وشرابهما.

السادس:

طلب الرسول صلى الله عليه وسلم من ابن أبي بكر أن يحضر لهما ناقتين ـ فهو لم يكشف عن سر الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه وأصدقائه ـ وإنما أحضر له الناقتين دون أن يشعر به أحد من الكفار. فركب الرسول صلى الله عليه وسلم على إحداهما وأردف الصديق ورائه، وأركب على الأخرى "عامر" وكان راعيا لبيت الله الحرام وحاذقا في معرفة الطريق، وأردفه صاحب النوق.

وسبق أن أشرت إلى المراجع والمصادر للأمر الأول والثاني.

والآن أثبت الأمر الرابع والخامس والسادس من خلال ما ورد في كتاب "حمله حيدري":

٤- إثبات الأمر الرابع:

---

(١) نص ما قاله:« إن قوله تعالى ﴿ ثاني اثنين﴾، بيان حال لرسول الله صلى الله عليه وسلم، باعتبار دخوله في الغار ثانيا، ودخول أبي بكر أولا».

« ما أن وصل الكفار إلى الغار، لدغ حية أبابكر في قدمه التي سد بها جحرا من جحور الغار، فشعر أبوبكر بألم شديد، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم:" اهدء، لئلا ينكشف سرنا، فقد وصل الأعداء إلى الغار، ولا تحزن فلا يضرك لدغة الأفعى ـ إن شاء الله ـ»[1].

٥- الشبهة الخامسة:

« بقي الرسول صلى الله عليه وسلم بأمر الله عز وجل ثلاثة أيام بلياليهنّ في الغار، وكان ابن أبي بكر يوصل إليهما الطعام والشراب ليلا، ويخبرهما بكل ما جرى في مكة »[2].

٦- الشبهة السادسة:

«قال الرسول صلى الله عليه وسلم لابن أبي بكر: يا ابن أبيه في الصدق والإخلاص، نريد

---

(١)

چو شد کار پرداخته آنچنان — رسیدند کفار با پی بران

در آن دم کف پای آن یار غار — که بر روی سوراخ بود استوار

رسیدش ز دندان ماری گزند — وز آن درد افغان او شد بلند

پیمبر باو گفت آهسته باش — رسیدند اعدا مکن راز فاش

مخور غم مگردان صدا را بلند — که از زخم افعی نیابی گزند

حمله حيدري، ج/ ١، ص/ ٤٨.

(٢)

بغار اندرون تا سه روز وسه شب — بسر برد آن شه بفرمان رب

شدی پور بوبکر هنگام شام — ببردی در آن غار آب وطعام

نمودی هم از حال اصحاب شر — حبیب خدای جهان را خبر

حمله حيدري، ج/ ١، ص/ ٤٠.

أن تحضر لنا ناقتين قويتين لنلحق بالمسلمين في يثرب. رجع الشاب مباشرة إلى مكة وجهز لهما ناقتين ولحق بهما في الغار. وفي صبيحة اليوم الرابع لما هدأت الجبال والوديان ركب الرسول صلى الله عليه وسلم على إحدى الناقتين، وأردف أبابكر ورائه وركب على الأخرى صاحب النوق برفقة صاحب الطريق عامر، وتحركوا نحو يثرب »[١].

٧- الشبهة السابعة على المنقبة السابعة:[٢]

سبق أن وضحنا أن صحبة أبي بكر للرسول صلى الله عليه وسلم يثبت كذلك من كلمة "لصاحبه" التي وردت في آية الغار، وهذه منقبة ومقام تفرد به أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذ لم ينص القرآن الكريم لصحبة أحد من الناس بعينه غير أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فالله عز وجل وصفه هو بعينه بالصحبة.

---

(١)

نبی گفت پس پور بوبکر را	که ای چون پدر اهل صدق وصفا
دو جمازه باید کنون راهوار	که ما را رساند به یثرب دیار
برفت از برش پور بوبکر زود	بدنبال کاری که فرموده بود
هم از اهل دین بد یکی جمله دار	بر کرد راز نبی آشکار
از این جمله دار این سخن چون شنود	دو جمازه در دم مهیا نمود
تهی شد از آن قوم چون کوه ودشت	رسول خدا عازم راه گشت
بصبح چهارم بر آمد غار	دو جمازه آورده بد جمله دار
نشست از بر یک شتر شاه دین	ابوبکر را کرد با خود قرین
بر آمد بران دیگری جمله دار	به همراه او گشت عامر سوار

حمله حيدري، ج/ ١، ص/ ٤٨.

(٢) بما أننا نفصل القول على الشبهات الرابعة والخامسة والسادسة ضمن حديثنا عن سائر الشبهات لم نفرد لها حديثا خاصا خشية الإطالة. (المؤلف)

يرد علماء الشيعة على هذه المنقبة وهذا الفضل من عدة وجوه:

الأول:

إن كلمة "الصاحب" في العربية تطلق على من يصاحب المرء ويرافقه، ولاتدل على أية فضيلة أو منقبة أو شرف ومكانة، وقد كان أبوبكر يصاحب الرسول صلى الله عليه وسلم في الغار، وليس في هذا الأمر أية شائبة أو أثر للفضل والمكانة، بل وحتى لايثبت من هذا إسلام أبي بكر، فها هو الله عز وجل في كتابه المجيد عد الكافر صاحبا للمؤمن، ألم يقل الله عز وجل ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ﴾(الكهف٣٧).

وفي آية أخرى رأينا سيدنا يوسف ـ على نبينا وعليه الصلاة والسلام ـ عد الرجلين الذين كانا معه في السجن وقد كانا كافرين بأنهما أصحابه ﴿ يَاصَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾(يوسف٣٩). ومن هنا إتضح أن كلمة "الصاحب" لا تدل على أية فضيلة أو مكانة بل لا تدل على الإسلام كذلك.

نعم، يدل مصطلح الصحابي على الفضيلة والمكانة، لكن في آية الغار لم يرد المعنى الاصطلاحي للكلمة إذ يشترط فيه الإيمان و ـ معاذ الله ـ أبوبكر لم يكن في قلبه خردل إيمان!

والجواب على هذه الشبهة:

في الآية التي استدللتم بها؛ لما عد القرآن الكافر صاحبا للمؤمن، لم يكتف على كلمة "الصاحب" بل صرح بكفره وقيده بذلك فقال " أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ "، وأما في آية الغار فعد الله عز وجل سيدنا الصديق رضي الله عنه صاحبا للرسول صلى الله عليه وسلم، ولم يردف الكلام بشيء يشير إلى الذم أو التقليل من شأن الصديق، بل أردفه بكلمات تفوح محبة وألفة، من مثل قول الرسول صلى الله عليه وسلم له :" لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَّ مَعَنَا ".

إذن قياس آية الغار على هذه الآية يعد قياسا مع الفارق، وباطلا.

وفي الآية الثانية لم تضف كلمة "الصاحب" إلى سيدنا يوسف عليه السلام، أي أن نبي الله يوسف لم يضف هؤلاء الناس إلى نفسه، وإنما أضافهما إلى السجن. أي:﴿ يَاصَاحِبَيِ السِّجْنِ ﴾.

أما ما زعمتم؛ من أن الصديق لم يكن في قلبه ذرة من الإيمان ـ معاذ الله ـ فهذا هذيان وهراء لا معنى له، فقد أثبتت كتبكم ورواياتكم إيمان الصديق أكثر من مرة. فها هو القاضي نور الله الشوستري يكتب في "مجالس المؤمنين"[1]:« كان خالد بن سعيد من السابقين الأولين، وقد سبق إسلامه إسلام أبي بكر، بل إن أبابكر أسلم ببركة رؤيا رآها خالد بن سعيد ».

وخلاصة الحكاية أن خالدا رأى في المنام أنه يقف على حافة نار مشتعلة، ويريد أبوه أن يقذفه في النار، فإذا برسول الله صلى الله عليه وسلم يدركه وينجيه من هذا الموقف، ويقول له: هلم إلي لئلا تقع في النار.

قام خالد من نومه مذعورا، وأقسم على الله أن رؤياه حق! فانطلق مباشرة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، فصادفه أبوبكر في الطريق، وسأله عن سبب اضطرابه، فحكى له خالد ما رأى في المنام، فوافقه أبوبكر على تعبيره، فأتيا جميعا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وأعلنا إسلامهما".

تأملوا في هذه الرواية بعين الإنصاف بعيدا عن الأهواء، وقولوا: هل من جاء إلى الإسلام بإلهام غيبي يعانق الرسول صلى الله عليه وسلم بإخلاص وصدق، وقد رغب في الإيمان بمجرد سماعه لرؤيا صادقة، يمكن أن يخلوا قلبه من الإيمان؟! هل يستطيع من له أدنى درجة من الإيمان أن يفتري على مثل هذا المؤمن؟!

فيا قوم! ـ أرجوكم من أجل الله ـ أن تضعوا عبارة القاضي هذا حيث قال:" وأبوبكر

---

(١) الترجمة الأردية لمجالس المؤمنين، قاضي نور الله الشوستري، ص/ ٣٨٤، ط/ كراتشي، باكستان.

أسلم ببركة رؤيا خالد بن سعيد" أمام ما تفوه به ذلك السيد المجتهد[1] عندما قال:" على كل الأحوال، لم يكن في قلب الخليفة الأولى حبة خردل من إيمان باتفاق من علماء الإمامية". ألا ترون كيف أعمت عداوة الصحابة والحقد والضغينة بصائر علماء الشيعة وأبصارهم إلى درجة أن أصبحوا ينكرون إيمان الصديق رضي الله عنه، إيمان رجل هداه الله عز وجل عن طريق رؤيا صادقة إلى الإسلام!

وإذا قال أحدهم: إن القاضي الشوستري أقر بإسلام الصديق وأن المجتهد أنكر إيمانه، ولا تناقض بين الأمرين، نرد عليه بهذه الأوجه:

الوجه الأول:

فقد كنا نسعى معا أن نثبت أن الصديق رضي الله عنه صدق رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم بقلبه وقبل دعوته وقد ثبت ذلك بشهادة القاضي الشوستري والحمد لله رب العالمين، والآن للمجتهد أن يسمي ذلك إسلاما أو إيمانا فهو حر. وإذا كان المجتهد يفرق بين الإسلام والإيمان ويرى أن الإيمان تصديق بالقلب والجنان، وأن الإسلام إقرار باللسان، وأن أبابكر ـ معاذ الله ـ لم يصدق الرسول بقلبه. يكفي أن نرد على هذا الهراء والهذيان بما شهد به الشهيد الثالث القاضي الشوستري إذ صرح وقال:" أبوبكر أسلم ببركة رؤيا رآها خالد بن سعيد".

الوجه الثاني:

إذا سلمنا بما يقوله الرجل من الفرق بين الإسلام والإيمان، وسلمنا كذلك أن مقولة القاضي أثبتت إسلام الصديق فحسب و لم تثبت إيمانه، فأرد على ما زعمه الرجل بما قاله أمير المؤمنين سيدنا علي المرتضى رضي الله عنه، لتنقلب الدائرة على المجتهد ولينقض غزله وتندثر

(١) المجتهد هو الشيخ السيد دلدار علي نصير آبادي (١١٦٦هـ ـ ١٢٣٥هـ). راجع ترجمته في تراجم أعلام الكتاب.

لحمة آرائه وسدى أفكاره، وعلى الصادقين المؤمنين أن يفتحوا قلوبهم وآذانهم وأعينهم لئلا يخدعهم مكر علمائهم.

يقول العلامة الحلي ـ الملقب بالإمام الأعظم ـ في "شرح التجريد": "قال عليه السلام يوما على المنبر: أنا الصديق الأكبر، أنا الفاروق الأعظم، أسلمت قبل أن أسلم أبوبكر، وآمنت قبل أن آمن".

فمن هذه الرواية التي ذكرها العلامة الحلي على لسان سيدنا أمير المؤمنين علي المرتضى ثبت إسلام أبي بكر وإيمانه.

فإذا كنت ترى أن ما قاله القاضي الشوستري لم يستطيع أن يبطل ما زعمه المجتهد فها هو قد أبطل كلامه بما قاله سيدنا علي المرتضى رضي الله عنه. فالحمد لله على ذلك.

وكذلك ثبتت من هذه الرواية أن أبابكر سبق الناس جميعا إلى الإسلام والإيمان وقد كان هذا الأمر مشهودا ومعروفا بين المسلمين في القرن الأول، إلى درجة أن قال علي رضي الله عنه في مقام الفخر والعز أنه أسلم وآمن قبل أبي بكر.

فلو كان الأمر على ما يزعمه الشيعة من أن أبابكر لم يكن كامل الإيمان أو الإسلام أو كان منافقا ـ العياذ بالله ـ أو أنه أظهر الإسلام طمعا في الدنيا، فكيف افتخر علي رضي الله عنه بأنه سبق أبابكر في الإيمان؟!

الوجه الثالث:

وكذلك ثبتت من هذه الرواية كذب ما يزعمه علماء الإمامية زورا عن إسلام الصديق رضي الله عنه؛ بأنه أظهر الإسلام طمعا للخلافة، بناءا على ما أخبره بذلك الكهان!

وقد أثبتت شهادة القاضي الشوستري عندما عد الصديق من السابقين الأولين كذب المتقدمين والمتأخرين من علماء الشيعة، ولا تظنن بأن القاضي الشوستري كذّب العلماء

والمجتهدين من مذهبه فحسب، وإنما كذب كذلك بشهادته هذه الإمام الغائب كذلك!

فقد قال الإمام الغائب ـ إي الإمام المهدي الشيعي (!) ـ: فقد أسلم أبوبكر الصديق طمعا للدنيا، إذ سمع عن اليهود أن الرسول سيمتلك الحكم وسيصبح ملكا وسيغلب أعداءه، فاستقر هذا الكلام في صدر أبي بكر وأظهر الإسلام.

يقول ملا باقر المجلسي في رسالة "الرجعية" من "بحار الأنوار" برواية الشيخ الصدوق، أي: ابن بابويه القمي:" أسلم أبوبكر طوعا، لكن طمعا للدنيا، وذلك لأنه كان يخالط اليهود .... ـ إلى أن قال ـ .. ولما أظهر الرسول صلى الله عليه وسلم دعوته ودعا الناس إليها، جاء أبوبكر وأظهر الإسلام بكلمتين نطقهما، بناء على ما سمع من اليهود، وأبطن الكفر".

خلاصة ما سبق: فقد ثبتت من هذه الرواية إسلام أبي بكر وإيمانه ثبوت الشمس في رابعة النهار، إذن بنص القرآن الكريم من كلمة "لصاحبه" يثبت أنه كان من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم بالمعنى الإصطلاحي للكلمة، وتصدق فيه كل تلك الفضائل والمناقب التي ثبتت في الصحابة الكرام، والتي يقر بها الشيعة كذلك ـ ولو كرها ـ.

فبعدما أثبتناه؛ من ينكر صحبة أبابكر للرسول صلى الله عليه وسلم ، أو ينكر فضائله ومناقبه يعد منكرا للنص القرآني، لا محالة.

٨- الشبهة الثامنة على المنقبة الثامنة:

سبق أن وضحنا أنه ثبتت من آية الغار ومن عبارة " لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا" أن أبابكر لما رأى الكفار وقد وصلوا إلى الغار خاف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وحزن حزنا شديدا، فرفع عنه الرسول صلى الله عليه وسلم ما كان فيه من الحزن وقال له يسليه: ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾. ولم يقصر الرسول صلى الله عليه وسلم "المعية الإلهية" على نفسه فقط، فلم يقل "معي" ـ بضمير الواحد المتكلم ـ وإنما قال "معنا" ـ بضمير المتكلم مع الغير ـ ليظهر للجميع

أن أبابكر يشارك صاحبه ومولاه في المعية الإلهية.

وللإمامية على هذه المنقبة الواضحة الجلية كذلك عدة اعتراضات نوردها هنا:

الأول:

يتساءلون؛ هل كان حزن أبي بكر طاعة أم معصية؟

إذا كان طاعة، يثبت بذلك منع الرسول صلى الله عليه وسلم عن الطاعة، وهذا يستحيل. وإذا كانت معصية فيثبت عصيان أبي بكر، وهو المراد!

الثاني:

إن أبابكر لم يكن يوقن بكلام الله ورسوله ولم يكن يطمئن إليهما، فهو مع أنه رأى بأم أعينه عدة معجزات باهرات بجوار الرسول صلى الله عليه وسلم في الغار؛ كأن رأى الحمامة تضع أمامه وكرا، والعنكبوت يصنع بيتا، وغيرها من المعجزات التي كانت تدل على حفظ الله ورعايته لرسوله ومصطفاه، مع هذا كله لم يطمئن قلبه ولم يوقن بحفظ الله، وغلبه الخوف وأخذ يبكي بصوت عال.

الثالث:

كان أبوبكر يقصد ببكائه ورفع صوته بالبكاء إبلاغ الكفار وإخبارهم بمكان الرسول صلى الله عليه وسلم ـ وقد كانوا يقفون أمام الغار ـ ليتم القبض عليه. ولهذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم ينصحه بخفض صوته ويرجوه أن يكف عن البكاء، لكنه أصر ولم يسكت، فظهر خبث نيته وفساد طويته من بكائه هذا!

وزاد على هذا بعض علماء الشيعة أن قالوا: ولما فشل أبوبكر في إيصال صوت بكائه إلى الكفار، ولم يسمع الكفار صوته مد رجله إلى خارج الغار ليراها الكفار ويدخلوا الغار، وقد عاقبه الله عز وجل على ذلك وأمر حية أن تلدغه، فاضطر أن يسحب رجله إلى داخل الغار.

الرابع:

ولما لم يصل أبوبكر لما كان يريده من إخراج رجله من الغار ومن بكائه، فلم يلتفت الكفار إلى كل ذلك وابتعدوا عن الغار، ولم يقبضوا على الرسول صلى الله عليه وسلم، بدأ أبوبكر يؤذي الرسول صلى الله عليه وسلم بأمر آخر؛ وبدأ بذكر حكاية علي رضي الله عنه وأظهر للنبي صلى الله عليه وسلم أنه حزين على أمره إذ هو بقي وحيدا فريدا بين الكفار ليس له من يحميه، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم :"لا تحزن"، أي: لا تحزن يا أبابكر، من أن عليا وحيد، "إن الله معنا"؛ فإن الله معي ومع علي.

الخامس:

عبارة "إن الله معنا" تدل على معنيين:

أحدهما: إن الله معي ومع علي.

وثانيهما: إن الله معي ومعك يا أبابكر، فهو يرى إخلاصي وإحساني كما يرى خبثك! وسوف يجازي كلا منا بما يستحقه.

لا شك من يسمع هذه الشبهات وهذا التجني على السيرة والتاريخ سيحتار في أمر القوم، أهذا كله شبهات واعتراضات تستطيع أن تقدح في الصديق أم أنها صور من هذيان المجانين، أم من زق زقة السكارى وبق بقتهم! ولعل بعض من أوتي عقلا يعجز من أن يصدق أذنيه أو عينيه فيما يقرأه من هذه الترهات من أنها من كلام علماء الشيعة ومجتهديهم.

أجل، الخطب شديد، ولا يكاد يصدق عاقل أن من أوتي شيئا من العقل والبصيرة يتفوه بمثل هذه الأساطير، لكن مع الأسف أنها ثبتت في كتب علماء الشيعة ومجتهديهم ولك أن ترجع إلى كتاب "إحقاق الحق" و"مجالس المؤمنين" وغيرها لتراها بأم عينيك.

فيا حبذا، لو يرجع الشيعة إلى ما كتبه علمائهم ومجتهديهم ليتعظوا بها، فليقرأوا الشهيد

الثالث كيف يذكر هذه الأساطير بثقة وإيمان (!) وليقرأوا ملا خضر المشهدي ليروا كيف يفتخر بمثل هذه الأساطير ويعتز بها. وليروا كيف يعتز مؤلف "تقليب المكائد"، بكتاب "إحقاق الحق" وغيره، وهو الذي يطعن في "مولانا شاه عبد العزيز المحدث الدهلوي"[1] أنه

---

(١) رمى صاحب "تقليب المكائد" خاتم المحدثين الشاه عبد العزيز بأنه يقرر من عنده شبهات لا أساس لها ثم يجيب عليها لكننا نبرئ الشاه عبد العزيز من هذه التهمة ونقول بأن الشيعة "رموه بدائهم وانسلوا"، فمن عادة علماء الإمامية ـ الشيعة ـ ومجتهديهم ومحدثيهم أن يقرروا شبهة ثم يعلقوها على المخالف دون علم منه ثم يردوا عليه! ويشهد على ما نقوله هنا ما ذكره ملا باقر المجلسي في الحديث السادس من رسالة "الرجعية"، وإليك ما زعمه:« الحديث السادس: روى الشيخ الصدوق محمد بن بابويه القمي من أكابر المحدثين رضوان الله عليهم أجمعين عن سعد بن عبد الله القمي أنه قال: ابتليت بمناقشة رجل من أخبث الناصبيين، بعد مناقشة ومناظرة طويلة قال لي: الحق معك ومع صاحبك، لكنكم أيها الروافض تطعنون في المهاجرين والأنصار وتنكرون حب الرسول صلى الله عليه وسلم إياهم. فقد سبق أبوبكر غيره في الإيمان فكان أفضلهم وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يخصه بالحب فأخذه معه ليلة الهجرة لأنه كان يعرف أن أبابكر هو الخليفة من بعده فكان يحرص على حياته، وترك علي بن أبي طالب يبيت على فراشه لأنه لو قتل لا يضر قتله المسلمين بشيء! إلى أن قال: فأسكتني الرجل بدهائه وكلامه. فرجعت وكتبت رسالة طويلة فيها هذين الأمرين لأرسلها إلى سيدنا الإمام الحسن العسكري مع وكيله أحمد بن إسحاق. فلما قدمت إلى الوكيل قالوا لي: إنه خرج إلى سر من رأى ـ سامراء ـ فخرجت في أثره حتى أدركته... إلى قوله: ثم قال صاحب الأمر بإعجازه: يا أيها السيد فقد زعم خصمك أن الرسول صلى الله عليه وسلم أشفق على أبي بكر من القتل فأخذه معه إلى الغار، لأنه كان يعرف أنه سيخلفه في الأمر. فلماذا لم تقل لخصمك: إنكم رويتم عن الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه قال: الخلافة من بعدي ثلاثين عاما ثم قسمتم هذه الفترة على أعمار الخلفاء الأربعة، فأنتم تزعمون بأن الخلفاء الأربعة هم الراشدون وعلى الحق، فإن كان هذا المعنى في صدر الرسول ليلة الغار لأخذ معه هؤلاء الأربعة إلى الغار حفاظا على حياتهم»!..

والآن لا ندري من أين جاءت هذه التهمة؟! هل هي مما وسوس الشيطان في صدر الشيخ الصدوق أم من بنات أفكار ملا باقر المجلسي فإنه لم يحدث قط أن السنة قالوا بأن الرسول صلى الله عليه وسلم أخذ أبابكر معه حفاظاً على حياته، وأنه ترك علياً خلفه ليقتل!

لم ينقل أصل عبارة "إحقاق الحق" في كتابه "التحفة الإثنا عشرية"، استمع إلى نص عبارة "تقليب المكائد":«كان ينبغي للناصبي أن ينقل عبارة السيد القاضي بنصه، وهل كان بإمكانه أن يرد عليها. لكن كان من أعظم مكائد هذا الناصبي أن اتهم الشيعة باتهامات زائفة من عنده ثم أخذ يرد عليها »[1].

والآن اسأل السادة الشيعة. ها أنا أوردت خلاصة شبهاتكم، وأوردت لكم نص عبارة القاضي، فانظروا في كل ذلك بعين الإنصاف والعدل، ثم قولوا لي: هل هذه العبارات وهذا

وإذا قالوا بأننا قصدنا بالناصبي هنا الخوارج ـ وهم أعداء أهل السنة ـ فإنهم قد زعموا بذلك، نقول: حتى الخوارج لا يمكن أن يقولوا بمثل هذا الكلام، لأنهم لا يرون عليا على الحق! فلا يصح فيهم ما قاله الإمام صاحب الأمر: "أنكم ترون الخلفاء الأربعة على الحق"، فهل غاب عن الإمام الذي يعلم ما كان وما يكون عقيدة الخوارج؟! فهل ترون في الإمام أنه كان يجهل عقيدة الخوارج؟!

فيا صاحب "تقليب المكائد" ويا أولاده وأحفاده، ومريديه هذه التي طعنتم بها الشيخ الشاه عبد العزيز وهو عنها بريء ليس دأب أهل السنة وعلمائهم فإنهم يحترمون العلم ولا يحرفون فيه، فلا تبرر الغاية عندهم الوسيلة، وإنما هي من عادة كبار علمائكم أمثال الشيخ الصدوق والمجلسي. فهل غاب عنكم ما يصنعه إمامكم ومجتهدكم "الشوستري" الذي يحق أن يسمى بـ "المفتري"(!) من اتهام الآخرين وصناعة الشبه على ألسنتهم ليفتري غيره بمثل هذه التهم والافتراءات؟! (المؤلف).

(١) وإليك نص عبارة القاضي:« كيف يتوهم حصول منقبة في حضور الغار وقد ظهر في الغار خطأه ذلك، لأنه لما دخل في الحرز الحريز والمكان المصون بحيث يأمن الله تعالى على نبيه مع ما يظهر من الآيات من تعشيش الطائر ونسج العنكبوت على أنه لم يظن السلامة ولا صدق بالآية، وأظهر الحزن والمخافة حتى غلبه بكائه وتزايد قلقه وانزعاجه، ويلي النبي في تلك الحال إلى مقاساته ورقع إلى مدارته ونهاه عن الخوف وزجره، ونهي النبي لا يتوجه في الحقيقة إلا إلى الزجر عن الفتح ولا سبيل إلى صرفه إلى المجاز بغير دليل لاسيما وقد ظهر من جزعه وبكائه ما يكون من مثله فساد الحال في الخفاء فهو إنما نهى عن استندام دفع منه ولو سكن نفسه إلى ما وعد الله تعالى نبيه وصدقه فيما جربه من نجاته، لم يحزن حيث أن يكون أمنه ولا انزعج قلبه في الموضع الذي يقضي سكونه فأفضليته في الغار يفخر بها لأبي بكر لو لا المكابرة واللداد» . وفي هذا انتهى.

الكلام يستوجب الفخر والعز أم يدعو إلى الذل والهوان والعار.

أرى أن هذه العبارات وهذه الجمل والهذيان لو نسب إلى أحد منا كان يرى ذلك عارا وذلا ولاستحى منها أشد الحياء. ولا أدري ماذا وضع القاضي الشوستري وملا المشهدي في عباراتهم وهذيانهم هذا من اللآلي النادرة، ومن الدرر اللامعة، ما جعل الأتباع والمقلدين يعتزون بها ويفتخرون بها هذا الفخر والاعتزاز. ولا نرى في الكتب المذكورة عبارة وكلاما يخلو من السخافة والسفاهة والركاكة.

من أخمص رجليه إلى مفرق رأسه ... كلما التفت إليه أشعر بأن الطعن هنا[1].

والحق، أن للسيد الشيخ مولانا شاه عبد العزيز الدهلوي فضل كبير على كل من "القاضي الشوستري" و"ملا المشهدي"، إذ لم يذكر نص عباراتهم في كتابه "التحفة الاثنا عشرية" واكتفى بخلاصة ما قالوه، وبذلك حفظ ماء وجه القاضي وصاحبه من الفضيحة والعار، لكن لأن مؤلف "تقليب المكائد" وغيره، أرادوا أن يفضحوهما أضطررنا أن نشير إلى نص كلامهما.

وإن كنا نرى بأن الانشغال بالإجابة على مثل هذه الشبهات الواهية والتقارير السخيفة ليس إلا إضاعة للوقت، لكننا ننبه على أمور منها بالإجمال، ونتمنى أن يصغي إليها الناس:

في الإجابة عن الشبهة الأولى أو الاعتراض الأول نقول؛ بأن الله عز وجل قال في كلامه المجيد في قصة سيدنا موسى[2] :﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ (طه٦٨). وفي قصة سيدنا

(١) زپاى تا به سر هر كجا كه مى نگرم .... كرشمه دامن دل مى كشد كه جا اينجاست.

(٢) اعلم أن سيدنا موسى عليه السلام لم يطرأ عليه الخوف مرة واحدة، بل طرأ عليه الخوف أكثر من مرة، فأول ما سمع صوت الغيب ﴿ أَنَا اللهُ ﴾ خاف، فقال الله عزوجل له:﴿ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴾ . ثم لما واجه سحر السحرة ورأى الجبال وكأنها انقلبت ثعابين تتحرك خاف ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً ﴾، فأزال الله عنه الخوف وقال له: ﴿ لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴾ ، مع أن الله عز وجل كان قد وعد موسى عليه السلام ﴿

لوط قالت الملائكة له:﴿... لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ ...﴾(العنكبوت٣٣). وكذلك قوله تعالى لرسوله الأمين صلى الله عليه وسلم :﴿ وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ للهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (يونس٦٥). فظهر من هذه الآيات أن سيدنا موسى عليه السلام، وسيدنا لوط عليه السلام كان قد يطرأ عليهما الخوف، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان ينزعج من الأقوال الخبيثة من أعداء الإسلام، وكان الله يسليه ويقول له " لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ "، و" وَلَا يَحْزُنْكَ".

والآن فلنسأل الشيعة: ما كان يطرأ على الأنبياء من الخوف كان طاعة أم معصية؟!

فإذا كانت طاعة فها هو الله عز وجل منعهم من الطاعة! وإذا كانت معصية فقد ثبت بأن الأنبياء كانوا عصاة!

ما يجيبه الشيعة على هذا التفلسف في حق الأنبياء، فليعتبروه جوابنا لهم في حق الصديق الأكبر رضي الله عنه[1].

أَنْتُمَا وَمَنْ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾! ولما أمر بالدعوة أظهر موسى عليه السلام خوفه من فرعون وجيشه فقال: ﴿ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴾ ، فقال المولى عز وجل له: ﴿ لا تخف﴾ وطمئنه بالمعية الإلهية.

فمع كل هذه الوعود الإلهية لم يكن مجال للخوف أمام سيدنا موسى عليه السلام كما تزعمون، وإذا كان الخوف يعني عدم الرضا أو عدم الإيمان بوعد الله عز وجل فالطعن في سيدنا موسى عليه السلام أشد بألف مرة من طعنكم في سيدنا الصديق رضي الله عنه. فما يطعن به الشيعة على الأنبياء دون أن يشعروا من خلال طعنهم في الصديق الأكبر يفوق ما يقوله منكري النبوات والرسالات في حق الأنبياء عليهم الصلوات والتسليمات. ـ ونعوذ بالله من ذلك ـ.

(١) لو أن ملحدا سأل الشيعة: وهل كان الرسول صلى الله عليه وسلم موقنا بوعد الله ولم يكن يخاف؟ فإذا كان كذلك؛ لماذا كان قلقاً من أن يفشي أبوبكر السر وهو يدرك حفظ الله له، وقد رأى علامات ذلك؟!

وقد اتهم الشيعة الرسول صلى الله عليه وسلم بالخوف! فقد كتب العالم الشيعي الشهير گوهر مراد : إن خمسة من صناديد قريش دخلوا على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقالوا له: قد أمهلناك إلى الظهر، إن عدت

واسمع هذه اللطيفة:

كتب القاضي نور الله الشوستري في كتابه "مجالس المؤمنين"، عند الحكايات المفيدة للشيخ مفيد في جواب أبو الحسن الخياط رئيس المعتزلة (الذي استدل بالآيات المذكورة على أن الخوف والحزن في مثل هذه المواقف لا يعد معصية):« هذه الآيات تعني النهي، لكن الأنبياء جبلوا على العصمة واجتناب المعاصي، وهذه الآيات تنهاهم عن ارتكاب القبائح التي يستحق فاعلها الذم، فبالأدلة العقلية نقول بأنه لابد من العدول عن المعنى الظاهري للآيات. وبما أن الجميع متفقون على عدم عصمة أبي بكر، فيجب أن نجري النهي على ظاهره، وبذلك نقول: بأن قبح حال أبي بكر قائم على الأصل »!

ونحن نقول له: من الخطأ أن تعد الخوف من المعاصي، ولسنا بحاجة أن نعدل عن المعنى الظاهري للخوف الذي كان يعتري الأنبياء عليهم السلام، وقد نهاهم الله عز وجل عنه، و عد الخوف معصية باطل قطعا. وفي الواقع من يرى الخوف معصية ينتقص الأنبياء عليهم السلام، ويقوي تلك الفئة التي لا تؤمن بعصمة الأنبياء.

عن دينك فبها ونعم! وإلا قتلناك. فدخل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بيته حزينا وأغلق الأبواب دونه، نزل جبريل بقوله تعالى: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنْ الْمُشْرِكِينَ ﴾(الحجر٩٤) قال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : يا جبريل، كيف لي ألا أخاف، وقد هددني المستهزئون! قال جبريل: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ (الحجر٩٥)، قال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ: فقد كانوا عندي الساعة! فقال جبريل: وقد كفيتك أمرهم الساعة!

فبهذه الرواية أثبتت الشيعة؛ أن الرسول صلى الله عليه وسلم خاف من على نفسه وأغلق الأبواب ودخل بيته حزيناً فجاءه جبريل يسليه ويطمئنه. فهم يرون الخوف للأنبياء ولخاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم ولا يجدون فيه بأساً، ثم يطعنون به في الصديق رضي الله عنه؟!...

ما أعجب أمرهم وأغرب دينهم!...

وكيف يعد الخوف من المعاصي، وهو أمر فطري جبل الإنسان ـ كونه بشرا ـ عليه، سواءا كان نبيا أو إماما أو وليا. ولا يؤاخذ الله العبيد على مثل هذه الأمور الجبلية والفطرية. ففي القرآن الكريم نرى بأن الله عز وجل يأمر موسى وأخاه هارون أن يذهبا إلى فوعون ويدعواه إلى الإيمان، لكنهما يظهران الخوف ويقولان ﴿ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ (طه٤٥). فيطمئنهم الله عز وجل ويقول لهما:﴿ قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾(طه٤٦)؛ تدبر في هذا الحوار، فها هما نبيان من أنبياء الله عز وجل ـ موسى وهارون ـ يظهران الخوف، وها هو الله عز وجل لا يعاتبهما ولا يؤاخذهما على ذلك. وبناءا على ذلك ما كتبه الشهيد الثالث لدى الشيعة القاضي الشوستري باطل قطعا.

ومما يثير العجب أن القوم من أجل إثبات عقيدة فاسدة؛ ـ أي؛ من أجل أن يطعنوا في مقام الصديق لا غير ـ عدوا الخوف معصية ورموا الأنبياء عليهم السلام بارتكاب المعاصي (!)، ولما واجهوا ردا قاطعا من أهل السنة والجماعة لم يراجعوا الأمر، وإنما أخذتهم العزة بالإثم وتمادوا فيه، وقالوا بعدول المعنى الحقيقي الظاهري للخوف، ولا يجوز البتة صرف اللفظ عن معناه الحقيقي إلا عند الضرورة.

وقد جاءت آيات في كلام الله عز وجل تنسب الخوف إلى الأنبياء، ومما يلفت النظر؛ أن مفسري الشيعة عند تفسيرهم لهذه الآيات فهموا منها المعنى الحقيقي والظاهري للكلمة، ولم يعد أحد منهم الخوف من المعاصي، فمن هنا لا قيمة لما قاله الشهيد الثالث ـ ومن دون دليل ـ أمام جماعة المفسرين. يقول المفسر الشيعي العلامة الطبرسي في تفسيره "مجمع البيان" عند الآية الكريمة:﴿ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ (الذاريات٢٨) في قصة سيدنا إبراهيم ـ على نبينا وعليه الصلاة والسلام ـ فقد مرت الملائكة التي جاءت لتعذب قوم لوط على إبراهيم، في صورة آدميين، فحسبهم إبراهيم عليه السلام من الملائكة، واستضافهم

استضافة كريمة، ووضع أمامهم مائدة، وجاءهم بعجل حنيذ، لكنهم امتنعوا عن الأكل. فلما امتنعوا عن الأكل خاف منهم وظن أنهم يريدون به سوءا، فـ"قالوا"، أي؛ قالت الملائكة: "لا تخف" يا إبراهيم.

خلاصة الكلام: استعمال كلمات التسلية مثل "لا تخف" أو "لا تحزن"، لإبعاد الخوف، كلما وردت في القرآن أو الحديث يراد منها معناها الحقيقي لا غير، وعد هذا النهي من جنس النهي الذي يأتي للإبعاد عن المعاصي جهل شديد وعناد وتعصب ليس إلا. وكذلك لابد أن نعلم أن النهي عن أمر لا يستلزم حدوث المنهي عنه بالفعل. و إلا فستظهر آلاف من الشبهات على الأئمة الكرام، ولا يجد الشيعة جوابا عليها إلا أن يختفوا وراء ستار "العصمة" لهم. من ذلك ما ورد في "علل الشرائع" ـ من الكتب المعتبرة لدى الشيعة ـ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لسيدنا علي المرتضى:" يا علي ، لا تتكلم عند الجماع، ولا تنظر إلى فرج امرأتك، ولا تجامع امرأتك بشهوة امرأة غيرك".

وهنا نسأل الشيعة: أ كان سيدنا علي المرتضى رضي الله عنه يرتكب ما نهي عنه أم لا؟

إذا قالوا: ما كان يصنع ذلك، فقد حكموا على تلك القاعدة التي اخترعوها (أي؛ أن النهي يستلزم وقوع المنهي عنه) بالبطلان.

وإذا قالوا: إنها كانت معصية. فقد قالوا بأن المرتضى رضي الله عنه كان عاصيا، وطعنوا في عصمته!..

وإذا اختفوا وراء ستار العصمة، فسيقولون؛ بأن النهي الذي ورد في حقهم لا يحمل على معناه الحقيقي والظاهري، ويجب أن نعدل عن معناه الظاهري. وفي هذه الحالة كذلك نستطيع أن نرميهم بنفس الحربة. ونقول بأن أبابكر الصديق كان صاحب مكانة وفضل، وكان في كمال التقوى والإيمان، ومن هنا النهي "لا تحزن" الذي ورد في حقه لا يحمل على معناه الحقيقي

والظاهري. وبذلك سوف يكون جوابنا أقوى من إجابة الشيعة وذلك لأن فضل أبي بكر وتقواه ثابت، شهد به النص القرآني، في حين ليس للشيعة دليل واحد على عصمة سيدنا علي رضي الله عنه، وعلى عصمة سائر الأئمة، وإنما بنوا مذهبهم في ذلك على أضعف من أوتار العنكبوت!

يا أصحابنا الشيعة!..

لماذا جعلتم " آية الغار" الواضحة الصريحة لسبب عداوتكم للصديق رضي الله عنه لغزا؟ أين الإنصاف والقسط، وأين العدل؟

إذا شعر الرجل بالمصائب تنزل على صاحبه فحزن عليه واهتم من ذلك، ثم طمئنه صاحبه وقال له: لا تحزن إن الله معنا، فبالله عليكم هل يعد هذا الكلام من باب التسلية والتسكين له أم يعد زجرا وتوبيخا؟!

فإذا اعتبرتم ذلك من باب التسكين والتسلية، فهذا ما نقوله عن الرسول ـ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ـ وصاحبه، وعن حكاية القرآن الكريم لما دار بينهما: ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَّ مَعَنَا ﴾.

يا أصحابنا!...

لماذا تحرفون كلام الله عز وجل؟ أرجوكم ألا تكرروا هذه العبارة السخيفة التي تزعمون فيها " أن النهي دائما وفي كل مكان يعني الزجر والتوبيخ"، واجعلوا قلوبكم وأفئدتكم تشعر بأن النهي قد يراد منه الترحم والشفقة كذلك. وإذا راجعتم القرآن الكريم فستجدون الله عز وجل في مواطن كثيرة يستعمل أسلوب النهي لبيان المحبة والشفقة والرأفة. ألا تقرأون معي قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم:﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾ (القيامة١٦)، وفي مقام آخر: ﴿ .. فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ.. ﴾ فاطر/ ٨.

هل يستطيع شهيدكم الثالث القاضي الشوستري أن يعد النهي في هذه الآيات من باب الزجر والتوبيخ، وهل يستطيع أن يعتبر تحريك اللسان أو ذهاب النفس معصية يستحق صاحبه الذم عليها، ومن ثم لكون الرسول صلى الله عليه وسلم معصوما يعدل عن المعنى الظاهري للنهي في هذه الآيات. أم أنه يقول مرغما بأن كلمات النهي هنا تعني الرحمة والشفقة وبذلك يقر بسفاهته وجهله.

الإجابة على الاعتراض أو الشبهة الثانية:

كلامهم في أن الصديق رضي الله عنه أخذ يبكي بصوت عال كلام باطل لا يصح أبدا. ولم يرد في كلام الله عز وجل إلا عبارة "لا تحزن"، والحزن لا يعني البكاء، ناهيك عن رفع الصوت بالبكاء والعويل!

إلا إذا كانوا قد خصصوا كتابا في اللغة يعالج المفردات التي وردت في باب الصحابة الكرام، وذكروا فيه أن الحزن يعني رفع الصوت بالبكاء والعويل. ولا يعرف أحد غير الشيعة ذلك الكتاب ولم يطلع عليه، فهذا أمر آخر!

ولعل نور الله الشوستري في كتابه "إحقاق الحق" عند ما قال: « حتى غلبه البكاء وتزايد قلقه وانزعاجه»، أخذ المعنى من ذلك الكتاب الموهوم!

والغريب أن مفسري الشيعة في تفاسيرهم لم يذكروا أن معنى الحزن هو رفع الصوت بالبكاء، وحتى لم يذكروا أن الحزن يعني مجرد البكاء.

يقول العلامة الكاشاني في تفسيره "خلاصة المنهج" عند تفسير قوله تعالى : ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا ﴾: المعنى؛ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لصاحبه: لا تحزن ولا تقلق. ويقول العلامة الطبرسي في تفسيره "مجمع البيان": « لا تحزن؛ أي: لا تخف.

وقد سبق أن أثبتنا في الصفحات السابقة؛ أن الخوف أمر فطري جبل عليه البشر وقد يطرأ

على الأنبياء والأئمة كونهم بشرا، وليس معصية، والآن مرة أخرى نؤكد المعنى بشواهد من القرآن الكريم، فها هو سيدنا موسى عليه السلام وقد طرأ عليه الخوف أكثر من مرة؛ من ذلك: في بداية نبوته لما رأى عصاه وقد انقلبت حية تسعى خاف، فقال الله تعالى له :﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَامُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنْ الْآمِنِينَ ﴾(القصص/ ٣١). وكذلك لما أمره الله عز وجل أن يذهب إلى فرعون فإنه طغى، وليتم عليه حجة الله عز وجل، فقال سيدنا موسى عليه السلام: ﴿ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴾ (الشعراء/ ١٤).

والآن أقدم لهم حجة أقوى لعلها تملأ عيونهم، وهو أن علماء الإمامية أنفسهم يقرون ويعترفون بأن موسى عليه السلام قد طرأ عليه الخوف، وذلك في مقام لا يستطيعون العدول عنه ولا تأويله!

لا بد أن تعلم بأن الشيعة يعتقدون في الأئمة الإثنا عشرية أنهم أفضل من جميع الأنبياء عليهم السلام، إلا سيد الأنبياء عليه الصلاة والسلام، فالأئمة ليسوا أفضل منه لكنهم في مقام يساوي مقامه صلى الله عليه وسلم! وفي حديثهم لإثبات هذه العقيدة يقولون بأن عليا رضي الله عنه أفضل من موسى ـ عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ـ وذلك لأن سيدنا موسى لما خرج من مصر وقدم المدين كان خائفا لحظة الخروج من مصر، وذلك قوله تعالى :﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (القصص/ ٢١)، وظل هذا الخوف يطارده حتى وصل المدين والتقى بسيدنا شعيب الذي قال له :﴿ ...قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾(القصص/ ٢٥). في حين أن سيدنا علي رضي الله عنه بات على فراش الرسول صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة دون أي خوف أو وجل. فلو كان يخاف ولو قليلا لما استطاع أن ينام قرير العين!

وإذا كان الشيعة لا تطمئن قلوبهم إلى ما ذكرناه، ولا يحبون أن يتنازلوا مما اتهموا به الصديق رضي الله عنه من الخوف والوجل والإضطراب، فنحن نورد بعض ما قاله علمائهم من خوف الرسول ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ!

يقول مؤلف "تقليب المكائد" في جواب الكيد السابع والثمانون:« لو لا الخوف من القتل والقتال، فلماذا خرج الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ خفية، فلم يكن سبب هجرة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلا خوفا من القتل».

يا ربي!... لا أفهم كيف يتجرأ علماء الشيعة أن يستنتجوا من حزن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وخوفه على الرسول صلى الله عليه وسلم عدم إيمانه وضعف يقينه، في حين أنهم يعترفون بأن الأنبياء والمرسلين كانوا يحزنون، وقد يطرأ عليهم الخوف، وكانت هجرة الرسول مخافة القتل!

لا يعتقد أهل السنة بأفضلية سيدنا أبي بكر رضي الله عنه على نبي الله موسى عليه السلام، ولا حتى بتساويه في المكانة والفضل، لأنه لم يخف! ولا يقولون أبدا بأنه كان فوق سيد الأنبياء في الطمأنينة والسكينة لأنه لم يخف من القتل والقتال.

هنيئا للشيعة هذه العقيدة الفاسدة التي تقول بأفضلية غير النبي على النبي!

ما أعجب أمرهم!...

يقولون في سيدنا موسى عليه السلام أنه خاف، وفي سيد الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه أنه هاجر مخافة القتل والاغتيال، لكنهم لا يسمحون لأنفسهم مجرد الخيال في نسبة الخوف إلى سيدنا علي المرتضى رضي الله عنه، وحتى يعتبرون تقيته مخافة هتك عرضه (لا مخافة الخوف!)، وها هو مؤلف "تقليب المكائد" يقول: « لم تكن تقيته مخافة القتل وضياع نفسه، وإنما مخافة هتك عرضه وشرفه ... (إلى أن يقول) .. عرفت بأن خوف سيدنا أمير المؤمنين لم

يكن خوفا من أن تقتل نفسه، وإنما كان خوفا من هتك عرضه وشرفه».

وقد ثبتت من هذه الروايات أن اتهام الخوف (الذي يعد معصية) لا يثبت على مقام الصديق رضي الله عنه، وذلك لأنهم إذا قالوا بأن خوف الصديق كان من القتل أو الاغتيال، فسنقول: إن مثل هذا الخوف كان يطرأ على الأنبياء عليهم السلام باعتراف من علمائكم. وإذا قالوا بأن الصديق خاف على هتك عرضه وشرفه، فنقول: فقد طرأ مثل هذا الخوف على سيدنا المرتضى رضي الله عنه كذلك، في حين أنه باعتقاد الشيعة كان أفضل من الأنبياء!

تشهد الآيات القرآنية وأحاديث الأئمة (التي رواها الشيعة عنهم)، وأقوال علماء الشيعة الإمامية على أن الخوف على القتل أو الخوف على العزة والشرف قد طرأ على أنبياء كنبي الله إبراهيم الذي كان خليلا لله، وعلى نبي كموسى الذي كان كليما لله، وعلى سيد الأنبياء والمرسلين عليه تحية الله والثناء الذي كان حبيبا لله، وعلى إمام كإمام علي المرتضى الذي يعده الشيعة وصي رسول الله وأسد الله وأفضل من جميع الأنبياء السابقين. فيا ترى! ما العجب في أن يطرأ مثل هذا الخوف على أبي بكر الصديق رضي الله عنه؟!..

والعجب فوق العجب، من أمر علماء الشيعة أنهم يطعنون على الصديق ويرمونه بكل ما يحلو لهم لأنه خاف في ليلة واحدة، ويرون في خوفه ذلك كفره ونفاقه، ولا يرون أئمتهم الذين يزعم الشيعة فيهم أنهم من يوم ولادتهم إلى يوم وفاتهم كانوا يعيشون في الخوف، ويزعمون بأن الإمام الأول إلى الإمام الأخير؛ أي الإمام الغائب، كلهم كانوا يتعاملون بـ"التقية"، خوفا من الأعداء، وليس أحد من هؤلاء الأئمة الاثنا عشر من عاش عمره دون خوف أو اضطراب ووجل، بل لم يعش الأئمة لحظة من أعمارهم في أمان واستقرار وإنما دائما كانوا في خوف ووجل، ومن هنا جاءت "التقية" التي وضعت سترا على الخوف وأصبحت من أعمدة المذهب الشيعي. إلى أن قال أكثر من واحد من الأئمة:« التقية ديني ودين آبائي»! (وقالوا:« لا إيمان

لمن لا تقية له»، وقالوا:« لا دين لمن لا تقية له»).

إذا كان الأئمة ـ وهم كما تزعمون يملكون موتهم وحياتهم، فيعيشون إلى متى ما شاءوا، ولا يقربهم الموت دون إذن منه، والملائكة تطيعهم في كل ما يأمرونهن به، وقد وضع في عيونهم من القوة والأثر ما لو نظروا إلى الجبل لانشق شقا، وكان في أيديهم من القوة ما لو أشاروا بها لمات من ضربتهم ثمانين ألف جني في لمحة بصر، وكان علمهم يحيط بالماضي وبما سيحدث في مستقبل الأزمان، وقد وهب الله كلا منهم من المعجزات ما وهب مثلها لجميع الأنبياء (وحتى كان لديهم معجزة عصا موسى، وخاتم سليمان وغيرها)، فإذا رمى الواحد منهم عصاه من يده لانقلبت حية تسعى، وتبلع الكفار والمنافقين في لمحة بصر ـ مع هذا كله قضوا حياتهم كلها في الخوف ولم يعلنوا عن إمامتهم مخافة الحياة والعرض، لم ينطقوا بالحق حفاظا على أنفسهم، وإذا تحدثوا مع أخص خواصهم من الشيعة غلّقوا الأبواب والنوافذ وتحدثوا خائفين وجلين يظهرون مذهبهم الحق. وإذا جاءهم أحد من الناصبيين لا ينكرون مذهبهم فحسب، بل يجحدون إمامتهم وينكرونها. وللحصول على (مصالح وهمية) يلعنون أخلص أصحابهم ويتبرءون من أصدق أحبابهم! ولم نر أحدا من السادة الشيعة يتحدث عن خوفهم ويطيل لسانه في الطعن عليهم أو يشك في إمامتهم وفضلهم، بل يرون خوفهم هذا من أفضل الطاعات والعبادات ويعتبرون "التقية" أصلا وأساسا للدين، لكنهم يطيلون ألسنتهم على ما يسمونه بالخوف على الصديق رضي الله عنه، ويرون ما حدث منه مرة واحدة دليلا على كفره ونفاقه، مع أنه لم يكن يملك موته ولا حياته، ولم تكن الملائكة تحت قيادته وطوع أمره، ولم يكن يعلم ما كان أو ما يكون، ولم يكن باستطاعته قتل ثمانين ألف جني بضربة واحدة!

يا إلهي!..

ما هذا التعصب والتعنت؟ وما هذا الجحود والتعسف؟ فالخوف واحد لكنه في حق

الأئمة فضيلة ومنقبة وفخر، وفي حق الصديق عيب ومنقصة؟

انظر الخلاف من أين وإلى أين؟...[١]

وكذلك نقول؛ إذا أخذنا جدلا بما يقوله الشيعة وقلنا بأننا لابد أن نعدل عن المعنى الحقيقي للخوف في الآيات التي وردت في حق الأنبياء والأئمة لكونهم معصومين، لا يحل ذلك مشكلة وستظل المشكلة قائمة على حالها، وذلك لأنه ثبت من كلام الله عز وجل أن الخوف قد يطرأ على المؤمنين الصالحين؛ فقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (فصلت/ ٣٠)

فقد ثبتت من هذه الآية أن أهل الإيمان الذين يتصفون بالاستقامة قد يخافون ويحزنون. (وذلك لأن الشيعة يرى بأن النهي يستلزم وقوع المنهي عنه!).

وفي آية أخرى يخاطب الله عز وجل أهل الإيمان ويقول لهم: ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران/ ١٣٩).

دعوني أتساءل؛ فقد وردت في هذه الآية كلمة "لا تحزنوا" في حق المؤمنين غير المعصومين؛ هل جاءت في سياق الزجر والتوبيخ أم التسكين والتسلية؟

لاشك، أن القاضي الشوستري كذلك لن يقول في هذه الآية أنها تعني الزجر والتوبيخ، وإنما تعني التسلية والتسكين، إذن لماذا جعلتم الكلمة نفسها في حق الصديق تعني الزجر والتوبيخ؟!

يتحير العقل السليم من هذه الازدواجية في المعايير، فقد وردت عبارة "لا تحزن" في عشرات الآيات وهي تعني التسكين والتسلية، لكنها في آية واحدة تعني الزجر والتوبيخ، بالله

---

(١) ببين تفاوت ره از كجاست تا به كجا؟

عليكم ما معنى هذه الازدواجية؟!..

أجل، لو كانت في الآية قرينة تدل على العتاب أو الزجر على الصديق لسلمنا بما تقولون، وقلنا بأن "لا تحزن" هنا تعني الزجر والتوبيخ! ولكن أنى لنا مثل هذه القرينة في الآية، بل الآية فيها ما يدل على عدم العتاب. فكما وردت في الآية السابقة وفي حق المؤمنين بعد كلمة "لا تحزنوا" عبارة "وأنتم الأعلون" التي تدل على عدم العتاب، فكذلك جاء في حق الصديق بعد كلمة "لا تحزن" عبارة "إن الله معنا"، التي لا تدل دلالة واضحة على عدم العتاب فحسب، وإنما على الرضى كذلك!

نصل بعد هذا إلى؛ أنه لا فرق بين دلالة "لا تحزن" التي في هذه الآية وغيرها التي جاءت في سائر الآيات القرآنية، فإذا كانت تعني فيها التسلية في تلك الآيات فلابد من نفس المعنى في هذه الآية، وإن كانت تعني الزجر والتوبيخ فينطبق هذا المعنى هنا كذلك!..

لكن الحقيقة تعود إلى شيء خطير يجب أن نعذر الشيعة فيه، وذلك؛ أنهم لو حملوا الآيات القرآنية على معانيها الحقيقية لوجب عليهم أن يقروا ويعترفوا بفضائل الصديق ومناقبه، وإذا أقروا بذلك ذهب مذهبهم واندثر أثرهم، فليس أمامهم إلا أن يحرفوا معاني الآيات القرآنية أو يحرفوا الكلم عن مواضعه، ويتصنعوا معاني جديدة في الكلمات القرآنية يوما بعد يوم.

إذا عجز المسكين عن قتل النفس ... ليس له إلا أن يمزق ثيابه[1]

بعد هذا التفصيل إذا وسوس الشيطان في قلوب الشيعة وقالوا: سلمنا بأن الخوف ليس معصية وسلمنا بأن كلمة "لا تحزن" جاءت تسلية للصديق، لكن بعد هذا كله يثبت لا محالة أن الصديق لم يكن على كامل اليقين على ما وعده الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى حفظ الله عز وجل له ولرسوله الأمين، وإلا لما خاف!

---

(١) دست بيچاره چون بجان نرسد .... چاره جز پيرهن دريدن نيست!

نقول في الجواب: كثيرا ما كتب علماء الشيعة في كتبهم بأن الرسول صلى الله عليه وسلم طلب أكثر من مرة من الصديق وزجره بأن يسكت لئلا ينكشف أمرهما، لكنه لم يسكت. فهل يستطيع أن يتفوه أحد من ملاحدي الشيعة؛ بأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن يوقن بوعد الله وحفظه له، وإلا لما كان يخاف من انكشاف السر، ولما زجر أبابكر ولما غضب عليه عدة مرات ليسكت! (بل كان يبقى ثابتا وموقنا بأنه لن يصيبه ضرر مهما حاول أبوبكر أن يكشف سره)، فما يجيب به السادة الشيعة على هذا الملحد فهو جوابنا لهم فيما زعموه!

والآن دعوني أعالج الموضوع بطريقة أخرى على قواعد الشيعة أنفسهم:

إذا يتأمل الشيعي فيما قاله علمائهم، تأمل الصادق الحيادي، يتضح له بأنه لا يصح بناءا على أصول الشيعة أنفسهم بحال من الأحوال أن نطلق "الحزن" أو "الخوف" على الصديق رضي الله عنه، فهم كما يقول المثل " فروا من المطر ووقفوا تحت الميزاب"!..

وذلك؛ إذا ثبت الشيعة على قول علمائهم وقالوا بأن الصديق "حزن" أو "خاف" فنسألهم: هل خاف الصديق رضي الله عنه على نفسه، أم كان حزنه مخافة أن يصاب الرسول صلى الله عليه وسلم بمكروه؟

إذا قالوا: بأنه خاف على نفسه، فأقول: إذن، فقد ثبت فساد ما زعمه علمائكم من أن الصديق كان مع الكفار وأنه اشترك في مؤامرة قتل الرسول صلى الله عليه وسلم وثبت أنه لم يكن بينه وبين الكفار أي صداقة أو صلة، بل هو كان يخاف منهم على نفسه، وهذا يعني أن الشيعة يسلمون بأن الكفار كانوا يعادون الصديق إلى درجة أنهم كانوا يسعون في قتله. ومن قرائن الحال ومن البديهيات الواضحة أن هذه العداوة لم تكن لها أي سبب إلا مرافقة الصديق للرسول الأمين صلى الله عليه وسلم، ومصاحبته إياه، فقد ظهر للعيان كالشمس في رابعة النهار أن الصديق كان أخلص أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وأصدق رفاقه، وهذا هو

ما ذهب إليه أهل السنة.

وكذلك لابد للشيعة أن يسلّموا كذلك بأن الصديق رضي الله عنه لم يسع أبدا في إفشاء سر الرسول صلى الله عليه وسلم، فهذا خلاف للعقل؛ هل يعقل أن رجلا بذكاء أبي بكر ودهائه يكشف سره على عدوه، أو يسعى لكشف سره فيتسبب في هلاك نفسه؟!

وإذا قالوا: إن أبابكر قد حزن مخافة أن يصاب الرسول صلى الله عليه وسلم بمكروه، فلابد أن نعد هذا الخوف أو الحزن من أعظم مناقب الصديق رضي الله عنه ومن أرفع فضائله، لا أن نعده من المعايب والمطاعن، وما أجمل ما قاله الشاعر:

عين السخط ـ أعماها الله ـ ... تبدي الفضائل وكأنها المعايب[1]

إذا كان السادة الشيعة يعتبرون مثل هذا الحزن أو الخوف من الكبائر أو كفرا يخرج من الملة فهنيئا لهم وحدهم هذه العقلية وهذه الرؤية، ولكننا نحن أهل السنة والجماعة نعتز بهذا ـ وإن سماه القوم كفرا ـ بل نعده أفضل من آلاف من الإيمان، ونرى في ذلك دليلا واضحا على صديقية سيدنا الصديق رضي الله عنه.

وذلك مع أن الصديق كان على يقين جازم أن الله عز وجل يحفظ رسوله لكنه لما رأى سيد الكونين وقائد الدنيا والدين اختفى في غار ضيق مظلم وأصبح كالبدر وراء السحب الداكنة، ولما رأى من رفع الله شأنه ومكانته فوق العرش والكرسي قد انكمش على نفسه في هذا الغار الموحش الصلب، تفتت قلبه وتألمت مشاعره واضطرب روحه، وما قام به الصديق رضي الله عنه طوال هذه الهجرة كلها تشهد له هذه المعاني التي أشرنا إليها: فهو قد دخل الغار قبل المصطفى صلى الله عليه وسلم ليواجه الأخطار بصدره، ثم رتب المكان ومزق رداءه وسد الجحور ثم طلب من الحبيب صلى الله عليه وسلم أن يدخل في الغار ووضع رأس الرسول على

---

(١) چشم بد انديش كه بر كنده باد ... عيب نمايد هنرش در نظر.

فخذه لينام قرير العين. وفي هذه الأجواء الروحانية لما رأى الكفار قد وصلوا أمام الغار خاف أن تصل أيدي الكفار إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فيؤذوه، وقد أصابته من هذا الخوف من الحزن ما الله به عليم وخبير، ويعجز أي إنسان أن يدرك ما عاناه الصديق في هذا الموقف الحرج إلا العاشق الذي رأى معشوقه يعذب ويبتلى بشتى المصائب أمام عينيه، وقد تكالبت عليه الأعداء.

ففي مثل هذه المواقف أنى للعاشق الولهان أن يجلس مطمئن البال مرتاحا، وإنما سوف يضطرب اضطرابا ويرتعد من هول الموقف.

لكن، أنى لمن لم يذق العشق ولا يعرف معنى المحبة أن يدرك شيئا من مشاعر العاشق الصادق!

بل إذا طعن في العاشق الولهان واعتبر اضطرابه نقيصة ومذمة يعذر!!..

يا أيها الإخوة الشيعة!...

ربوا قلوبكم على حب الرسول صلى الله عليه وسلم أولا وتذوقوا شيئا من معاني الحب ثم أطيلوا ألسنتكم على أحباب الرسول ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ وأصحابه ومن فداه بروحه وماله. أنى لكم أن تشعروا شيئا من مشاعر أحباب الرسول صلى الله عليه وسلم وأحاسيسهم تجاهه وليس في قلوبكم حبة خردل من حب الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم.

فقد تربيت في الراحة والنعيم ... أنى لك أن تشعر بحرقة قلوبنا أو بحاجاتنا

إذا لم تكن قد أحببت، فاصمت ... ماذا عسى أن تدرك من مشاعر العاشق المسكين[1]

---

(١) تو نازنين جهانى ونا پرورده ترا زسوز درون ونياز ما چه خبر

چو دل به مهر نگارى نه بسته اى مه ترا ز حالت عشاق بى نوا چه خبر

يا أيها الشيعة الأطهار(!)...

أرجوكم أن تراجعوا مآخذ شهيدكم الثالث وتأملوا فيها كيف أنه أطال لسانه على حزن الصديق أو خوفه فيما قاله:« قد ظهر من جزعه وبكائه ما يكون من مثله فساد الحال». ما أجرأه على مقام الصديق رضي الله عنه، وعلى الاستخفاف بعقول الناس!.. والحمد لله الذي ضرب بما كتبه عرض الحائط وجعل كل مساعيه هباءا منثورا.

واتعظوا واعتبروا كيف شعر علماء الشيعة أخيرا بفساد أقواله ونتائجها الخطيرة التي كادت أن تجعل المذهب الشيعي ﴿ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ ، فانتبهوا إلى ذلك واختاروا لونا آخر، أي؛ نفوا أساسا أن يكون الصديق قد حزن والتجئوا إلى التصنع وتكلفوا في التأويل! أرجو من أهل العدل والعلم والإنصاف أن يستمعوا إلى ذلك وينصتوا لها ثم يباركوا للسادة الإمامية سحرهم في البيان، ويرفعوا أصواتهم بالهتاف والتهنئة لهم. ثم يساءلوا أنفسهم: لماذا ينتقل القوم من لون إلى آخر؟ ولماذا ينكرون ما أقروا واعترفوا به في لمحة بصر؟ ولابد أن نشير هنا بأن هذه ليست سمتهم وطريقتهم في هذه المسألة فحسب، وإنما هذا هو شأنهم في كل المسائل المذهبية والعقدية منها أو العلمية والجزئية منها أو الكلية، هذه هي سمتهم وهذا هو أسلوبهم وسنذكر بإذن الله عز وجل في مبحث الإمامة نماذج من خداعهم ومكرهم:

حبيبتي من أجلي تجمل نفسها ... وتستعمل شتى الألوان والروائح الذكية في كل حين[١]

لما شعر السادة الإمامية أن إثبات الحزن أو الخوف للصديق قد أدى إلى إثبات صدق محبة الصديق وعشقه وإخلاصه للرسول صلى الله عليه وسلم، مباشرة تركوا إدعاء الحزن والخوف

(١) شاد دلربای من می کند از برای من ... نقش ونگار ورنگ وبو تازه بتازه نو بنو

والتجئوا إلى أمر آخر: وهو أن أبابكر لم يكن قد حزن ولا أن خاف وإنما كان يظهر هذه الصور من الجزع والخوف والاضطراب ليكشف سر الرسول صلى الله عليه وسلم للكفار. ففي رسالة "الحسينية" جاء:« كان يصرخ ويرفع صوته بالجزع والفزع ليكشف سر الرسول للمشركين وليعرف القوم أنه في هذا الغار».

ويقول ملا خضر المشهدي :« وأيضا مما اشتهر من لدغ الحية إياه إنما كان يمد رجله يريد إظهار أمره»، فبعث الله حية لتلدغه على رجله، فاضطر أبوبكر أن يسحب رجله إلى داخل الغار، فلم ينكشف السر...

وماذا عسانا أن نقول في جواب هؤلاء؟! فرد مثل هذه الأدلة والتقارير التي تفوح حكمة وعقلا يعجز جميع العقلاء!! بل إن اجتمعت الإنس والجن من شرق العالم وغربه لن يقدروا على الإجابة على هذه الترهات!! ـ وما أجمل ما روي عن أمير المؤمنين سيدنا علي رضي الله عنه، إذ قال: «ما ناقشت عالماً إلا غلبته وما ناقشني جاهل إلا غلبني».

إغتاظ مؤلف "تقليب المكائد" وغضب غضباً شديداً على السيد مولانا شاه عبد العزيز صاحب "التحفة الاثنا عشرية" لماذا لم يذكر نص عبارة علماء الشيعة في كتابه. وحق له أن يغضب ويغتاظ، لأنه لو نقل نص العبارة - كما فعلنا نحن- لم يجد أحد مجالاً لمناقشة الشيعة، وذلك لأن الحديث عندهم خرج عن مجرى النقاش العلمي إلى ما رأيته من الترهات، وكيف للسنة أن يثبتوا فضلاً لأبي بكر لمن أغمض عينيه وحلف على نفسه ألا يفتحها للشمس وأن يجحدها مهما كان الثمن!..

يا أصحابنا!..

راجعوا أنفسكم وانصفوا عقولكم، وانظروا إلى مدى ما وصل إليه علم مجتهدي الشيعة! واعتبروا يا أولى الأبصار...

٩- الشبهة التاسعة على المنقبة التاسعة:

سبق أن قلنا؛ أن الله عز وجل أنزل سكينته على الصديق رضي الله عنه في الغار لما أصابه شيء من الحزن والاضطراب مخافة أن يؤذى الرسول صلى الله عليه وسلم، وعبر القرآن الكريم عن تلك النعمة بقوله : ﴿ ... فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ... ﴾ (التوبة/ ٤٠)، وقد اعترض علماء الشيعة على هذا من عدة أوجه:

الاعتراض الأول:

يرجع ضمير "عليه" في الآية إلى الرسول صلى الله عليه وسلم لا إلى أبي بكر، ومعنى الآية: أنزل الله سكينته على رسوله.

الجواب: فقد طرأ الحزن والخوف على أبي بكر الصديق لا على الرسول صلى الله عليه وسلم، فلا معنى إذن لإنزال السكينة على الرسول صلى الله عليه وسلم، وعلى ما زعمتم فمعنى الآية لابد أن يكون: لما اضطرب أبوبكر الصديق وخاف أنزل الله سكينته على رسول الله!!.. وهذه عبارة مضحكة لا معنى لها ؛ يطرأ الخوف على أبي بكر وتنزل السكينة على رسول الله !!

وإذا قال الشيعة بأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان قد خاف هو الآخر كذلك!

فنقول: تعتبرون خوف أبي بكر وحزنه علامة جبنه، فلماذا لا تجرون قياسكم هذا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا تتطاولون على مقامه القدسي؟!

وكذلك؛ إذا جاريناكم في زعمكم بخوف الرسول صلى الله عليه وسلم، فكيف عسى أن تفهموا الآية :﴿ ... إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ... ﴾ (التوبة/ ٤٠). بل كان لابد أن تكون الآية : فأنزل الله سكينته عليه فقال لصاحبه لا تحزن ...أي؛ كان لابد وأن يتقدم "إنزال السكينة عليه" على قول الرسول! فمن يرتجف خوفا على

نفسه كيف يسلي صاحبه؟! نعم، قد يفعل ذلك بعد إنزال السكينة عليه. لكن الآية واضحة وضوح الشمس وأكثر؛ فقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبابكر حزينا فقام يسليه ويرفع عنه حزنه بقوله :﴿ ... لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَّ مَعَنَا... ﴾، وأنزل الله كذلك سكينته عليه ليذهب عنه الحزن تماما.

الاعتراض الثاني:

لو كان الله عز وجل يريد أن ينزل سكينته على الصديق فكان لا محالة يشارك رسوله في هذه السكينة، ولم يرد في أي موضع نزول السكينة على أناس دون مشاركة الرسول صلى الله عليه وسلم فيها.

ذكر القاضي نور الله الشوستري هذا الاعتراض عند سرده للحكايات المفيدة عند الشيخ المفيد في شيء من الاعتزاز والفخر لا يوصف، وزعم بأنه لا أحد يستطيع أن يناقش هذا الاعتراض:« لما وصل هذا الكلام إلى أسماع الناصبيين ـ السنة ـ تحيروا وكادت أرواحهم تخرج من أجسامهم في البحث عن مخرج من هذه المهلكة».

وكذلك ذكر صاحب "تقليب المكائد"هذا الاعتراض في كتابه معتزا به ومفتخرا عليه قائلا :« ومما يشهد لصحة ما قلناه ما ذكره السلف من مشايخنا رضوان الله عليهم أن الله عز وجل لم ينزل سكينته على أحد من المؤمنين لو كان يرافق الرسول صلى الله عليه وسلم في الغار سوى أبي بكر ، فأنزل الله عز وجل سكينته عليه وحده وخصه بها، ولم يشارك أبابكر معه فيها فقال ﴿ فَأَنزَلَ اللهَّ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا ﴾ (التوبة/ ٤٠). فلو كان أبوبكر مؤمنا لعامله الله عز وجل كما عامل المؤمنين في كثير من الآيات القرآنية بدخولهم في معنى العام للسكينة... إلى أن قال: إذن نزلت السكينة على الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحده، وحرم أبوبكر من السكينة لعدم إيمانه، وكذلك يأبى النص القرآني أن ينزل السكينة على غير الرسول ـ

صلیالله علیه وسلم ـ في آية الغار».

خلاصة ما زعمه الرجل هو: كلما ذكر القرآن الكريم نزول السكينة على المؤمنين ذكر كذلك نزول السكينة على الرسول، ولا نجد آية ورد فيها نزول السكينة على المؤمنين دون الرسول صلى الله عليه وسلم، فكيف يمكن في آية الغار أن تنزل السكينة على أبي بكر وحده دون الرسول صلى الله عليه وسلم؟! بل يثبت من هذه الآية عدم إيمان أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ ، فلو كان مؤمنا لشملته السكينة التي نزلت على الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

الجواب على هذا التقرير المزور والكلام المتفلسف المغشوش:

ما زعمه القاضي نور الله ومشايخ مذهبه من أن نزول السكينة على أحد دون مشاركة الرسول خلاف للنصوص القرآنية كلام باطل لا أساس له. وذلك لأننا لا نجد آية واحدة في كلام الله عز وجل تشير صراحة أو كناية إلى هذا المعنى؛ أن السكينة لن تنزل على أحد من المؤمنين دون مشاركة الرسول له فيها.

وإذا وردت في آية أن السكينة نزلت على المؤمنين وعلى الرسول صلى الله عليه وسلم لا يلزم من ذلك أن لنزول السكينة صورة واحدة فحسب، وحتى لو افترضنا أنه لم يثبت في القرآن كله نزول السكينة على المؤمنين دون أن يشاركهم فيها الرسول، لا يثبت لهم هذا الزعم الباطل!

لكن بفضل الله عز وجل هناك آيات عديدة في القرآن المجيد تصرح بنزول السكينة على المؤمنين دون أن يشاركهم فيها رسول. إلا أن الشيعة قد حرموا من حفظ كلام الله عز وجل وفهمه واستيعاب معانيه. ولعله لم يتشرف القاضي نور الله وسائر مشايخ مذهبه بتلاوة كلام الله المجيد من أوله إلى آخره في عمرهم كله، لو لا ذلك لما تجرأوا على هذا الزعم الباطل.

والآن نذكر عددا من تلك الآيات:

ففي سورة "إنا فتحنا" ذكر مرتين نزول السكينة على المؤمنين دون أن يشملهم فيها الرسول صلى الله عليه وسلم:

الأولى: قوله تعالى :﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾(الفتح/ ٤).

الثانية : قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾(الفتح/ ١٨).

يا إخواني الشيعة!..

راجعوا هذه الآيات في القرآن المجيد، بل فحصوا عددا من المصاحف لتطمئن قلوبكم على صحتها. فإذا وجدتم في جميع المصاحف على طول وعرض بلاد العجم والعرب من بلاد الهند إلى إيران أن جميع المصاحف قد أثبتت تلك الآيات، فاحكموا أنتم بأنفسكم على أنفسكم، وعلى قاضيكم والمتقدمين من مشايخكم، واكشفوا ستار العدل عن جرأتهم في الكذب وطمس الحقائق!..

يا أصحابنا!..

من المؤسف جدا أن نرى هذه المناقشات ظلت تدور بين الشيعة والسنة أعواما عديدة وأزمنة مديدة لكن أحدا منكم لم يلتفت حتى اليوم، إلى سورة الفتح ولم ير قوله تعالى :﴿ .. فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ .. ﴾، و إلا لما افتخرتم على ترهات القاضي نورالله ولما اعتززتم بها.

والغريب في الأمر؛ قلما نجد في المذهب الشيعي من يحفظ أكثر من "إنا أنزلناه"، و"قل هو الله أحد"، أو بضعة من سور قصيرة!

خلاصة القول: لا شأن لأصحاب هذا المذهب بالقرآن الكريم ولا علم لهم به، مع ذلك تراهم يتجرأون على القرآن بهذه السفاهة.

الاعتراض الثالث:

إذا قلنا برجعة ضمير "عليه" في آية الغار إلى أبي بكر، سنواجه خللا في الضمائر؛ وذلك لأن الضمائر قبل هذا الضمير وبعده تعود إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

الجواب:

إذا لم تكن هناك قرينة يعد تخلل الضمائر قبيحا، ولكن في هذه الآية يعتبر حزن الصديق قرينة واضحة لإرجاع الضمير إلى أبي بكر الصديق لا محالة. والقرينة الثانية أن الضمير دائما يعود إلى أقرب مذكور وأبوبكر هو أقرب من يعود الضمير إليه هنا .

هذا من جانب، ومن جانب آخر لا نجد هنا أبدا تخللا في الضمائر، وذلك لأن "وأيده" لم يعطف على "فأنزل الله "، وإنما عطف على "فقد نصره الله"، فأين تخلل الضمائر؟!

ولو افترضنا بأن هنا تخللا في الضمائر فهذا لا يقدح إذ مثلها كثير في القرآن الكريم، من ذلك قوله تعالى :﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ * وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ ﴾(العاديات/ ٦-٧). ولله الحمد والمنة فقد ذهبت كل الاعتراضات التي افتراها الشيعة على أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ هباءا منثورا، وظهر للعيان كذب القاضي ومشايخهم.

ومن اللطائف في الأمر؛ أن هذه الاعتراضات بلغت من الركاكة درجة لم يستطع معها بعض علماء الشيعة إلا أن يعترفوا بذلك! فها هو صاحب تفسير "مجمع البيان" يكتب في تفسيره:« وقد ذكرت الشيعة في تخصيص النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في هذه الآية بالسكينة كلاما رأينا الإضراب عن ذكره أولى لئلا ينسبنا ناصبي إلى شيء».

فالحمد لله أولا وأخيرا، فقد ثبت بالدليل القاطع والبرهان الجلي مكانة سيدنا الصديق وفضيلته.

وتبين كذب الشيعة وسفاهة أدلتهم ولغو كلامهم، وسياق الآية كذلك يشهد عليهم

ويبين أن ذكر أبي بكر في هذه الآية لم يأت إلا من باب الصحبة والرفقة، ولا مجال للحديث عن النفاق.

والشيعة يدركون ذلك تماما، ولا ينكرون ذلك ولا يجحدونه إلا تعصبا وعدوانا ونصرة لمذهبهم، وبذلك يلقون أنفسهم في نار جهنم وبئس المصير. نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا.

شهادة الأئمة الكرام في فضائل الصحابة العظام ومناقبهم

(**الحديث الأول**): (**أصحابي كالنجوم**)

فقد ورد في كتب الشيعة عن الأئمة الكرام أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال:« أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم». وكذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم :« دعوا لي أصحابي»، أي؛ راعوا فيهم حق صحبتهم إياي واعرفوا لهم شأنهم فلا تقدحوا فيهم، ولا تطعنوا فيهم ولا تعيبوا عليهم أمرا.

يحكم علماء الشيعة على هذين الحديثين بالصحة لفظا ومعنى، وحتى مؤلف "استقصاء الأفحام" قد أقر بذلك. فإن كان لبعض علماء الشيعة أحاديث مختلفة عن الحديث الأول. اكتفي بالتعليق على إقرار علماء الشيعة بصحة الحديث الثاني بأن أقول: ما دمتم تقبلون الحديث الثاني فلماذا لا تعملون به؟ ولماذا لا تحترمون فيهم حق صحبتهم للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولماذا لاتكفون على سبهم ولعنهم والطعن فيهم؟! ولماذا تعادونهم بعد أمر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذا « دعوا لي أصحابي»؟!

لا أحد من الشيعة سلفا وخلفا يستطيع الرد على هذه التساؤلات!!

بقي الآن أن نقف وقفة مع الحديث الأول. ننقل من كتب الشيعة أقوال الأئمة في ذلك لإثبات صحته ثم نثبت بطلان ما افتراه علماء الشيعة في تأويل هذا الحديث وتحريفه؛

لا يخفى على الدارسين أنه ورد في كتاب "عيون أخبار الرضا" من الكتب المعتمدة في المذهب الشيعي ما يلي:« حدثنا الحاكم أبو علي الحسن بن احمد البيهقي، قال: حدثنا محمد بن يحيى الصولي، قال: حدثنا محمد بن موسى بن نصر الرازي، قال: حدثني أبي قال: سئل الرضا عليه السلام عن قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ :" أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم". وعن قوله: " دعوا لي أصحابي". فقال: هذا صحيح ».

ثبتت من هذه الرواية أن حديث "أصحابي كالنجوم" ورد في كتب الشيعة بنفس الألفاظ التي وردت في كتب السنة. وقد زادت كتب الشيعة التصريح بصحته على لسان مبارك؛ وهو لسان الإمام المعصوم!

يجدر الإشارة إلى أن حديث النجوم السابق الذكر ورد في كتب عديدة من مراجع الشيعة ومصادرهم، وقد بلغت أسانيد الحديث ورواياته درجة لم يبق لهم مجال في إنكاره أو الكلام عليه، أو أن يعدوه من الأخبار الآحاد ليخلصوا أنفسهم منه. وقد أورده الشيخ الصدوق[1] في "معاني الأخبار" والعلامة الطبرسي في "الاحتجاج"[2] وملا باقر المجلسي في "بحار الأنوار" وملا حيدر آملي في "جامع الأسرار" وأقروا بصحته.

ومن اللطائف العجيبة في هذا الباب؛ أن الشيعة قبل أن يخرّج أهل السنة هذا الحديث من كتب الشيعة ويثبتوا صحته من أقوال الأئمة التي وردت في كتب الشيعة ومصادرهم، بالغوا في الرد عليه وقدموا تقارير عجيبة وتعليقات غريبة عليه و طعنوا فيه بشتى الطرق والأساليب ليضعفوا الرواية ثم يطعنوا فيها بأنها "موضوعة"، وقد سوّدوا في ذلك صحائف وقراطيس، حتى قال قاضي القوم القاضي نور الله الشوستري في "إحقاق الحق":« أما ما رواه من حديث أصحابي كالنجوم، ففيه آثار من الوضع والبطلان مما لا يخفى». لم يكن يخطر ببال القاضي هذا، عندما طعن في هذه الرواية وتجرأ عليها، وزعم أنها موضوعة أنها قد وردت بنصها في كتب الشيعة أنفسهم. وأنه لم يكن يتصور أن الرواية التي ركب عليها وطعن من خلالها على أهل السنة واعتبر مذهبهم باطلا لبطلان الرواية، أنها نفسها ثبتت برواية الأئمة الكرام في كتب

---

(١) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن حسن بن بابويه القمي، من علماء القرن الرابع، مات عام ٣٨١هـ. أنظر إلى ترجمته في فهرس الأعلام، في نهاية هذا الكتاب. (م)

(٢) وقد ذكر مؤلف "الاحتجاج" في مقدمة كتابه؛ إن ما ذكرته من الروايات في كتابي هذا كلها صحيحة بالإجماع ومطابقة للعقل، ما عدا ما ذكرته من روايات الإمام العسكري.

الشيعة أنفسهم!

والفرق بين الفريقين في هذه الرواية أن السنة رووها عن طريق الضعفاء والمجاهيل في حين أن الشيعة رووها عن طريق أئمة الهدى. فلو أنهم ضعفوا رواة السنة أو قالوا ببطلان رواية السنة لضعف رواتها فلا ضير عليهم، لكن القاضي المذكور ـ أو أي واحد من الشيعة ـ إذا طعن في هذا الحديث واعتبره موضوعا فقد تجرأ على الإمام الرضا وطعن في حكم الإمام على الحديث لما قال بصحته، وبذلك يكون قد طعن في المذهب كما أنه يخرج عن دائرة الإيمان لتكذيبه الإمام.

والآن بعد أن أثبتنا صحة هذا الحديث من خلال كتب الشيعة أنفسهم، نذكر تأويلات الشعية وتحريفاتهم فيه، ونوضح بطلانها:

فقد زاد كتاب "عيون" بعد أن ذكر هذه الرواية عبارة :« يريد من لم يغير بعده ولم يبدل[1]. ثم سأل السائل الإمام الرضا وقال: كيف نعرف بأن الأصحاب قد غيروا أو بدلوا في دينهم؟ فقال الإمام: فقد ورد في الحديث النبوي أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: بطرد جماعة من الصحابة عن حوض الكوثر، فأقول: يا ربي، أصحابي، أصحابي! ثم يقول الله عز وجل: لا تدري ماذا أحدثوا بعدك. ثم يجرون إلى النار. وأنا أقول: سحقا سحقا، بعدا بعدا. قصدنا من ذكر هذه الإضافة ؛ أن بعض الصحابة قد خرجوا عن دائرة هذا الحديث لردتهم».

وماذا عسى أن تضرنا هذه الزيادة في الرواية، إذ أن الصحابة الذين نتقرب إلى الله عز وجل بحبهم لم يغيروا في دينهم ولم يبدلوا، ولم يخرجوا عن دائرة حديث النجوم. والشيعة قد

---

(١) يريد من لم يغير بعد ولم يبدل. قيل: وكيف نعلم أنهم قد غيروا وبدلوا؟ قال: لما يروونه من أنه صلى الله عليه وسلم قال: ليذادون رجال من أصحابي يوم القيامة عن حوضي كما تذاد غرائب الإبل عن الماء، فأقول: يا رب أصحابي أصحابي! فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك؟ فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: بعدا لهم وسحقا. أفترى هذا لمن لم يغير ولم يبدل. انتهى نص عبارته.

أقروا بأن المقبولين من الصحابة لا يدخلون في حديث الحوض، فقد جاء في "استقصاء الأفحام":« لا شك أن حديث الحوض لن يشمل المقبولين من صحابة خير الأنام ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا ينطبق هذا الحديث عليهم أبدا». ولم يبق إلا أن نثبت بأن الخلفاء الراشدين والأنصار والمهاجرين كانوا من الصحابة المقبولين. وسنثبت ذلك قريبا عند حديثنا عن ارتداد الصحابة إن شاء الله.

وإذا افترضنا جدلا أن عددا من الصحابة المقبولين غيروا في دينهم وبدلوا، لكن مع هذا سوف يبقى حديث النجوم يشمل عددا كبيرا من الصحابة ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ . وذلك لأن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد كان أفصح الفصحاء وأبلغ البلغاء شبه الصحابة بشيء لا يدل على الفضل والمنقبة فحسب وإنما يدل على الكثرة كذلك، وهو؛ النجوم. إذن كلام الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ "أصحابي كالنجوم" واضح في أن الصحابة الكرام كالنجوم في الكثرة يهتدي بهم الناس، ولا يشبه الشيء القليل بالنجوم إلا الجاهل الأحمق الذي لا يعرف عن الأسلوب العربي شيئا.

ولو افترضنا جدلا مرة أخرى وقلنا بأن الحديث يدل على الأقل القليل، بل يدل على رجلين أو ثلاث. ثم يبقى الحديث بهذا المعنى الافتراضي كذلك شاهدا على بطلان المذهب الشيعي! وذلك لأن من الأسس التي بني عليها المذهب الشيعي؛ أنه لا يجوز الإقتداء بأحد ما عدا أهل البيت، وأنه لن يهتدي من يقتدي بغيرهم. في حين أن حديث النجوم يجيز الإقتداء بالصحابة ولو كانوا اثنين أو ثلاثة ـ على ما زعمتم ـ، بل ويقول بهداية من يقتدي بهم!

ولما رأى علماء الشيعة أن هذه الزيادة كذلك فشلت و لم تنفعهم، التجئوا إلى حيلة أخرى وتأويل آخر فقالوا: إن كلمة "الأصحاب" في هذا الحديث تعني: أهل البيت. فقد قال مؤلف "استقصاء الأفحام":« معنى الأصحاب في حديث أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم ؛

هم أهل البيت عليهم السلام». لكن هذا التأويل جاء أضعف من التأويل الأول وأسخف منه، وهناك قرائن واضحة صريحة تدل على بطلانه، منها:

القرينة الأولى:

حمل لفظ "الأصحاب" على أهل البيت تحريف صريح وواضح[1]. فقد وضعت العربية كلمة "الأصحاب" لمن يصاحب المرء ويلازمه، كما وضعت أهل البيت لأهل الدار. وقد وردت هذه الألفاظ في روايات شتى وفي مواطن كثيرة من كلام الأئمة والأحاديث النبوية بهذه المعاني اللغوية الواضحة. ولا نجد مكانا واحدا استعمل فيه كلمة "الأصحاب" في معنى "أهل البيت". فمن ذلك ما ورد في دعاء الإمام زين العابدين في كتاب "الصحيفة السجادية" أنه قال:« اللهم وأصحاب محمد خاصة الذين أحسنوا الصحبة» وأحاديث كثيرة لا تكاد تحصى وتعد، ومثلها الكثير من الآثار في نفس هذا المعنى ولم يحمل أحد كلمة "الأصحاب" فيها على "أهل البيت". ما عدا هذا الحديث الذي خالفوا فيه اللغة والثابت من الأحاديث والآثار!

وأجمل ما في الحكاية؛ أنه إذا قال أهل السنة أن كلمة "أهل البيت"، تعني "الزوجات الطاهرات أمهات المؤمنين"، بل حتى وإن تنازلوا وقالوا: إن الكلمة تشمل "الأمهات المؤمنين" كذلك، وأن حديث:« مثل أهل بيتي كسفينة نوح» يشمل الأمهات المؤمنين، أو أن أمهات المؤمنين يدخلن فيمن يدخل في "آية التطهير"، ترى الشيعة يجن جنونهم ويثورون كالثور الهائج ويقيمون الدنيا ولا يقعدونها ويرمون القائل "بالناصبية" أو "الخارجي"، في حين أن حمل "أهل البيت" على الأزواج ليس خلافا للغة العرب، ولا خلافا للقرآن أو الحديث، بل كل القرائن وسياق الكلام وما سبقه يدل على أن كلمة "أهل البيت" في آية

---

(١) قال القاضي نور الله الشوستري في "مجالس المؤمنين": « أرجح الأقوال في تعريف الصحابي هو من لقي الرسول صلى الله عليه وسلم وقد آمن به!».

التطهير لا يراد منها إلا أمهات المؤمنين. فهم يحاسبون أهل السنة على هذا الموقف ظلما وزورا ودون دليل ولا برهان، ثم يسمحون لأنفسهم أن يحرفوا الكلم كيفما يشاءون ، بل ويفتخرون على هذا التحريف ويعتزون به.

هذا هو الوادي، وهذه هي العيون، وها هي الورود والأزهار ... وأنى للغة أن توضح أكثر من هذا[١]

لعل الشيعة بعد ذلك سوف يسمحون لأنفسهم أن يزعموا بأن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إرضاء للصحابة من باب "التقية"قال: بأن "أصحابي كالنجوم"، ولما رأى أن "أهل البيت" انزجروا من هذا الوصف النبوي وحزنوا على ذلك، قال إرضاءا لهم أنني قصدتكم أنتم بكلمة "أصحابي"! ولا شك بأنه لا أحد يجد ردا على ذلك!!..

القرينة الثانية:

ثم لو قلنا بأن كلمة "الأصحاب" تعني "أهل البيت"، فلابد أن يراد منها أهل البيت الذين كان لهم شرف صحبة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ دون غيرهم، وبذلك لا يشمل الحديث كل الأئمة الإثنا عشر إذ لم يتشرف بالصحبة منهم إلا ثلاثة؛ سيدنا علي المرتضى وسيدنا حسين وسيدنا حسن ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ ومن هنا وجب ألا يعد من أهل البيت إلا هؤلاء الثلاثة. فلا يكون إتباعهم أو الإقتداء بهم شرطا للهداية، إذن لا يجوز أبدا أن يحمل كلمة "الأصحاب"، على معنى "أهل البيت".

ولعل الشيعة يردون على هذا الدليل بأن سائر الأئمة وإن لم يكونوا قد تشرفوا بصحبة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في عالم الأجسام، لكنهم تشرفوا بصحبته ـ صلى الله عليه وسلم ـ في عالم الأرواح وبذلك أصبحوا من أصحابه!!..

---

(١) اين سبزه واين چشمه واين لاله واين گل ... آن شرح ندارد كه بگفتار آيد.

القرينة الثالثة:

رفض مؤلف كتاب "عيون" ما زيد على حديث النجوم (أي: من لم يغير بعد ....)، وكذلك رفض رفضا باتا تأويل القوم بل منع عنه، وذلك لأن هذا التأويل يؤدي إلى وجوب القول بأن من الأئمة الاثنا عشر من هو غير دينه وارتد عن الإسلام! وإن كان من ألّف هذه الزيادة لم يرد إلا الطعن في الخلفاء الراشدين، لكن الذين حرّفوا معنى "الأصحاب" إلى "أهل البيت" وجدوا أنفسهم مرغمين أمام تطبيق هذا الحكم على أهل البيت.

ولله في خلقه شؤون! فما أعجب حكمة الله في خلقه! حفروا بئرا ليوقعوا الحق الصريح فيها فإذا هم وقعوا فيها صرعى!

إن الله ينصر هذا الدين بالرجل الفاجر .... كما أن الزجاج يصنع من الحجر[(١)]

ولما رأى علماء الشيعة أن كل تأويلاتهم باءت بالفشل وعادت كالسهام إلى نحورهم، اضطروا أخيرا أن يطعنوا في حديث النجوم وينكروا صحته. والحمدلله أنهم لم ينكروا وجود الحديث في كتبهم!..

يزعم صاحب "الاستقصاء" أن السائل قد سأل الإمام عن حديثين اثنين، لكن الإمام رد عليه وقال:« هذا صحيح » . وهذا الجواب يعود إلى الحديث الأخير:«دعوا لي أصحابي»، ولا يعود البتة إلى الحديث الأول، فلا مجال للاستشهاد به على حديث النجوم!

وإليك نص ما قاله صاحب "الاستقصاء":« يتضح من دراسة هذا الحديث الشريف، أن ما قاله المخاطب في ترجمة هذا الحديث بأن الإمام الرضا عليه السلام حكم على صحة هذين الحديثين كلام لا يصح، وذلك لأنه لم تصرح هذه الرواية بصحة هذين الحديثين أبدا، وإنما ورد لفظ "هذا صحيح"، وقد لا تكون الإشارة للحديثين معا، وإنما يحتمل ذلك، ولعل السائل

---

(١) عدو شود سبب خير گر خدا خواهد خمير مايه دكان شيشه گر سنگ است.

استفسر عن الحديثين لكن الإمام أجابه عن الحديث الأخير دون الأول».

وعلى هذه الإجابة التي تتجلى عليها الحكمة والدراية (!) لطائف كثيرة:

الأولى:

أن الرجل لم يكن واثقا على ما يقوله، فهو لا يثق بنفسه ولا بجوابه في قرارة صدره، وذلك عندما قال: "يحتمل"، وكان ينبغي أن يقول:"لابد"، أو "من الواجب" أو على الأقل "يظهر"، والمعروف أن الاحتمال لا يطعن في المرويات.

الثانية:

أن ما قاله الرجل من أنه يحتمل أن يكون الإمام قد أجاب على الحديث الثاني دون الأول يخالف ما تعارفت عليه العقول. وذلك لأن السائل سأل عن حديثين، ولو قال الإمام:« هذان صحيحان» لكان كلاما ركيكا، بعيدا كل البعد عن الفصاحة والبلاغة. وعادة العرب قد جرت بأن تشير بـ "هذا" على الأشياء المتعددة المذكورة. وتأويلهم في ذلك؛ هذا المذكور كذا.

الثالثة:

لو افترضنا بأن الإمام قد أجاب عن الحديث الثاني فحسب، فيطرح السؤال نفسه أمام الشيعة؛ فلماذا لم يجب الإمام عن الحديث الأول؟ لماذا لم يصرح بعبارة واضحة بأن الحديث الأخير هو الصحيح؟ ولماذا أجاب بعبارة غامضة قد تخدع السائل. فالسائل قد فهم من كلام الإمام أنه يقول بصحة الحديثين معا، وإلا كان يسأله عن الحديث الأول ويقول له: يا سيدي الإمام لماذا لم تقولوا شيئا عن الحديث الأول؟

وأغلب الظن أن يقول سادة الشيعة ردا على هذا؛ بأن هذا كان هو أسلوب الأئمة الكرام في الإجابة، فهم لا يفصحون في الإجابة، ويأخذون "بالتقية" فيجيبون على هذا النحو، أجوبة مجملة مهملة!!...

الرابعة:

حتى ولو تركنا هذه الرواية، فحديث النجوم يثبت من روايات أخرى. فقد أورد ملا حيدر آملي في كتابه "جامع الأسرار" أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال:« أنا كالشمس وعلي كالقمر وأصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم». لا أدري، ماذا سوف يكون حال الشيعة وهم يقرأون هذا الحديث، وكم شعلا من النار تندلع في صدورهم وقلوبهم فتحرق عقولهم وأفئدتهم؟!

فإذا عاد الشيعة وزعموا بأن المراد من "الأصحاب" في هذا الحديث هم "أهل البيت"، فقد سبق أن أجبنا عليهم، فليرجعوا إلى ما سبق.

ونعود لنقول هنا كذلك: نرجوكم إذا ثبت صحة هذا الحديث هنا، أن تراجعوا إنكاركم لحديث الإمام الرضا المنقول في "عيون الرضا" الذي سبق أن أثبتنا صحته! وذلك لأن المعنى واحد. وكيف لكم أن تطبقوا على أهل البيت عبارة « من لم يغير بعده» الذي جاء في تذييل الحديث السابق.

والآن انظروا إلى التفاسير الواردة في هذا الحديث. ما كتبه العلامة الإثنا عشري في هذا الحديث يدل دلالة واضحة على أن كلمة "الأصحاب" هنا لا تعني "أهل البيت" ألبتة، وذلك لأنه جاء في مقدمة هذا الحديث أن النبوة كنور الشمس وأن الإمامة كضوء القمر وعلم العلماء كتلألؤ النجوم، وهذه عبارته: « ورد في اصطلاح القوم تسمية الولاية بالشمس والقمر، والمراد بها ولاية النبي وولاية الولي، ونسبة العلماء إليها كنسبة النجوم إلى القمر والشمس.... (إلى قوله).. فكذلك لا يكون للعلماء قدرة ولا ظهور مع وجود الأوصياء وأنوارهم من حيث الولاية، ويؤيد ذلك كله ما أشار إليه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله: أنا كالشمس، وعلي كالقمر وأصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم».إذن من الواضح بأن أهل البيت هم الأئمة

ـ الإثنا عشر ـ وهم من الأولياء وقد شبهوا بالشمس والقمر، وأن تشبيه النجوم جاء للعلماء لا للأولياء. ويتضح على هذا النحو من تقرير العلامة هذا بأن في عبارة "أصحابي كالنجوم" لا يمكن حمل "الأصحاب" على "أهل البيت"، وإنما يقصد بالأصحاب؛ العلماء. وكذلك يثبت من هنا بأن حديث النجوم حديث صحيح!

وإذا كانت هذه الرواية كذلك لا تشبع نهم السادة الشيعة، فنورد رواية أخرى: فقد أورد الشيخ الصدوق في "معاني الأخبار" ما نصه:« حدثنا محمد بن الحسن احمد الوليد رحمه الله قال: حدثنا محمد بن الحسن الصفار عن الحسن بن موسى الخشاب عن غياث بن كلوب عن ابن عمار عن جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ما وجدتم في كتاب الله عز وجل فالعمل لكم به لا عذر لكم في تركه، وما لم يكن في كتاب الله عز وجل وكانت فيه السنة مني فلا عذر لكم في ترك سنتي، وما لم يكن فيه سنة مني، فما قال أصحابي، فقولوا به؛ إنما مثل أصحابي فيكم كالنجوم بأيها أخذ اهتدى، بأي أقاويل أصحابي أخذتم اهتديتم، واختلاف أصحابي لكم رحمة»[1].

---

(١) لا أستطيع أن أصور الزلزال الذي أحدثه هذا الحديث بين علماء الشيعة وفي فكر السادة المجتهدين منهم، ولعل خير شاهد أستطيع أن أسوقه هنا، ذلك الحوار الذي دار بين السيد سبحان علي خان وأخوه في الدين السيد نور الدين، وهذا الحوار يصور شيئا من الصدق التي أصاب القوم من جراء هذا الحديث! أورد لكم شواهد من نص الرسائل التي راسل بعضهم بعضا في هذا الأمر. جاءت في الصفحة/ ١٠١ من "رسالة المكاتيب في رواية الثعاليب والغرابيب" المطبوع عام / ١٢٦٠، رسالة بخط يد السيد سبحان علي أرسلها إلى السيد نور الدين وفيها : «... ثبت لي أن حديث "أصحابي كالنجوم" ورد عن طرق الشيعة، ولا أدري كيف وصل إليه الناصبي، وبما أن أسناد مثل هذه الأحاديث صحت لدى الشيعة فلا أدري بأي صخرة أدك رأسي!»..

وفي الصفحة/ ١٤١من نفس الكتاب ذكر الرسالة التي بعث بها السيد نور الدين في جواب أخيه وفيها: «... يا أخي يحق لك أن ترتبك وتتحير من الحديث الذي اهتدى إليه ذلك الناصبي. والأدهى من ذلك أنني رأيت

ولا أحد يستطيع أن يناقش صحة هذا الحديث، وذلك لأن العلامة الطبرسي صدقه في كتابه "الاحتجاج"، وكذلك ملا باقر المجلسي في كتابه "بحار الأنوار". وبما أن هذا الحديث يطابق الحديث السابق في المعنى، بل ويزيد عليه بعبارة "واختلاف أصحابي لكم رحمة" التي تؤيد الرواية السابقة أكثر فأكثر، فتكذيب الحديث السابق الذي نقلناه من كتاب "العيون" ليس إلا تكذيبا للإمام موسى الرضا!

وكذلك لو أننا غضضنا الطرف وتجاهلنا وجود حديث العيون، فهذه الرواية لوحدها

في بعض مجلات "البحار" أن بعضا من الأئمة الأطهار كتبوا في جواب بعض المسترشدين: أن هذا الحديث قد ثبت عن جدنا وقد قال به، ولم يتطرق إليه تحريف في اللفظ. أجل! توسل النواصب إلى التحريف المعنوي ليطبقوا هذا الحديث على أهل الردة وبذلك تاهوا في الضلالات وضلوا السبيل. فلم يدركوا أن سيد المرسلين وخاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ذكر في وصف عدد من أصحابه بأنهم كالنجوم، ولم يقصد بذلك إلا الذين ثبتوا بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم على ما عاهدوه في حياته، لا الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنْ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴾ إلى أن قال: وأنا في حيرة أشد مما أنت فيها، وليست حيرتي من أن الحديث يستلزم الأمر بالاقتداء بالفلان أو الفلان، وإنما دهشتي من أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر أمته بالاعتصام بالقرآن والعترة، فما جدوى قوله أن أصحابي أمثال أبي ذر وسلمان وحذيفة ومقداد وابن مسعود نجوم للهداية: اقتدوا بهم وبأي أقاويلهم أخذتم اهتديتم، وما الداعي إلى ذلك؟!»

ويزيد في دهشة وحيرة من أن «بعض العلماء قالوا بأن المراد هنا: أهل البيت لا غير. ويتشبثون ببعض الأخبار والآثار التي روى خلافها الشيخ ابن بابويه القمي في "الهداية" في الأغلب. وهذا يزيد على هذا التوتر والخلاف بأنه يعارض الحديث الأول كذلك، وإلا يلزم هؤلاء الأكابر بأن يقولوا ـ معاذ الله ـ أن أهل البيت كانوا كالأصحاب؛ ارتد جمع منهم واحدثوا في الدين، وبقي جزء منهم على الحق. وهذا لم يقل به أحد.

ولهذا حيرتي تفوق حيرتك ودهشتي تفوق دهشتك أضعافا مضاعفة، فأنا متوتر وحيران أضرب كفا على كف ولا أدري ماذا أصنع، وأشعر بارتعاش شديد في قلبي، وكبدي يكاد يتفتت مما أنا فيه. وليس لي تفسير إلا أن أقول بأن هذه الآلام للدين لا غير»!!

تكفي لإثبات ما ندعيه. وما قاله الشيعة في تأويل هذا الحديث بلغ في السخافة مبلغا لا يوصف!

فالشيخ الصدوق بعد ما روى هذا الحديث عقب بعبارة:« فقيل : يا رسول الله! من أصحابك؟ قال: أهل بيتي». ثم بنى شيخ صدوق مؤلف "استقصاء الأفحام" تأويله فقال وهو يرد على الحديث السابق:« فلو كانت إجابة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في حديث العيون عن الحديثين معا، فيقتضي ذلك أن معنى النجوم في هذا الحديث كذلك هم الأصحاب، يحدث خلافا وتناقضا مع حديث معاني الأخبار وأمثاله. فمن هنا وجب القول بأن جواب الإمام الرضا عليه السلام لم يكن عن الحديثين معا، بل؛ إن الإمام وصف حديث "دعوا لي أصحابي"، بالصحة دون الآخر. وفسر ذلك بأصحابي الذين لم يتغيروا ولم يتبدلوا، وبذلك أزال كل الشبه عن خواطر أهل الإيمان وأفهامهم»!

في تفسير مؤلف "الاستقصاء" هذا، من السخافات وجوه وألوان لا تعد ولا تحصى، منها:

الأول:

إن الجملة الزائدة:" يا رسول الله! من أصحابك؟"، ليست إلا مما وسوس قلب السيد الشيخ الصدوق عليه وأوحى إليه شيطانه، وقد كان أستاذا في هذا الفن! فكان يتصرف في الروايات كما يحلو له ليقوي بها مذهبه. وقد شهد بذلك ملا باقر المجلسي[١] في "بحار الأنوار" عند حديث أبوبصير في معنى كلمات "شاء ما شاء" حيث قال بأن الشيخ صدوق حرف هذا الحديث، فزاد ونقص في العبارة، وهذا نص عبارته:« هذا الخبر مأخوذ من الكافي، وفيه تغييرات عجيبة تورث سوء الظن بالصدوق، وإنه إنما فعل ذلك ليوافق مذهب أهل العدل».

(١) ملا باقر بن ملا محمد تقي المجلسي (١٠٣٧هـ ، ١١١١هـ). راجع ترجمته في فهرس أعلام الكتاب. (م)

إذن فقد ثبت بإقرار من ملا باقر المجلسي بأن الصدوق كان يغير ويبدل في ألفاظ الحديث نصرة لمذهبه، وكان يتصرف في الروايات تصرفات سخيفة. فهل يمكن أن يسلم هذا الحديث الذي تثبت به فضائل الصحابة ومناقبهم، ويبطل المذهب الشيعي من أوله إلى آخره، من يد الصدوق؟! كلا، فقد زاد على الحديث تلك الجمل التي أشرنا إليها ليسلم المذهب الشيعي من هذا الحديث!

وإذا لم يطمئن الشيعة بما قاله ملا باقر المجلسي عن هذا الحديث، سنذكر دلائل أخرى على زيادة هذه العبارات (أي: فقيل يا رسول الله ! من أصحابك؟ قال: أهل بيتي) لتطمئن قلوب القوم.

الدليل الأول:

يقول الشيخ علي بخش خان في رسالته: «لم يكن الجواب يحتوي على ألفاظ صعبة أو على ألغاز مستعصية الحل ليعود السائل فيسأل! فهذا السؤال يدل من نفسه دلالة واضحة على أنه ملحق بالحديث وليس منه».

الدليل الثاني:

تحدث الحديث عن "اختلاف الأصحاب"، فإذا حملنا "الأصحاب" على "أهل البيت" لوجب أن نقول بأن أهل البيت كانوا يختلفون في المسائل الدينية. في حين أن المذهب الشيعي لا يجيز اختلاف أهل البيت بحال من الأحوال. وقد أدرك الشيخ الصدوق نفسه هذا الطعن القبيح، فقال بعد أن ذكر الرواية ما نصه:« قال محمدبن علي مؤلف هذا الكتاب: إن أهل البيت عليهم السلام لا يختلفون، ولكن يفتون الشيعة بالحق، وإنما أفتوهم بالتقية، فما يختلف من قولهم فهو للتقية، والتقية رحمة للشيعة»!!..

وللشيخ الصدوق وأتباعه أن يفتخروا ويعتزوا بهذا الجواب كيفما يحلو لهم، لكن من غير

الشيعة يستطيع أن يرى الكذب رحمة؟! وهل "التقية" إلا الكذب؟!

لكننا نغمض الطرف عن هذا التأويل الفاسد ونقول: إذن بناءا على ما قلتم، كما يظهر من هذه الرواية؛ اختلاف الأئمة رحمة، والعمل على أي قول من أقوالهم وإن كان "تقية" يستوجب الهداية، فيظهر من ذلك أن "أهل السنة" على الهداية لا محالة، فهم يعملون بما قاله الأئمة ولو عد الشيعة أقوالهم من باب "التقية"!

ولا يخفى على أحد أن ما قاله الأئمة من باب "التقية" واضح وصريح، أو لم يكن الأئمة يفكرون أبدا بأنه قد يصدق إنسان هذه الأقوال الكاذبة فيضل بها؟!

يقول مير باقر داماد في "نبراس الضياء":« يقصد الأئمة الكرام بفتاويهم التي أصدروها من باب "التقية": تعليم الأمة أن العمل بها جائز في الضرورات، ولا خوف من ضلال المؤمنين إذ قد أبلغوا بأمر الحق مسبقا. فمن هذه الفتاوي ما أجابوا بها من يسأل عن المذهب، فكان من منهج الأئمة الكرام أن يجيبوا مثل هذا السائل بما يوافق مذهبه الباطل، لأنه لم يكن أمل في أن يهتدي هؤلاء الناس».

وعلى هذا، إذا كان الأئمة يصدرون فتاوى مختلفة وأحكاما متضادة عن قصد منهم، فبناءا على هذا الحديث العمل بأي من أقوالهم المتباينة يستوجب الهداية.

الدليل الثالث:

فقد قال مؤلف "الاستقصاء" في رده على حديث "العيون"، بأننا لو قلنا بصحة هذا الحديث، فيلزمنا من ذلك مخالفة أحاديث كثيرة أخرى وردت في "معاني الأخبار" وغيره. وهذا القول من مؤلف "الاستقصاء" مردود عليه، وذلك لأن العبارة الزائدة في رواية "معاني الأخبار" ملحق بها قطعا. وهي مما زاده الشيخ الصدوق من نفسه على الرواية. وإذا أبعدنا هذه العبارات الزائدة من ألفاظ حديث "العيون" فسيكون الحديث كالآتي: أصحابي كالنجوم

بأيهم اقتديتم اهتديتم. ونص حديث معاني الأخبار هو:« إن مثل أصحابي فيكم كمثل النجوم بأيها أخذ اهتدى»، فكما ترى لا خلاف بين الحديثين، وأن الحديثين متفقان في المعنى ويؤيد كل منهما الآخر.

أجل، يظهر الخلاف في الرواية من العبارة التي زادها الشيخ الصدوق. فليتأمل العاقل في ذلك!

فقد اعترف مؤلف "الاستقصاء" بصحة حديث "دعوا لي أصحابي"، وقال بأن الإمام الرضا قال بصحة هذا الحديث، وقد ورد فيه كلمة "أصحابي" نفسها، فلم لم يسأل السائل: يا رسول الله! من أصحابك؟ ، وكذلك وردت كلمة "الأصحاب" في روايات وأحاديث كثيرة، ولم نجد في موطن واحد منها أن يسأل أحد من الناس: يا رسول الله! من أصحابك؟ فلا ندري ماذا حدث في حديث النجوم، وما اللغز الذي أشكل على السائل وجعله يستفسر عن معنى كلمة "الأصحاب"؟!

الدليل الرابع:

إذا افترضنا صحة ما زاده الشيخ الصدوق على هذا الحديث، وسلمنا كذلك بوجود الخلاف بين حديث "العيون" وحديث "معاني الأخبار"، فستبقى المشكلة كما كانت. إذ لا يمكن بناءا على قواعد أصول الحديث أن نحكم على حديث بالوضع لمجرد خلافه لحديث آخر. ولم يقل أحد من المحدثين أن التعارض علة في الوضع. ولو افترضنا بأن التعارض علة في الوضع، فما الذي يجبرنا بأن نحكم بالوضع على حديث "العيون"، ولماذا لا نحكم على حديث "معاني الأخبار" بالوضع؟!

والعجيب من أمر مؤلف "الاستقصاء" إكباره وتضخيمه للتعارض القائم بين هذين الحديثين، وكأن المذهب قد سلم من التعارض إلا في هذا الموطن. وكأنه لا يعرف أنك لا تجد

حديثا مما رواه الشيعة من أئمتهم سلم من التعارض والخلاف! وهذا الخلاف والتعارض بين الروايات يعد من أغرب العجائب في المذهب الشيعي. وقد انزعج علماء الشيعة ـ المتقدمون والمتأخرون ـ[١] من هذه الإختلافات التي لا تكاد تنتهي وأظهروا خوفا منها واضطربت مشاعرهم وأقوالهم تجاهها، وليس هناك حل يقدر أن يحسم هذه الخلافات. وقد تجاهل مؤلف "الاستقصاء" هذا الأمر وكأنه لا يعرفه ولم يسمع به قط!!

ألم يطلع المؤلف على ما قاله إمامه الأعظم الشيخ الطوسي في كتابه "تهذيب الأحكام" ـ الذي يعد واحدا من الأصول الأربعة لدى الشيعة ـ إذ أقر بأنه في هذا الكتاب وحده ما يزيد عن خمسة آلاف حديث يعارض بعضها بعضا ويناقض بعضها الآخر. ولا يمكننا أن ندفع هذا التعارض والتناقض بأي شكل من التأويل أو التحريف.

نقل مؤلف كتاب "فوائد مدنية" ما قرره إمامه الأعظم في هذه العبارات:« وقد ذكرت فيما روي عنهم عليهم السلام من الأحاديث المختلفة التي يختص بالفقه في الكتاب المعروف بالاستبصار، وفي كتاب تهذيب الأحكام ما يزيد على خمسة آلاف حديث، وقد ذكرت في أكثرها اختلاف الطائفة في العمل بها، وذلك أشهر من أن يخفى».

وكذلك أقر علماء الشيعة أنفسهم بأن هذا الاختلاف البين في الأحاديث لم يأت من قبل الرواة وإنما وضع الأئمة الكرام بأنفسهم النفيسة هذا الاختلاف! فقد قال ملا باقر المجلسي في "بحار الأنوار" أن رجلا قال للإمام جعفر الصادق:« ليس شيء أشد علينا من أن وقع بيننا اختلافات عظيمة. فرد عليه الإمام وقال: أنا وضعت هذه الخلافات بنفسي». وكذلك جاء في "بحار الأنوار" من رواية "زرارة" أن رجلا سأل الإمام الباقر مسألة. فأجابه الإمام . ثم جاء

(١) يقول في ذلك مجتهدهم الأعظم مولوي دلدار علي في الصفة / ٥١ من كتابه "أساس الأصول": إن الأحاديث المأثورة عن الأئمة مختلفة جدا لا يكاد يوجد حديث إلا وفي مقابله ما ينافيه ...... الخ.

رجل آخر فسأل الإمام في نفس المسألة، فأجابه الإمام جوابا خلاف ما أجاب الأول. ثم جاء رجل آخر وسأله عن نفس المسألة، فأجابه الإمام على خلاف ما أجاب الرجل الأول والثاني. قال زرارة، لما خرج الرجلان، قلت للإمام: يا ابن رسول الله! هذان الرجلان كانا من أهل العراق ومن شيعتكم، وقد أجبتهما بإجابات مختلفة، ووضعت بينهما الخلاف؟! قال الإمام: هذا أفضل في حقنا، وفي هذا صلاحنا وصلاحكم، فإذا اتفقتم جميعا على كلام واحد قتلكم الناس وقتلونا معكم. قال زرارة: ثم سألت عن هذا الأمر الإمام جعفر الصادق. هو كذلك أجابني بنفس ما أجابني عليه أبوه»[1].

ليس هذا فحسب؛ فلم يكن الأئمة يكتفون على حكمين أو ثلاثة أحكام مختلفة في مسألة واحدة، بل كان عدد الأجوبة يصل إلى سبعين جوابا أحيانا. ففي "بحار الأنوار"، باب: كتمان الدين عن غير أهله. روي عن الإمام جعفر الصادق أنه قال بإنني أضع سبعين وجها في المسألة الواحدة، فأخرج من كيد الناس بأي وجه شئت[2].

والأحاديث والروايات في هذا الباب كثيرة لا تكاد تعد أو تحصى، ومن يريد أن يشبع نهمته منها فليراجع كتاب "بحار الأنوار" باب "كتمان الدين عن غير أهله".

---

(١) وهذه عبارته: عن زرارة عن أبي جعفر قال: قال: سألته عن مسئلة، فأجابني، قال: ثم جاء رجل فسأله عنه، فأجابه بخلاف ما أجابني، ثم جاء رجل آخر فسأله عنها، فأجابه بخلاف ما أجابني وأجاب صاحبي، فلما خرج الرجلان. قلت: يا ابن رسول الله رجلان من أهل العراق من شيعتك قدما يسئلان فأجبت كل واحد منهما بغير ما أجبت الآخر. فقال: يا زرارة إن هذا خير لنا وأبقى لنا ولكم، لو اجتمعتم على أمر واحد لقصدكم الناس ولكان أقل بقاءنا وبقائكم. فقلت لأبي عبد الله شيعتكم لو حملتموهم على الأسنة وعلى النساء لمضوا وهم يخرجون من عندكم مختلفين. قال: فسكت. أعدت ثلاث مرات، فأجابني مثل جواب أبيه. (أنظر: أصول الكافي، ص/ ٣٧، ط/ نولكشور. و شافي ـ الترجمة الأردية لأصول الكافي ـ ج/ ١، ص/ ١١٨، ط/ كراتشي)

(٢) وهذه ألفاظه: «عن أبي عبد الله قال: إني لأتكلم على سبعين وجها لي في كلها المخرج».

فإذا كان هذا هو أمر الشيعة في أحاديثهم من الخلاف والتعارض والتناقض، فلماذا يهتم مؤلف "الاستقصاء" باختلاف هذين الحديثين هذا الاهتمام ويبالغ في أمره؟!

وفي الحقيقة ترجع هذه الاختلافات في روايات الشيعة إلى المنافقين والكذابين الذين طالما طردهم الأئمة من مجالسهم، وكانوا يؤلفون الروايات والأحاديث على لسان الأئمة ليسيئوا سمعتهم بين الناس. وكان الأئمة يتبرأون منهم ويلعنونهم.

وسنثبت هذه الحقيقة المرة في الصفحات القادمة من خلال ما ورد في كتب الشيعة أنفسهم. إن شاء الله.

(الحديث الثاني): دعاء الإمام زين العابدين للصحابة

ورد في " الصحيفة الكاملة"، ذلك الكتاب الذي يقدسه الشيعة كما يقدسون القرآن الكريم، وألفاظه لا تقل صحة واعتبارا لديهم من ألفاظ القرآن الكريم! روي أن سيدنا الإمام زين العابدين عليه السلام قد دعا في حق صحابة الرسول عليهم التحية والثناء وفي حق التابعين بدعاء هذا نصه: « اللّهُمّ وَأَصْحَابُ مُحَمّدٍ خَاصّةً الّذِينَ أَحْسَنُوا الصّحَابَةَ وَالّذِينَ أَبْلَوُا الْبَلَاءَ الْحَسَنَ فِي نَصْرِهِ، وَكَانَفُوهُ، وَأَسْرَعُوا إِلَى وِفَادَتِهِ، وَسَابَقُوا إِلَى دَعْوَتِهِ، وَاسْتَجَابُوا لَهُ حَيْثُ أَسْمَعَهُمْ حُجّةَ رِسَالَاتِهِ. وَفَارَقُوا الْأَزْوَاجَ وَ الْأَوْلَادَ فِي إِظْهَارِ كَلِمَتِهِ، وَقَاتَلُوا الآباءَ وَالْأَبْنَاءَ فِي تَثْبِيتِ نُبُوّتِهِ، وَانْتَصَرُوا بِهِ. وَ مَنْ كَانُوا مُنْطَوِينَ عَلَى مَحَبّتِهِ يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ فِي مَوَدّتِهِ. وَالّذِينَ هَجَرَتْهُمُ الْعَشَائِرُ إِذْ تَعَلّقُوا بِعُرْوَتِهِ، وَانْتَفَتْ مِنْهُمُ الْقَرَابَاتُ إِذْ سَكَنُوا فِي ظِلّ قَرَابَتِهِ. فَلاَ تَنْسَ لَهُمُ اللّهُمّ مَا تَرَكُوا لَكَ وَفِيكَ، وَأَرْضِهِمْ مِنْ رِضْوَانِكَ، وَبِمَا حَاشُوا الْخَلْقَ عَلَيْكَ، وَكَانُوا مَعَ رَسُولِكَ دُعَاةً لَكَ إِلَيْكَ. وَاشْكُرْهُمْ عَلَى هَجْرِهِمْ فِيكَ دِيَارَ قَوْمِهِمْ، وَخُرُوجِهِمْ مِنْ سَعَةِ الْمَعَاشِ إِلَى ضِيقِهِ، وَمَنْ كَثّرْتَ فِي إِعْزَازِ دِينِكَ مِنْ مَظْلُومِهِمْ. اللّهُمّ وَ َوْصِلْ إِلَى التّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، الّذِينَ يَقُولُونَ رَبّنَا اغْفِرْ لَنَا وَ لِإِخْوَانِنَا الّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ خَيْرَ جَزَائِكَ الّذِينَ

قَصَدُوا سَمْتَهُمْ، وَتَحَرَّوْا وِجْهَتَهُمْ، وَمَضَوْا عَلَى شَاكِلَتِهِمْ. لَمْ يَثْنِهِمْ رَيْبٌ فِي بَصِيرَتِهِمْ، وَلَمْ يَخْتَلِجْهُمْ شَكٌّ فِي قَفْوِ آثَارِهِمْ، وَالِائْتِمَامِ بِهِدَايَةِ مَنَارِهِمْ. مُكَانِفِينَ وَمُوَازِرِينَ لَهُمْ، يَدِينُونَ بِدِينِهِمْ، وَيَهْتَدُونَ بِهَدْيِهِمْ، يَتَّفِقُونَ عَلَيْهِمْ، وَلاَ يَتَّهِمُونَهُمْ فِيمَا أَدَّوْا إِلَيْهِمْ. اللَّهُمَّ وَصَلِّ عَلَى التَّابِعِينَ مِنْ يَوْمِنَا هَذَا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَعَلَى أَزْوَاجِهِمْ وَ عَلَى ذُرِّيَّاتِهِمْ»[1].

يا أيها المسلمون! تمعنوا في هذه الكلمات، تدبروا في معانيها، أنظروا إلى الكلمات التي استعملها الإمام زين العابدين في وصف الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين. وانظروا كيف مدحهم وكيف ذكر أوصافهم وكيف وصف ما قاموا به في سبيل الله وما تحملوه من المصائب والمحن، وفكروا مليئا في دعائه لهم بالإخلاص والصدق.

من يستطيع بعد ما أثبته الإمام للصحابة من الإيمان والإسلام، وبعد أن سمع من الإمام هذا الدعاء فيهم، أن يشك في فضائلهم أو يقلل من منقبتهم؟

كيف يمكن لمن يؤمن بأن الإمامة من أصول الدين ويزعم أنه يعمل بأقوال الأئمة وأفعالهم، ثم يسمع من الإمام كل هذا المدح والثناء والدعاء للصحابة الكرام، ألا يعتقد بالصحابة الكرام ومكانتهم وفضلهم.

من المعروف أن الشيعة يحكمون على ما يرويه أهل السنة في فضائل الصحابة من كتبهم بالوضع، وإذا نقل لهم من كتبهم في فضائل الصحابة شيء تسارعوا وقالوا بحمل الكلام على "التقية"! لكن هذا الدعاء من الصحيفة الكاملة لا يمكن أبدا أن يحمل على "التقية"، وذلك لأن هذا دعاء كان الإمام زين العابدين يدعو به في خلوته بعيدا عن الناس، فهو يناجي ربه قائما بين يديه، فهو يذكر أوصاف الصحابة ويثني عليهم وليس بينه وبين الله أحد يسمعه ليخافه الإمام فيعمل بـ "التقية"، إذن لا مجال للقول بالتقية هنا البتة! فمن هذا الدعاء الذي قاله

(١) الصحيفة الكاملة، ص/ ١١٢، ط/ نظامي بريس لكنهو، عام ٢٠٠٥م.

الإمام في خلوته ونجواه لا يخاف لومة لائم، يثبت أعلى صور الفضل والمنقبة للصحابة الكرام.

ألم يأن للسادة الشيعة أن ينصفوا أنفسهم من أنفسهم، ويراجعوا عقائدهم وأفكارهم وتصوراتهم؟ كيف أنكم تدعون طاعة الأئمة واتباعهم ثم تخالفونهم وتعارضونهم في مدحهم وثنائهم للصحابة، وتهبون أنفسكم لذم الصحابة والطعن فيهم، وتنشغلون ليلا ونهارا في شتمهم وسبهم وذكر معايبهم؟! أليس عجيبا ومستغربا أن يدعو الأئمة الكرام في أناس بالرحمة والمغفرة ويبالغوا في مدحهم ثم تأتون أنتم من ورائهم تذمون هؤلاء الناس وتنتقصون منهم، وتدعون عليهم وترمون بالضلال والكفر كل من ادعى إتباع من مدحهم الأئمة الكرام، وتقولون بكمال الإيمان لمن طعن فيمن مدحهم الأئمة ولعنهم وأبغضهم!

لا ندري ماذا تعني المحبة والإيمان عندكم؟ وما هي العداوة والكفر عندكم؟

ثم تعالوا نراجع معا بعضا من تلك الفوائد التي قد نحصل عليها من دعاء الإمام زين العابدين:

الأول: الإمام دعا للصحابة الكرام بالخير وأثنى عليهم.

الثاني: إنّ الذين سبقوا بالإيمان من الصحابة كانوا أفضل من غيرهم، وأنّ الصحابة قد تحملوا في سبيل الله ألوانا من العذاب والمحن وتركوا ديارهم. وقد هجرهم أقاربهم وذويهم لسبب حبهم وتعلقهم بالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ . وأن الصحابة كانوا يدعون الناس إلى الإسلام.

الثالث: أن كل من تبع الصحابة الكرام كان صاحب فضل كذلك.

والآن ندرس هذه الأمور الثلاثة على حدة ونبين تفاصيلها الهامة:

الأمر الأول: الإمام يدعو لهم بالخير.....

لم يدع الإمام زين العابدين للصحابة بالخير، ولم يذكر محاسنهم ولم يثن عليهم إلا امتثالا

لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك. سبق أن أوردنا من كتاب "عيون" حديث الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال:« دعوا لي أصحابي». وهناك أحاديث وأقوال كثيرة في كتب الشيعة تؤيد هذا المعنى. من ذلك ما كتبه قبلة الشيعة السيد ميرن في مبحث النبوة في الصفة / ٣٢٨ من الجزء الثالث من "حديقة السلطانية":« لما أدرك الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الوفاة، صعد المنبر وسأل أصحابه: كيف أديت حق النبوة فيكم؟ قال الصحابة كلهم: فقد تحملت في سبيل الله ألوانا من العذاب وصبرت في سبيل الله كثيرا، فجزاك الله عن كل ذلك خير الجزاء. فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: وجزاكم الله خيرا كذلك».

ولا ندري على ماذا سيحمل الشيعة هذا القول من الرسول صلى الله عليه وسلم الذي قاله في آلاف من الصحابة كانوا قد تجمعوا لوداع نبيهم عليه الصلاة والسلام؟

ومن ذلك ما ورد في تفسير الإمام حسن العسكري:« أن رجلا ممن يبغض آل محمد وأصحابه أو واحدا منهم يعذبه الله عذابا لو قسم على مثل ما خلق الله لأهلكهم أجمعين». ويثبت من هذا الحديث أن عداوة الصحابة حرام كحرمة عداوة أهل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم.

ومن ذلك ما جاء في كتاب "جامع الأخبار" من الكتب المعتبرة لدى الشيعة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:« من سبني فاقتلوه ومن سب أصحابي فاجلدوه».

ومن ذلك ما جاء في كتاب "مفتاح الشريعة ومفتاح الحقيقة":« فقد ذكر ملا باقر المجلسي في "بحار الأنوار" وذكر كذلك القاضي نور الله الشوستري وغيره عن الإمام جعفر الصادق أنه قال: الغيبة عيب قبيح والبهتان والافتراء أخبث منه». غيبة عامة الناس وبهتانهم كبيرة من الكبائر، فما رأيك في غيبة أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم والافتراء عليهم وبهتانهم؟!

إذن لا بد للمرء أن يحسن الظن فيهم ويعتقد فيهم كل الخير ويرطب لسانه بذكر

فضائلهم ومناقبهم، ولابد من أن يبتعد الإنسان العاقل عن صحبة أعداء الرسول صلى الله عليه وسلم فإن ذلك يورث النفاق الخفي في القلب.

مع أن كل هذه الأحاديث والأقوال وردت في كتب الشيعة أنفسهم، لماذا يعتبر الشيعة شتم الصحابة وعداوتهم من أفضل الطاعات وأقرب القربات إلى الله عز وجل؟ ويعتبرون لعنهم ـ الذي يعود إلى اللّعان نفسه ـ من أفضل الطاعات. وما لهم وقفوا أنفسهم ليلا ونهارا ، قياما وقعودا للعن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين؟! وما لهم يسمون أنفسهم بالإمامية بدلاًمن اللعنتية؟ أو ليسوا لعنتيين؟!..

الأمر الثاني: اشترى الصحابة الكرام المصائب والمحن وتحملوا في سبيل إيمانهم كل الأذى، وإنّ السابقين منهم إلى الإسلام أفضل من غيرهم.

فقد ثبت تفضيل فضائل الصحابة الكرام من دعاء الإمام زين العابدين بصورة لا مجال للشيعة في الطعن فيها ولا في مناقشتها ولا في تكذيب الحديث، وذلك لأن الصحيفة السجادية كتاب في غاية الثقة، ويسميه الشيعة "زبور آل محمد"، وها هم لا يستطيعون تأويل هذا الحديث وذلك لأن لتأويل هذا الحديث ثلاث صور لا رابع لها:

الصورة الأولى: أن يحملوا هذه الفضائل والمناقب على غير الصحابة، مثل ما فعلوه في حديث النجوم.

الصورة الثانية: أن يحملوا الحديث على "التقية"، كما فعلوا ذلك في كثير من الأحاديث.

الصورة الثالثة: أن يزعموا بأن هذه الفضائل وردت في الصحابة المقبولين لديهم، والذين لا يتجاوز عددهم ثلاثة أشخاص أو أربعة. ويخرجوا بذلك معظم المهاجرين والأنصار ولاسيما الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين من دائرة الفضائل المذكورة في الدعاء.

لكن هنا قد سدت الأبواب أمام كل هذه الصور من التأويلات، وليس أمام الشيعة إلا

أن يرغموا أنفسهم على أن يعترفوا كأهل السنة بفضائل جميع المهاجرين والأنصار والخلفاء الراشدين منهم!

تنتفي الصورة الأولى من حيث أن أحدا من الشيعة لم يتجرأ إلى اليوم أن يقول بأن هذه الفضائل ليست في الصحابة الكرام، بل أقروا بأن هذه المناقب وردت في حق الصحابة رضي الله عنهم. فقد قال مؤلف "النزهة الإثنا عشرية":« لا يقول الإمامية بالقدح والجرح في جميع الصحابة، بل يعتبرون كثيرا من الصحابة العظام من أصحاب المكانة الجليلة ومن الممدوحين بل من أولياء الله الصالحين، ويعتقدون فيهم أنهم يستحقون رحمة الله عز وجل ورضوان الملك المنان. والدعاء المأثور الذي ورد عن سيد الساجدين عليه السلام في الصحيفة الكاملة التي تعتبرها الفئة الناجية زبورا لآل محمد، شاهد على هذا الادعاء».

وتنتفي الصورة الثانية من أن أحدا من علماء الشيعة لم يتفوه بذلك فلم يحملها أحد منهم على "التقية". وكيف يستطيعون حمله على "التقية"، فالإمام زين العابدين لم يبين كل هذه الفضائل ولم يدع بكل هذه الدعوات أمام الخوارج ولا أمام الناصبيين أو أهل السنة، ولا حضر دعاءه أحد من هؤلاء، حتى يكون لهذه الصورة محمل على ذلك. فيقولون بأن الإمام قال خلاف ما في نفسه خوفا. فقد كان الإمام في خلوة خاصة ولم يكن بينه وبين الله أحد، وكان يدعو دون أن يسمعه أحد، فكان يبين فضائل الصحابة الكرام ويذكر سوابقهم ومناقبهم ويدعو لهم بالرحمة والمغفرة ويثني عليهم دون أن يخاف في ذلك لومة للائم ودون أن يكون في الأمر مجال "للتقية"!

مرحبا، وألف مرحبا بالشيعة (!) كيف يتجرأون في أن يعادوا ويبغضوا من أكنّ الإمام لهم كل هذا الاحترام والمحبة والتبجيل، ثم يدعون بعد ذلك أنهم أتباع لهذا الامام ولغيره من الأئمة؟!

وكيف يحترقون غيظا وغضبا على أنفسهم كلما يسمعون أهل السنة يثنون على الصحابة بعد ثنائهم على آل نبيهم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم؟!

والحقيقة المرة التي لا مراء فيها أن الأعداء يعجزون من أن يصنعوا عشر معشار ما فعله الشيعة لإبطال دين الإسلام من وراء غطاء وستار من محبة أهل البيت!!

ما صنع في الصديق بفضله ... يعجز عنه العدو الذي يعطش دمي(!)[1]

أما الصورة الثالثة: إذا زعم الشيعة هذه الصورة وقالوا بها، وجاءوا إلى ذلك من خمسين وجه، لن يثبت منها وجه من الوجوه!

وذلك لأننا جميعا اعترفنا بأن هذه الفضائل والمناقب والثناء ورد في حق الصحابة الكرام، ولم يبق بيننا وبين الشيعة نزاع إلا أن يزعموا بأن هذه الفضائل والمدح لا يخاطب به جميع المهاجرين والأنصار والخلفاء الراشدين وإنما ورد في الصحابة المقبولين الذين لا يتجاوز عددهم ثلاثة أشخاص أو أربعة؟

لكننا نثبت بعون الله عز وجل لهم ونوضح أمامهم كالشمس في رابعة النهار بأن كل هذه الفضائل التي ذكرها الإمام كان يعني فيها كل المهاجرين والأنصار ولاسيما الخلفاء الراشدين، وذلك لأن أعمال هؤلاء السادة وأحوالهم يشهد على أنهم هم الذين يصدق فيهم ما قاله الإمام زين العابدين: «وَالَّذِينَ أَبْلَوُا الْبَلاَءَ الْحَسَنَ فِي نَصْرِهِ، وَكَانَفُوهُ، وَأَسْرَعُوا إِلَى وِفَادَتِهِ، وَسَابَقُوا إِلَى دَعْوَتِهِ، وَاسْتَجَابُوا لَهُ حَيْثُ أَسْمَعَهُمْ حُجَّةَ رِسَالاَتِهِ. وَفَارَقُوا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلاَدَ فِي إِظْهَارِ كَلِمَتِهِ».

فأول ما بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم دعوته للناس بدأ هؤلاء القوم يؤمنون به ويلتحقون بركبه واحدا بعد آخر ويضعون نحورهم دون نحره، ويستقبلون أذى قريش

---

(١) آنچه به فيضى نظر دوست كرد ... مشكل اگر دشمن جانى كند.

بصدور رحبة وشفاه مبتسمة وقلوب راضية لا يريدون إلا وجه الله؛ فقد تركتهم أقوامهم وعشائرهم ونبذتهم أرحامهم إلى درجة أن منعوا عنهم البيع والشراء، لكن المؤمنون ثبتوا على الإيمان ولم يزعزع يقينهم كل تلك المصائب والمحن، فقد ظل المهاجرون طيلة ثلاثة عشر عاما في مكة يعيشون بين مطارق الأهل والخلان وسندان قريش، وكان الخلفاء الراشدون من هؤلاء الصامدين، بل كانوا من أجملهم ثباتا وتضحية ...

فيا ترى، إذا لم تكن هذه الفئة المؤمنة هم الذين يعنيهم الإمام زين العابدين في دعائه، وإذا لم يكونوا هم الذين يصدق فيهم وصف الإمام لهم، فعلى من يصدق هذا الوصف؟ ومن هم الذين صورهم الإمام في هذا التصوير؟

فليقل لنا الشيعة؛ من هم الذين آمنوا في مكة وكان الكفار يؤذونهم؟ من أي بلاد قدموا؟ وأين كانوا يسكنون؟ من أسمائهم؟

فقد راجعنا كتبهم واستمعنا إلى علمائهم ولم نجدهم يذكرون غير المهاجرين والخلفاء الراشدين في هذا الباب. لكنهم ظلوا يعارضوننا في قولنا: بأن جميع المهاجرين آمنوا بالله عز وجل وأخلصوا في إيمانهم، بزعمهم الرخيص؛ أن المهاجرين لم يؤمنوا إلا نفاقا وطمعا للحصول على الدنيا فيما أخبرهم بذلك الكهان والمنجمون!

يقول مؤلف "حمله حيدري" في ذلك شعرا:

« كان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يبطل أصنام قريش ويدعو للحق، وينذر قومه حينا ويبشرهم حينا آخر بآيات الله عز وجل، ولم يؤثر كلامه فيهم إلا قليلا، فقد آمن فئة ضئيلة، منهم من آمن يبتغي وجه الله، ومنهم من يطمع في الدنيا. ولا يقولن جاهل: أين كانت الدنيا عند المصطفى ليطمع فيها الناس، أجل! لم يكن بين يدي الرسول من حطام الدنيا، لكنهم كانوا يطمعون في المستقبل الذي أخبرهم به الكهان، إذ قالوا لهم: بأن دين محمد

سيسيطر على العالم كله ويكون الأمر بين أتباعه وسيذل أعداءه!»[١].

لم نذكر ترهات هذا الشاعر إلا لنشير إلى أن الشيعة كذلك يعترفون بأن هؤلاء القوم قبلوا الإيمان وآمنوا، ولأن الأمر لدى الشيعة ثابت لا يناقشونه اكتفينا بما قاله صاحب "حلمه حيدري". ولم يبق إلا أن نناقشهم: في أن إيمانهم كان عن إخلاص ولم يكن عن نفاق، وأنهم لم يكونوا قد آمنوا بسبب تكهنات الكهان والمنجمين. وسنثبت هذه النقطة في الصفحات القادمة إن شاء الله.

والشيعة بلا اختلاف يسلمون بأن هؤلاء الجماعة هم الذين هاجروا إلى المدينة بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بعدما بلغ السيل الزبى ووصل أمر إيذاء القريش لهم حدا لا يطاق، وقد تحملوا في مكة ما يعجز القلم عن وصفه من العذاب.

يقول صاحب "حملة حيدري":

---

(١) حمله حيدري، ج/ ١، ص/ ١٥:

دگر وعظ و ارشاد این نسق	در ابطال اصنام و اثبات حق
نمودي حبیب خداي جهان	نه کردي ولي کار در مشرکان
بخواندي مدام از کلام مجید	بران قوم آیات وعد و وعید
نمودي اثر گفته اش گاه گاه	که بگذاشتي يك دو کس براه
ولیکن نه جمله ز راه یقین	یکي بهر دنیا یکي بهر دین
بنادان رسد گر بگیرد خطا	که دنیا کجا بود با مصطفي
چنین ست دنیا نبود آن زمان	ولي بود آینده منظورشان
خبرداده بودند چون کاهنان	که دین محمد بگیرد جهان
همه پیروانش به عزت رسند	تمام اهل انکار ذلت کشند
یکي کرد ازین راه ایمان قبول	یکي شخص بهر خدا و رسول

« كان أبو طالب بمثابة سند قوي للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلا يقترب أحد إليه ليؤذيه، فكانوا يؤذون أصحابه في كل مكان، وبشتى الأساليب الوحشية في التعذيب من الضرب والشتم، وقطع الماء والطعام عنهم، وتجريدهم من الثياب ووضعهم على الرمال الساخنة، وضربهم بالسياط والأحجار وغيرها من الصور الوحشية التي تفتت القلوب ذكرها ... هكذا عذبوا تلك الفئة التقية من المؤمنين...»[(١)].

يا أيها السادة الشيعة!..

تدبروا وتمعنوا في الأمر، وانظروا بعقولكم: على من ينطبق وصف سيدنا زين العابدين في قوله: « الذين هجرتهم العشائر إذ تعلقوا بعروته، وانتفت منهم القرابات إذ سكنوا في ظل قرابته »، إذا لم ينطبق على هذه الجماعة المؤمنة؟!

والآن نفصل القول فيما ورد في كتب الشيعة عن إيمان الشيخين وإسلامهم واحدا تلو

(١) حمله حيدري، ج/ ١، ص/ ١٦:

ولي چون ابوطالب نامور — نگهبان او بود ازين پيشتر
بايذاي او كس نمي يافت دست — رسانيدي اصحاب او را شكست
بهر كوي و برزن و بر هر ممر — كه كردي ز اصحاب او كس گذر
نمودندي اعداي او ز غلو — بهر گونه آزار و ايذاي او
به ضرب و به شتم و به مشت ولگد — به ديگر ستمهاي بيرون زحد
فگندي زهر سو بسر خاك شان — نمودي برهنه تن پاك شان
پس انگه نشاندي چنان بي ثياب — در آن ريگ تفتيده از آفتاب
بريدي از آن قوم آب و طعام — زدي تازيانه ز خلف و امام
دگر ظلمهاي هلاكت مآل — كه آرد بيانش بدلها ملال
نمودندي آن ناكسان شقي — بآن زمره ي مومنين متقي

الآخر:

قصة إيمان سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

يقر الشيعة بأن الصديق ـ رضي الله عنه ـ كان من السابقين الأولين إلى الإسلام، وسبق أن أشرنا إلى هذا المعنى عند حديثنا عن آية الغار. وهنا نسرد شبهاتهم الواهية ونحللها ونرد عليها.

من شبهاتهم وافتراءاتهم؛ أن الصديق آمن على قول أحد الكهنة. يقول صاحب "حملة حيدري":

« تذكر أبوبكر ما كان قد سمعه من أحد الكهنة، إذ قال له: سيبعث في أرضك خاتم الأنبياء، وسترافقه، ولما يموت تجلس مكانه. فلما رأى أبوبكر علامات النبوة تذكر هذه البشارة فأسلم»[1].

هذه الشبهة مردودة من عدة وجوه:

الوجه الأول:

لو أننا افترضنا أنه ـ رضي الله عنه ـ آمن لقول الكاهن، فهذا يعني أنه صدق الكاهن فيما أخبر به. والكاهن كما بشره بالخلافة قد أخبره بنبوة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ، فمن هنا

(١) حمله حيدري، ج/ ١، ص/ ١٨:

ابابكر از ان پس بره پا گذاشت — **که گفتار کاهن بدل یاد داشت**

باو کاهني داده بود این خبر — **که مبعوث گردد یکي نامور**

زبطحي زمین در همین چندگاه — **بود خاتم انبیاي اله**

تو با خاتم انبیا بگروي — **چو او بگذرد جانشینش شوي**

ز کاهن چو بودش باو این نوید — **بیاورد ایمان نشان چون بدید**

لابد أنه صدق جزئي الخبر، فكان يؤمن بنبوة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ حق الإيمان وقد أيقن به كما أيقن وآمن بخلافته من بعده! وهذا يعني أنه كان مؤمنا صادقا ولم يكن منافقا. وبذلك يبطل ما زعمه المجتهد الأعظم الشيخ دلدار علي في كتابه "ذوالفقار"[1]: « وقد اتفق علماء الإمامية ـ الشيعة ـ على أنه لم يكن للخليفة الأولى من أول أمره أية صلة بالإيمان»! فها هو انقلب السحر على الساحر! وتبين كذب القوم!

وقد كتب العلامة الحلي في "شرح التجريد" أن سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قال: "آمنت قبل أن آمن أبوبكر"، أي؛ أنه أثبت الإيمان لأبي بكر على لسان سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فبعد هذا ماذا عسى أن نقول لهذا المجتهد المفتري، وبماذا عسى أن نصف أقواله التي تفوح منها رائحة الكذب الصريح والافتراء الفاضح.

الوجه الثاني:

لا ندري؛ هل خص الكاهن سيدنا أبابكر بخبر نبوة سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وأبوبكر وحده الذي صدق الكاهن بناءا على توصيته أو تنبآته، أم أن الصحابة الآخرين كانوا كذلك على وتيرة أبي بكر في إسلامهم؟!

يظهر من كتب الشيعة أن علمائهم قد اختلفوا في ذلك، فمنهم من يزعم أن معظم الصحابة قد آمنوا بعدما سمعوا كلام الكاهن! كما تلمح ذلك في أشعار "حملة حيدري"، ومنهم من يزعم أن بضعة أشخاص من الصحابة آمنوا بناءا على تنبآت الكاهن! كما ترى ذلك في كلام مؤلف "نزهة" إذ يقول:« وكذلك إذا رده على قول الكهنة والمنجمين وغيرهم، فالإمامية لم يرووا هذا المعنى في حق معظم الصحابة وإنما قالوا بذلك في بضعة منهم». ومن هنا؛ إن كان القول الأول هو الصحيح لديهم بأن معظم الصحابة آمنوا بعدما سمعوا الكاهن

---

(١) ذوالفقار، ص/ ٥٨، ط/ لدهيانة عام ١٢٨١هـ.

فلا اعتراض على الشيخين، ومن يؤمن الشيعة بإسلامهم من الصحابة لا يمكن أن يستثنوا من هذه القاعدة، ولاشك في أن هذا الطعن القبيح يشملهم كذلك! وإذا كان صاحب الشيعة من هذا القبيل وهو سيد مقبول فماذا يضر صاحب السنة إن آمن على مثل ما آمن صاحبهم؟!

وإذا كان القوم يصححون القول الثاني؛ ويزعمون أن بضعة من الصحابة آمنوا بعدما صدقوا الكاهن، فلابد وأنهم صدقوه في كل كلامه وجميع ما تنبأ به، وكان خبر نبوة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أهم ما قاله وتنبأ به، فلابد وأنهم قد صدقوه في ذلك، وهذا يعني صدق الإيمان (!)...

وكذلك؛ هناك من الصحابة المقبولين لدى السادة الشيعة من آمن بعدما قرأ ما تنبأت به الكتب السابقة عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وما ورد فيها من صفاته وشمائله، وكما أن هناك من آمن على رؤيا رآه، إذن لا يصح الطعن في الشيخين إذا صدقا كاهنا فيما تنبأ به، وآمنا بناءا على ما تنبأ.

الوجه الثالث:

هذا القول يعارضه كثير من علماء الشيعة أنفسهم، فهذا القاضي نور الله الشوستري يكتب في "مجالس المؤمنين":« أبوبكر آمن ببركة رؤيا كان قد رآها».

الوجه الرابع:

إذا كان الشيعة يقصدون من قولهم أن الصديق آمن بناءا على ما تنبأ به الكاهن أنه ـ العياذ بالله ـ لم يؤمن عن قناعة وإيمان، هذا زعم يبطله ما أثبتته كتب الشيعة أنفسهم ورواياتهم من ذكر لأعمال الصديق وتضحياته، فقد جاء فيها: أنه ـ رضي الله عنه ـ كان دوما يدعو إلى الإسلام ويسعى لنشر دعوته، وكان يقنع أصحابه وأقاربه بالإسلام ويفهمهم تعاليمه ويرغبهم فيه ويأخذهم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ليلقنهم الإيمان وليفقههم في الدين،

وأنه كان يشتري من آمن من العبيد الذين كانوا يؤذون ويعذبون ويفتنون في دينهم ويعتقهم في الله عز وجل، وأنه أعتق بلالا وغيره من خالص ماله. وكان قد وضع ماله كله ونفسه في سبيل إعلاء كلمة الله فما كان يبخل في ذلك من مال ولا جهد.

فهل يعقل أن يضحي إنسان بكل هذا في سبيل دين لا يؤمن به ولا يصدقه ؟!

وكذلك فقد أثبتت كتب الشيعة أنفسهم أن الشيخين ساعدا الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في إعلاء دينه، وبتحريض منهما أظهر الرسول صلى الله عليه وسلم دعوته، وأنهما قد تحملا في سبيل ذلك شتى ألوان العذاب.

يقول صاحب "الاستقصاء": « فقد كان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يختفي عن أعين الكفار في إحدى الكهوف وكان لا يعلن عن دعوته إلى أن ضاقت صدور الشيخين فحرضاه على إعلان دعوته، لكن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع أنه لم يكن يرى المصلحة في إظهار الدعوة إلا أنه لم يمانع عن الإظهار بناءا على إصرارهما، حتى أصاب أولهما ما أصاب، وقال ثانيهما: أيعبد العزى واللات علانية ويعبد الله سرا»!

الوجه الخامس:

لو أننا افترضنا جدلا بأن سيدنا أبابكر الصديق رضي الله عنه، لم يكن قد آمن من قلبه كما يزعم ذلك الشيخ دلدار علي في كتابه "ذوالفقار" حيث قال[1]: « لابد أن نثبت إيمان هؤلاء الصحابة الثلاثة، ثم نردد هذه الأسطورة، لأنك قد عرفت أن مذهب الإمامية ـ الشيعة ـ قد جرى على القول بأن هؤلاء الثلاثة لم يكن في صدورهم حبة خردل من إيمان». ويقلد الشيخ "دلدار" صاحب "الاستقصاء" إذ يقول: « إن كفرهم وارتدادهم واضح لا سترة فيه». ـ معاذ الله من ذلك ـ.

(١) ذوالفقار، ص/ ٩٠.

وهذا يلزمنا بأن نقول بكفر جميع المهاجرين والأنصار بل جميع الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، لأنهم أقروا بالصديق رضي الله عنه قائدا وإماما لهم وخليفة لرسولهم صلى الله عليه وسلم، وبايعوه جميعا على الخلافة وعلى السمع والطاعة. ولم يكن عدد من بايعه مائة أو مائتان أو ألفا أو ألفان بل تجاوز عددهم مئات الألوف من الصحابة ومن تبعهم بإحسان. فقد تجاوز عدد الصحابة عند وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم في رواية مائة ألف صحابي وفيما رواه ملا باقر المجلسي في "تذكرة الأئمة" كان عددهم أربع مائة ألف صحابي: فهذا الزعم منهم يلزمهم بالقول بأن هذا الجمع الغفير اختاروا كافرا ليقودهم في دينهم ودنياهم وليكون خليفة لرسولهم من بعده، فهل بعد هذا، يبقى مجال للقول بإيمانهم؟! وهل يبقى مجال للشك في كفرهم؟!

وقد اثبتت كتب الشيعة نفسها بأن هذا الجمع الغفير بايعوا أبابكر بالخلافة، فقد ورد في الجزء الثالث من "بحار الأنوار" من قول الشريف المرتضى أنه قال:« بايع المسلمون جميعا أبابكر، أظهروا له رضاهم عنه وسعادتهم بخلافته وقالوا بأن من خالفه مبتدع خارج عن الملة».

سبحان الله!...

ما أعظم المذهب الشيعي! يحكمون بالإعدام على الدين كله بعداوتهم للصديق؟!

فها هم قد كفروا في لمحة بصر أربع مائة ألف صحابي بينهم بنوهاشم وأهل بيت الرسول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، والمهاجرين والأنصار والمجاهدين. ـ نعوذ بالله من ذلك ـ.

الوجه السادس:

لسنا بحاجة إلى ذكر الأدلة الكثيرة في إثبات إيمان الصديق رضي الله عنه وفي الرد على من

يقول بكفره، فعلماء الشيعة قد أنكروا القول بتكفيره، وكذبوا من قال بتكفيره. فهذا القاضي نور الله الشوستري يقول في "مجالس المؤمنين":« فقد افترى أهل السنة والجماعة على الشيعة بأن نسبوا إليهم القول بتكفيرهم الشيخين! وهذا افتراء لا أساس له وليس في كتب أصول الشيعة شيء من ذلك، وإنما بنوا مذهبهم على القول بفسق من خالف عليا وبكفر من حاربه».

لكن الشيخ "دلدار علي" يجيب على هذا القول في "ذوالفقار" بقوله:« لا يخفى أن هذا الكلام إن صح عن ذلك الفاضل لا ينفي ما نقوله ولا يقوي ما يراه السنة، وذلك لأن السلف كانوا يستعملون كلمة "الفاسق" فيما يقابل "المؤمن"، ولا فرق بين "الكفر" و"الفسق" إلا أن الكافر نجس في الدنيا ومخلد في النار في العقبى، وأن الفاسق قد أنكر إحدى الضروريات في المذهب وهو مخلد في النار. وفي الدنيا يجري عليه أحكام المسلمين لإقراره بالشهادتين».

يا ترى! هل يضحك سعادة المجتهد على عقول الناس أم أنه قد ارتكب خطأ فاحشا عندما قال:« إن صح هذا الكلام من ذلك الفاضل»! فهذه العبارة لا معنى لها، فلا تعني هذه العبارة بأن السيد المجتهد ينفي مقولة القاضي نور الله الشوستري أم يثبته. المفروض إن كانت العبارة قد وردت في "مجالس المؤمنين" أن يقر بها ويعترف بها، وإذا لم تكن قد وردت فيه ينكره وينبذه، لا أن يطيل لسانه في سب مؤلف "التحفة الإثنا عشرية" وفي شتمه!

وجوابه لا يخلو من المغالطات والغموض، فلا يعرف منه ماذا يعني الرجل؟ إذا كان القاضي قد أخطأ في إنكاره لتكفير الشيخين كان لابد عليه أن يصرح بخطئه ويذكر أدلته في إثبات موقفه وعقيدته.

أو لعل المجتهد يقصد من ذلك أن بين الكفر والإيمان رتبة أخرى تسمى "الإسلام"، وهذه الرتبة هي التي تسمى "نفاقا" كذلك! وهذه هي الدرجة الثابتة للخلفاء الثلاثة! وأن إنكار إيمانهم صحيح لا غبار عليه ! لكننا لا نرى في عبارته ما يؤدي هذا المعنى!

وكذلك قال ملا باقر المجلسي في رسالته " الرجعية":« هو نطق في الظاهر بالشهادتين بناءا على مقالة يهودي، فكان يطمع أن يوليه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ على ولاية أو يجعله سلطانا، وظل يبطن الكفر»!

فقد سبق أن أفضنا القول في الرد على هذه الترهات والخزعبلات، وكذلك رد على هذا الكلام معظم علماء الشيعة وحكموا على من يتفوه بمثل هذا الحديث بالتعسف والظلم.

يكتب ملا عبد الله ـ وهو من الأسماء الكبيرة بين مشايخ الشيعة ـ في كتابه "إظهار الحق":« من التعسف والظلم أن يرد على هؤلاء القوم بأن أبابكر لم يكن قد آمن قط، وحتى قبل حدوث الخلاف بينه وبين أمير المؤمنين علي عليه السلام لم يكن مؤمنا وذلك لأن الإيمان شرط في الهجرة».

ويقول ملا عبد الجليل القزويني في كتابه "نقض الفضائح":« لا بأس من مدح الخلفاء فإنهم كانوا من كبار المهاجرين ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾». ويكتب كذلك في موطن آخر من كتابه هذا :« ما ذكر من سيرة أبي بكر وعمر وسائر الصحابة غيض من فيض، ولم يخالف الشيعة في ذلك إلا أنهم لا يرون فيهم منزلة الخلافة والإمامة، فإنهم لم يكونوا من الأئمة ولم يكونوا معصومين ولم يرد في خلافتهم نص سماوي ولم يكونوا من العلم بحيث يؤهلون لهذا المنصب. لكنهم مع كل ذلك من الصحابة، ولابد من الاعتراف بمكانتهم»! وكذلك الطبرسي نقل في كتابه "الاحتجاج" مقولة الإمام الباقر عليه السلام أنه قال:« إني لست بمنكر فضل أبي بكر». وكذلك قوله:« لست بمنكر فضل عمر، ولكن أبابكر أفضل من عمر»[1]. هذه أمثلة قليلة من آلاف الأمثلة التي سوف نشير إلى شيء منها.

---

(١) الاحتجاج، للطبرسي، ص/ ٢٥٠.

بعد قراءة هذا كله من يستطيع أن يشك في إيمان أبي بكر وإسلامه وفضله؟!

والآن أورد رواية أخرى من تفاسير الشيعة أرجو أن تمعنوا النظر فيها. يقر علماء الشيعة ومفسريهم أن أبابكر كان يشتري العبيد الذين كانوا يفتنون في دينهم ويؤذون من خالص ماله ثم يعتقهم في سبيل الله عز وجل. فقد أورد العلامة الطبرسي في تفسيره "مجمع البيان":« عن ابن الزبير قال: إن الآية نزلت في أبي بكر لأنه اشترى المماليك الذين أسلموا مثل بلال وعامر بن ميسرة وغيرهما وأعتقهم» يقصد بالآية قوله تعالى " وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى "(الليل/ ١٧ـ١٨).

كان أبوبكر كريما في دين الله، فكان قد وضع ماله لخدمة الإسلام كان يشتري العبيد ويعتقهم لوجه الله، فأنزل الله عز وجل تكرمة له هذه الآيات. ومعنى الآية: إن الله عز وجل سيجنب ذلك التقي العظيم ويبعده من نار جهنم، ذلك التقي الذي وضع ماله في سبيل الله.

عجبا من هؤلاء القوم الذين يتطاولون على مقام رجل وهب نفسه وماله لله، وقد أنزل الله عز وجل من فوق سبع سماوات في شأنه آيات تتلى إلى يوم البعث، وقد قلده الله عز وجل صفة ما أعظمها وما أعلاها من صفة، فقد سماه بـ "الأتقى"... عجبا لأمر قوم يرمون مثل هذا الإنسان بالنفاق ويطعنون في إيمانه ويكفرونه! فاعتبروا يا أولى الأبصار!!..

لم يبق من شبهاتهم إلا زعمهم في أنه يشترط في الإيمان، أن يؤمن المرء بأصول الدين كلها، والإمامة من أصول الدين. وكان أبوبكر يجحدها ولا يؤمن بها! فلا يصح إطلاق الإيمان عليه بحال من الأحوال!

هذه نقطة سوف نبحثها بالتفصيل في باب "الإمامة" إن شاء الله، ونوضح لحمتها من سداها ونكشف ما لها وما عليها!

لكننا هنا نكتفي بالإشارة إلى نقطة واحدة وهي" في بداية أمر الإسلام والنبوة، لم تكن

للإمام ذكر ولا أثر، فقد كانت حقيقة الإيمان في التوحيد والنبوة والقيامة، فمن شهد بوحدانية الله عزو جل وصدق بنبوة المصطفى صلى الله عليه وسلم وآمن بالبعث والنشور فقد اكتمل إيمانه. وسيدنا علي المرتضى رضي الله عنه المؤمن الصبي لم يكلف إلا بهذه الأصول الثلاثة في العقيدة!

ولاشك بأن الشيعة لا يستطيعون أن يثبتوا ـ ولو من خلال كتبهم ـ أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يدعو الناس في بداية الإسلام إلى الإمامة كما كان يدعوهم إلى التوحيد والرسالة والقيامة! أي أنه كان يقول لهم: كما يجب أن تؤمنوا برسالتي ونبوتي، لابد أن تؤمنوا كذلك بإمامة ابن عمي علي!!..

يزعم الشيعة بأن الرسول صلى الله عليه وسلم في آخر أيام رسالته بعد الرجوع من حجة الوداع خطب في مقام يسمى بـ "غدير خم"، فدعا الناس إلى الإيمان بالإمامة!

فيا ترى؛ ماذا يعني إنكار إيمان من آمن قبل هذه الخطبة، يوم أن لم تكن للإمامة اسم ولا رسم؟!

أجل، إذا زعم الشيعة أن أبابكر أنكر الإمامة وجحدها بعد حادثة "غدير خم"، وبذلك انطفأ نور الإيمان في صدره، فعند ذلك يلزمهم القول بالارتداد ـ والعياذ بالله ـ ، وبذلك فهم قد كذبوا أنفسهم فيما زعموه أنه لم يكن قد آمن من بداية أمره وبطل ما كانوا يتفوهون به من الطعن في إيمانه قبل هذا الحادث. ولم يبق إلا قضية الردة. وهذه نقطة تجد تفصيلها في مبحث "الإمامة" في الصفحات الآتية إن شاء الله.

حكاية إيمان سيدنا عمر الفاروق رضي الله عنه:

لا يخفى على أحد أن الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم بعد أن شرفه الله عز وجل بمقام النبوة والرسالة، وضع نفسه لخدمة رسالته، فخرج من بيته يدعو الناس ليلا ونهارا

ولم يكن يقصر في أمر دعوته قيد أنملة، فكان الدعوة همه الوحيد لا يقصر فيها أبدا. لكن لم تثمر هذه الجهود الجبارة التي بذلها الرسول صلى الله عليه وسلم إلا عن بضعة أشخاص، ففي السنوات الست الأولى لم يدخل في الإسلام إلا عدد قليل جدا، لم يتجاوزوا الأربعين ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم حريصا على دعوته وعلى نجاة قومه والبشرية من النار، فرفع يديه يتضرع بين يدي ربه يسأله أن يهدي أحد الرجلين الذين بالغا في النيل من الإسلام والمسلمين؛ عمر بن الخطاب أو أباجهل! لتقوى به الدعوة. فقد كان عمر وأبوجهل من أشهر الوجوه في مكة، وكانوا من أصحاب الجاه والمكانة والقوة والبطش والتأثير في مجتمع مكة.

خلاصة ما ورد عن إيمان سيدنا عمر؛ أعلن أبوجهل في مكة أن يعطي ألف جمل أحمر وكذا وكذا من الدراهم والدنانير لمن يقتل محمدا ويقدم له رأسه. لما وصل هذا الخبر إلى عمر استعد مباشرة للقيام بهذه المهمة، وخرج من بيته لا يريد إلا قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يكن في حسبان أحد أن الله عز وجل أمر مسئولي القضاء والقدر من ملائكته بأن يسيقوا عمر إلى الله عز وجل وأن يجعلوه يقبل قدمي من خرج يعطش دمه!

أجل، هذه هي قدرة الله عز وجل ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (البقرة/ ١١٧)، ففي طرفة عين تنقلب الشقاوة سعادة، وتصبح العداوة محبة وتتبدل الظلمات بالأنوار ويصبح الكفر الجاثم على القلوب إيمانا يملأ القلوب التي في الصدور.

تمعن في الحكاية! فقد كان الفاروق رضي الله عنه مطلوب الله عز وجل ورسوله ولم يكن طالبا! فقد كان مرادا ولم يكن مريدا، وشتان بين الرتبتين!

خرج عمر من بيته وقد أشرب سيفه سما ناقعا، كما كان يغلي صدره غيظا، لا يتشفى غليل صدره بأقل من رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم، سدت مسيرته بالمعجزات

الباهرات، وكذلك دكت آذانه نبأ عظيم؛ خبر إسلام أخته وصهره!

فاتجه إليهما يريد أن يبدأ بهما، فيقتل زوج أخته، صرخت أخته في وجهه ثائرة كالبركان: ماذا تريد منا يا عمر؟ واعلم، أننا دخلنا في دين الحق ولن نرجع عنه! زلزلت هذه الكلمات المؤمنة مشاعره وطغت على طغيانه وجبروته، وسيطرت على حواسه، ثم سمع منهم القرآن! كلمات الله الخالدة أذابت صخور الجليد من قلبه، وفي لحظات تحركت وشائج الإيمان الكامنة في صدره، وحدث انقلاب هائل في روحه وفؤاده، فقام يسعى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يريد إلا الإيمان بين يديه وتكفير ما سبق أن صدر منه... وهكذا دقت طبول الفرح والسعادة في الملأ الأعلى وقامت الملائكة في السموات تبشر بعضها بعضا بما بشر به دعوة التوحيد على وجه الأرض!

جاءني الذي كنت أريده ... وحدث ما كنت أرجوه

ها هو يتقدم نحو المصيدة ... إلى حيث ما كنت أرجوه[1]

أول ما دخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم، إحتضنه المصطفى صلى الله عليه وسلم بقوة وغطه، وما أن تركه الرسول صلى الله عليه وسلم إلا ولسانه يدندن بكلمة الشهادة: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك يا محمد رسول الله !.. وفي نفس الوقت وبناءا على إصرار من عمر خرج المسلمون ولأول مرة من بداية دعوتهم يؤدون الصلاة على الأشهاد، دون خوف ولا وجل في الحرم الإلهي!..

يعتبر كتاب "حمله حيدري" من أوثق الكتب لدى الشيعة وقد أشرف عليه قبلة الشيعة

---

(١)

آمد آن ياري كه من ميخواستم **راست شد كاري كه من ميخواستم**

رفته رفته ميرود او سوي دام **هم به هنجاري كه من خواستم**

ومجتهدهم السيد محمد صاحب بنفسه، وقد طبع تحت إشراف مدد علي داروغه بلكهنو، وقد ورد في مدح الكتاب بأنه:« ما أعجبه من كتاب! فقد امتلأ أنوارا، كل بيت فيه كالبيت المعمور. كلما قرأت فصلا فيه زدت شوقا إلى قراءته، يفرح الأحباب بقراءته ويزدادون إيمانا. وقد أحسن "باذل" الشاعر إذ ذكر كل شيء في محله، معتمدا على الروايات الراجحة في شيء من الحذر. وقد أثار منهجه العلمي الدقيق غيظ أعداءه. أجل، ما أعجب ذاك الكتاب، تشم منه ريح الجنة. كل حرف فيه يزيدك عقلا وفهما. كفاك في مدحه أن أقول أن سلطان الدين قد ارتضاه، يستحق أن يستشهد بما فيه، فهو حجة الحق على العباد. وقد أيد طريق الشريعة ورفع اسم الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ، تتفتت قلوب أهل السنة حزنا وغيظا عليه، وقد أحيا بلاد الهند بعد الممات»[1].

---

(١) حمله حيدري، ج/ ١، ص/ ٢ من المقدمة:

وإليك شعره:

عجب كتابي پر از نور هست	**كه هر بيت آن بيت معمور هست**
به بزمي كه خوانند فصلي ازان	**سخن از حلاوت شود لب گزان**
مشام محبان معطر شود	**دل از نور ايمان منور شود**
تعالي الله آن باذل بي بدل	**كه آورده هر نكته را برمحل**
بوفق روايت رقم ميزند	**براه ديانت قدم مي زند**
به ترجيح اخبار دارد مناط	**برون نيست از جاده احتياط**
به نهجي گرفت ست ايراد و دق	**كه افتاده در جان اعدا قلق**
عجب دفتر دلگشائي نوشت	**كه پيچيده در وي هواي بهشت**
معطر چو مشك تتار است اين	**جگر خستگان را مسيحاست اين**
زهر نكته سازد معطر دماغ	**زهر نكته اش مي شود تردماغ**
بس ست از نعوت و صفاتش همين	**كه گرديده مقبول سلطان دين**

ما كتبه صاحب كتاب "حمله حيدري"هذا عن سيدنا عمر الفاروق رضي الله عنه ، ولعلك ترى هناك تفصيلا أكثر لما أجملناه هنا!، لكن قبل ذلك نرد على بعض هفوات الشيعة وزلاتهم.

اعلم، أن الشيعة لم يجدوا بدا إلا أن يقروا بحادثة إيمان الفاروق الأعظم وأن يعترفوا بالحكاية التي رويت في قصة إيمانه تماما، إلا ما وجدناه من بعض مجتهديهم ممن تخصصوا في إنكار الشمس في رابعة النهار، فأنكروا دعاء الرسول في حقه !

فأحدهم يكتب:« لم يكن لعمر بين العرب أية مكانة ولا اسم ولا مقام، وكل الأحاديث التي وردت في حقه ليست إلا من وضع علماء السنة، وحاشا للرسول صلى الله عليه وسلم أن ينطق بمثل هذا الدعاء الذي يخالف العقل والنقل»!

هذا الإنكار للحقيقة وتحريف التاريخ لم يرد عندهم إلا لانخداع العوام والضحك على عقولهم، لكن كبار أئمة الشيعة قد أقروا بها، فقد ثبت دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم لعمر عند كل من "فضل بن شاذان" و"الطبرسي" و"الشيخ الطوسي" و"علم الهدى" و"الشيخ مفيد"[1] وغيرهم. وهنا نكتفي بما ورد في الجزء الرابع عشر الملقب بـ "كتاب السماء والعالم" من كتاب "بحار الأنوار" للعلامة المجلسي في رواية عن مسعود العياشي:« روى العياشي عن الباقر عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام».

فرازنده ي روايت اجتهاد	زحق حجت و آيتي برعباد
طريق شريعت مويد ازوست	كه نام و نشان محمد ازوست
دل سنيان داغدارست ازو	كه هندوستان سبزوارست ازو

(١) هو الشيخ محمد بن نعمان العكبري البغدادي (٣٣٨هـ، ٤١٣هـ). راجع ترجمته في فهرس أعلام الكتاب. (م)

فاحكموا يا أيها الشيعة على أنفسكم، وقولوا لنا؛ من الصادق منكم ومن الكاذب؟

والآن نذكر ما قاله صاحب "حمله حيدري" وهو يصور لنا حكاية إيمان عمر[١].

- كيف آمن عمر:

« بلغ عداوة أبي جهل للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودينه أن أعلن في إحدى أندية قومه أنه يعطي ألف ناقة حمراء، وكذا وكذا من الأقمشة المصرية والبرد اليمني، وكذا وكذا من الدراهم والدنانير لمن يأتيه برأس الرسول صلى الله عليه وسلم. تحركت نوازع الطمع في صدر عمر فقال له: إن حلفت أنك لن ترجع عن كلامك سآتيك اليوم برأس محمد. بعد أن حلف أبو جهل على كلامه، خرج عمر يريد قتل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ . في الطريق تفاجأ عمر بخبر إسلام أخته وزوجها. فطار صوابه وثار كالبركان الهائج وقرر أن يقتلهما أولا، فذهب إلى بيت أخته، سمع من وراء الباب صوت القرآن وهم يتدارسونه، فطرق الباب بشدة ودخل وبدأ في ضرب زوج أخته، تضارب الرجلان، لكن عمر كان أقوى منه واستطاع أن يجلس على صدره ويحاول أن يخنقه. تدخلت أخته باكية ثائرة تصرخ؛ ماذا تريد منا يا عمر؟ واعلم أنك لو قتلتنا لن نرجع عن ديننا. ولما عرف عمر أنها لن ترجع عن دينها، صرخ في وجهها: ماذا رأيت من محمد فلا ترجعين عن دينه؟ قالت له: كلام الله عزوجل الذي أتى به جبريل! فقال عمر: اقرئي علي من هذا الكلام المعجز لأرى. فبدأت أخته تتلو عليه بعض الآيات. لان قلب عمر وأخذ يناقشهم في الإسلام، فقال لها: اقرئي غيرها. فقالت: لا أحفظ

---

(١) لا بأس أن نذكر من لا يعرف كتاب ـ حملة حيدري ـ أنه طبع في مطبع شاه أوده الملقب بسلطان المطابع، بعد تصحيح وتدقيق خاص من قبل سلطان العلماء المجتهد الأعظم مولوي سيد محمد باهتمام ومشاركة من علي داروغه شاه اوده، وتجد في المقدمة قصة الكتاب بقلم السيد المفتي مير عباس، وأبيات منه يصف الكتاب ومكانته العلمية.

إلا هذا، لكن أستاذنا يعرف غيرها، وقد اختفى عندما سمع صوتك، إن كنت تحلف أنك لا تمسه بسوء لنخرجه، ليقرأ عليك من القرآن. ولما حلف عمر خرج حباب وقرأ على عمر بعض الآيات، فأسلم عمر، وخرج معهم إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فلما وصلوا مكمن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ طرقوا الباب، نظر إليهم أحد من وراء الباب فرأى عمر ومعه السيف! فخاف الصحابة لكن عم الرسول (حمزة) طمئنهم وقال لهم: افتحوا الباب إن كان قد جاء يريد خيرا فمرحبا به، وإن كان يريد غيره لقطعت رأسه بسيفه. ففتحوا الباب ودخل عمر يعلن إيمانه ويعتذر عما بدر منه سابقا. فاحتضنه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتقوى الدين به وأصر على الصحابة والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يخرجوا لأداء الصلاة جماعة إلى الحرم، فارتاح الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لاقتراحه ووافق عليه»[1].

---

(١) حمله حيدري، ج/ ١، ص/ ٢٣ ـ ٢١.

عمر بعداز آن از پس چندگاه	درآمد بدين رسول اله
چنان بد كه بوجهل ازان سرزنش	به كيفيتي شد عداوت منش
كه جز قتل پيغمبر ذوالجلال	نبودش دگر هيچ فكر وخيال
يكي روز مي گفت با اشقيا	كه آرد كسي گر سر مصطفي
هزار اشتر از خود به بخشم باو	دوكوهان سيه ديده و سرخ مو
ز ديباي مصري و برد يمن	دگر سيم و زر بخشمش چند من
عمر چون شنيد آن سخن گفتنش	بجنبيد عرق طمع در تنش
باو گفت سوگند اگر ميخوري	كه از گفته ي خويشتن نگذري
من امروز خدمت رسانم بجا	بيارم به پيشت سر مصطفا
گرفت از ابوجهل اول قسم	پس انگاه زد در ره كين قدم
بآن كار چون رفت بيرون عمر	يكي گفت با او نداري خبر
كه همشيره ات نيز با جفت خويش	گرفت ست دين محمد به پيش

براشفت اباحفص ازين گفتگو بگفتا بريزم كنون خون او
سوي خانه خواهر خويش رفت چو آمد نزديك در پيش رفت
بيامد به پيش در و ايستاد صدايي شنيد و بآن گوش داد
شنيد آنكه ميخواند مرد نكو كلامي كه نشنيده به مثل او
و زو مي گرفتند ياد آن كلام همان خواهر و جفت او بالتمام
عمر زد در و خواهرش باز كرد چو آمد درون شور آغاز كرد
در افتاد با جفت خواهر جنگ گرفتش زحلق و بيفشرد تنگ
دراويخت داماد هم با عمر گرفتند خصمانه هم را به بر
بخستند گه روي هم گاه پشت لگد گه زدندي بهم گاه مشت
زهم پوست كندند گه گاه مو گهي اين بزير آمدي گاه او
ازو چون عمر بود پر زورتر فگندش به زير و نشست از زبر
گلويش به تنگي فشرد آنچنان كه نزديك شد تا شود قبض جان
بيامد دوان خواهرش نوحه گر بگفتش چه خواهي زما اي عمر
اگر شاد گردي زما ور ملول نموديم دين محمد (صلى الله عليه وسلم) قبول
كنون گر كشي سر بداريم پيش ولي برنگرديم از دين خويش
چون بشنيد ازو اين حكايت عمر بدانست كو بر نگردد دگر
بگفتش چه ديدي تو از مصطفا كه گشتي بدينش چنين مبتلا
بگفتا كلام خداي جليل كه آرد باو حضرت جبرئيل
شنيديم و گرديد بر ما يقين كه هست اين كلام جهان آفرين
عمر گفت ازان قول معجز اساس اگر ياد داري بخوان بي هراس
برو خواهرش آيه ي چند خواند عمر گوش چون كرد حيران بماند
دلش زان شنيدن بسي نرم شد به سوداي اسلام سرگرم شد
عمر گفت ديگر بخوان زين كلام بگفتا دگر نيست زين مي بجام
ولي هست استاد ما در نهفت كه گرديد پنهان چو نامت شنفت

مجيئه إلى سيد الأخيار بتائيد من الملك الجبار وأداء الصلاة في رفقة السعداء!

« واتفق الصحابة كلهم على الخروج إلى المسجد برفقة الرسول صلى الله عليه وسلم لأداء الصلاة نهارا جهارا، فرح العالم بهذا الحدث العظيم، فازدادت الشمس جمالا، وأفرد جبريل

قسم گر خوري كو نيابد زيان بياريم پيشت كه خواند ازان

چه بگرفت سوگند ازو خواهرش بياورد استاد خود را برش

بود از اهل اسلام نامش خباب بيامد به نزد عمر بي حجاب

برو خواند آيات پروردگار ابا حفص اسلام كرد اختيار

چو آيات معجز بيان را شنيد همش قول كه اني بخاطر رسيد

باسلام شد رغبتش بيشتر كه آن هم شود راست چون اين خبر

وزان پس بگشتند باهم روان به نزد رسول خداي جهان

بدولت سراي پيمبر شدند چو در بسته بد حلقه بر در زدند

يكي آمد و ديد از پشت در كه استاده با تيغ بر در عمر

به نزد نبي رفت و احوال گفت بماندند اصحاب اندر شگفت

چنين گفت پس عم خيرالبشر كه غم نيست بروي گشائيد در

گر از راه صدق آمده مرحبا دگر باشد او را بخاطر دغا

به تيغي كه دارد حمائل عمر تنش را سبكسار سازم ز سر

چو در باز كردند برروي او درامد عمر با لب عذرگو

گرفتش به بر سرور انبيا نشاندش بجاي كه بودش سزا

بگفتند اصحاب هم تهنيت وزان بيشتر يافت دين تقويت

پس اصحاب دين را شد اين مدعا كه از خدمت سرور انبيا

بسوي حرم آشكارا روند نماز جماعت بجا آورند

رسيد اين سخن چون بعرض رسول زخير البشر يافت عز قبول

أجنحته على السماء وانتشرت الملائكة في كل جانب وهربت الشياطين وأخنسوا في جحورهم. خرج على جانب الركب حمزة ، وأمامهم سيدنا علي صاحب ذوالفقار، وكان يتقدم حيدر عمر شاخصا سيفه. وهكذا اجتمع الصحابة وتقدموا نحو بيت الحرام. اعتزت جدران الحرم بقدوم هذا الركب الميمون فطالت مفتخرا إلى أن لامست عرش الرحمن. تحير الكفار من هذا الموقف المهيب وبدأوا يضربون الأخماس في الأسداس لا يدرون كيف يتعاملوا مع الموقف. تقدم أحدهم إلى عمر وقال له: ما هذا الذي أحدثته. فقد جئتنا بغير الوجه الذي فارقتنا، ذهبت لتأتينا برأس محمد وها أنت وضعت رأسك بين يديه! فأعلن عمر إسلامه على الملأ وصرخ في جموع الكفر : من يحرك ساكنا أو تحدثه نفسه بأن يحول بيننا وبين عبادة الله فسيجد رأسه ساقطا بين قدميه! فلما أدرك الكفار ما يريده القوم حاولوا أن يحولوا بينهم وبين الحرم وبدأوا يتشاجرون مع المسلمين. ولما رأى الصحابة ذلك سلوا سيوفهم في وجه الطغاة.

أدرك الكفار خطورة الموقف فتراجعوا، واصطف المسلمون في المسجد، وتقدم الرسول صلى الله عليه وسلم وكبر تكبيرة الإحرام، فسقطت الأصنام بتكبيره.

فصلى المسلمون بعون من المولى عز وجل ورجعوا إلى بيوتهم سالمين غانمين»[1].

---

(١)

بيا ساقی ای رشک خلد برین	بساط نشاط بگیتی بچین
زخم باده بی فکر واندیشه ریز	سبو بر سبو شیشه بر شیشه ریز
فرود آر ازین طاق فیروزه فام	زخورشید جام وزمه بیم جام
بکن راز پوشیده را بر ملا	به دور وبه نزدیک در ده صلا
از آن می نمی هم بکامم فگن	وز آن نم بعیش مدامم فگن
چنان مست کن زآن می پر طرب	که جوشد زخورشید نورم ز لب
درین بزم ساقی بنور اياغ	فروزد بدینگونه روشن چراغ
که کردند اصحاب چون اتفاق	بر آمد رسول خدا از وثاق

يا أيها السادة الشيعة!...

أنشدكم بالله عز وجل أن ترجعوا إلى كتاب عالمكم ومجتهدكم الأعظم وقبلتكم "باذل"

روان شد بتائید دیان دین		چو سوی حرم سید المرسلین
بباليد از بس زمين شد گمان		كه بيرون رود از بر آسمان
زشادی برقص اندر آمد سپهر		چو خورشید هر ذره افروخت چهر
همی رفت جبریل بالای سر		بفرق همایون بگسترده پر
ملائک چپ وراست در دور باش		شیاطین زهیبت شده پاش پاش
به پهلو روان حمزه نام دار		به پیشش علی صاحب ذو الفقار
همین رفت در پیش حیدر عمر		حمائل همان تیغ کین بر کمر
بگرد آمده جمع یاران تمام		برفتند زنیسان به بیت الحرم
جدار حرم سر بعرش مجید		رسانید چون گرد موکب رسید
چو دیدند کفار زآن گونه حال		نمودند با هم بسی قیل وقال
یکی رفت از آنها به نزد عمر		بدو گفت این چیست ای بد گهر
نه زانسان که رفتی تو باز آمدی		بکین رفتی وبا نیاز آمدی
عمر کرد اسلام خود آشکار		پس آنگه باو گفت ای نابکار
هران کز شما جنبد از جای خویش		به بیند سر خویش بر پای خویش
چون کفار دریافتند از سخن		که در دل چه دارند آن انجمن
نهادند پا در ره امتناع		نمودند با اهل ملت نزاع
چون دیدند آن صحبت اصحاب دین		همه دست بردند بر تیغ کین
از آن حال کفار پس پا شدند		دلیران دین مسجد آرا شدند
به پیش اندر آمد رسول خدا		نمودند یاران باو اقتدا
نبی گفت تکبیر چون در حرم		فتادند اصنام بر روی هم
زتائید ایزد بمسجد نماز		ادا کرد وآمد سوی خانه باز

هذا، ثم انصفوا القول؛ هل يليق بكم أن تطعنوا فيمن آمن بعد كل هذا الكر والفر، فيمن له هذا الشأن والمقام؟ وهل يليق بمؤمن أن يعتريه أدنى شك في إيمان مثل هؤلاء الأبرار؟ وهل يليق بمسلم أن يعتبر هؤلاء الناس من المنافقين أو أن يرميهم بالردة والكفر؟ وهل يليق بالمرء أن يفتري على رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يقول فيه أنه غضب على هذا الرجل أو أنه اعتبره عدوا للدين؟!

وانظروا إلى سرعة تأثير دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم في حقه، فما أن آمن إلا وخرج المسلمون يؤدون الصلاة جماعة في الكعبة المكرمة، ويظهرون شعائر دينهم دون خوف ولا رهبة من أحد. فأول أمره كان ظهورا للإسلام كما كان آخر أمره؛ فآخر ما عمله قبل أن ينتقل إلى ربه شهيدا رفع راية الإسلام خفاقة على بلاد الروم والشام وحلب ودمشق وعلى ربوع فارس وأذل كلمة الشرك والكفر. فما أعظمه من رجل! أجرى الله عزو جل أول عز الإسلام والمسلمين على يديه كما أجرى آخر ما يعتز به المسلمون على يديه! وهذا هو معنى دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم له، وهذه هي استجابة الله عز وجل لذلك الدعاء إن كنتم تعقلون!

يا أصحابي!...

دعوا التعصب الممقوت والعناد والجحود المذموم جانبا، وراجعوا أنفسكم؛ فيا ترى: من جعل ألفا وثلاثمائة وثلاثين بلدا من بلاد الكفر دورا للإسلام، ومن رفع نداء التوحيد في قصور كسرى، وعلى يديه أقيمت آلاف من المساجد كما أغلقت ما لا يعد ولا يحصى من الكنائس والمعابد بأيدي أصحابها بعد أن أسلموا. من كان يطلع كالشمس الساطعة يزيل الكفر عن العالم ويهب له النور والضياء حتى شملت أنواره العالم شرقا وغربا؟! هذا الرجل الشهم وهذه المنارة التي لابد أن يعتز بها المسلمون تعتبرونها أنتم منافقا وتعدونها عدوا لله ولرسوله؟! وتقتربون إلى ربكم بشتمه ولعنه؟!

ولا ندري إن لم يكن مثل هذا محبا لله ولرسوله عندكم، فمن المحب لهما في رأيكم؟!

ليس في التاريخ مثله، وتعدونه كافرا ... إذن ليس هناك مسلم قط(١)

لو أدركتم من الحقيقة شيئا، ولو اعترفتم بالحق لشعرتم؛ لو لا ذلك الرجل المبارك الذي تطعنون فيه ما كنتم اليوم تتجهون إلى الكعبة لتدندنوا: يا علي، يا علي!... وإنما كنتم تجلسون في "أجود هياجي" وكنتم تدعون ربكم "رام، رام"، فالفضل في كل هذا يرجع بعد الله عز وجل إلى تلك الجهود والمساعي التي بذلها ذلك المؤمن الصادق، فلو لاه بعد الله عز وجل لم تصل أنوار النبوة والإيمان إلى هذه الديار ولم يكن هنا للإسلام اسم ولا للإيمان رسم!

فلو لا جهود ذلك الكريم ... كنت كآباءك تعبد الأصنام(٢)

الحقيقة التي لا مراء فيها هي: لما رأى الإبليس اللعين أن جهوده كادت تفشل، وأن الكفر قد ارتحل من جزيرة العرب ويئس من أن يرجع المسلمون عن دينهم كفارا بحث عن طريق آخر ليزرع بذور الكفر في قلوب فئة من الناس، فوجد أهل الكوفة أنسب الناس لهذا لما يكمنونه من الحقد على الإسلام وأهله، فقد كانوا يتحينون الفرص لينتقموا لليهودية والمجوسية من المسلمين ودينهم، وكانوا يسعون في خراب الإسلام ومسخ أحكامه وأهدافه، فاتفقت خططهم مع ما في صدر الإبليس فتعاونوا جميعا وخرجوا بعقيدة الرفض واستطاعوا أن يزرعوها في قلوب السذج من الناس.

فأول ما فعلوه؛ أشاعوا عداوة أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وتلامذته ومن فدوه بأرواحهم وأموالهم ونشروا دين الله عز وجل على العالمين في قلوب هؤلاء الناس، وظلوا يشعلون نيران الحقد والكره والضغينة في قلوبهم إلى أن قالوا بكفر كل من كان شاهدا على

---

(١) در دهر چو او يكى وآن هم كافر ... پس در همه دهر يک مسلمان نبود.

(٢) گر نبودى كوشش آن ذو الكرم ... مى پرستيدى چو اجدادت صنم.

صدق نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى مجيء الوحي ودلائل النبوة وتدرج أحكام الدين، ولم يكن يهدفون من ذلك إلا تضعيف القرآن الكريم والتعاليم النبوية وصدق المعجزات الإلهية، ثم وضعوا آلافا من الروايات ونسبوها إلى الأئمة.﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ ....﴾!

هناك لطيفة جميلة تكشف عن حقيقة ما يكمنه الشيعة في صدورهم، ومن خلالها يمكنك أن تعرف ما كان يرمي إليه من صنع المذهب الشيعي!

لا شك أن شجرة الإسلام تقوت بإسلام عمر، وخرج دين الله عز وجل بإسلامه من المرحلة السرية إلى العلن نهارا جهارا، وهذا ما لا يستطيع إنكاره حتى الأعداء (!) فها هو كاتب "حمله حيدري" الشيعي المتعصب مع كل ما يكمنه من الحقد والكره على عمر رضي الله عنه ، لكنه لا يجد بدا من أن يعترف بهذه الحقيقة:

تقوى الدين أكثر بإسلامه ..[1].

ولا شك أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يحب ويعتني بكل من كان يخدم الإسلام ويقويه، لكن الروايات الشيعية تزعم أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يكمن عداوة وكرها لعمر لا يوصف (!) وقد فرح الرسول صلى الله عليه وسلم لما بشر باليوم الذي يصادف يوم مقتل عمر فرحا لم يفرح مثله قط (!)...

ففي الفصل الأول من الباب الثامن من "زاد المعاد" من الكتب المعتبرة والمصادر الرئيسة لدى الشيعة لمؤلفه ملا باقر المجلسي وردت رواية طويلة جدا، سود المؤلف بها كتابه هذا كما سود صحيفة أعماله يوم لا ينفعه مال ولا بنون، نذكر خلاصة هذه الرواية هنا:

« روى الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان أنه قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه

(١) وزآن بيشتر يافت دين تقويت ...

وسلم في التاسع من ربيع الأول، فوجدت عنده سيدنا علي المرتضى والحسنين يتناولون الطعام. ورأيت الرسول صلى الله عليه وسلم فرحا مسرورا يقول لريحانتيه؛ الحسن والحسين: كلوا يا أبنائي ، كلوا هنيئا لكم هذا الطعام. فاليوم يوم يهلك الله عز وجل فيه عدوكم وعدو جدكم، ويتقبل الله في مثل هذا اليوم دعاء أمكم الرحيمة.

كلوا يا أولادي، كلوا، ففي مثل هذا اليوم يتقبل الله عز وجل أعمال شيعتكم ومن يحبكم.

كلوا يا أولادي، كلوا؛ ففي مثل هذا اليوم يهلك الله عز وجل فرعون أهل بيتي.

كلوا يا أولادي، كلوا؛ ففي مثل هذا اليوم يتجلى معنى قوله تعالى: ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (النمل/ ٥٢). قال حذيفة: فتقدمت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا: يا رسول الله! أيظهر في أمتك مثل هذا الرجل؟

فقال صلى الله عليه وسلم: بلى، سيلي صنم من المنافقين أمر الناس، وسيدعي لنفسه الحكم، وسيتخذ درة الظلم والطغيان في يده ويسد الناس عن دين الله عز وجل ويحرف كتاب الله عز وجل ويغير سنتي، ويتعدى على وصيي، أي؛ على علي، وسيحل مال الله لنفسه ظلما وعدوانا ويصرفه في غير ما أمر الله به. ويكذبني ويكذب أخي عليا.

فقال حذيفة: يا نبي الله! لم لا تدعوا على مثل هذا الرجل أن يهلكه الله عز وجل في حياتك؟ فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: لا أتجرأ على قضاء قد كتبه الله عز وجل، ولا أسأل الله عز وجل أن يغير ما قد سطره في علمه الغيب. لكنني اسأل الله عز وجل أن يفضل ذلك اليوم على الأيام كلها.

وقد حدث ذلك حيث أنزل الله على رسوله وحيا من السماء وقال له بأنني قد شرفت ذلك اليوم على الأيام كلها، وقد وهبت لعلي، لما يصيبه من ظلم ذلك الرجل، رتبة ومكانة مثل ما قد وهبته لك. وبما أن ذلك الرجل يتجرأ علي ويبدل كلامي ويشرك في ويسد الناس عن

ديني ويمنعهم عن عبادتي ويكفر بي فقد أمرت الملائكة في السموات السبع أن يتخذوا ذلك اليوم الذي يقتل فيه ذلك الرجل عيدا، وأن يضعوا كرسي كرامتي مقابل البيت المعمور في ذلك اليوم ويدعوا بالمغفرة للشيعة وألا يسجلوا ذنوب العباد إلى ثلاثة أيام.

يا محمد! فقد جعلت هذا اليوم عيدا لك ولشيعتك» انتهت خلاصة روايته[1].

يا أيها المسلمون!...

أنظروا إلى هذه الرواية، وتأسفوا على إيمان الشيعة وإنصافهم وعدلهم وعقلهم!...

عجبا للأرض كيف تصبر عليهم فلا تنشق لتبلعهم فيها!...

وعجبا للسماء كيف لا يأخذها الغضب فتبعث صاعقة لتحرقهم وتجعلهم رمادا!...

وعجبا للبحار، كيف تسكت ولا تبعث طوفانا ليغرق هؤلاء المفترين!...

ما أجرأهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم! .. أنظروا كيف تجرءوا على مقام الرسالة وافتروا عليه كلما أوحى إليهم الإبليس اللعين؟!.. انتقم الله منهم ... والله عزيز ذو انتقام...

هل يستطيع أن يصدق هذه الخزعبلات من أوتي شيئا من العقل والدراية والفهم؟!...

دعا له الرسول صلى الله عليه وسلم بالهداية والإيمان، وكما قال الإمام الباقر عليه السلام أن الرسول دعا في حقه وقال:« اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب ...». وأنه آمن بعد أن أكرم الله عز وجل رسوله الأمين فاستجاب لدعائه، وما أن آمن أعلن عن إسلامه في الكعبة المكرمة على الأشهاد، وأنه أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم ليصلي في الكعبة جهارا وليظهر دينه، ثم ظل طوال حياة الرسول صلى الله عليه وسلم يخدمه ويطيعه ويظهر له أجمل معاني الحب وأصدق معاني الإخلاص، ووهب حياته كلها لخدمة الإسلام ونشر دعوة التوحيد، وفي

---

(١) راجع "زاد المعاد" لملا باقر المجلسي، (النص مع فتاوى حجة الإسلام ميرزا محمد حسن النجفي، ص/ ٥٨٤- ٥٧٧، ط/ نولكشور، لكنهو).

أيام خلافته لم يأخذ من حطام الدنيا وملذاتها شيئا. وقدم نفسه قربانا في سبيل الله عز وجل...

هل يستطيع إنسان أن يصدق أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان ينزعج من مثل هذا الإنسان ويكرهه إلى درجة أنه كان يتمنى موته وأنه كاد يطير فرحا لدخوله في يوم لعله يصادف يوم وفاة مثل هذا الشخص! وأنه كان يرى الفرح والسرور في مثل ذلك اليوم أكبر وأشرف من الفرح بعيد الفطر وعيد الأضحى، وأن الله عز وجل كذلك يظهر من الاهتمام والفرح بمثل ذلك اليوم ما لم نسمع بمثله في أية شريعة من الشرائع السماوية السابقة! فالله يتغاضى الطرف ثلاثة أيام عن الشيعة في كل سنة فرحا لهذا اليوم (!) فلا يكتب ذنوبهم فيها ولا يحاسبهم فيها فلهم أن يشربوا الخمر ويزنوا ويأكلوا لحم الخنزير ويهدموا المساجد ويحرقوا المصاحف.. ويفعلوا ما يحلوا لهم فالأقلام السماوية لا تسجل عليهم شيئا! لا يسألون عما يفعلون، لا حاجة لهم أن يتحملوا مشاق الطاعات والعبادات. فلهم أن يتخذوا التاسع من ربيع الأول عيدا لهم ويوزعوا الحلوى والطعام باسم "الأب شجاع الدين"[١] وليكسبوا من الأجور والثواب أضعافا مضاعفة(!)

سبحان الله!...

أ هذا هو العدل الإلهي عند قوم اتخذوا العدل من الأصول الخمسة في دينهم؟!

إذا كان هذا هو الإيمان، وهذه هي محبة أهل البيت عندهم! فتعسا لهم ولإيمانهم! وتعسا لمحبتهم!

إذا كان هذا هو الولي، فلعنة الله على الولي[٢]

---

(١) هكذا يسمي الشيعة قاتل سيدنا عمر الفاروق رضي الله عنه؛ أبو لؤلؤ المجوسي. وقد اصطنعوا له مزارا يزورونه ويقدمون له القرابين والنذر، وكتبوا على بوابة قبره المزعوم "هنا يرقد سيدنا أبو لؤلؤ الأب شجاع الدين "! ومرقده مشهور في مدينة "كاشان" في "إيران" يعرفه الناس كلهم!

(٢) گر ولی اینست لعنت بر ولی.

يثبت من هذه الرواية أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يأخذ "بالتقية"، وأنه كان يخاف من الكفار، بل كان يخاف من أصحابه كذلك! فلم يكن يظهر عن ما في قلبه خوفا منهم.

فيا ليت شعري: إن لم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم يخاف أصحابه، فهل كان يبقي في صحبته عدوا لله ولرسوله بهذه الشراسة؟!

وهل كان يصاحب من كان يتمنى موته، بل كان يسعد ويفرح بيوم قد يصادف يوم وفاة ذلك العدو ويتخذه عيدا أكبر من الجمعة والعيدين؟! وهل كان يستشير في الملمات الخطيرة من كان يراه فرعونا لأهل بيته؟!

فها هو الرسول صلى الله عليه وسلم يصاحب ويرافق مثل هذا الشخص بل ويستشيره في شؤون دولته ودعوته ودينه!

وأي عاقل يستطيع أن يصدق أن الرسول الذي بعث من عند الله عز وجل لهداية الخلق وإظهار الحق كان يتخذ "التقية" منهجا له؟! وأن من كلفه الله عز وجل بإظهار الحق كان يخاف على نفسه ولم يكن يتجرأ أن يذكر اسم "عمر" على لسانه؟! وكان خوفه شديدا لدرجة أنه لم يستطع أن يكشف عن اسم ذلك الرجل المهيب المخيف أمام الصحابي الجليل حذيفة الذي اطلع على فرح الرسول صلى الله عليه وسلم وسعادته في ذلك اليوم؟ وكان قد تهرب عن الإجابة على سؤال الحذيفة الذي كان يسعى لمعرفة اسم هذا الفرعون!

ما أعجب هذا النبي!...

فقد كان قبل الهجرة في قبضة الكفار الحديدية، وكانت رماح الكفر تصوب في صدره من كل حدب وصوب ولم يكن يخيفه ذلك شيئا، وقد قام يدعو الناس إلى دينه وإلى كلمة التوحيد ويهتف بالحق في وسط جموع الكفر المدججة بالسلاح وعيونهم تمطر شرا وقلوبهم تمتلئ غيظا وحقدا، لم يخف الرسول في ذلك اليوم شيئا وظل يدعو كالأسد الهصور لا يخاف في الله لومة

لائم...

فإذا دهاه بعد الهجرة، أصبح يخاف عمر بعد أن أصبحت له قوة وسلطان، وصارت جحافل الجهاد طوع أمره، وجنده رهن إشارته؟! ـ نعوذ بالله من هذا الهذيان ـ.

وإن تعجب فاعجب من أمر الشيعة! إنهم يقرون بأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن يخاف كفار مكة ولم يكن يعبأ بهم، فكان يدعو لدينه ويظهر الحق دون خوف منهم ولا وجل.

فهذا مؤلف "حمله حيدري" يعترف بأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان لا يخاف في الله لومة لائم، ولم يتنازل عن دعوته ولم ينزل عن مبادئه قيد أنملة وكان يهتف بدين الله على الملأ: « لو أن القوم وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري أن أكف عن دعوتي، فلن يجدوا مني إلا الطعن في أصنامهم وإلا ثناء الله عز وجل ورفع راية التوحيد ولعن الشرك والكفر .. ولا يخيفني في الله لومة لائم»[1].

ثم يصور طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوته في أبيات يقول فيها:

« ... وهذا زاده همة في الدعوة، فشمر عن ساعدي الجد لا يعرف الكلل والملل، ولا يقلل من أمله ظلم الناس وسدهم طريقه، فكان يدعو الناس ليلا ونهارا وسرا وجهارا. يطعن في أصنامهم ويلعن الجبابرة منهم، يصلي على الملأ ولا يخاف أحدا إلا الله. وكان يتلو عليهم آيات العذاب ويبشر المجرمين بالعقاب الإلهي. وكان الكفار يسدونه عن الحق بألسنتهم وبأيديهم،

(١) حمله حيدري، ج/ ١، ص/ ١٦.

بفرمود گر قوم از آسمان — بيارند خورشيد را ترجمان

گذارند بر دست من هديه وار — نه بندم لب از امر پروردگار

بجز طعن اصنام و وصف اله — بجز لعن آباي گم كرده راه

زمن قوم حرف دگر نشنوند — اگر نيك دانند وگر بد برند

لكن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن يبالي بهم ولم يكن يخاف منهم، فقد كان توكله على الله وحده، وكان يثني على الله وحده»[(١)].

وإذا زعم الشيعة بأن الله عز وجل كان قد أمر رسوله ألا يكشف عن نفاق عمر! يطرح سؤال نفسه:

لم أمر الله عز وجل رسوله بأمر أصبح فيما بعد سببا لاختلاف الأمة، فضل السواد الأعظم من الأمة وانحرف، فهل ـ العياذ بالله ـ كان الله عز وجل يخاف عمر؟!.. وهذا طعن في ألوهية الله جل شأنه. فالإله الذي يخاف عمرا ليس إلها يستحق العبادة؟!..

هنيئا للشعية هذا العقل المعوّج والضلال المبين!...

---

(١) المصدر السابق:

بدعوت شد آماده تر از نخست	كمر بسته در كار خود سخت چست
نياسود دريك دم ز ارشاد خلق	نه تنگ آمد از جور و بيداد خلق
بصبح و بشام و بروز وبه شب	نمودي بحق قوم خود را طلب
نه از طعن اصنام بستي زبان	نه از لعن بر زمره كافران
نكردي از آن ناكسان احتراز	نمودي ادا آشكارا نماز
چو درشان قوم شقاوت نشان	در احوال آباي آن گمرهان
ز نزد خداي جهان آفرين	بسوي نبی جبرئيل امين
رسانيدي آيات قهر و عتاب	بخواندي بريشان نبی بي حجاب
شدي خون ازين غم دل مشركان	فتادي ازان غصه آتش بجان
تلافي نمودندي آن اشقيا	بدست و زبان با شه انبيا
وليكن بتاييد يزدان پاك	نبي را ازيشان نبد هيچ باك
بدانسان كه در كار خود بود بود	خداي جهان را چنان مي ستود

وإذا زعم الشيعة؛ بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكشف عن نفاق عمر ـ والعياذ بالله ـ وذلك لأن المسلمين لم يكونوا يستطيعون أن يصدقوا الرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك، فكانوا يرتدون جميعا!... فيطرح سؤال نفسه:

وماذا كان يهم الرسول صلى الله عليه وسلم من ارتدادهم؟!

واجب الرسول صلى الله عليه وسلم أن يؤدي ما أمره الله به وأن يظهر الحق، وأن من عارضه وخالفه يتحمل جريرة نفسه ووزر ما صنعت يداه. والقرآن أكد مرارا على الرسول صلى الله عليه وسلم أن يؤدي واجب الدعوة وتكاليف النبوة، وصرح له أكثر من مرة بأنه ليس مسئولا عن انحراف الناس وعن عدم طاعتهم أو عدم إيمانهم!

فكان يجب على الرسول صلى الله عليه وسلم أن يجمع الناس على صعيد واحد كما فعل في "غدير خم" ثم يبين لهم حقيقة عمر وما يكنه في صدره...

آها على الشيعة!..

لابد أن تبكي البواكي على عقولهم وأفهامهم !... كيف يتجرءون على الكذب والافتراء على الله ورسوله!! فلا لهم أصول ثابتة صحيحة ولا فروع معتبرة!

لم يثبت لك فرع ولا أصل ... فلتستح من الله ورسوله[1]

الأمر الثالث: فضل التابعين وعلاماتهم

فقد دعا الإمام زين العابدين للتابعين رضي الله عنهم أجمعين كما دعا لأصحاب الرسول الأمين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وسأل الله عز وجل لهم الرحمة، فقد ورد في دعائه: «اللّهُمّ وَأَوْصِلْ إِلَى التّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، الّذِينَ يَقُولُونَ رَبّنَا اغْفِرْ لَنَا وَ لِإِخْوَانِنَا الّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ خَيْرَ جَزَائِكَ. الّذِينَ قَصَدُوا سَمْتَهُمْ، وَ تَحَرّوْا وِجْهَتَهُمْ، وَ مَضَوْا عَلَى شَاكِلَتِهِمْ.

---

(١) نی فروعت محکم آمد نی اصول ... شرم بایدت از خدا واز رسول

لَمْ يَثْنِهِمْ رَيْبٌ فِي بَصِيرَتِهِمْ، وَ لَمْ يَخْتَلِجْهُمْ شَكٌّ فِي قَفْوِ آثَارِهِمْ، وَ الِائْتِمَامِ بِهِدَايَةِ مَنَارِهِمْ. مُكَانِفِينَ وَ مُوَازِرِينَ لَهُمْ، يَدِينُونَ بِدِينِهِمْ، وَ يَهْتَدُونَ بِهَدْيِهِمْ، يَتَّفِقُونَ عَلَيْهِمْ، وَ لَا يَتَّهِمُونَهُمْ فِيمَا أَدَّوْا إِلَيْهِمْ».

يظهر من هذا الدعاء أن الإمام جعل رتبة التابعين بعد رتبة الصحابة في هذه الأمة، وأن التابعين أفضل من سائر الأمة بعدهم ومن علاماتهم التي ذكرها لنا الإمام؛ أنهم يحسنون الظن في الصحابة ويعتقدون فيهم الخير، وأنهم يتبعون الصحابة في العقائد والأعمال...

ولابد أن نبحث عن حقيقة هذه الأمور؛ من يثبت ما ذكره الإمام في التابعين؛ السنة أم الشيعة؟!

ومن الثابت والمعلوم أن الشيعة يعتقدون في التابعين عكس ما ذكره الإمام تماما، فمن هنا نصل إلى أن الإمام زين العابدين أثبت مذهب أهل السنة والجماعة وقال بأنهم مهتدون وعلى الحق وأن الشيعة على الضلال وأن مذهبهم باطل!

(الحديث الثالث): عن الإمام حسن العسكري (مبغض الصحابة في النار)

فقد جاء في تفسير الإمام الحسن العسكري، وهو من أوثق المراجع والمصادر لدى الشيعة ـ وحق له ذلك أن يكون أوثق المصادر، فقد ألفه الإمام المعصوم ـ: «إن الله أوحى إلى آدم أن الله ليفيض على كل واحد من محبي محمد وآل محمد وأصحاب محمد ما لو قسمت على كل عدد مما خلق الله من طول الدهر إلى آخره وكانوا كفارا لأداهم إلى عاقبة محمودة وإيمان بالله حتى يستحقوا به الجنةَ وإن رجلا ممن يبغض آل محمد وأصحابه أو واحداً منهم لعذبه الله عذاباً لو قسم على مثل خلق الله لأهلكهم أجمعين».

(الحديث الرابع): الإمام حسن العسكري (فضل الصحابة على غيرهم)

وجاء في نفس التفسير عن الإمام الحسن العسكري: «لما بعث الله موسى بن عمران

واصطفاه نبيا وفلق له البحر وأعطاه التوراة والألواح رأى مكانه من ربه عزوجل فقال: يا رب لقد أكرمتني بكرامة لم تكرم بها أحدا من قبلي، فهل في أنبيائك عندك من هو أكرم مني؟ فقال الله تعالى: يا موسى! أما علمت أن محمدا أفضل عندي من جميع خلقي. فقال موسى: فهل في آل الأنبياء أكرم من آلي؟ فقال عزوجل: يا موسى! أما علمت أن فضل آل محمد علي آل جميع النبيين كفضل محمد على جميع المرسلين. فقال: يا رب! إن كان فضل آل محمد عندك كذلك فهل في صحابة الأنبياء عندك أكرم من أصحابي؟ فقال: يا موسى! أما علمت أن فضل صحابة محمد على جميع صحابة المرسلين كفضل آل محمد على آل جميع النبيين. فقال موسى: إن كان فضل محمد وآل محمد وأصحاب محمد كما وصفت فهل في أمم الأنبياء أفضل عندك من أمتي ظللت عليهم الغمام وأنزلت عليهم المن والسلوى وفلقت لهم البحر؟ فقال الله: يا موسى! إن فضل أمة محمد على أمم جميع الأنبياء كفضلي على خلقي».

فقد ثبت من الحديث الثالث والرابع شيئين في كمال الوضوح:

أولهما: كل من يعادي أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم أو واحدا منهم يستحق عذابا لو قسم على جميع الخلق لكفاهم!

وكل من يحب صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم يستحق من الله عز وجل رحمة عظيمة، لو أدركت ذرة منه الكفار لأبدلت سيئاتهم حسنات ولنجتهم من العذاب!

ثانيهما: إن فضل أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم على أصحاب سائر الأنبياء كلهم كفضل آل الرسول صلى الله عليه وسلم على آل سائر الأنبياء كلهم.

وهاتان نقطتان تصرخان جليا في وضوح كوضوح الشمس في رابعة النهار على بطلان المذهب الشيعي، الذي وضع حجر أساسه على كره الصحابة وعداوتهم!

وقد وهب الشيعة حياتهم منذ إمامهم الأول عبد الله بن سبأ اليهودي إلى آخر مجتهد فيهم

على البحث عن معايب الصحابة والافتراء عليهم والطعن فيهم واتهامهم بكل ما يحلو لهم، فقد وضعوا آلافا من الروايات والقصص تطعن في الصحابة وتنال منهم.

وها هو قبلتهم ومجتهدهم "مولوي دلدار علي" يكتب في كتابه "ذوالفقار":«... فقد روت الإمامية ـ الشيعة ـ في كل باب من الأمور الهامة في الدين أو الفرعية فيه شيئا كثيرا من الأحاديث، ولو تصفحت في كل كتب أحاديث الشيعة وراجعتها جميعها ودرستها لن تجد في فضائل الصحابة إلا ثلاثة أو أربعة من الأحاديث وكلها مطعون فيها، وأما ما ورد في مثالبهم وذمهم من الأحاديث تتجاوز ألف حديث دون إغراق»!

وللمنصفين أن يدرسوا هذه الأمور بعين العبرة والاتعاظ!

ماذا يعني أن يروي الشيعة في كتبهم عن أئمتهم المعصومين: أن مقام الصحابة وفضلهم يفوق مقام أصحاب جميع الأنبياء وفضلهم، ومن يحبهم يستحق رحمة الله عز وجل ومن يبغضهم يستحق عذابه؟!

ثم هم أنفسهم يعودون لينقضوا غزلهم بأيديهم فيقولون: لم يرد في كتبنا حديث ولا رواية في فضل الصحابة، وإذا وجدت رواية لاشك أنها مطعون في صحتها، وفي ذم الصحابة فعندهم آلاف من الأحاديث الثابتة!

ما أعجب أمرهم! وما أعجب أجوبتهم!...

ما أجرأهم على الطعن في الأحاديث التي روتها كتبهم في فضل الصحابة دون بيان سبب القدح، والمعروف أن قواعد الجرح والتعديل لا تقبل جرحا دون تفسير! فكان يجب على المجتهد المذكور أن يفسر جرحه كأن يقول بأن الراوي الفلاني مطعون في دينه أو أن العلة الفلانية والجرح الفلاني أضعف الحديث، فهذا الحديث ضعيف بهذه العلة وهذا الجرح.

وبقي أن نشير إلى ما زعمه الرجل من أن؛ الأحاديث التي جاءت في كتب الشيعة في

فضل الصحابة، لا تتجاوز بضعة من الأحاديث ؟!...

وهذا كذب لا أساس له. فهناك آلاف من الأحاديث والروايات عن فضائل الصحابة في كتب الشيعة. ونحن في هذه العجالة فقط ذكرنا غيضا من فيض تلك النصوص وهي تتجاوز مئات الأحاديث.

وإذا تحير الشيعة من هذا الأمر وتساءلوا: كيف يمكن أن يحدث ذلك ومذهبنا وضع أساسا على مذمة الصحابة والطعن فيهم وشتمهم؟! هل يمكن بعد هذه القاعدة الأساسية في بناء المذهب أن يروي علمائنا أحاديثَ في فضائل الصحابة ثم يصدقوا تلك الأحاديث ويصححوها؟!

لا شك أن هذا التساؤل له وجه من الصواب؛ هل يمكن أن يتوقع المرء من أناس اعتبروا الطعن في الصحابة أساسا لإيمانهم أن يرووا أحاديثا في فضل الصحابة؟! هذا لا يمكن أن يخطر بالبال أبدا! لكن لله في خلقه شؤون!...

فالله عز وجل لحكمة أرادها، وإتماما للحجة على المخالفين سخر قلوب هؤلاء القوم الذين نذروا أنفسهم لنشر عقائد عبد الله بن سبأ وشيعته في مثالب الصحابة والقدح فيهم والنيل منهم أن يروجوا كذلك جهلا أو تغافلا منهم أحاديث كثيرة في فضائل الصحابة وأتباعهم، فقد أورد المحدثون من علماء الشيعة أحاديثا كثيرة وروايات عديدة وحكايات وأخبار متواترة في مراجعهم ومصنفاتهم يمجدون الصحابة ويذكرون فضلهم ومنقبتهم.

فما أصدق قول القائل: حبل الكذب قصير!....

(الحديث الخامس): الإمام موسى الرضا: (أبوبكر وعمر وعثمان بمنزلة السمع والبصر والفؤاد)

فقد روى ابن بابويه القمي في كتاب "معاني الأخبار":«عن الإمام موسى الرضا عليه السلام عن الحسن بن علي أنه قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: إن أبابكر مني

بمنزلة السمع وإن عمر مني بمنزلة البصر، وإن عثمان مني بمنزلة الفؤاد».

هذا الحديث الذي رواه سيدنا الإمام الحسن يصور مدى الحب والترابط الذي جمع بين الخلفاء الثلاثة والرسول الأمين صلى الله عليه وسلم ، والحديث يقول لكل من أوتي شيئا من العقل والدراية أن من يكرههم فكأنه يكره الرسول صلى الله عليه وسلم ومن يبغضهم فكأنه يبغض رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

يستغرب من يرى هذا الحديث؛ كيف ذكره علماء الشيعة في كتبهم من رواية سيدنا الإمام الحسن، ثم لابد وأن ينتظر تعليقهم أو ردهم على هذا الحديث!..

أجل، إنهم زادوا على الحديث ووضعوا عليه ذيلا واعتبروا ذلك جوابا أو ردا منهم (!)، وهذه الزيادة هي: «**فلما كان من الغد دخلت عليه وعنده أميرالمؤمنين وأبوبكر وعمر وعثمان. فقلت له: يا أبت سمعتك تقول في أصحابك هؤلاء قولا فما هو؟ فقال: نعم، ثم أشار إليهم هم السمع والبصر والفؤاد وسيسألون عن ولاية وصيي هذا وأشار إلى علي بن أبي طالب، ثم قال: إن الله عزوجل يقول: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾. ثم قال: وعزة ربي إن جميع أمتي لموقوفون ومسئولون عن ولاية علي وذلك قول الله عزوجل: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ﴾**».

وهذا الوضع يدل على قلة خبرة الكذاب الذي وضعه، فمن له حظ من العقل لا يستطيع أن يصدق هذه الزيادة أو يصححها وذلك من عدة أوجه:

الوجه الأول:

لماذا لم يسأل سيدنا الإمام الحسن هذا السؤال عن الرسول صلى الله عليه وسلم في أول يوم قال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الحديث، ولماذا راجعه فيه في اليوم التالي؟ هل هو لم يفهم الكلام من أول وهلة وفهمه في اليوم التالي فاستغرب من مدلوله؟

وهذا يشير إلى أن هذه الزيادة من وضع الحاقدين لا محالة!

وإذا زعموا بأن الإمام خاف من أبي بكر وعمر وعثمان في اليوم الأول فلم يسأل! يطرح سؤال نفسه: لماذا ذهب عنه الخوف في اليوم التالي ؟! فقد كان الثلاثة موجودين في اليوم التالي كذلك. وأنه استفسر عن الحديث أمامهم.

الوجه الثاني:

لماذا اكتفى الرسول صلى الله عليه وسلم في اليوم الأول بأن شبه هؤلاء السادة بالسمع والبصر والفؤاد ولم يزد على ذلك ما زعم القوم أنه زاده في اليوم التالي في إجابته للإمام الحسن؟

وهذا يكشف زيف الزيادة وحقد واضعه.

والأمر لا يخرج من ثلاث حالات:

إما أن ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم في اليوم الأول كان تصويرا صادقا لما كان في قلبه، أو أنه لم يكمل كلامه "تقية" منه؛ ليبقى الكلام دليلا صريحا على فضيلة الخلفاء الثلاثة. أو أنه قال ذلك استهزاءا وسخرية منه صلى الله عليه وسلم.

الحالة الأولى؛ هي ما نراها نحن، والحالة الثانية؛ التي تقول بالتقية للرسول صلى الله عليه وسلم فلا يجيزه المذهب الشيعي نفسه إذ لا يرون "التقية " للرسول صلى الله عليه وسلم، وكذلك لم تكن هناك دواعي تدعو للتقية. ففي اليوم التالي نفس الأشخاص الثلاثة الذين خافهم الرسول صلى الله عليه وسلم في اليوم الأول ـ حسب زعمهم ـ كانوا موجودين في مجلسه. والحالة الثالثة؛ تنسب السخرية والاستهزاء بسيد الكونين وإمام الأنبياء عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلوات وأتم التسليمات ـ والعياذ بالله من ذلك ـ.

الوجه الثالث:

فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم من أوضح الناس بيانا وأفصحهم تبيانا، ولم يكن

من عادته أن يرمي الكلام على عواهنه ليخرج الحديث مبهما مغشوشا بالغموض وليفهم كل إنسان منه ما يحلو له. فهو كان رسولا مرسلا من عند الله عز وجل، ومن واجب الرسول صلى الله عليه وسلم أن يكون صريحا مبينا، وهذا ما نجده بالكثرة في النصوص القرآنية التي توجب على النبي أن يكون بليغا مبينا وصريحا واضحا.

فلا يمكن بحال من الأحوال أن يتصور المرء بأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد قال في اليوم الأول كلاما مبهما ترك مستمعيه في ضلال من أمرهم ثم عاد في اليوم التالي ليوضح كلامه في إجابة سؤال طرحه الإمام الحسن، وقد نقض في اليوم التالي ما كان أثبته في اليوم الأول!

هل يمكن أن ينسب من له حظ ـ ولو قليل ـ من الإيمان مثل هذا التلبيس والتدليس على الرسول صلى الله عليه وسلم؟!..

وقد قيل قديما أن الكذاب والمخادع يرى الناس على شاكلته، وبما أن الشيعة يستهزءون بدين الله ويسخرون منه، وقد وضعوا أساس مذهبهم على النفاق والكذب والخداع، فيظنون ـ العياذ بالله ـ هذه الصفات في الله ورسوله كذلك! فيثبتون كل هذا الخبث الذي انطوت عليه سرائرهم في كلام الله ورسوله -نستغفر الله من ذلك ونتوب إليه ونتبرأ إلى الله مما يفعله هؤلاء الظالمين لأنفسهم-.

الوجه الرابع:

لماذا استغرب الإمام الحسن فيما بعد من أن يمدح الرسول صلى الله عليه وسلم الخلفاء الثلاثة رضي الله عنهم، فيعود في اليوم التالي ويستفسر عن حقيقة المدح. وهو الذي كان يرى هؤلاء السادة دوما في ركب الرسول صلى الله عليه وسلم وقد سمعت أذناه ووعت قلبه مرات وكرات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يمدح أصحابه ويذكر فضلهم ومنقبتهم.

أجل، كان لهذا التعجب وجه من التأويل لو لم يكن الإمام الحسن قد رأى هؤلاء الأبرار

في صحبة صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام، ولو لم يكن قد سمع منه صلى الله عليه وسلم مدحا فيهم!

وهذا يعني أن هذه الزيادة التي وضعها القوم ليست إلا من وضع ذرية ابن سبأ اللعين.

الوجه الخامس:

إذا أغمضنا الطرف عن تلك الأحاديث الكثيرة التي وردت في محامد هؤلاء الصحابة وبيان فضائلهم ومناقبهم من الرسول صلى الله عليه وسلم، واكتفينا على هذا التشبيه الخاص بالسمع والبصر، لوجدنا كثيرا من الأحاديث شبه فيها الرسول صلى الله عليه وسلم هؤلاء السادة المقربين إليه بالسمع والبصر:

فقد سبق أن أشرنا بما رواه الإمام الحسن العسكري في تفسيره عندما كان يروي لنا أحداث ليلة الهجرة وفيها أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر الصديق:« جعلك الله مني بمنزلة السمع والبصر والرأس من الجسد والروح من البدن». ففي هذا الحديث شبه الرسول صلى الله عليه وسلم صديقه الحميم وحده بسمعه وبصره ورأسه وروحه.

لماذا إذن يستغرب الإمام الحسن من أن يشبهه الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث آخر بسمعه فقط، ويشبه عمر وعثمان ببصره وفؤاده؟

فلا شك أن الزيادة التي وضعت على الرواية السابقة ظلما وزورا ليست إلا من وضع من أسسوا المذهب الشيعي. والمعروف أن الشيعة تجرأوا كثيرا على وضع مثل هذه الأجوبة والتحريفات اللفظية والمعنوية في نصوصهم. ولا مجال لسرد نماذج من ذلك فهي كثيرة لا تكاد تحصى، وهاك نموذج واحد من ذلك:

يكتب قبلة الشيعة السيد ميرن[1] في الباب الثالث من "حديقة سلطانية":« روي عن الإمام الحسن العسكري أن رجلا من المخالفين والأعداء دخل مجلس سيدنا الإمام جعفر الصادق عليه السلام وقال لأحد من شيعة الإمام: ما تقول في العشرة من الصحابة؟ أجاب الشيعي: أقول فيهم كلمة حق يغفر الله بها ذنوبي ويرفع درجاتي. فقال الناصبي: حمدا لله عز وجل أن نجاني من عداوتك، فقد ظننتك ممن يرفض الصحابة الكبار ويبغضهم. فقال الرجل المؤمن: اعلم، فإن لعنة الله على من أبغض واحدا من الصحابة!

فقال الناصبي في نفسه لعل له تأويلا في الأمر، فسأله: لكن قل لي ماذا تقول فيمن يعادي العشرة المبشرة بالجنة، ماذا ترى فيه؟ قال الرجل المؤمن: من أبغض واحدا من هؤلاء العشرة من الصحابة عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

فقام الناصبي وقبل رأسه وقال: سامحني يا أخي، فقد اتهمتك بالرفض. فقال الرجل المؤمن: لا بأس عليك، أنت أخي، ولا أؤاخذك على ما اتهمتني به. فخرج الناصبي من المجلس.

فقال الإمام الصادق عليه السلام: جزاك الله خيرا، ما أحكم جوابك! فقد فرحت الملائكة من جمال توريتك وحسنها، فقد حفظت دين الله عن الاختلال وخلصت نفسك من العدو. زاد الله في مخالفينا عمى على عمي. سأل من لم يكن يعرف عن معاريض الكلام شيئا: ماذا صنع هذا الرجل؟ فقد وافق الناصبي فيما قاله! فقال الإمام: إن لم تكونوا قد فهمتم ما كان يعنيه فقد فهمناه نحن، وقد تقبل الله كلامه. إذا وقع أحد من أصحابنا في يد الأعداء يوفقه الله إلى جواب يحفظ به دينه وعرضه من هؤلاء الأشقياء. فقد كان يقصد هذا الرجل المؤمن من

---

(١) السيد حسين عرف ميرن بن الشيخ دلدار علي نصير آبادي (١٧٩٦م ـ ١٨٥٦م) راجع ترجمته في فهرس الأعلام. (م)

كلامه: "من أبغض واحدا من الصحابة" أي؛ من أبغض وعادى واحدا من هؤلاء العشرة وهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فعليه لعنة الله عز وجل. وكذلك صدق عندما قال:" من أبغض العشرة فعليه لعنة الله "، وذلك لأن من أبغض العشرة كلهم فقد أبغض عليا عليه السلام وهو واحد منهم، فيشمله لعنة الله عز وجل». انتهى.

يظهر من هذه الروايات أن المذهب الشيعي وضع على قواعد من المكر والكذب والخداع.

للسادة الشيعة أن يعتزوا على مكر سادتهم وخداعهم لكن من أوتي شيئا من الإنسانية والأخلاق يلعن هذه الحركات مئات الألوف من المرات ويتقيأ من قبحها وسذاجة العقول التي ترقص عليها.

من اللطائف في هذه الرواية أن الإمام جعفر الصادق كان أستاذا حاذقا في مثل هذه الفنون مما جعله موطن ثقة الناصبيين فلم يكن أحد يشك فيه أو يوجه إليه سؤالا، وإلا لم يكن ذلك الناصبي يطرح أسئلته على ذلك الرافضي في مجلس الإمام! وفي النهاية رأيناه يستميح الرافضي عذرا على سوء ظنه به.

ومن اللطائف في هذه الرواية كذلك أن الإمام أول جميع أقوال الشيعة ما عدا قولا واحدا، وهو أن الشيعي اعتبر تهمة الرفض على نفسه افتراءا (!)، ولا ندري ما تأويل ذلك عندهم. وكيف يصح أن نعبر عن الظن الصحيح بأنه افتراء؟!

وهاك حديث آخر ألطف مما ذكرناه آنفا، وأعجب منه في تأويله وكأنه نكتة من المضحكات!

(الحديث السادس): الإمام جعفر: (هما إمامان عدلان)

يروي "كشف الغمة" و"إحقاق الحق" وغيرهما من المصادر المعتبرة والمراجع الموثوقة

لدى الشيعة أن الإمام جعفر الصادق قال في سيدنا أبي بكر الصديق وسيدنا عمر الفاروق رضي الله عنهم:« هما إمامان عدلان قاسطان كانا على الحق وماتا عليه فعليهما رحمة الله يوم القيامة»[١].

ما أوضح هذه الرواية وما أبين معانيها! فلم يترك الإمام مجالا للتلاعب في معاني حديثه.

يتضح من هذا الحديث عدة فضائل للسادة الشيخين رضي الله عنهما:

الأول: فقد كانا إمامان صالحان وخليفتان على الحق، وذلك لأنه لو لم تكن خلافتهما صحيحة ولو كانا ـ معاذ الله ـ غاصبان للخلافة لما وصفهما الإمام جعفر الصادق بأنهما كانا "إمامان عادلان قاسطان" ولما قال عنهما "كانا على الحق"!

الثاني: وأنهما كانا عادلان ومنصفان. فما يطعن فيهما الشيعة وما يقولونه فيهما باطل لا أساس له.

الثالث: كانا على الحق وظلا كذلك حتى أدركهم الموت.

الرابع: أنهما يستحقان رحمة الله عز وجل يوم القيامة. ومن المعروف أن المرء لا يستحق رحمة الله عز وجل ما لم يكن كامل الإيمان والتقوى.

وهل هناك من فاق هذه الرتبة في الفضائل والمناقب؟!..

لكن السادة الشيعة لا يعجبهم العجب ولا الصوم في الرجب! إذا قدمت إليهم أحاديث مما رواها المحدثون الثقات من أهل السنة يقولون: إن هذه كلها من الموضوعات. وإذا قدمت إليهم حديثا مما رواه المحدثون من الشيعة يؤولونه ويزعمون بأن الأئمة كانوا يقولون ذلك من باب "التقية"، ويحرفون في معاني تلك الأحاديث بشتى أساليب التحريف والتخريف!

ولم يسلم من تحريفهم هذا الحديث الواضح كذلك. فقد وضعوا عليه بعض العبارات

---

(١) أنظر: إحقاق الحق، لقاضي نور الله الشوستري، ج/ ١، ص/ ١٦، من الطبعة المصرية القديمة.

وزادوا في الحديث ولووا عنقه إلى حيث يحلو لهم!

فقد جاء في "رساله أدله نقية في ثبوت تقية"ـ الأدلة النقية في إثبات التقية ـ المزين بتوقيع سلطان العلماء والمجتهد الأعظم سيد محمد والتي نشرت في مدينة لودهيانة عام ١٢٨٢هـ:« فقد خان علماء السنة في روايتهم لهذا الحديث. واختاروا فيه عبارات توهم بالمدح للشيخين في حين أن هذه العبارات نفسها امتلأت طعنا وشناعة وقبحا عليهما. وقد وضع الإمام جعفر الصادق عليه السلام في هذا الحديث نفسه معاني عباراته وبينها».

ثم سرد المؤلف كلاما لغوا أشبه بهذيان المجانين فأضاف:« فاعلم أن أصل الحديث هو: أن جماعة من المخالفين سألوا الإمام عن الشيخين. فقال الإمام في جوابهم تورية: هما إمامان عادلان قاسطان كانا على الحق وماتا عليه فعليهما رحمة الله يوم القيامة. فلما انصرف الناس قال رجل من خاصته: يا ابن رسول الله! لقد تعجبت مما قلت في حق أبي بكر وعمر. فقال: نعم، هما إماما أهل النار كما قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ (القصص/ ٤١). وأما العادلان فلعدولهم عن الحق كقوله تعالى : ﴿ ... ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (الأنعام١) ، وأما القاسطان فقد قال الله تعالى: ﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾(الجن/ ١٥). والمراد من الحق الذي كانا مستوليين عليه هو أمير المؤمنين حيث آذياه وغصبا حقه، والمراد من موتهما على الحق أنهما ماتا على عداوته من غير ندامة من ذلك، والمراد من رحمة الله؛ رسول الله، فإنه كان رحمة للعالمين وسيكون خصما لهما ساخطا عليهما منتقما عنهما يوم الدين». انتهى الحديث.

ثم بدأ المؤلف يعلق على هذه الترهات وهذا الهذيان بقوله:« فقد وردت في كتب أهل السنة كذلك أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصف أنوشيروان الفارسي بالعدل، وحتى روى ذلك السعدي الشيرازي في كتابه "گلستان"، في بيت شعر له قال فيه: ما أعدل

أنوشيروان! إذ وصفه بذلك سيد الأنام[١]!

فكما لا يفيد وصف الرسول صلى الله عليه وسلم أنوشيروان الكافر "بالعدل" شيئا، فكذلك لا يفيد هذا الوصف الشيخين، وهذا الوجه من الوجوه السبعين (التي كان الإمام الصادق يعتني بها في كلامه).

وكذلك علق على هذه الرواية بتفسيره:« في هذه العبارة علق الإمام المعصوم الجار والمجرور بلفظ "مستولين" وهو خبر خاص قد حذف للقرينة الحالية. وهذا مذهب جمهور النحاة أمثال سيبويه وغيره إذ قالوا بجواز حذف الخبر الخاص إذا دلت عليه القرينة. ويتفق الجمهور على أن الإمام جعفر الصادق كان أفصح الفصحاء ومن العرب العرباء فكلامه حجة سواء وافق المذاهب النحوية أم عارضها. فما ظنك فيما لا يعارض النحاة لوجود القرينة. والقرينة هنا هي أن "على" جاء بمعنى "الاستعلاء" في كلام العرب، والاستعلاء عند العرب يعني ؛ الغلبة والاستيلاء. تقول العرب: علوت الرجل. أي: غلبته. فقد قصد الإمام بقوله:" كانا على الحق"، أنهما: "كانا غالبين على الحق، والحق مغلوبا عنهما". وكذلك يصح ما قاله الإمام المعصوم في أنه قصد بالحق؛ أميرالمؤمنين، وذلك لأن لفظ الحق قد يطلق على الله عز وجل وعلى رسوله وعلى الإمام وحتى على الموت والقيامة والقرآن والكلمة والكلام. وهذا لا يخفى على أحد. إذن إذا قصد بكلمة "الحق"؛ أمير الحق سيدنا علي لم يكن خلافا للصواب.

ولا يخفى أن في الأمر وجهين آخرين كذلك يصح حمل الكلام عليهما:

الوجه الأول: أن "على" جاء بمعنى "الاستعلاء"، أي: أن الشيخين كانا على البطلان المبين وقد غلبا على الحق وأذلاه. كما بين ذلك الإمام المعصوم في دعائه على "صنمي قريش". فكما ترى يصح أخذ هذا المعنى من كلام الإمام المعصوم على طريقة الجمع بين الحديثين. وهذا

---

(١) در اوان عدلش بنازم چنان ... كه سيد بدو راند نوشيروان.

الاستعلاء يستلزم الاستيلاء كذلك، فيصح كذلك تقرير "مستولين" كما فعله المعصوم. فتأمل!

الوجه الثاني: إن العرب استعملوا لفظ "على" في مقام الضرر والعداوة والخلاف. وهذا المعنى شائع وذائع بين العرب لا يجهله أحد. فهم يقولون في مقام الرد أو الاعتراض: هذا لنا لا علينا.

ومن المشهور ما يروى أن جيش "الحر" لما التقى بسيد الشهداء في طريق كربلاء، سأله الإمام: أعلينا أم لنا؟ وأيضا قال الله تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ...﴾ فقال صاحب الكشاف:" ينفعها ما كسبت من الخير ويضرها ما اكتسبت من الشر". ومن هنا نستطيع القول بأن معنى قول الإمام:"كانا على الحق"؛ أنهما كانا مخالفين للحق وأعداءا له. وهذا هو المعنى الذي قصده الإمام المعصوم في كلامه. فيصح إرادة هذا المعنى في كلام الإمام».

وعلق على قول الإمام "فعليهما رحمة الله يوم القيامة":« أن الإمام قصد هنا كذلك بلفظ "على" معنى العداوة. ثم أضاف الإمام أنه لا يخفى على أحد بأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان رحمة من الله، فقد قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء / ١٠٧).

فكما ترى لا يدل كلام الإمام بظاهره ولا بمدلولاته على مدح الشيخين وإنما كان كله قدح وهجاء فيهما». انتهى ما قاله صاحب "رساله ادله نقية في ثبوت تقية"[(١)].

يا أصحاب العقول السليمة!...

تمعنوا فيما افتراه الشيعة وراجعوها، هل وجدتم في العالم كله من يباري الشيعة في التلاعب بالنصوص وتحريفها؟! بل هل وجدتم من يستطيع الإذعان لمثل هذه الخزعبلات

---

(١) الرسالة النقية في إثبات التقية، لسلطان العلماء سيد محمد المجتهد.

والترهات؟!

هذا الهذيان يذكرني بحكاية مشهورة في بلاد الهند؛ يروى أن هندوسيا قال لمسلم: يجب عليكم أيها المسلمون أن تعترفوا بديننا، فقد ذكر قرآنكم أسماء آلهتنا "رام" و"لچهن"! استغرب المسلم من كلامه واستفسر عن الآية التي ذكرت أسماء تلك الآلهة المزيفة من القرآن الكريم. فقال الهندوسي: في مطلع سورة "يوسف" قال ربكم:﴿ الر ﴾، في هذه التي تسمونها بالحروف المقطعات، وهي تعني: الألف. أي: الله. واللام يعني:"لچهن" والراء يعني؛ "رام"!

بل أقول: إن هذا القول الساذج من ذلك الهندوسي الأحمق أفضل بمراحل من تلك التأويلات التي قدمها الشيعة! فترى في كلام الهندوسي نوعا من التناسب اللفظي وإن كان يفوح سذاجة وحمقا، لكن التأويلات الشيعية تفتقد إلى مثل هذا التناسب اللفظي الساذج كذلك. وإذا قلتم بجواز مثل هذه التأويلات الفاسدة والتحريف الرخيص فلن يثبت أي كلام على أي معنى. وما يرويه الشيعة في فضائل سيدنا علي وفي مناقب سائر الأئمة سرعان ما تنقلب مثالبا وطعنا عليهم.

لكننا ذكرنا نماذج من هذا التجاهل والتعنت والفساد ليتضح حقيقة المذهب الشيعي.

وآن لنا أن نخوض في الحديث عن بيان سخافة هذه التأويلات:

أولا:

فقد زعموا بأن الإمام جعفر الصادق قال هذا الكلام من باب التورية، أي:"التقية" خوفا من بطش المخالفين. وهذا كلام باطل لا أساس له، وهو يخالف المذهب الشيعي، فقد ثبت في المذهب أن "التقية" للإمام المذكور لم يكن جائزا! فقد زعم الشيعة بأن الله عز وجل كان ينزل لكل إمام صحيفة خاصة به، فيها أحكام تخصه هو دون غيره.

وقد ذكر محمد بن كليني في "أصول الكافي" وملا باقر المجلسي في "بحار الأنوار" أنه

ورد في صحيفة الإمام جعفر الصادق :« حدث الناس وأفتهم ولا تخافن إلا الله، وانشر علوم أهل بيتك وصدق آباءك الصالحين، فإنك في حرز وأمان». فلا يمكن بعد هذا الحكم الصريح أن يخاف الإمام جعفر الصادق أحدا من الناس فيضطر أن يلجأ إلى "التورية" و "التقية" ليمدح الصحابة وليخدع الناس! فهذه كلها افتراءات اتهم الشيعة بها هذا الإمام الجليل وهو عنها بريء.

وإذا قال الشيعة بأن الرواية جمع بين الحديث وتأويله، فكيف يصح أن نأخذ نص الرواية ونترك تأويلها وتفسيرها؟ نقول: ما يتعلق في الرواية بفضائل الشيخين يعد إقرارا، وإقرار العقلاء حجة على أنفسهم. وهذا التأويل ليس إلا زعما لا دليل عليه، فلا يفيدهم في شيء.

هذا وقد عرفنا أن محدثي الشيعة تعودوا على قطع الروايات والزيادة عليها حسب أهوائهم وما يوافق معتقداتهم، وقد سبق أن أشرنا إلى ذلك وأوردنا كلام علماء الشيعة في الشيخ صدوق الذي كان يتصرف في النصوص ويلوي أعناقها لتناسب مذهبه! فمن هنا لا بد أن يكون هذا التأويل مما أضافه محدثي الشيعة على الرواية، ولاسيما وأنك ترى بأن هذه الركاكة في التأويل لا تناسب مقام الأئمة وشأنهم. وطالما انزعج الأئمة عن ذلك واشتكوا عن الشيعة وقالوا بأنهم قد افتروا علينا كثيرا. فقد روى أبو عمر الكشي عن الإمام جعفر الصادق قوله:« إن الناس أولعوا بالكذب علينا، وكأن الله افترضه عليهم لا يريد منهم غيره. وإني أحدث أحدهم بالحديث، فلا يخرج من عندى حتى يتأوله على غير تأويله، ذلك لأنهم لا يطلبون بحديثنا وبحبنا ما عند الله، وإنما يطلبون الدنيا».

فإذا كانت هذه عادة أصحاب الأئمة، فكيف لنا أن نعتمد على رواياتهم ولاسيما إذا خالفت الرواية العقل والنقل.

ثانيا:

لابد أن نراجع هذا التأويل الأخبث من التحريف ونتأمل فيه، فهو لا يتفق مع العقل أبدا. فقد زعموا بأن المضاف إليه قد حذف وأصل الكلام كان "إماما أهل النار"، فافترضوا وجود المضاف إليه على هذا النحو! مع أن الجملة لا تحمل أية قرينة لحذف المضاف إليه. ولفظ "الإمام" كلما جاء مطلقا أريد به المدح، ولم يرد خلاف هذا المعنى أبدا. فهل يستطيع الشيعي أن يحمل لفظ الإمام فيما ورد في شأن الأئمة بإمام أهل النار؟!

ولا يصح بحال من الأحوال استدلالهم بالآيات القرآنية. ففي الآية لم يرد لفظ "الإمام" مطلقا وإنما جاء مقيدا بقيد "يدعون إلى النار"!

وتأويل لفظ "عادلان" إلى من يعدل عن الحق خلاف للغة العربية لا يجهل. فما لم يصل بلفظ "العدل" حرف "عن" لن يأتي بمعنى العدول عن الشيء. وتجد في القرآن استعمالات له تؤيد هذا المعنى، مثل قوله تعالى :﴿... اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى... ﴾ (المائدة/ ٨)، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ.. ﴾ (النحل/ ٩٠). ولم يرد قط بمعنى العدول عن الشيء، وأما استشهادهم بالآية الكريمة: ﴿ ... بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾(الأنعام/ ١)، ليس إلا دليلا على جهلهم بالقرآن. فلا تعني فعل "يعدلون"؛ العدول عن شيء ولا يمكن حمل الكلمة على هذا المعنى، وإنما معنى الآية: إن الكفار يساوون غير الله عز وجل بربهم.

ولا شك أن مثل هذا الخطأ الفاحش لم يكن يصدر من الإمام جعفر الصادق، وهو من الفصحاء العرب وبلغائهم!

ومن هنا يظهر أن هذا التأويل قد افتراه على الإمام بعض السادة من أعاجم الشيعة، فالعربي لا يمكن أن يخطئ هذا الخطأ الركيك الفاحش!

وكذلك الأمر في تأويل "قاسطان" على أنه يعني "ظالمان"! زد على ذلك أنه ينافي لفظ "عادلان" السابق الذكر.

ولم يرد لفظ "قاسطون" في الآية بهذا المعنى إلا من باب التقابل بالمؤمنين، فلم يرد في كلام العرب لفظ "القاسط" بمعنى "الظالم"، دون وجود قرينة صارفة كهذه.

وتأويلهم لكلمة "الحق" من أعجب العجائب وأغرب الغرائب هنا، فزعموا أن "الحق" هو: سيدنا علي المرتضى رضي الله عنه. ومثل هذا التفسير ليس إلا مصداقا لما قيل: المعنى في بطن الشاعر!

كأن يقال ماذا يعني: زيد على الحق؟ فيردوا: أن الجملة تعني : إن زيدا غلب عليا المرتضى رضي الله عنه وسيطر عليه!

وحمل معنى "على " على الاستيلاء، ثم زعمهم بأن "الاستيلاء" ترادف "الاستعلاء" ليس إلا مكابرة وتعنتا منهم لا غير.

وتأويلهم للعبارة الدعائية "عليهما رحمة الله " من أعجب العجائب ومن أغرب الغرائب، فقد ظهر من هذا التأويل أن الجملة الدعائية "رحمة الله عليه" ليست دعاء للناس، وإنما من أشد الأدعية على الناس!

وقد علق أحد الظرفاء على تأويلهم هذا، بأن الشيعي إذا قال عن أحد من علمائه وقادته "رحمة الله عليه"، فهو يعني هذا المعنى لا غير!! أي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مخالفهم وعدوهم وسوف ينتقم منهم!

هذا هو شأن الشيعة؛ فقد جعلوا كلام أئمتهم وأحاديثهم لعبة الصبيان وأضحوكة الناس!...

الحديث السابع: سيدنا علي يمدح أبابكر

فقد أورد نهج البلاغة[١] ـ الكتاب الجامع لخطب سيدنا علي المرتضى وكتبه ـ خطبة في شأن سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه جاء فيها: «**لله بلاءُ فُلاَن، فَلَقَدْ قَوَّمَ الأَوَدَ، وَدَاوَى الْعَمَدَ، وَأَقَامَ السُّنَّةَ، وَخَلَّفَ الْفِتْنَةَ! ذَهَبَ نَقِيَّ الثَّوْبِ، قَلِيلَ الْعَيْبِ، أَصَابَ خَيْرَهَا، وَسَبَقَ شَرَّهَا، أَدَّى إِلَى اللهِ طَاعَتَهُ، وَاتَّقَاهُ بِحَقِّهِ، رَحَلَ وَتَرَكَهُمْ فِي طُرُق مَتَشَعِّبَة، لاَ يَهْتَدِي بِهَا الضَّالُّ، وَلاَ يَسْتَيْقِنُ الْمُهْتَدِي**».

يقول خاتم المحدثين صاحب "التحفة الإثنا عشرية"[٢]:« فإن الشريف الرضي جامع نهج البلاغة حذف اسم سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه من النص ووضع مكانه كلمة "فلان" لئلا يبقى لأهل السنة مجال في الاستدلال بهذا النص، ولئلا يضيق المجال على الشيعة في التأويل. لكن من كرامة سيدنا أمير المؤمنين علي المرتضى رضي الله عنه أنه أتى في خطبته بأوصاف هي بنفسها تكشف عن موصوفها رغم أنوف المعتدين»!

اختلف شراح نهج البلاغة في شرح هذا النص اختلافا يسيرا؛ فمنهم من قال بأن؛ أمير المؤمنين كان يعني بهذه الأوصاف سيدنا أبا بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ ومنهم من يرى؛ أنه كان يقصد بها ـ سيدنا ـ عمر ـ الفاروق رضي الله عنه ـ . لكن معظم الشراح مالوا إلى الرأي الأول.

لم يزل علماء الشيعة يضربون الأخماس في الأسداس ويجرون كالملدوغ يمينا وشمالا في البحث عن جواب أو رد على هذه الخطبة، فتفوهوا بإجابات هوجاء لكنهم لم يستطيعوا بعد أن يحلوا هذه المشكلة! ومن أجوبتهم:

---

(١) أنظر: نهج البلاغة، ج/ ١، ص/ ٤٥٧، الطبعة المصرية. ونهج البلاغة ـ مع الترجمة الأردية ـ ج/ ١، ص/ ٥٤١، طبع في لاهور مطبعة: شيخ غلام ايندنس.

(٢) هو : الشاه عبد العزيز المحدث الدهلوي بن الشاه ولي الله المحدث الدهلوي (١١٥٩هـ ، ١٢٣٩هـ). راجع ترجمته في أعلام الكتاب. (م)

الجواب الأول:

« كان من عادة سيدنا أمير المؤمنين عليه السلام أن يمدح الشيخين أمام من يعتقد بفضلهما تأليفا لقلوبهم. وليست هذه الخطبة إلا من هذا القبيل »!

فكما ترى يصرخ الجواب بهشاشته وقلة إيمان من قال به!

لا يقبل من له شيء من العقل السليم أن إماما معصوما جليلا في مقام سيدنا علي المرتضى ورتبته يكذب بهذه السهولة وبهذه الحقارة للحصول على مصلحة دنيوية ولإرضاء فئة من الناس! ولا ندري أ رضوا أم لا؟! ولم يكتف على كذب واحد بل أتبعه بعشرة من الأوصاف الكاذبة في مدح أناس عصوا الله ورسوله وتركوا دين الإسلام وارتدوا عنه، وغيروا كتاب الله عز وجل ودين المصطفى عليه الصلاة والسلام. وكان سيدنا أميرالمؤمنين أعلم من غيره بالحديث الصحيح :« إذا مدح الفاسق غضب الرب».

فيا ترى! إذا كان من مدح الفاسق يجلب غضب الرب على نفسه، فما شأن من يمدح أناسا فاقوا بأعمالهم السيئة آلافا من الفساق، فماذا عسى أن يكون حال من مدحهم؟!

لا أحد يتجرأ أن يرمي سيدنا علي المرتضى رضي الله عنه بارتكاب كبيرة كهذه إلا الشيعة الحاقدون على الله ورسوله وأهل بيته.

ولا ندري ما هي الضرورة التي أرغمت سيدنا علي أن يردف هذه الكذبات المتواليات وراء البعض، هل بغى عليه فوج من أتباع أبي بكر ولم يكن باستطاعة أمير المؤمنين أن يقيم عودهم إلا بهذا التدليس؟!

هذا هو الجواب الذي رد به العلامة الكنتوري على "التحفة الإثنا عشرية" ، ثم كذب مؤلف "التحفة الإثنا عشرية" قائلا :« هذا زعم افترى به علينا صاحب التحفة الإثنا عشرية، فليس الشيعة بحاجة إلى توجيه هذا الحديث وتفسيره، ففي النص لم يذكر اسم "أبي بكر" وإنما

ذكر "فلان"، فلو ذكر اسم أبي بكر لقلنا بأن الشيعة لابد أن يوجهوا النص إلى معناه المراد، ولكن لم يذكر في النص شيء يدل على شخص بعينه! فما ذكره هذا الناصبي وما وجهه إلينا من الإفتراءات والهذيان بني على الافتراضات الخاطئة فهي فاسدة لأن ما بني على الفاسد فاسد لا محالة»!

لابد أن نعد جواب العلامة الكنتوري هذا من عجائب المذهب الشيعي كذلك. ففي كتب الشيعة تصاريح متواترة تقول بأن لفظ "فلان" لا يعني إلا سيدنا أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ:

يذكر ابن ميثم البحراني[١] في شرحه على "نهج البلاغة" أن بعضا من علماء الشيعة يرى بأن لفظ "فلان" يعني؛ أبابكر ، والبعض الآخر يقول بأنه؛ عمر. ثم يضيف قائلا:« أقول: إن إرادته لأبي بكر أشبه من إرادته لعمر». هذا ما صرح به ابن ميثم ذلك العلم الشامخ في المذهب الشيعي الذي يعتز بعلمه وتقدسه ملا باقر المجلسي.

بعد هذا أو ليس عجيبا أن ينكر الكنتوري هذه الحقيقة وأن يكذب صاحب التحفة الإثنا عشرية؟!

لعل الكنتوري لما تجرأ على الكذب لم يكن يتصور أن علماء السنة سوف يخرجون التصريح باسم أبي بكر في النص من كتب الشيعة ومصادرهم! وعندها يكشف سوءة كذبه وسوء طويته، وسيقول الناس لا محالة:" ألا لعنة الله على الكاذبين"!

وقد زعم الكنتوري أن صاحب التحفة الإثنا عشرية افترى على الشيعة لما نقل تأويل الشيعة على الخطبة إذ زعموا بأن سيدنا أمير المؤمنين مدح الشيخين تأليفا لقلوب من كان يعتقد

---

(١) كمال الدين ميثم بن علي من علماء الشيعة في القرن السابع. مات عام ١٧٩هـ. راجع ترجمته في فهرس الأعلام في نهاية الكتاب. (م)

صحة خلافتهما، وقال بأن الشيعة لم يقولوا بذلك، وإنما هذا بهتان بهتهم بها صاحب "التحفة الإثنا عشرية".

دعونا نتصفح شرح ابن ميثم على نهج البلاغة لنرى من الكذاب: الكنتوري أم صاحب التحفة الإثنا عشرية؟!

يقول ابن ميثم:« جاز أن يكون ذلك المدح منه على وجه استصلاح من يعتقد صحة خلافة الشيخين واستجلاب قلوبهم بمثل هذا الكلام».

وا أسفاه! فقد مات الكنتوري وحمل معه جريرته. فلو كان حيا لكنت أقدم له عبارة ابن ميثم هذه، وكنت اسأله؛ من هو الكذاب منكما؟ حضرتك أم صاحب التحفة الإثنا عشرية؟

سمعت أن ابن الكنتوري مازال حيا، ويعتز بكتاب أبيه "استقصاء الأفحام"، فيا ليت من يحمل إليه عبارة ابن ميثم هذه ليعرف الرجل من كان أبوه؟ وليتضح له كذب أبيه وتدليسه وتحريفه!

الجواب الثاني:

« كلمة "فلان" في هذه الخطبة لا تعني أبابكر ولا عمر، وإنما صحابي آخر توفي في أيام الرسول صلى الله عليه وسلم».

هذا جواب استحسنه العلامة الراوندي من كبار علماء الشيعة! لكن قراءة سريعة في الخطبة تكشف عن ركاكة الجواب وهشاشته وتكلف من قال به، فسيدنا أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يمدح في خطبته رجلا صالحا كان سدا أمام الفتن، فلما مات حدث كل هذا الخراب وضل الناس في طرق متشعبة. ولا يتصور حدوث مثل هذا الفساد بعد موت أي رجل مهما كان شأنه في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلا محالة أن يكون هذا الممدوح قد توفي بعد الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا يمكن أن يكون هذا المرء إلا أبوبكر أو عمر. وللشيعة

أن يختاروا منهما أي واحد أرادوا، وبذلك يصلون إلى ما نقصده.

فقد العلامة الكنتوري صوابه وهو يتحدث عن هذا الجواب، ووبدأ يتفوه بكلام لا يظهر منه إنكار لهذا الجواب كما لايبدي إقرارا له! فالمسكين قد وقع في فخ لم يكن يدري كيف يتخلص منه، فقد جاءه مؤلف "التحفة الإثنا عشرية" كملك الموت على حين غرة فوق رأسه لا يستطيع التخلص منه. فهو يقول:« .. وقد عرفت مما صرح به ابن أبي الحديد أن هذا الكلام قاله قطب الدين الراوندي، ولم يكتب شرحا على نهج البلاغة من علماء الإمامية وغيرهم قبل ابن أبي الحديد إلا قطب الدين الراوندي». ففي هذه العبارة يسلم الكنتوري بما قاله مؤلف "التحفة الإثنا عشرية"، لأنه لم يكذب الخبر كما فعله في الأجوبة السابقة. وأما زعمه أن أحدا لم يسبق الراوندي في شرح نهج البلاغة كلام فارغ لا أساس له ويدل على جهله. ويسعى به المؤلف الهروب من الموضوع.

فليتأمل سادة الشيعة؛ كيف يتفنن علمائهم في الهروب عن الموضوع كلما وجدوا الطريق قد سد أمامهم، وكيف يسكتون عن الموضوع بإثارة أمور لا علاقة لها بالموضوع.

وهاك نص ما قاله قطب الدين الراوندي في شرحه:« إنه عليه السلام يمدح بعض أصحابه بحسن سيرته، وأنه مات قبل الفتنة التي وقعت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم».

الجواب الثالث:

زعموا أن أمير المؤمنين علي المرتضى رضي الله عنه « قصد في خطبته هذه التعريض بعثمان ، فهو أراد أن يوبخه في تركه لسيرة الشيخين وأن الفتن قد شاعت في أيامه ».

هذا الجواب أسخف من الأجوبه السابقة. فالتوبيخ له أساليبه، فإذا كان سيدنا علي المرتضى رضي الله عنه يريد أن ينال من عثمان؛ ما الذي يجبره على مدح أحد الشيخين؟ فكان يكفيه أن يقول بأن عثمان ترك سيرة الشيخين، ولم يكن بحاجة أن يسرد كل هذه الصفات

الكاذبة في أعداء الله وأعداء رسوله.

وكذلك يكشف هذا الجواب أن سيدنا علي المرتضى كان قد ارتضى سيرة الشيخين، فلو لم يكن قد رضي بهما وبسيرتهما لما وبخ غيره على ترك المنكر.

ولابد أن نلاحظ أن حمل هذه الخطبة على توبيخ سيدنا عثمان حمل شيء على شيء دون دليل ولا برهان. فليست في الخطبة أية قرينة أو إشارة أو تلميح لسيدنا عثمان رضي الله عنه ولا لتركه سيرة الشيخين. فقد قال علي المرتضى رضي الله عنه هذه الخطب في أيام خلافته في الكوفة، فأين كان سيدنا عثمان رضي الله عنه في تلك الفترة ليوبخه سيدنا علي المرتضى رضي الله عنه؟

وافترض أنه أراد أن يوبخ عثمان، فلماذا لم يصرح باسمه؟ ما الذي منعه من ذكر اسمه أو التصريح به؟ فقد خرج جيش عرمرم من أهل الشام ووقفوا في وجه سيدنا علي المرتضى رضي الله عنه يريدون القصاص من قتلة عثمان، فهل هناك خلاف أكبر من هذا مع اتباع عثمان ليتجنب علي المرتضى التصريح من ذكر اسمه ؟! وصدق من قال: أنا الغريق فما خوفي من البلل!..

وقد رد العلامة الكنتوري هذا الكلام وكذب فيه مؤلف "التحفة الإثنا عشرية" وزعم أنه؛ « لم يقل أحد من الإمامية بهذا التأويل، إلا ابن أبي الحديد الذي ذكر هذا الكلام في شرحه ونسبه إلى "جاردويه" من الفرق "الزيدية" ... (إلى أن قال) .. ونسبة بعض ما قاله الزيدية إلى الإمامية كذب صريح».

دعونا نخرج هذا الكلام من مصادر الشيعة الإمامية، بل من أوثق كتبهم ومراجعهم ليظهر للعيان مدى جرأة العلامة الكنتوري على الكذب وعلى الافتراء على الآخرين:

كتب ابن ميثم في شرحه على نهج البلاغة ما نصه: « **واعلم أن الشيعة قد أوردوا ههنا**

سوالاً فقالوا: إن هذه المادح التي ذكرها عليه السلام في أحد هذين الرجلين ينافي ما أجمعنا عليه من تخطيتهما وأخذهما منصب الخلافة، فإما أن لا يكون هذا الكلام من كلامه عليه السلام أو أن يكون إجماعنا خطأً. ثم أجابوا من وجهين:

أحدهما: لا نسلم التنافي المذكور فإنه جاز أن يكون ذلك المدح منه عليه السلام على وجه استصلاح من يعتقد صحة خلافة الشيخين واستجلاب قلوبهم بمثل هذا الكلام.

الثاني: أنه جاز أن يكون مدحه ذلك لأحدهما في معرض توبيخ عثمان لوقوع الفتنة في خلافته واضطراب الأمر عليه وإساءته وحيفه لبيت مال المسلمين هو وبنو أبيه، حتى كان ذلك سببا لثورة المسلمين من الأمصار وقتلهم له، وينبه على ذلك قوله: وخلف الفتنة وذهب نقي الثوب قليل العيب أصاب خيرها وسبق شرها، وقوله: وتركهم في طرق متشعبة إلى آخره...، فإن من مفهوم ذلك يستلزم أن الوالي بعد هذا الموصوف قد اتصف بأضداد هذه الصفات. والله أعلم».

تتضح عدة فوائد من عبارة العلامة البحراني هذا:

الأولى: فقد أنكر الكنتوري أن "أحدا من الإمامية لم يقل بهذا التأويل"، وها هو قد ظهر كذب ادعائه، وجهله بمذهبه.

الثانية: اتضح أن الشيعة إلى أيام البحراني كانوا متفقين على أن هذه الخطبة جاءت في مدح سيدنا أبي بكر أو سيدنا عمر لا غير.

الثالثة: ظهر كذب ما ادعاه الراوندي من أن كلمة "فلان" تشير إلى رجل مات في أيام الرسول صلى الله عليه وسلم.

فالحمد لله أولا وأخيرا؛ فقد ظهر بطلان ما زعمه الشيعة وثبت للجميع بأن سيدنا أمير المؤمنين علي المرتضى رضي الله عنه كان قد مدح الشيخين بأبلغ الوجوه وأجمل العبارات

وأنقاها، وبذلك قلع مذهب عبد الله بن سبأ من أساسه ولم يترك للقوم جزورا ولا أصلا، لو كانوا يعقلون!

ودعونا نوضح هذا المبحث أكثر من ذي قبل، فنقول وبالله التوفيق:

فقد قال مؤلف "التحفة الإثنا عشرية" بعد ما ذكر هذه الخطبة:« فقد اختلف شراح نهج البلاغة من الشيعة فمنهم من قال بأن سيدنا المرتضى قصد في خطبته أبابكر، ومنهم من قال أنه كان يعني عمرا».

وقد كذب الكنتوري هذه المقالة وقال:« إن هذا إلا إفك مبين، اسألوا هذا الناصبي: من من شراح الإمامية قال بأنه قصد أبابكر أو عمر؟».

وقد أجاب الكنتوري، خاتم المتكلمين السيد مولانا حيدر علي المشهور ـ الذي سلطه الله على الشيعة سيفا مسلولا، فكانوا يخافونه خوف الصبيان من العفاريت والأجنة!ـ فقال:« سبحانك هذا بهتان عظيم، فقد قصدنا بشراح الإمامية أمثال البحراني، ولكن هذا المسكين يجهل مراجع دينه ومصادره، فيقول: من من شراح الإمامية قال إنه قصد أبابكر أو عمر؟! آن لك يا جاهل أن تصغي إلى عبارة رئيس الحكماء والمتبحرين كمال الدين البحراني المذكور، وأن ترغم أنفك في التراب وأن تقوم من على مسند التكلم والتصنيف والتأليف ... إلى آخر ما قاله..».

وملا كمال الدين البحراني هو من أشهر من شرح نهج البلاغة، وقد قال في شرحه:« إن الناس قد اختلفوا في كلمة "فلان" فقال قطب الدين الراوندي من أشهر علماء الشيعة أن سيدنا أمير المؤمنين قصد رجلا كان في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ممن مات قبل وقوع الفتن وانتشارها. وقال ابن أبي الحديد: إن ظاهر الأوصاف المذكورة في الكلام يدل على أنه أراد رجلا ولي أمر الخلافة قبله، كقوله: فلقد قوم الأود وداوى العمد. ولم ير عثمان لوقوعه في

الفتنة وسعيها بسببه، ولا أبابكر لقصر مدة خلافته وبعد عهده من الفتن، وكان الأظهر أنه أراد عمر. وأقول: إن إرادته لأبي بكر أشبه من أرادته لعمر».

أتمنى أن يراجع الشيعة أقوال علمائهم وسادتهم، ولينظروا كيف يتجرأون على الكذب مع وجود كل هذه الروايات، وكيف يفترون على مؤلف التحفة الإثنا عشرية لمجرد الضحك على أذقان عامة الناس؟

ولينظروا إلى تلك الخطبة الواضحة البليغة التي قالها الإمام علي رضي الله عنه، فهل يبقى للشيعي مجال يطعن في الشيخين بعد ما سمع خطبة الإمام وهو يصف أبابكر بتلك الصفات والمدائح الجليلة؟!

ودعونا نفصل الكلام في تلك الصفات التي وصف بها علي المرتضى رضي الله عنه صاحبه الصديق رضي الله عنه.

اعلم أن سيدنا علي المرتضى رضي الله عنه ذكر عشر صفات لسيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وهي:

١. فقد ابتلي الناس بالاعوجاج وهو أبعدهم عن الاعوجاج. وهذه إشارة إلى فتنة الردة التي قضى عليها الصديق رضي الله عنه، بشجاعته وحسن تدبيره.
٢. داوى الأمراض النفسية. أي؛ أقام الناس على الإسلام بمواعظه ونصائحه الصادقة.
٣. أقام السنة. وسد باب البدعة.
٤. قتل الفتن وقضى على الفساد بحسن درايته وتدبيره وكمال قيادته.
٥. ذهب نقي الثوب من درن الدنيا. لعلها إشارة إلى أنه لم يكن يأخذ من بيت مال المسلمين إلا بقدر قوت يومه، ولما أدركته الوفاة أرجع هذا المقدار كذلك إلى بيت

مال المسلمين.

٦. أصاب خيرها، وسبق شرها. أي؛ أنه أدى فرائض الخلافة وواجباتها على أفضل وجه، ولم يقصر فيها، وقد حفظه الله من شرها.

٧. أدى إلى الله طاعته، على أحسن الوجوه.

٨. واتقاه بحقه؛ خاف الله واتقاه حق تقاته.

٩. رحل وتركهم في طرق متشعبة؛ أصاب الناس بعده شر، فقد تحيروا في أمرهم وتشعبوا في مشاربهم.

١٠. حدث بعده خلاف عظيم بين الناس؛" لا يهتدي بها الضال، ولا يستيقن المهتدي". إشارة إلى أن الناس لم يختلفوا في زمنه حتى في الجزئيات الفرعية من الدين.

ذكر مؤلف "التحفة الإثنا عشرية" هذه الصفات ثم قال:« هذا النص كله بشائر لأبي بكر ووصف ومدح له».

فرد عليه الكنتوري حسب عادته التي ورثها من أسلافه بقوله:« ثبت الجدار ثم انقش! لابد أن تثبت أولا أن كلمة "فلان" تعني أبابكر».

فعبارة الكنتوري هذا تقول بأننا لو أثبتنا بأن المراد من كلمة "فلان" هو؛ أبوبكر الصديق رضي الله عنه ، فلا يبقى مجال للشك في فضائل الصديق ومناقبه. فلله الحمد ، وقد ثبت هذا الأمر بالأدلة الساطعة والبراهين الواضحة في أحسن الوجوه وأبينها.

يقول مولانا حيدر علي في كتابه "إزالة الغين" ردا على الكنتوري:« الحمد لله فقد ثبتنا الجدار وانتهينا من نقشه، وقد ذكر شراح نهج البلاغة هذه الأوصاف بعبارتهم:« تلك عشرة كاملة»، ثم استمع معي إلى ما قاله البحراني بعد أن رجح أن يكون المراد هو الصديق رضي الله عنه، فوصفه بأمور:

أحدها: تقويمه للأود، وهو كناية عن تقويمه لاعوجاج الخلق عن سبيل الله إلى الاستقامة فيها. الثاني: مداواته للعمد، واستعار لفظ العمد للأمراض النفسانية باعتبار استلزامه للأذى كالعمد، ووصف المداواة لمعالجة تلك الأمراض بالمواعظ البالغة والزواجر القولية والفعلية النافعة.

الثالث: إقامته للسنة ولزومها.

الرابع: تخليفه للفتنة، أي؛ موته قبلها. ووجه كون ذلك من حاله هو؛ اعتبار عدم وقوعها بسببه في زمانه لحسن تدبيره.

الخامس: ذهابه نقي الثوب، واستعار لفظ الثوب لعرضه وقيامه به سلامة دنس الخدام.

السادس: قلة عيوبه.

السابع: إصابة خيرها وسبق شرها، والضمير في الموضعين يشبه أن يرجع إلى العهود له مما هو فيه من الخلافة، أي؛ أصاب ما فيها من الخير المطلوب، وهو العدل وإقامة دين الله الذي به يكون الثواب الجزيل في الآخرة، والشرف الجليل في الدنيا. وسبق شرها، أي؛مات قبل وقوع الفتنة فيها وسفك الدماء لأجلها.

الثامن: أداءه إلى الله طاعته.

التاسع: اتقاءه بحقه، أي؛ أدى حقه خوفا من عقوبته.

العاشر: رحيله إلى الآخرة تاركا الناس بعده في طرق متشعبة من الخيالات لا يهتدي فيها من ضل عن سبيل الله، ولا يستيقن المهتدي في سبيل الله أنه على سبيله لاختلاف طرق الضلال وكثرة المخالف له ...» انتهى بلفظه.

يا أيها المسلمون!...

هل بقي بعد هذا للرافضة مجال يفتروا على الصحابة وينالوا منهم ويطعنوا فيهم ظلما

وزورا؟!

وهل أصبحت لتلك الألوف من الكتب والرسائل التي سودوها بأقلامهم كما سودوا بها صحائف أعمالهم عند الجبار المقتدر أية قيمة؟!

وهل للأسفار الكلامية التي طعنوا فيها الصحابة أية قيمة؟

فها هو سيدنا علي المرتضى رضي الله عنه قد خسف بهم وبكل ما افتروها على الصديق رضي الله عنه.

فآن لنا أن نبكي على حال هذا القوم وعلى ضلالهم وأن نرمي على رؤوسهم أكماما من رمال الذل والهوان!

الحديث الثامن: الإمام الباقر: (لا صدق الله من لا يرى أبابكر صديقا)!

ذكر علي بن عيسى الأربلي[١] في كتاب "كشف الغمة"[٢]:« سئل الإمام أبو جعفر عليه السلام عن حلية السيف، هل يجوز؟ قال: نعم، قد حلى أبوبكر الصديق سيفه بالفضة. فقال الراوي: أتقول هكذا؟ فوثب الإمام عن مكانه فقال: نعم الصديق، نعم الصديق، نعم الصديق. فمن لم يقل له الصديق فلا صدق الله قوله في الدنيا والآخرة».

يستنتج من هذه الرواية عدة أمور:

الأول: فقد أثبت الإمام الباقر عليه السلام أن أبابكر كان صديقا، وهذا دليل على أنه كان أفضل الأمة، وذلك لأن الصديقية رتبة تقع بعد النبوة. فقد قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِعْ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ

---

(١) هو بهاء الدين أبو الحسن علي بن حسين فخر الدين عيسى الأربلي، مات عام ٦٩٣م في بغداد. راجع ترجمته في فهرس أعلام الكتاب. (م)

(٢) كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج/ ٢، ص/ ٣٦٠، ط/ الإيران مع الترجمة الفارسية للمناقب.

وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا ﴾ (النساء/ ٦٩).

الثاني: في هذه الرواية سأل رجل الإمام مسألة: هي يجوز كذا أو لايجوز. فلم يكن في الأمر ما يدعو إلى ذكر سيدنا أبي بكر ولا إلى وصفه بالصديقية، لكن الإمام ذكر كل ذلك، فيبدوا أن الإمام قصد أن يعرض بأناس كانوا ينكرون فضائل سيدنا الصديق رضي الله عنه.

الثالث: فقد اعتبر الإمام فعل الصديق دليلا شرعيا. من هنا يظهر أن الإمام كان يريد أن يوضح للناس أن فعل الخلفاء الراشدين يدل على الجواز، وهذا ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة. فمن هنا يتضح صدق مذهب أهل السنة وبطلان مذهب الشيعة.

الرابع: لما استغرب السائل عن وصف الإمام لأبي بكر بالصديقية، ثار الإمام غاضبا. وهذا يعني أن الإمام كان يتبرأ من المذهب الشيعي وكان ينفر منه.

الخامس: إنه دعا على الشيعة ألا يصدق الله قولهم في الدنيا والآخرة.

ونرى بأم أعيننا أثر هذا الدعاء على الشيعة. ومن آثاره عليهم أن علمائهم ومؤلفيهم يرون الكذب والخداع من أفضل العبادات في مذهبهم، ويرون تركه من أشد المعاصي وأعظمها!

السادس: فقد تبين للقارئ أن السائل كان شيعيا، وذلك لأنه استغرب من وصف الإمام أبابكر بالصديقية. وكذلك يظهر من القرائن أنه لم يكن في المجلس من غير الشيعة أحد، فلو كان في المجلس غيرهم لما أظهر الشيعي استغرابه، فليس هنا مجال للقول بالتقية!

لكن السادة الشيعة لم يتركوا رويتهم وعادتهم في تأويل هذه الرواية كذلك، فقد حرفوا فيها على سنة أسلافهم وردوا عليها بعدة ردود نذكرها هنا:

الجواب الأول:

ينكر القاضي نور الله الشوستري في "إحقاق الحق" أن تكون هذه الرواية قد وردت في "كشف الغمة"، ويرى أن وجود هذه الرواية في "كشف الغمة" يعارض مقتضى العقل فيقول:

«وكذا الحال فيما نقله عن رأس التعصب والحيف من حديث حلية السيف ليس ذلك في الكتاب عنه خبر ولا عين ولا أثر، وأيضاً لا مناسبة لذكر ذلك في هذا الكتاب المقصود على ذكر النبي صلى الله عليه وسلم والأئمة الإثنى عشر وذكر أسمائهم وكناهم وأسماء آبائهم وأمهاتهم ومواليدهم ووفياتهم ومعجزاتهم كما لا يخفي على من طالع هذا الكتاب».

من يقرأ هذه العبارة من القاضي لابد وأن يصدقه فيما قال، ولابد وأن يوقن بأن الرواية المذكورة لم ترد في كتاب "كشف الغمة"، وأن علماء السنة يزورون على الشيعة ويستدلون بها لم يرد في كتب الشيعة ظلما وزورا. لاسيما ويظهر من عبارة القاضي الشوستري أنه قد اطلع على الكتاب وقد راجعه، لكن الحقيقة المرة أن القاضي لم يفعل شيئا من ذلك، وأنه لم يقل كذلك كلاما غريبا لا يتوقع منه، فإن الكذب في مذهبه عبادة عظمى!

كتاب "كشف الغمة" ليس كتابا مغمورا، فهو متوفر في المكتبات وقد طبع في إيران قبل سنوات وتجده في مكتبات الهند وغيرها من البلاد بكثرة. راجع هذا الحديث في الكتاب ثم قل للقاضي الشوستري: ما أجرأك على الكذب! هنيئا لك الكذب والخداع!..

وها نحن نجعل لك أئمة الشيعة وعلمائهم يقرون بوجود هذه الرواية في "كشف الغمة" ليطمئن قلبك، فقد ورد في كتاب "طعن الرماح" للمجتهد الأعظم[1] مولوي سيد محمد حيث يقول:« فقد أسند رواية "نعم الصديق" إلى كتب الشيعة وقد نقله من كتاب "كشف الغمة"، وقد اطلعت على الكتاب بنفسي، فرأيت مؤلف الكتاب وهو مولانا الوزير علي بن عيسى الأردبيلي قد نقل هذه الرواية في كتابه عن واحد من مشاهير علماء أهل السنة وهو ابن الجوزي».

فمن عبارة هذا المجتهد ظهر كذب القاضي نور الله الشوستري للعيان ظهور الشمس في

(١) هو سلطان العلماء السيد محمد اللكنهوي (١١٩٩هـ-١٢٨٤ هـ). راجع ترجمته في فهرس أعلام الكتاب. (م)

رابعة النهار. وبقي أن المجتهد زعم أن "كشف الغمة" نقل هذه الرواية عن ابن جوزي، وهو يقصد بقوله هذا أن هذه الرواية وإن كانت في كتبنا، لكنها رويت عن علماء السنة فلا اعتبار لها عندنا.

نقول في جوابه: لعل السيد المجتهد لم يجد فرصة ليراجع الرواية بالدقة في كتاب "كشف الغمة" فقد التزم مؤلف الكتاب ألا يذكر في كتابه إلا ما اتفق عليه علماء الشيعة، وقد أقر سائر علماء الشيعة بصحة هذا الالتزام من صاحب "كشف الغمة". فهذا هو العلامة معز الدين يكتب في مقدمة كتابه "امامت"ـ الإمامة ـ:« كتاب كشف الغمة من مؤلفات الوزير سعيد الأردبيلي، وما أورده في كتابه قد اتفق عليه الموافق والمخالف».

فلو افترضنا أن المؤلف قد نقل هذه الرواية عن ابن جوزي إلا أن مجيئه في كتاب "كشف الغمة" لدليل واضح على أن الشيعة قد قبلوا هذه الرواية وارتضوها.

فيا ترى! ماذا جعل مؤلف كتاب "كشف الغمة" أن يروي هذا الحديث في كتابه، ولم يصرح كذلك أن هذه الرواية ليست مما ترتضيه الشيعة؟

وكذلك أقر بكل ما ورد في كشف الغمة صاحب كتاب "استقصاء الأفحام"[(١)]، وقد فسر قبولهم لما ورد فيه بعبارات عجيبة حيث قال:« الأول: يستفاد مما صرح به "الزردستاني" أن أهل الحق يقبلون كل ما ذكر في كشف الغمة فلا يردون منها شيئا ولا يرفضون رواية فيها. لكن أن تكون روايات كشف الغمة مما أجمع عليه أهل الحق واتفقوا عليها أمر، وما يقوله المخالفون أمر آخر. لأن مقتضى كلامهم أن أهل الحق قد اشتركوا في رواية تلك الأحاديث، لكن في الواقع لا يستفاد من قبول أهل الحق لتلك الروايات أنهم رووها، وذلك لأنه قد

---

(١) وهو مير حامد حسين بن محمد قلي الموسوي النيسابوري (١٨٣٠هـ ، ١٣٠٦هـ). راجع ترجمته في فهرس أعلام الكتاب. (م)

يتصور أن يروي الخصوم شيئا ويقبله أهل الحق، وقبولنا لتلك الرواية قد يعنى أننا نرى صحة تلك الرواية ونحتج بما فيها. وقد يعني أننا نستطيع أن نحتج بها في إثبات بعض ما يعنينا وقبلناه من هذا الباب فقط، وحتى نقول للخصم بأنه يستطيع أن يحتج بها في خطابه لنا.

الثاني: يحمل ما قاله "الزردستاني" على أصول الكتاب وأغراضه، أي: أن ما روي في هذا الكتاب عن الخصوم في الاستدلال والاحتجاج يقبله أهل الحق كذلك، ولا يعني ذلك أننا نقبل الاستطرادات وما نقل تباعا لغيرها فتلك لا تبلغ مقام الاحتجاج عندنا، فحاشا وكلا...».

تشعر من هذه العبارة الهوجاء أن المسكين قد وقع في فخ من المتضادات، يضرب الأخماس في الأسداس لعله يستطيع أن ينجو من هذا الحيص بيص، ولا منجى له ولا ملجأ منه. يريد أن يتهرب من الذل والهوان الذي أصاب القاضي نور الله الشوستري عندما أنكر تلك الرواية، كما أنه يريد أن يبتعد من المذلة التي أخنقت المجتهد عندما أنكر هذه الرواية، وفي نفس الوقت يريد أن يبحث عن جواب لهذه الرواية. فهو حيران لا يدري ماذا يصنع، يضرب يمينا وشمالا عسى ولعله يجد مهربا فينطلق بكلمات لا طائل لها ولو أعاد قراءتها لضحك على نفسه فهو كمن فر من المطر ووقف تحت الميزاب. لكن مع كل هذا وذاك فهو قد وضح وأقر فيما قاله بأمرين لا ينكرهما:

الاعتراف الأول: هذه الرواية قد وردت في كشف الغمة.

الاعتراف الثاني: أن الشيعة متفقون على قبول روايات كشف الغمة، فلا يردونها ولا يرفضونها.

ولم يبق شيء من الأمر إلا ما زعمه من أن القبول قد يعني معنى، وقد يعني معنى آخر، وثالثا ورابعا، وهذا من اختراعاته هو، ولمثل هذه الاختراعات التي لا أساس لها لا تتغير أنظمة

اللغة!..

لكن دعونا نغمض الطرف عن هشاشة كلامه وضعف استدلاله ونستنتج من كلامه الفارغ هذا أن الشيعة يقبلون رواية "نعم، الصديق" لإثبات بعض ما يعتقدونه ولأخذ بعض الفوائد منها، لا أن يسمحوا لأهل السنة أن يحتجوا بها على الشيعة! فلا يحق لأهل السنة أن يحتجوا بهذه الرواية في إثبات إبطال المذهب الشيعي!

فبالله عليكم، ألم يأن للعقلاء ولأهل الفهم والإدراك السليم أن يكتبوا هذا الكلام العجيب ضمن العجائب السبعة في العالم!

أو ليس غريبا أن يعترف إنسان بقبول سند أو تقرير ويقول بصحته ولكن إذا راجعه الناس وحاسبوه على ما فيه فيرجع ويقول لهم: لا يحق لكم أن تستدلوا بها في هذا التقرير، لأنني أقبله في الاستدلال فيما يخصني ولا أقبله في أن تردوا به علي وتحاسبوني بما فيه!

فهل سيقبل كلامه أحد من الناس أم أنهم يحكمون عليه بالجنون؟

أما ما زعمه من أننا نعني من قبولنا لروايات كشف الغمة تلك الروايات التي جاءت موافقة لأصول الكتاب وأغراضه فنقول فيه:

أولا: لم يقل بهذا التخصيص إلا صاحب "الاستقصاء" فقط، لم يرد شيء من هذا التخصيص في كلام "الزردستاني" ولا في كلام غيره.

ثانيا: أن رواية " نعم، الصديق" لا شك أنها ترتبط تماما بمقاصد الكتاب وأغراضه. إذ يقصد الكتاب بيان أحوال الأئمة وهذه الرواية تبين شيئا من أحوال الإمام الباقر !

الجواب الثاني:

قال بعض علماء الشيعة في جواب هذه الرواية:« أننا حتى ولو سلمنا بصحة هذه الرواية، لا يصح الاستدلال بها في وصف أبي بكر بالصديقية! فالإمام لم يستعمل هذا اللقب لأبي بكر

إلا لأنه أراد ألا يختلط أمره للمخاطبين فلا يظنوا أنه يقصد أبابكر آخر». يقول القاضي نور الله الشوستري:« أقول: ذكر الصديق لأجل التخصيص والتمييز للمخاطب من غير تصديق بمضمونه»!

لكن هذا الكلام من الهشاشة بمكان، فها هي الرواية نفسها رد صريح على هذا الزعم المتعنت، فلو صح ما تفوه به القاضي لم يكن الإمام يؤكد هذا المعنى، ولم يكن يقول بملء فيه "نعم، الصديق ـ نعم، الصديق ـ نعم، الصديق؛ ومن لم يقل له الصديق فلا صدق الله قوله في الدنيا والآخرة».

الجواب الثالث:

وكذلك زعموا بأن « الإمام استعمل هذا اللقب لأبي بكر من باب الاستهزاء والسخرية به »!

فقد قال القاضي في "إحقاق الحق":« ... أو الاستهزاء، كما في قوله :﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ (الدخان/ ٤٩)».

والإمام بنفسه قد رد في كلامه على هذه الترهات! فلو كان يقصد ما زعمه القاضي لم يكن يؤكد معنى الوصف بقوله: من لم يقل له الصديق فلا صدق الله قوله في الدنيا والآخرة.

الجواب الرابع:

« فإن الإمام قال ذلك من باب "التقية" لا غير»!

يقول القاضي في "إحقاق الحق":« لقائل أن يحمل ذلك الكلام منه عليه السلام على التقية عن بعض المخالفين الحاضرين في مجلسه الشريف».

ويقول المجتهد في "طعن الرماح":« ولو نزلنا عن ذلك، فيحمل على "التقية"».

أي: أن الإمام خاف من بعض المخالفين فنطق بهذا الكذب الصريح!

وهذا كذلك كلام واه لا أساس له وذلك:

أولا: فظاهر الرواية وسياقها يشهد على أن مجلس الإمام كان يخلو تماما من المخالفين، ولو لا ذلك لم يتجرأ السائل على إظهار رفضه من هذا اللقب، ليهلك نفسه، وهو بالتقية أولى من الإمام! ـ فهل كان السائل أشجع من الإمام؟!..

ثانيا: لم يسأل السائل إلا عن حلية السيف، فكان يكفي للإمام أن يجيبه بالجواز، ولم يكن هناك داع لذكر اسم سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه؟ فما هي الأسباب التي دعت الإمام إلى ذكر اسم سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه ثم اضطرته إلى التقية؟

ثالثا: فقد كانت التقية على الإمام الباقر عليه السلام حراما مثلما كانت على ابنه جعفر الصادق! فقد أمر بأن لا يخاف في الله لومة لائم، وأن يظهر الحق دون خوف أو وجل من أحد.

زد على ذلك، هل يقبل العقل السليم أن يرمى الإمام بالكذب والخوف والجبن؟ فمقام الأئمة أعلى من أن يخافوا العبيد فينطقوا بخلاف الحق إرضاءا لهم، سواء سمى الشيعة ذلك تقية أو شيئا آخر!

ثم لا بد أن نراجع الأمر معا فننظر؛ هل كان الأئمة جبناء يخافون أهل السنة دائما فيكذبون ويمدحون الصحابة تزلفا، أم أنهم أحيانا كانوا يظهرون الحق دون خوف من أحد كما يليق بمقامهم؟

فإذا ثبت الأمر الثاني من كتب الشيعة فلا شك أن عذر التقية أقبح من الذنب، وليس هذا إلا افتراءا وكذبا وبهتانا منهم على الأئمة.

يقول ملا باقر المجلسي في كتاب "حق اليقين":« فقد عاش الإمامان الجليلان الإمام الباقر والإمام جعفر الصادق عليهما السلام في أواخر عهد بني أمية وأوائل العصر العباسي وانتشر علمهما؛ في الحلال والحرام، وعلم التفسير والكلام، وقصص الأنبياء والسير، وتواريخ

ملوك العرب والعجم وغيرها من غرائب العلوم...، في العالم، وقد انتشر محدثي الشيعة في أنحاء العالم يناقشون خصومهم ويظفرون على جميع الفرق ويغلبون عليهم بالحجة والبيان. وقد روى عن الإمام جعفر الصادق أربعة آلاف عالم مشهور، وأربع مائة أصل من أصول الشيعة بني على ما رواه أصحاب الإمام الباقر والإمام الصادق والإمام الكاظم عليهم السلام... ـ إلى قوله ـ ..: وقد ثبت أن قتادة البصري من أئمة التفسير عند العامة حضر مجلس الإمام محمد الباقر عليه السلام، فقال له الإمام: هل أنت فقيه البصرة؟ قال: نعم. قال الإمام: واها عليك، إن الله تعالى خلق عبادا ليكونوا حجة له على خلقه، فهم أوتاد الأرض وخزنة علم الله. فسكت قتادة وعجز عن الرد هنيئة ثم قال: قسما بالله، فإنني حضرت مجالس الفقهاء والخلفاء والملوك ومجلس ابن عباس لكنني لم اضطرب في مجالسهم كما اضطربت في مجلسك. فقال له الإمام: أ تعرف أين أنت الآن؟ أنت الآن أمام بيت قال الله تعالى في حقهم: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ (النور/ ٣٦). فقال قتادة: صدقت»[١].

يتضح من هذه الرواية أن أكابر المفسرين ومشاهير الفقهاء كانوا يخافون من الإمام الباقر. وكان الإمام يخاطبهم بكلمات حادة وشديدة. وكان تلامذة الإمام يناقشون أهل السنة على المنابر وفي المجالس الكبيرة ويهزمونهم، ومئات من مشاهير العلماء والفقهاء كانوا يجلسون مجلس التلميذ عند الإمام، فهل بعد هذه الأبهة والمكانة والشأن يمكننا أن نصدق بأن الإمام كان يخاف من سني واحد أو اثنان فكان يلتجئ إلى التقية فيمدح الخلفاء ظلما وزورا.

وقد ثبتت من روايات الشيعة أن الإمام لم يكن يخاف من ملوك زمانه ولم يكن يسكت عن الحق أبدا، فكان يجهر بالحق دائما. يذكر ملا باقر المجلسي في "حق اليقين":« فقد وردت في روايات صحيحة أن الناس كانوا قد تكالبوا على مجلس الإمام محمد الباقر في الحرم يسألونه في

(١) كذلك أنظر إلى هذه الرواية في ترجمة "حياة القلوب"، ج/ ٣، ص/ ١٨٧، ط/ لكنهو.

أمور دينهم، في تلك السنة التي حج فيها هشام بن عبد الملك. نظر عكرمة ـ وكان من تلامذة ابن عباس ـ إلى هشام بن عبد الملك وسأله: من هذا الذي تتلألأ أنوار العلم من جبينه؟ سأذهب إليه وأخجله. فلما اقترب من الإمام ارتعش واضطربت قدماه ولم يستطع أن يتمالك نفسه، فقال: يا ابن رسول الله! فقد حضرت مجلس ابن عباس كثيرا، ولم تحدث لي هذه الحالة. فأجابه الإمام بنفس الجواب السابق. ومن هنا اتضح أن من معجزات الإمام ومن أدلة إمامته أن الله تعالى كان يدخل محبته في قلوب أصحابه كما كان يدخل الرعب والمهابة في قلوب أعدائه».

اتضح من هذه الرواية أن الرعب والوحشة غلبت على الخصم أمام ملك ظالم كهشام بن عبد الملك فاضطرب وسقط أمامه، وهذه من أدلة إمامته (!) ففي مثل هذا الوضع من يستطيع أن يصدق أن مثل هذا الإمام كان يخاف الناس وكان يكذب أو يقول غير الحق؟!

ما أعجب أمر الشيعة! أحيانا يصورون الأئمة في شجاعة وهيبة لا يضاهيهم فيها أحد من الملوك أو الأبطال، وأحيانا يصورونهم في جبن وخوف شديد يخافون أصغر شيء وأرذله، فلا ينطقون بالحق.

والواقع: أن كل هذه من افتراءات الشيعة وبهتانهم على الأئمة لا غير. فكانوا يتصنعون الأخبار حسب ما يحتاجونها في المواقف المعينة وينسبونها إلى الأئمة.

إذا يتمعن الشيعة في سير رواتهم وينصفوا في مراجعة تراجمهم يتضح لهم كالنهار الساطع أن جل رواتهم كانوا كذابين يفترون على الأئمة وأن الأئمة قد انزجروا كثيرا بكذبهم وافتراءاتهم وقد لعنوهم مرارا. وما أكثر ما قاله الأئمة عن أنفسهم بأن ظاهرنا وباطننا واحد، فلا تظلمونا بزعمكم أننا نبطن غير ما نظهر!..

فقد ورد عن الإمام جعفر الصادق في كتب الشيعة أنه قال:« لا تذكروا سرنا بخلاف

علانيتنا، ولا علانيتنا بخلاف سرنا، حسبكم أن تقولوا ما نقول وتصمتوا عما نصمت».

مثل هذه العبارات تجدها بكثرة عن الأئمة في كتب الشيعة ومراجعهم، لكن ماذا عسى أن يصنع الشيعة، فإن أخذوا بهذه العبارات لا شك أن مذهب ابن سبأ يتلاشى ويذهب هباءا منثورا!

الجواب الخامس:

فقد قال أمير المؤمنين علي المرتضى رضي الله عنه:« أنا الصديق الأكبر، لا يقوله بعدي إلا كذاب». فكيف يمكن أن يخالف الإمام الباقر عليه السلام سيدنا علي المرتضى ويصف أبابكر بالصديقية؟

وهذا جواب مردود كذلك، وذلك من عدة أوجه:

الوجه الأول:

أن سيدنا أمير المؤمنين علي المرتضى رضي الله عنه قيد كلامه بكلمة "بعدي"، والظاهر أن صديقية أبي بكر لم تكن بعد سيدنا علي المرتضى وإنما كان قبله.

وإذا زعم الشيعة أن أحدا لم يسبق سيدنا علي المرتضى بهذا اللقب، تكذبهم كتبهم، ففي "عيون أخبار الرضا" وغيره من كتب الحديث لدى الشيعة ورد:« أبوذر صديق هذه الأمة». فإذا ورد هذا اللقب لسيدنا أبي ذر، فقد بطل تخصيصه لسيدنا علي المرتضى رضي الله عنه.

الوجه الثاني:

فقد ثبت في كتب الشيعة أن عامة الصحابة الكرام كانوا يلقبون سيدنا أبابكر بالصديق أمام سيدنا علي، بل وفي زمن الرسول صلى الله عليه وسلم. فقد جاء في "منهج المقال" من كتب الشيعة المشهورة عن فضيل أنه قال:« سمعت أبا داود يقول: حدثني بريدة الأسلمي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الجنة مشتاق إلى ثلاثة؛ فجاء أبوبكر، فقيل

له: يا أبابكر! أنت الصديق وأنت ثاني اثنين إذ هما في الغار، فلو سألت رسول الله من هؤلاء الثلاثة؟...».

يظهر من هذه الرواية أن لقب "الصديق" و"ثاني اثنين" كانا من الألقاب الرائجة على ألسنة الناس لأبي بكر الصديق في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم. فكيف يمكن أن يخصص أمير المؤمنين علي المرتضى هذا اللقب لنفسه فقط بعد تقرير الرسول صلى الله عليه وسلم إياه لأبي بكر؟!

الوجه الثالث:

ثبت بأن سائر الأئمة كذلك كانوا يلقبون أبابكر بالصديق، ففي كتاب كشف الغمة عن الإمام جعفر الصادق أنه قال:« ولدني أبوبكر الصديق مرتين».

وإذا لم ترو هذه الروايات عطش الشيعة ولم تقتل الضغائن في صدورهم، فها أنا أروي عن سيدنا أمير المؤمنين علي المرتضى رضي الله عنه قوله بإقرار الصفة الصديقية لحبيبه وأخيه سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنهم!

فانظر معي إلى ما رواه الطبرسي[١] في "الإحتجاج" عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أنه قال:« كنا معه ـ أي مع النبي صلى الله عليه وسلم ـ على جبل حراء إذ تحرك الجبل. فقال له : قر فإنه ليس عليك إلا نبي وصديق وشهيد».

وقد ثبتت في كتب الشيعة أنه لم يكن مع الرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك الموقف إلا علي وأبوبكر رضي الله عنهما؛ ومن هنا يتضح أن لقب "الصديق" كان يراد منه أبوبكر ولقب "الشهيد" كان يراد منه علي رضي الله عنه.

---

(١) هو: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي من أكبر علماء الشيعة في السادس الهجري. له تفسير في خمسة أجزاء مطبوع. (م)

زد على ذلك شيئا أوضح وأبين، فقد أثبت الله عز وجل من فوق سبع سماواته صفة الصديقية لأبي بكر رضي الله عنه ، ففي تفسير "مجمع البيان" تحت قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمْ الْمُتَّقُونَ ﴾(الزمر/ ٣٣). ورد:« قيل : الذي جاء بالصدق؛ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصدق به؛ أبوبكر».

من هنا يتضح للجميع أن فضائل الصحابة ومناقبهم ولاسيما فضائل الشيخين قد وردت في كتب الشيعة على ما يؤمن بها أهل السنة وما يقولونه فيهم...

لكن ما يؤسف المرء هو أن الشيعة لا يؤمنون بكتبهم كذلك ولا يقبلون ما فيها، فلا نملك دواءا لمعالجة أدوائهم إلا أن نسمعهم دعاء سيدنا الإمام الباقر الذي سبق أن أوردناه في هذا المبحث: " من لم يقل له الصديق فلا صدق الله قوله في الدنيا والآخرة".

المبحث الثالث: زواج أم كلثوم من سيدنا عمر الفاروق رضي الله عنهما

القول الأول: إنكار الزواج من أساسه!

القول الثاني: لا فضل لعمر فيه!

الأمر الأول: كان عمر كافرا!

الأمر الثاني: عدم جواز النكاح من الناصبي!

التأويل الأول: الصبر

التأويل الثاني: الوصية

التأويل الثالث: التقية

المبحث الثالث: زواج أم كلثوم من سيدنا الفاروق الأعظم

فقد ثبت في مراجع الشيعة ومصادر السنة أن سيدنا عمر الفاروق رضي الله عنه قد تزوج من أم كلثوم بنت سيدنا علي المرتضى رضي الله عنه من بطن سيدتنا فاطمة الزهراء رضي الله عنه. ويستنتج من هذا الزواج المبارك أمرين:

الأول:

ما يقال عن حكاية الضغائن والكره والعداوة بين سيدنا علي المرتضى وسيدنا الفاروق كلها افتراءات وبهتان وضعها المغرضون لأهدافهم الرخيصة، وإنما هؤلاء الأبرار عاشوا حياة كلها كانت حبا ووئاما وإخلاصا، ولم يؤذ أحد منهم الآخر في شيء أبدا، وحكاية إيذاء الفاروق لسيدنا علي المرتضى أو لبنت رسول الله رضي الله عنها ليست إلا بهتانا على التاريخ، أخرجته قلوب مجموعة من مردة الشياطين!

الثاني:

كان سيدنا علي المرتضى يرى في الفاروق رضي الله عنه مثالا للمؤمن الكامل الصالح، ولم يرمه أبدا بالنفاق أو الردة، وكل ما ورد عن هذه المعاني الرخيصة فهي من وضع ذرية عبد الله بن سبأ اليهودي لا غير، وعلي المرتضى رضي الله عنه بريء من كل هذه التهم والافتراءات. ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَّ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ (إبراهيم٤٢)

هذا الزواج يعتبر من الكوارث العظيمة التي قصمت ظهر المذهب الشيعي المصطنع، وكان دوما على مر الأزمان وكر الدهور داءا يخنقهم دون أن يجدوا لها دواء.

فقد حاول القوم منذ أيام ابن سبأ هذا، ولم يزالوا يحاولون في البحث عن تأويل وتفسير

لتحريف الحقيقة، لكن جميع محاولاتهم باءت بالفشل:

فمنهم من زعم بأن عمرا أجبر عليا وبنته وأرغمهما على الزواج، وفي الحقيقة لم يكن هذا زواجا وإنما غصبا أو اغتصابا!..

ومنهم من يقول أنه تزوجها لكن لم يقترب منها!

ومنهم من يزعم أن عمر شدد في الأمر على سيدنا المرتضى، فأحضر علي جنية وجعلها في شكل أم كلثوم وبعثها إليه، فكانت هذه الجنية في بيت عمر وكان يعاشرها.

خلاصة الحكاية: فإن عقول الشيعة في كل الأزمنة كانت تترشح عن بعض الترهات والأساطير وكان القوم يتسلون بها ويرقصون على أوطارها، وكان الناس دوما يسمعونهم ويستغربون من تلك العقول وجرأتها على الكذب وقلة حيائها على التاريخ، فإذا لم تستح فاصنع ما شئت!

دعونا نتصفح في كتب الشيعة لنرى تأويلاتهم في هذا الموضوع:

القول الأول: **انكار الزواج من أساسه!**

فقد أنكر بعض الشيعة المتعنتين هذا الزواج إنكارا تاما وزعموا بأن الحكاية لا أصل لها أبدا.

يقول مجتهدهم الأعظم سلطان العلماء مولوي سيد محمد في رسالته:« لم يثبت زواج سيدتنا أم كلثوم بابن الخطاب أبدا، وقد كان السيد المرتضى قريب عهد بالأئمة المعصومين وكلهم وغيرهم كذلك أنكروا وقوع هذا الزواج!».

ما زعمه المجتهد العظيم هذا ليس إلا كذبا على التاريخ ووصمة عار لكذابين في كل الأزمان، فلم ينكر السيد المرتضى الذي كان قريب عهد بالأئمة هذا الزواج أبدا، بل أقر به!

هناك اثنان من علماء الشيعة يسمون بالسيد المرتضى؛ **أحدهما**: أبو القاسم الثمانيني شقيق

السيد الرضي من قدماء الشيعة. وقد ذكر القاضي الشوستري في "مجالس المؤمنين" أنه ولد عام ٣٥٥هـ.

والثاني: هو السيد مرتضى الرازي صاحب "تبصرة العوام" من متأخري الشيعة.

فقد كان الأول منهما قريب عهد بالأئمة، وقد أقر بهذا النكاح في مؤلفين من مؤلفاته، فقد تحدث عن هذا الزواج في كتاب "الشافي" مفصلا، وفي كتاب "تنزيه الأنبياء والأئمة" مجملا.

وقد كتب ميرزا محمد الكشميري في "النزهة" ردا على "التحفة الإثنا عشرية":« فقد قال علم الهدى: السيد المرتضى في كتابه تنزيه الأنبياء[1]: فأما إنكاحه فقد ذكرنا في كتاب الشافي الجواب عن هذا الباب مشروحا، وبينا أنه عليه السلام ما أجاب عمر إلى نكاح ابنته إلا بعد توعد وتهديد ومراجعة ومنازعة وكلام طويل مأثور أشفق معه من سوء الحال وظهور ما لا يزال يخفيه»، أي؛ أن هذا الزواج قد وقع "تقية".

ويقول والد المجتهد العظيم هذا مولوي دلدار علي في الرسالة الحسينية على ما نقله في إزالة الغين":« فقد قال السيد المرتضى بأن زواج أم كلثوم لم يحدث برضى من سيدنا أمير المؤمنين، وقد ذكر أحاديثَ كثيرة تؤيد قوله، وبما أن هذا الزواج لم يكن برضى من سيدنا أمير المؤمنين فلا حجة فيه».

يظهر من هذا أن السيد المرتضى الذي كان قريب العهد بالأئمة لم ينكر هذا الزواج بل يعترف به ويرى أنه حدث نتيجة التهديد والجبر والإكراه، وهذه مسألة أخرى.

فاتضح للعيان أن ما زعمه المجتهد ليس إلا كذبا ساطعا كالشمس في رابعة النهار!

أما ما قاله من أن علماء الشيعة ينكرون هذا الزواج فكلام صحيح. ومن هؤلاء المنكرين قطب الراوندي صاحب "خرائج وجرائح". وقد ذكر مولوي دلدار علي مقالة قطب الدين في

---

(١) تنزيه الأنبياء، سيد شريف المرتضى علم الهدى، ص/ ١٣٨ وص/ ١٤١، ط/ الإيرانية.

"رسالته الحسينية على ما نقله في إزالة الغين" فقال:« قال: قلت للإمام الصادق عليه السلام أن المخالفين يحتجون علينا ويقولون: لماذا زوج علي ابنته من الخليفة الثاني؟ فجلس الإمام بعد أن كان متكئا وقال: أو يقولون ذلك؟! حقا من يزعم مثل هذا قوم لا يهتدون سواء السبيل».

وها نحن نثبت بعون الله عز وجل من خلال كتب الشيعة ومصادرهم كذب من ينكر هذا الزواج سواء كان قطب الراوندي أو غيره. تصفح معنا كتب الحديث ومصادر الفقة ومراجع الكلام لدى القوم لترى ما يأتي:

شواهد على زواج أم كلثوم من عمر:

الشاهد الأول:

يقول القاضي نور الله الشوستري في "مجالس المؤمنين"[1]:« إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم زوج ابنتيه من عثمان فقد زوج الولي ابنته من عمر»!

الشاهد الثاني:

يقول أبو القاسم القمي[2] في كتابه الشهير في الفقه "مسالك الأفهام شرح شرائع الإسلام" ـ وهو يعد من مراجع الفقة الشيعي ـ:« يجوز نكاح العربية بالعجمي، والهاشمية بغير

(١) مجالس المؤمنين، ص/ ٨٥، تذكرة المقدام بن الأسود، الطبعة الإيرانية القديمة.

(٢) أبو القاسم القمي هو شيخ زين الدين أحمد العاملي والمعروف بالشهيد الثاني، وقد شرح كتاب "شرائع الإسلام" في كتاب سماه "مسالك الأفحام".

ذكر الشهيد الثاني في شرحه للعبارة السابقة للمحقق الحلي (المتوفى ٦٧٦هـ) خمسة شواهد لجواز العربية بالعجمي والهاشمية من غير الهاشمي، من ذلك زواج سيدتنا أم كلثوم من سيدنا عمر وإليك نص عبارته:« وزوج النبي صلى الله عليه وسلم ابنته عثمان، وزوج ابنته زينب بأبي العاص بن ربيع، وليسا من بني هاشم، وكذلك زوج علي ابنته أم كلثوم من عمر وتزوج عبدالله بن عمرو بن عثمان فاطمة بنت الحسين، وتزوج مصعب بن الزبير أختها سكينة وكلهم من غير بني هاشم. (مسالك الأفحام شرح شرائع الإسلام، كتاب: النكاح، باب: لواحق العقد، ج/ ١، ط/ الإيرانية ١٢٧٣هـ).

الهاشمي وبالعكس، كما زوج علي ابنته أم كلثوم من عمر».

الشاهد الثالث:

نسب أبو الحسن علي بن إسماعيل في "خلاصة الأقوال" هذا الكلام إلى الإمام الأعظم، وهو أول من أثبت صحة المذهب الشيعي على قواعد علم الكلام، وقد اعترف كذلك بهذا الزواج.

يقول القاضي في "مجالس المؤمنين" على ما نقله في "إزالة الغين":« فقد استفسرت منه عن عدة أمور، منها مقدمات زواج الخليفة الثاني. فأجاب: فقد زوج أمير المؤمنين ابنته من عمر لأنه كان يقر بالشهادتين، وكان يظهر على لسانه فضائل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما أنه كان في هذا الباب غليظا وشديدا!».

الشاهد الرابع:

فقد جاء في "مجالس المؤمنين"(١):« بعد ما مات عمر تشرف بمصاهرة أمير المؤمنين محمد بن جعفر الطيار، حيث تزوج أم كلثوم التي كانت قد تزوجها عمر جبرا».

الشاهد الخامس:

فقد جاء في كتاب "تهذيب الأحكام "(٢) الذي يعد من الأصول الأربعة لدى الشيعة:« عن محمد بن أحمد بن يحيى عن جعفر بن محمد القمي عن القداح جعفر عن أبيه عليه السلام قال: ماتت أم كلثوم بنت علي عليه السلام وابنها زيد بن عمر بن الخطاب في ساعة واحدة، ولا يدري أيهما هلك قبل. فلم يورث أحدهما من الآخر وصلى عليهما جميعا».

---

(١) مجالس المؤمنين، ص/ ٨٢. في تذكرة محمد بن جعفر، ط/ ١، الإيرانية القديمة.

(٢) تهذيب الأحكام، المجلد الأخير، كتاب الميراث، باب: ميراث الغرقي والمهدوم عليهم في وقت واحد، ص/ ٣٨٠، ط/ الإيرانية القديمة.

الشاهد السادس:

ما قاله السيد المرتضى في كتابيه "الشافي" و"تنزيه الأنبياء" وقد نقله الكشميري في كتابه "النزهة الإثنا عشرية" في رد "التحفة الإثنا عشرية"، وكذلك ذكره صاحب "المواعظ الحسينية"، وسبق أن ذكرناه: "إنه عليه السلام ما أجاب عمر إلى نكاح ابنته إلا بعد توعد وتهدد ...." إلى آخر ما قاله.

الشاهد السابع:

ذكر كتاب "الكافي"[1] وهو من الأصول الأربعة لدى الشيعة بابا مستقلا بعنوان:" تزويج أم كلثوم"، وقد جاء في هذا الباب أن رجلا سأل الإمام جعفر الصادق عن زواج أم كلثوم. فقال الإمام:« ذلك فرج غصبناه».

الشاهد الثامن:

كذلك أقر "مصائب النواصب" بهذا الزواج وقال بأن المحدثين أقروا هذا الزواج وقالوا بأنه حدث جبرا وإكراها.

خلاصة الكلام: فإن روايات هذا الزواج في كتب الشيعة كثيرة جدا تفوق حد التواتر، وما ذكرناه غيض من فيض، بل قطرة من بحر!

لكن، ألف مرحبا للشيعة ولجرأتهم على انكار الحقائق، فها هي الروايات التي تفوق حد الشهرة والتواتر في كتبهم، وها هم علمائهم ومجتهديهم يستخرجون الأحكام الفقهية من هذه الروايات، ثم بعد هذا كله يعودون فينكرون القصة من أساسها (!) ويزعمون أن الحكاية لم تحدث أبدا.

---

(١) فروع الكافي لملا يعقوب الكليني، ج/ ٢، كتاب النكاح، باب تزويج أم كلثوم، ص/ ١٤١، ط/ نولكشور، لكنهو ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٩م.

فيا ترى! هل يستطيع أحد أن ينكر زواجا دام سنين عديدة كانت أم كلثوم فيها جمال بيت عمر وبهاءه، وقد رزقها الله منه ولدا سمي بزيد بن عمر؟!

أجل! يعجز أي إنسان أن ينكر هذه الحقيقة الثابتة إلا الشيعة!!..

القول الثاني: لا فضل لعمر فيه!

لما أدرك علماء الشيعة العظام وآياتهم الأعلام أن إنكار هذه الحقائق أشبه بالسعي لإطفاء الشمس بالأفواه، وأن تكذيبها طعن فيهم قبل أن يكون طعنا فيها، شمروا عن ساعدي المكر في تحريفها أو البحث عن بديل يمكنه إبطال هذه الفضائل أو طمس معالمها.

فقد اجتهد هؤلاء الأعلام وقدموا قصارى جهدهم في التحريف والتأويل، لكن عادت السهام في نحورهم فمكان أن يصلوا إلى مرادهم أجلبوا المصائب والطعن على أصول المذهب الشيعي! حتى أصبح لسان حال من بعدهم يقول: يا ليتهم أنكروا تلك الحقائق وأدخلوا رؤوسهم كالنعامة تحت الرمال ، وكذبوا الشمس الساطعة في وسط السماء ولم يتفوهوا بمثل هذه التأويلات الرخيصة!

وذلك لأن من يتصفح هذه التأويلات والتوجيهات التي ألصقوها بهذا الزواج سوف يكره المذهب الشيعي ويتنفر منه، وتثور براكين الغيرة في قلب أي مسلم امتلك حبة خردل من الإيمان.

والجميل في الأمر أنهم كلما أصروا على هذه التأويلات وأكدوا تحريفاتهم وزادوا على توجيهاتهم كشفوا الستار عن سوءة أصولهم وعقائدهم الدينية وأثبتوا هشاشة مذهبهم.

وأعجب ما في الأمر أنهم يدركون جيدا أن هذه التأويلات لن تثبت لهم شيئا ولن تضعهم على قاعدة صلبة، بل تجعل الناس يتنفرون عنهم وعن دينهم. لكن مع كل هذا الإدراك والبصيرة ـ وكأن الله طمس على قلوبهم ـ لا يعودون عنها وإنما لسان حالهم يقول: هل

من مزيد؟ هل من مزيد؟ فيزيدون من ترهاتهم وبالتالي يزداد مذهبهم طعنا وهشاشة في عيون الناس!

ونحن كلما نتصفح فيما قاله علمائهم الأكارم وسادتهم الأفاضل نبقى ساعة فاغري الأفواه مندهشين، ونقول في أنفسنا:

يا إلهي! ما أعظم شأنك وما أرفع مقامك، وما أجلى حكمك وبراهينك! كيف وضعت على قلوبهم أقفالها، فلا يدركون خطورة ما يتفوهون به؟

يا ربنا! ماذا دها القوم وأين كان حياءهم وغيرتهم؟! كيف سمحوا لأنفسهم أن ينسبوا هذه الكلمات الرخيصة التي تخلو من كل معاني الغيرة والحياء إلى الأئمة؟ أ لم يستحوا من أنفسهم وهم يفترون بها على الأئمة الكرام؟!

فقد طعنوا في دين الرسول صلى الله عليه وسلم وأبدلوا مناقبه مثالب، ولم يبق عندهم للدين ورجالاته أية قيمة ولا هيبة ولا احترام، بيد ما كانوا يظهرونه من حب آل البيت ويتسترون وراءهم بما يقولونه في مدحهم، وبما يتزلفون به على الدين من ثناء أهل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم والتقرب إليهم. وها هم بهذه الترهات خرقوا ستائر الحياء ونسبوا إلى الأئمة كل معاني القبح والدياثة ـ والعياذ بالله ـ وقلبوا لهم ظهر المجن!.. ولم يزالوا بعد هذا كله يزعمون الإيمان! ولا ندري ماذا يعني الإيمان عندهم وبماذا يؤمنون بعد هذا؟

فقد سلبت قلبي وديني وروحي ما أظرفك! ما زلت تترصد بي[(١)]

وآن لنا أن نتصفح فيما قاله السادة الشيعة بعد أن اعترفوا بصحة الزواج، وفيما نسبوه إلى الأئمة الكرام ـ حاشا جنابهم عن ذلك ـ!

فهم ينسبون إلى الأئمة أنهم قالوا: إن عمرا تزوج من أم كلثوم ابنة فاطمة الزهراء ابنة

---

(١) دل بردى ودين وجان شيرين وين طرفه كه باز در كمينى

رسول الله صلى الله عليه وسلم دون رضى من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وإنما عمر أزعج سيدنا عليا وخوفه وهدده وشدد عليه في الأمر حتى كاد الأمر يصل إلى إراقة الدماء فتوترت الأجواء، فلما وجد عباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم أن الوضع لا يحتمل، وقد تحدث كارثة وتنتشر الفتن ويحصل الفساد تدخل في الأمر وزوج أم كلثوم ابنة علي بن أبي طالب من عمر بن الخطاب. فهذا الزواج لا يعد منقبة وفضلا لعمر، وإنما يدل على خبث طويته وفساد دينه.

دعونا نستمع إلى هذه الترهات من ألسنة علماء الشيعة الأكارم (!).

الرواية الأولى:

يقول سيد مرتضى علم الهدى في كتابه "تنزيه الأنبياء": « فأما إنكاحه فقد ذكرنا في كتاب الشافي الجواب عن هذا الباب مشروحا وبينا أنه عليه السلام ما أجاب عمر إلى نكاح ابنته إلا بعد توعد وتهدد ومراجعة ومنازعة وكلام طويل مأثور أشفق معه من سوء الحال وظهور ما لا يزال يخفيه ...»، وخلاصة كلامه: ولما رأى سيدنا عباس ـ رضي الله عنه ـ أن الأمر قد يؤدي إلى حدوث الفتنة والفساد، استئذن سيدنا الأمير أن يسمح له بالتصرف في هذا الأمر، وأنكح أم كلثوم من عمر. وسبق أن ذكرنا الأمر وقلنا بأن الشرع لا يمانع أبدا أن يزوج الفتاة في حالة الجبر والإكراه ممن لا يجوز زواجها منه في حالة الاختيار، ولاسيما إذا كان المرء رجلا مثل عمر الذي كان يظهر الإسلام ويلتزم بالشريعة كلها!

الرواية الثانية:

يذكر السيد المجتهد في "المواعظ الحسنية"، ما ننقل نصه من "إزالة الغين":« ... لم يتم نكاح أم كلثوم من عمر برضى من سيدنا الأمير ....» ـ إلى أن قال ـ:« ولو افترضنا أن الزواج تم برضى من سيدنا الأمير عليه السلام، فلا يقبح العقل ذلك؛ فالزواج من الخصوم جائز لا

غبار عليه، بل العقل يجيز أن يحلل الله عز وجل زواجنا من الكفار، وأن حرمة الزواج من الكفار ليست أمرا عقليا، مثل: قبح الظلم والقتل وأمثالها، وكيف يكون أمرا يرفضه العقل وقد زوج الرسول صلى الله عليه وسلم ابنته من الكفار، وإذا كان الأمر كذلك فما العيب في أن يزوج سيدنا الأمير عليه السلام ابنته من رجل كان يظهر الإسلام؟!».

الرواية الثالثة:

يقول القاضي نور الله الشوستري في "مصائب النواصب": «قال صاحب "الاستغاثة": فقد سأل أحد الخصوم: لماذا زوج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ابنته من عمر بن الخطاب؟ فنحن نقول في جوابهم: فقد أخبرنا جماعة من الثقات أمثال جعفر بن محمد بن ملك الكوفي أنه سمع أحمد بن فضل عن محمد بن أبي عمير عن عبد الله بن سنان أنه قال: فقد سألت الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن نكاح أم كلثوم، فقال: "هو أول فرج غصبت منا". وهذا الخبر يطابق تماما ما قاله مشايخنا وعلمائنا الأعلام عن نكاح أم كلثوم من عمر وهو أن عمرا بعث عباس إلى سيدنا أمير المؤمنين عليه السلام وطلب منه أن يزوجه من أم كلثوم ابنة فاطمة. لكن سيدنا الأمير عليه السلام رفض ذلك رفضا باتا، ولما عاد عباس بهذا الخبر إلى عمر، غضب وثار وهدد وقال: لو لم يزوجني علي ابنته هذه فسوف أقتله. فعاد عباس إلى سيدنا علي وأخبره بما قاله عمر. لكن سيدنا الأمير عليه السلام أصر على موقفه وشدد في الرفض، واستمر الأمر على ذلك إلى أن قال سيدنا عباس لسيدنا علي عليه السلام: إذا لم تزوجه أنت فسأزوجه أنا، وأنشدك الله ألا تعارض قولي وفعلي. ثم خرج من عنده وذهب إلى عمر وقال له: سيتم زواجك من أم كلثوم. فجمع عمر الناس وقال: هذا عباس عم علي، وقد وكله علي في زواج ابنته أم كلثوم، وسمح له أن يزوجها مني. فقام عباس وأنكح أم كلثوم من عمر. وبعد أيام زفها إلى بيت عمر».

ذكر القاضي هذه الرواية في كتابه هذا ثم أردفها بقوله:« لكن أصحاب الحديث يرفضون هذه الرواية، إلا أنهم مجمعون على أن عباسا أنكح أم كلثوم من عمر. وبعد نقاش طويل دار على هذه القصة أقول لمن أنكر هذه الرواية أنها تتفق مع ما رواها مشايخنا عن الإمام الصادق عليه السلام أن الإمام قال عن هذا النكاح:"هو أول فرج غصبت منا".

خلاصة[١] ما قلته هو: أنه يظهر من هذه الروايات أن سيدنا علي عليه السلام لم يزوج

---

(١) أورد "إزالة الغين" أن صاحب "الاستغاثة" قال: سأل أحد الخصوم فقال: لماذا زوج أمير المؤمنين عليه السلام ابنته من عمر؟

ونحن نقول في جوابه: فقد أخبرنا جماعة من مشايخنا الثقات منهم جعفر بن محمد بن مالك الكوفي عن أحمد بن فضل عن محمد بن أبي عمير عن عبد الله بن سنان أنه قال: سألت الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن تزويج عمر من أم كلثوم. فقال: هذا أول فرج غصبت منا. وهذه الرواية تتفق مع ما رواها مشايخنا في باب زواج عمر من أم كلثوم، أنهم قالوا: فقد ورد أن عمر بعث عباس إلى علي يسأله أن يزوجه ابنته أم كلثوم. لكن سيدنا الأمير عليه السلام رفض ذلك. ولما عاد عباس إلى عمر وأخبره عن رفض علي، غضب عمر وقال: يا عباس، هل يتأنف علي من زواجي؟ فوالله لو لم يزوجني لأقتلنه. فرجع عباس إلى علي خائفا وأعاد إليه الطلب، لكن سيدنا الأمير أصر على موقفه. فرجع عباس إلى عمر يخبره بذلك. فقال عمر لعباس: احضر معي الصلاة يوم الجمعة واجلس قريبا من المنبر واستمع إلى ما يقال، لتعلم أني قادر على قتله إن شئت. فحضر عباس المسجد في يوم الجمعة، ولما فرغ عمر من خطبته قال: يا أيها الناس، هناك رجل محصن من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد زنى، ولم يطلع على جريمته أحد إلا أمير المؤمنين، فماذا تقولون في ذلك. فقال الناس من كل جانب: يا أمير المؤمنين، إن كنت قد شهدته على ذلك فلا حاجة بشهادة غيرك، فامض إلى حكم الله. ولما خرج من المسجد قال لعباس: اذهب إلى علي وأخبره بما سمعته اليوم. فوا لله لو لم يفعل لأفعلن. فذهب عباس إلى سيدنا علي عليه السلام وأخبره بما سمع. فقال علي: وأنا أعلم أن مثل هذا الأمر يسهل عليه، ولكنني لست ممن يخضع لما يطلب. فقال عباس: إن لم تفعل فسأفعله أنا، وأقسمك بالله ألا تعارض قولي وفعلي. ثم ذهب عباس إلى عمر وقال له بأنه سيفعل ما يريده. فجمع عمر الناس وقال: هذا عباس عم علي بن أبي طالب وقد وكله علي على ابنته أم كلثوم وأمره بأن يزوجها مني.

ابنته من عمر وإنما زوجها عمه عباس دون رضى منه».

لكن هذا القول لا يصح بتاتا، وذلك لعدة أدلة:

الدليل الأول:

إذا افترضنا أن عليا لم ينكح ابنته من عمر وإنما وكل ذلك إلى سيدنا عباس، وأن عباسا زوجها من عمر، فهذا لا يقدح في الزواج وفي صحته، فإن كان سيدنا علي رضي الله عنه أبا للبنت فقد كان سيدنا عباس رضي الله عنه جدها، فإذا لم يزوجها الأب وترك أمرها للجد، فزوجها الجد فهذا لا يقدح في الزواج! وعلى كل الأحوال فأصل الأمر وهو الزواج ثابت لا غبار عليه.

الدليل الثاني:

هل كان عمر يليق بالزواج من أم كلثوم أم لا؟ وهل كان يصح زواجه منها أم لا؟

فإن قلتم لم يكن يصح زواجه منها، فهذا ـ والعياذ بالله ـ طعن جد قبيح في سيدنا عباس عم سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم وسيدنا علي رضي الله عنه إذ زوج حفيدة الرسول صلى الله عليه وسلم وابنة فاطمة الزهراء من رجل لم يكن كفئا لها، وقد كان رجلا لا حظ له من الإيمان والورع والزهد والتقوى، وهذا طعن جد قبيح في أصول المذهب الشيعي نفسه كذلك، كما هو في سيدنا علي رضي الله عنه وفي سيدنا عباس عمه ـ حاشاهم عن ذلك!ـ.

الدليل الثالث:

فزوج عباس أم كلثوم من عمر، وبعد أيام بعثها إلى بيت عمر. وأصحاب الحديث قد أنكروا هذا الحديث، لكنهم مجمعون على أن عباسا زوج عمر من أم كلثوم بعد شجار وخلاف ورفض طويل. وأقول لمن أنكر هذا الزواج من عمر: إن عباسا لم يزوج أم كلثوم من عمر إلا بسبب ما روي عن أئمتنا وقد ذكرناها هنا، وهذا يشبه ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: هذا أول فرج غصبت منا».

فقد أثبتت هذه الروايات وغيرها أن عليا وكل عباسا في هذا الأمر وأذن له أن يفعل ما يراه مناسبا للموقف، وفعل الوكيل يجري على الموكل شرعا وعرفا. فما فعله عباس لابد وأن يعد من فعل سيدنا علي رضي الله عنه، إذ حكمه يجري عليه، فهو وكيله، فإن كان عباس هو الذي رتب هذا الزواج وأتم نكاحه فيفهم منه أن عليا لم يكن ساخطا على ذلك، وإنما لابد أن يعد ذلك رضى منه.

وإن قلتم بأن عليا لم يأذن له في ذلك ولم يقرره وكيلا له، ولم يكن لعباس أن يزوجها من عمر دون إذن من علي ودون اختيار ووكالة منه. وهذا طعن جد قبيح في عباس، فإنه قد شارك في عملية الاغتصاب وأشرف عليها! وهو بلا شك طعن في هذا الزواج الذي تم دون إذن الولي!! وهذا ما يرفضه العقل ولا يجيزه الشرع، وما يترتب على ذلك لا يخفى على العقلاء!!..

يا ربي! أسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن ترزق علماء الشيعة قليلا من العقل والانصاف، وشيئا من الغيرة والحياء، لينظروا في نتائج ما يتفوهون به، وأن يفهموا ما يترتب على استدلالاتهم الفاسدة!

يا ربنا! فهل من يطعن في أعراض أهل البيت يعد محبا لهم! وكيف لهم أن يقروا بفضل أهل البيت ومناقبهم بعد هذه الافتراءات؟ ما أرخص مواقفهم، يتسترون وراء شعارات جوفاء من الحب المزيف لأهل البيت ليفتروا عليهم بأشنع الشتائم وأقبح المثالب بعد ذلك!

يا أيها الشيعة!..

بالله عليكم افتحوا أعينكم لتروا كيف يفتري علمائكم على الأئمة الكرام وبماذا يتهمونهم؟! وأخرجوا القطن من آذانكم لتسمعوا سادتكم وهم يطعنون في أهل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم بكل قبح وشنار ـ نعوذ بالله من هفواتهم ومن سوء عقيدتهم، اللهم احفظنا من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ولا تؤاخذنا بما فعل هؤلاء السفهاء منا.

الدليل الرابع:

وإذا سلمنا بأن عليا رضي الله عنه لم يكن راضيا عن هذا الزواج، فلم يتم عن طيب قلبه، لكنه قبله بعدما ناقشه عباس في ذلك ولم يكن قبوله ذلك يعني رضا منه، وإنما خضع له مضطرا!

فهم بهذا الكلام يحاولون أن يهربوا من المطر فيقفون تحت الميزاب، إذ أثبتوا على سيدنا علي المرتضى رضي الله عنه بتأويلهم هذا ما كانوا يحاولون الهروب منه، أي؛ الخوف من النفس. أي: أنه سمع كلام سيدنا عباس خوفا من أن يقتله عمر، فقبل الذل والهوان طمعا في الدنيا وحياتها الفانية ـ ونعوذ بالله من ذلك ـ!

فما أسخف من يرمي فاتح الخيبر أسد الله عليا بهذا!..

إذا لم يكن الخوف من الموت فلم سكت عن أمر كهذا فيه طعن في العزة والغيرة والشرف، وهتك للأعراض، ووصمة عار على أهل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم إلى يوم الدين؟! وما الذي أجبره على أن يسمع كلام عباس؟!

فكان ينبغي له أن يصر على موقفه مهما حاول عباس، وكان ينبغي أن يواجهه بكل صراحة ويقول له: يا عمي العزيز، أنت رجل عظيم لا يليق بمثلك أن تتشفع في أمر حقير كهذا يبقى وصمة عار على جبين أهل البيت إلى يوم الدين، لا يليق بنا أن نقرب إلينا عمرا وهو رجل كافر ومنافق ومرتد وغاصب وخائن. أنى لي أن أعطي ابنتي التي هي من بطن سيدة النساء فاطمة الزهراء بنت المصطفى عليه الصلاة والسلام، تلك السيدة التي اعتبر الرسول صلى الله عليه وسلم أبنائها أبنائه، وبناتها بناته إلى هذا الرجل الكافر أو المنافق؟ كيف لي أن أؤذي مشاعر الرسول صلى الله عليه وسلم وابنته فاطمة الزهراء بذلك، وماذا عسى أن أجيب ربي عز وجل يوم الدين، وبأي وجه سوف أواجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة في

الجنة؟

وإذا لم يتنازل عمر عن موقفه هذا وأراد أن يبطش بعلي أو يرغمه كان ينبغي للبطل المغوار أسد الله أن يسل ذوالفقار البتار، ذلك السيف الذي أنزل من فوق عرش الرحمن، ويهجم على من يقف على طريقه ويحاول اغتصاب ابنته فيطير رأسه كما طيّر رأس مرحب وعنتر. فماذا عسى أن ينفع سيف بتار قطع جناح جبريل، وذوالفقار حاد قصم ظهر جعفر الجني إلى قسمين إذا لم ينفع اليوم؟!

فأين ذهبت تلك البطولات التي تجلت يوم بدر وحنين، وتلك القوة والبسالة التي ظهرت في غزوة خيبر؟ ومتى تتجلى هذه البطولات إذا لم تظهر في مثل هذا اليوم؟!

بالله عليكم يا قوم! هل هناك فرقة من الأعداء شتم وطعن سيدنا عليا المرتضى بشتائم وافتراءات أشد من هذه؟ وهل هناك من هتك حرمته وفضحه بهذه الطريقة الشنيعة؟! فقال فيه إنه ترك تحت الضغط والإجبار بناته الطاهرات العفيفات نهبا لشهوة رجل كافر فاسق؟

فيا ترى؛ هل تليق هذه الافتراءات والشتائم لأسد الله، سيد الأولياء وسند الأصفياء، أسد الله الغالب إمام المشارق والمغارب، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، قاتل الكفرة والفجرة، فاتح الخيبر، من يستطيع أن يغلب آلافا من الجن في طرفة عين، من جعله الله آية من قدرته الإلهية، من جلى الله فيه صورة من جلاله وعظمته، من يرتجف كفار العجم لمجرد سماع اسمه، ومن كان يموت شجعان العرب وأبطالهم مجرد أن يسمعوا صوته، من كان لله أسدا وللرسول أخا ولسيدة النساء فاطمة الزهراء بعلا وللحسنين سيدا شباب الجنة أبا[1].

---

(١) تقول الروايات الشيعية ـ وهي من معتقداتهم الراسخة كذلك ـ من أن عليا ـ رضي الله عنه ـ كان يملك معجزات الأنبياء السابقين كلها، مثل؛ عصا موسى وخاتم سليمان و... وكان يعرف اسم الله الأعظم الذي إن دعي به استجاب، فوجود هذه المعجزات كلها ومعرفة اسم الله الأعظم يعد من لوازم الإمامة التي لا تثبت إلا بها.

فقد ورد في الصفحة / ١٣٠ من كتاب "أصول الكافي" أقدم وأوثق الكتب لدى الشيعة ـ المطبوع بلكهنو ـ باب بعنوان: باب ما أعطي الأئمة من اسم الله الأعظم. وقد أورد المؤلف روايات عديدة خلاصتها: إن في الاسم الأعظم ثلاث وسبعين حرفا. كان آصف وزير سيدنا سليمان يعرف حرفا واحدا منها، وبه استطاع أن يحضر عرش بلقيس في طرفة عين، وكان سيدنا عيسى يعرف منها حرفين، وكان عند سيدنا موسى أربعة أحرف منها، وكان حظ سيدنا إبراهيم ثمانية أحرف، وحظ سيدنا نوح خمسة عشر حرفا، وحظ سيدنا آدم كان خمسة وعشرون حرفا، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يعرف منها اثنان وسبعين حرفا وهي التي كان يعرفها سيدنا علي رضي الله عنه والأئمة كلهم.

وورد في الصفحة / ١٣١ من أصول الكافي تحت باب: ما عند الأئمة من آيات الأنبياء، أحاديث كثيرة نذكر منها رواية واحدة بنصها:« عن أبي جعفر قال: خرج أمير المؤمنين ذات ليلة بعد عتمة، وهو يقول همهمة همهمة وليلة مظلمة، خرج عليكم الإمام عليه قميص آدم وفي يده خاتم سليمان وعصا موسى».

هل للسادة الشيعة أن يجيبوا على: أنه رضي الله عنه لماذا لم يستعمل شيئا من هذه المعجزات في هذا الموقف الحرج؟ ولماذا لم ينطق باسم الله الأعظم ليقلب الأرض ظهرا على بطن؟ لماذا لم يرم بعصا موسى لتنقلب ثعبانا فتبلع الأعداء كلهم عن بكرة أبيهم؟ لماذا لم يستعن بالجن عن طريق خاتم سليمان؟ فيطلبهم ويأمرهم بأن يقضوا على القوم الظالمين في طرفة عين؟

يقول الشيعة: بأن الأئمة كانوا يملكون كل هذه المعجزات والاسم الأعظم لكن لم يكن من أمر الله عز وجل أن يستعملوها!

فنقول: إذا كان الله عز وجل قد حرم عليهم استعمال كل تلك الوسائل، فيا ترى؛ لماذا أعطاهم كل هذه القدرات ثم حجز عنهم استعمالها؟

فليس في التاريخ كله مثال لإنسان يهبه الله نعمة ثم يحرم عليه استعمال تلك النعمة. فهذا القول منهم طعن في ذات الله عز وجل إذ به ينسبون العبث إلى الله عز وجل. –سبحانك هذا بهتان عظيم، وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا–.

زد على ذلك أن سيدنا علي كان يتمتع بقوة وشجاعة تفوق الخلقة البشرية!

ففي نهج البلاغة ـ المطبوع في مصر ـ ورد على لسان سيدنا علي رضي الله عنه :« والله لقيتهم وحيدا، وهم طلاع الأرض كلها ما باليت ولا استوحشت»!

وقد قدم العلامة باذل في "حمله حيدري" صورة موجزة عنه[(١)]:

« وصي الرسول وزوج البتول ـ من أشعل شمع دين الرسول ـ أفدى سبيل الله بروحه ، فارق بين الكفر والدين ـ غلب على عمرو مرحب، قلع باب الخيبر ـ أنجى موسى من النيل، وجعل النار بردا وسلاما للخليل ـ أرسى سفينة نوح على الساحل، فتح أبواب الفتح المبين ـ حبيبه جبريل الأمين، بأمره السماء والأرض ـ لا يساويه إلا النبي ، وقد قوى يد القدرة بقوته».

فهل خاف علي الذي يملك كل هذه الصور الرائعة والشجاعة الأسطورية وهذا الجلال والعظمة من عمر وقبل كل معاني الخزي والعار على نفسه دون أن ينطق ببنت شفة، وهو ينظر فلذة كبده تنتهك عرضها أمام عينيه؟!..

نسأل السادة الشيعة ونقول لهم؛ بالله عليكم، بماذا عسانا أن نحكم على من يملك شجاعة فائقة مثل هذه، وبيده كل هذه المعجزات القاهرة، ثم يرى بعينه كل هذه المظالم القاتلة ويرى الكفر والذل والهوان ويرى الأعراض تنتهك أمام عينيه فلا يحرك ساكنا ويظل جامدا صامتا دون حركة ولا إحساس؟! فما يظن الناس في مثل هذا الرجل؟!

هل سوف يتحدثون عنه بأنه إنسان ديوث لا غيرة له ولا دين أم أنهم سيعتبرونه حيوانا عجيب الخلقة والمشاعر؟!

(١) حمله حيدري، ج/ ١، ص/ ٥، المطبعة السلطانية، ١٢٦٧هـ.

وصي نبى جفت پاك بتول	فروزنده شمع دين رسول
فشاننده ى جان براه خدا	نماينده ى كفر از دين جدا
درآرنده ى عمرو مرحب ز پاى	برآرنده ى باب خيبر ز جاى
رهاننده موسى از رود نيل	ومانده ى گل ز نار خليل
بساحل رساننده ى فلك نوح	كشاينده ى بابهاى فتوح
هوا خواه او جبرئيل امين	بفرمان او آسمان و زمين
نه كس جز نبي هم ترازوى او	قوى دست قدرت ز بازوى او

أف لمثل هذا الدين ولمثل هذه العقيدة وألف لعن على مثل هذه الافتراءات!

إذا كان الإسلام هذا الذي يتصف به "الحافظ" فويل إذا كان بعد اليوم غد[1]

الدليل الخامس:

تكشف أية نظرة سريعة في مراجع الشيعة ومصادرهم زيف هذه الادعاءات وكذبها، فسيدنا عباس رضي الله عنه رجل مطعون عندهم، ولا يمكن أن يوكله سيدنا الأمير رضي الله عنه في أموره، فهو كان يراه إنسانا ذليلا ومهانا!

لعل هذه العبارة القبيحة تؤذي مشاعر السادة الشيعة وتثير حيرة الجهال منهم! ولكن ما ذنبنا نحن، فلم يتجرأ علمائنا قط أن يتفوهوا بمثل هذه العبارات في شأن من هو دون سيدنا عباس رضي الله عنه، ما ظنك بعباس وهو عم الرسول صلى الله عليه وسلم؟ ـ معاذ الله أن نقول فيه غير الخير والحق ـ إنما هذه هي عبارات وافتراءات وبهتان اتهم بها علماء الشيعة ومحدثيهم عم الرسول صلى الله عليه وسلم، فهم يقولون بأن سيدنا علي رضي الله عنه كان يراه رجلا ذليلا: فقد روى العلامة الطبرسي في كتابه "الاحتجاج"[2] عن سيدنا علي المرتضى رضي الله عنه أنه قال:« ذهب من كنت اعتضد بهم على دين الله من أهل بيتي، وبقيت بين حضرين قريبتي العهد بجاهلية؛ عقيل وعباس».

فيا ترى؛ إذا كان سيدنا علي رضي الله عنه يراه رجلا ذليلا ويراه من أهل الجاهلية، فكيف اعتمد عليه ووكله في أمر هام كهذا، وكيف أخذ بمشورته في مثل هذه القضية الخطيرة، ولماذا عمل بمشورته وهو يعرف ما يكنه في ضميره؟

ولعل السادة الشيعة وضعوا مسئولية هذا الأمر على عاتق عباس لأن سيدنا المرتضى

---

(١) گر مسلمانی همین است که حافظ دارد وای اگر از پس امروز بود فردائی.

(٢) الاحتجاج، للطبرسي، ج/ ١، ص/ ٤٥٠، ط/ الإيرانية، ١٤٢٤هـ.

رضي الله عنهما كان يراه رجلا لئيما، فلا يأتي مثل هذه المواقف الذليلة إلا من مثله، لكن ما يثيره العجب والدهشة هنا؛ أن سيدنا المرتضى رضي الله عنه استمع إلى كلامه الذليل هذا وعمل به؟!..

ولا يظنن الشيعة أن سيدنا علي المرتضى؛ العفيف الخلوق رضي الله عنه اكتفى بأن عد عباسا من الأذلة اللئام فحسب، وإنما إذا نظرت في مراجع الشيعة ومصادرهم المعتبرة والموثوقة فترى سيدنا عليا المرتضى رضي الله عنه قد شتم عمه عباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم بشتائم قبيحة لا تكاد تسمعها بين أراذل الناس ـ معاذ الله، معاذ الله، نستغفر الله مما قالوه ونتوب إليه ـ نذكر شيئا من ذلك من باب الاستشهاد لئلا يرمينا القوم بالكذب، علما بأن ناقل الكفر ليس بكافر!...

فقد اتهم سيدنا علي المرتضى رضي الله عنه عمه عباس ـ حسب ما يزعم القوم ـ بأنه ولد زنا!!..

فإن كنت تشك فيما ندعيه، فراجع "روضة الكليني" أو "حياة القلوب": وقد نقل مولانا أبو الفضل والسيد مولوي علي بخش في رسالة له هذا الكلام عن ملا باقر المجلسي من كتابه "حياة القلوب" أنه قال:« فقد روى أبو جعفر الطوسي بسند معتبر عن الإمام الصادق أن فضيلة أم عباس كانت أمة لأم الزبير وأبي طالب وعبد الله أولاد عبد المطلب. فجامعها عبد المطلب فولدت له عباسا. فثار الزبير على عبد المطلب وشاجره وقال له بأن هذه أمة ورثناها عن أمنا فكيف جامعتها دون إذن منا، فهذا الولد ـ عباس ـ عبدنا. فأرسل عبد المطلب سادة قريش إلى الزبير ليشفعوا له عنده، نهاية ارتضى الزبير أن يترك عباس شريطة أن يكتب عهد مفاده؛ ألا يجالسنا عباس وأولاده في مجالسنا ومجالس أولادنا، وألا يشاركونا في شيء من أمورنا، وألا يرثونا. فكتبوا ميثاقا بهذا المعنى وختم عليه صناديد قريش وقادتها. وظل الأئمة

عليهم السلام يحتفظون بهذه المعاهدة».

فثبت من هذه الرواية أن عباس رضي الله عنه كان ابن أمة وأنه العياذ بالله كان ولد زنا ـ استغفر الله من كل ذلك ونتوب إليه ـ. والشهادة التي تشهد بكل هذا وعليها أختام سادة القريش وتوقيعاتهم كانت عند الأئمة وكانوا يحافظون عليها. ولعل لهذا السبب أذل عباس عليا عندما زوج ابنته رغما عن رضاه لعمر!!!

وبما أنه ثبت بروايات الشيعة أن عباسا كان ولد زنا ـ حاشا جنابه من ذلك ـ فيثبت عندهم لا محالة عداوته لأهل البيت. فقد وردت عندهم آلاف من الأحاديث والروايات تقول بأنه لا يرفع لولد الزنا عمل ولا يقبل منه شيء، كما أنه لن يستطيع أن يصادق أهل البيت، وهذا ما سوف نشير إليه بإذن الله عز وجل من خلال ما وردت في "بحار الأنوار" و"علل الشرائع" و"الاحتجاج" للطبرسي[1] ومؤلفات القاضي نور الله الشوستري. لكن قبل ذلك خذ هذا المثل المشهور الذي يعرفه العامة والخاصة من المؤمنين ويدندن به الأولاد والصبيان حيث قال قائلهم:

لا تطلب من ولد الزنا أن يحب سلطان الأبطال   فقد لمست يد أجنبية رجل أمه[2]

ولا يظنن ظان أن هذه رواية شاردة عن سيدنا عباس وهناك عشرات من الأحاديث في فضله تقضي على معاني هذه الرواية وتضعفها، بل هناك العديد من الروايات في بيان مثالب سيدنا عباس رضي الله عنه عند القوم، من ذلك ما رواه ملا باقر المجلسي في "حياة القلوب" بسند صحيح ـ عندهم ـ :« قال سيدنا زين العابدين في عبد الله بن عباس وأبيه أن قوله تعالى ﴿

---

(١) اسمه: احمد بن علي بن أبي طالب. كان من طبرستان، ويعد من أعظم علماء السلف لدى الشيعة، يقولون عنه: كان عالما فاضلا، ومحدثا وثقة. وكتابه "الاحتجاج" من أوثق الكتب والمراجع لديهم. (أنظر: روضات الجنات، ج/ ١، ص/ ٦٥)

(٢) محبت شه مردان مجو زبی پدری   که دست غیر گرفته است پای مادر او

وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾/ (الإسراء٧٢)، نزل فيهما ».

وبذلك بين القوم صراحة أن الأب والابن أعمى في الدنيا والآخرة، بل قالوا بأن الله عزوجل يشهد على أن عبد الله وأبيه عمياوان لا بصيرة لهما ـ استغفر الله عز وجل من ضلالات القوم وافتراءاتهم على الصحابة رضي الله عنهم ـ.

ما أعجب الدين الشيعي! لم يسلم من سهامهم أحد؛ فقد كفروا الصحابة وقالوا بارتدادهم ونفاقهم ولم يسلم من طعنهم وجرحهم إلا أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم لما فرغوا من الصحابة بدأوا في لعن أهل البيت وطعنهم وشتمهم. فيا ربي، لا أدري هل التشيع دين ومذهب أم إلحاد وزندقة، فلم يراعِ مؤسسه لا الرسول ولا أهل بيته ولا أصحابه، فسهامهم تصيب الجميع ولعنهم لم يسلم منه أحد! كل من وجدوا يعارض دينهم كفروه وتبرأوا منه، فقالوا بتكفير فريق منهم وأشاروا بنفاق فئة أخرى واعتبروا جماعة منهم من الفساق، ورموا بعضهم بأنهم أولاد زنا و.... وهلم جرا.

ما أعجبك من دين! وما أغربك من مذهب! لم يسلم من طعنك وشتمك أحد! إلى من نشكوك وبم نرد عليك؟!..

إذا أراد أحد المؤمنين أن يضع ما ورد في فضل عباس وفي بيان مناقبه وكمالاته أمام هذه الرواية لعلها تهدئ الموقف، يجد ملا باقر المجلسي في "حياة القلوب" يقف له بالمرصاد، ليخرج من رأسه هذا التفكير الفارغ ويقول له:« اعلم أن الأحاديث والروايات تضاربت في مدح عباس وذمه، وقد مال أكثر العلماء إلى أنه كان رجلا جيدا، لكن ما يظهر من مجموع الأحاديث أنه لم يكن على كمال الإيمان»!

وهكذا قطعت جهيزة قول كل خطيب، وجاء ملا باقر المجلسي بفتواه الفصل وأنهى القضية بأن حكم عليه بنقص الإيمان، ولعل أبرز الصور التي تصور ضعف إيمانه أو كان سببا

في أن يطعن في إيمانه هي: تزويجه أم كلثوم من سيدنا عمر رضي الله عنه!

الدليل السادس:

فقد كان هذا الزواج رحمة على عمر عند الشيعة إذ كان سببا في أن يقر القوم بإسلامه الظاهري حفاظا على جواز النكاح (!)، وقالوا بأنه كان ملتزما بكمال الشريعة، لكن لا يصلح العطار ما أفسده الدهر!

فقد أخرق القوم ستار الإيمان عن سيدنا عمر وطعن علمائهم فيه وجرحوه بطريقة لا يصلحها مثل هذه المواقف، ولا يبقى أمام الشيعي للاعتراف بجواز هذا الزواج إلا أن يتبرأ من مذهبه الشيعي الظالم ويقر بكل ما ورد في فضل سيدنا عمر رضي الله عنه، حتى يثبت جواز هذا النكاح بناءا على أصول المذهب الشيعي.

وذلك لأن قلب عمر رضي الله عنه فيما زعمه القوم كان يخلو تماما من الإيمان والإسلام وأنه ـ العياذ بالله ـ كان منافقا ومرتدا وكان عدوا لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان إماما للناصبيين، ولا يجوز نكاح المؤمنة من الناصبي أبدا، فلا يصح بحال من الأحوال زواج عمر الذي كان رمزا للكفر والنفاق وعداوة أهل البيت من أم كلثوم رمز العفة والعظمة والجلال! وهذا ما سنثبته لك من خلال ما قاله الشيعة في كتبهم.

الأمر الأول: كان عمر كافرا

تقول عقائد الشيعة وأصول مذهبهم أن عمرا لم يكن مؤمنا وأنه كان كافرا ومنافقا ومرتدا وعدوا لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا من الوضوح عندهم بمكان، فلا حاجة بأن تلتمس فيه دليلا أو رواية أو شاهدا. لكن عبرة للناظرين أرى أن أذكر هنا بعضا من رواياتهم في هذا الباب:

الرواية الأولى:

روى ملا باقر المجلسي في "زاد المعاد"[١] عن حذيفة بن اليمان أنه قال:« لما سمعت ما قاله الرسول عليه التحية والثناء عن فضائل اليوم الذي يصادف قتل عمر أيقنت بكفره، وإليك نص ما ورد في الكتاب:« قال حذيفة: ثم قمت وقام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودخل بيت أم سلمة. فرجعت وأنا موقن بكفر عمر إلى أن رأيت ما أحدثه من الفتن والفساد بعد وفاة الرسول ، فكشف النقاب عن كفره الدفين، فارتد عن الإسلام ومع كل الوقاحة وقلة الحياء غصب الإمامة والخلافة، وحرف القرآن، وأحرق بيت الوحي والرسالة، وأحيا البدع في الدين، وغير دين الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبدل سنته، وأرضى النصارى والمجوس عن نفسه، وأغضب فلذة كبد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن نفسه، وسعى جاهدا في قتل سيدنا أمير المؤمنين عليه السلام، ونشر الظلم والفساد بين الناس، وحرم ما أحله الله وحلل ما حرمه الله»!

ففي هذه الرواية صرح القوم بكفر سيدنا عمر رضي الله عنه ـ والعياذ بالله ـ وزعموا بأنه ارتد وحرف القرآن وأرضى النصارى والمجوس عن نفسه، و... أي أن ما قاله بعض مجتهديهم من أنه لم يخرج عن دائرة الإسلام كلام باطل لا أساس له عندهم!

الرواية الثانية:

فقد ذكر ملا باقر المجلسي في رسالته "الرجعية" أن الإمام المهدي عليه السلام قال في رده على سؤال بأن أبابكر وعمر كانا ينطقان الشهادة في الظاهر وكانا يظهران الإسلام طمعا في الدنيا، ولما وجدا الرسول عليه التحية والثناء لا يلتفت إليهما ولايبالي بهما ولا يعطيهما من الدنيا شيئا استعدا لقتل الرسول صلى الله عليه وسلم، وإليك نص ما قاله:« هما ـ أي: أبي بكر وعمر ـ نطقا بالشهادتين في الظاهر يبطنان الكفر، ولما يئسا في الأمر صعدا مع المنافقين على

---

(١) زاد المعاد، ملا باقر المجلسي، ص/ ٥٨٤.ط/ نولكشور، لكنهو.

العقبة متلثمين لئلا يعرفهما أحد، وحاولا أن يخيفا ناقة الرسول صلى الله عليه وسلم فتشرد ويسقط الرسول ويموت. فأرسل الله عز وجل جبريل وحفظ رسوله من كيدهم».

وبهذا أثبت الشيعة على لسان الإمام المهدي أن الشيخين حاولا إغتيال الرسول صلى الله عليه وسلم بعدما يئسا من أن يعطيهما شيئا من الدنيا، وأنهما كادا لقتله صلى الله عليه وسلم. فيا ترى، هل هناك أكفر ممن يسعى لقتل الرسول صلى الله عليه وسلم؟ وبما أن هذه الجريمة قد أثبتها الإمام المهدي المزعوم فهل يستطيع أحد أن ينكرها أو يرفضها؟!

الرواية الثالثة:

نقل ملا باقر المجلسي في "بحار الأنوار" حديثا عن "أصول الكافي" يظهر جليا بأن من ينكر إمامة سيدنا علي المرتضى رضي الله عنه، كافر خارج عن الملة واجب القتل، وإليك نص هذا الحديث كما ورد في "استقصاء الأفحام":« بيان قوله عليه السلام من أن يرتدوا عن الإسلام أي عن ظاهره والتكلم بالشهادتين؛ فإبقاءهم على ظاهر الإسلام كان صلاحا لأمته ليكون لهم ولأولادهم طريق إلى قبول الحق وإلى الدخول في الإيمان في كرور الأزمان، وهذا لا ينافي ما مر وسيأتي أن الناس ارتدوا إلا ثلاثة لأن المراد فيها ارتدادهم عن الدين واقعا، وهذا محمول على بقائهم على صورة الإسلام وظاهره وإن كانوا في أكثر الأحكام الواقعية في حكم الكفار، وخص هذا بمن لم يسمع النص على أمير المؤمنين عليه السلام ولم يبغضه ولم يعاده، فإن من فعل شيئا من ذلك فقد أنكر قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكفر ظاهرا أيضا ولم يبق له شيء من أحكام الإسلام ووجب قتله». انتهى بلفظه.

ثم أردف صاحب "استقصاء الأفحام" على هذا الحديث بقوله:« فقد قصدت من إيراد هذا الحديث أن أبين بأن صاحب "بحار الأنوار" يرى كفر الثلاثة ومن تبعهم، ولا شك أننا

نقبل هذا المعنى ونضعه على رؤوسنا وأعيننا، ولا مجال البتة إلى إنكاره أو مناقشته».

فقد ثبت من خلال ما قاله صاحب "بحارالأنوار" وصاحب "استقصاء الأفحام" كفر الخلفاء الثلاثة رضي الله عنهم، وقد انتفى إسلامهم الظاهري الذي كان يجري على ألسنة بعضهم، ولم يبق أمامهم التفلسف بمصطلح "الإسلام" الذي عدوه فاصلا ثالثا بين الكفر والإيمان، وبما أنه ثبت كفر الثلاثة ـ نعوذ بالله ـ فوجب القول بأن أم كلثوم نكحت إلى رجل كافر. فيا ترى؛ ما قيمة ما قاله السيد المرتضى علم الهدى في كتابيه "الشافي" و"تنزيه الأنبياء" من أن عمرا كان يظهر الإسلام ويلتزم بالشريعة كاملا، فلم يكن هناك مانع شرعي من هذا الزواج!

كما ظهر زيف ما زعمه صاحب "النزهة الإثنا عشرية" وكذبه عندما رد على "التحفة الإثنا عشرية" بقوله:« لم يقل أحد من الإمامية أن حضرات الأئمة عليهم السلام نكحوا بناتهم من الكفار، وإنما زوجوها للمبتدعة ولمن يظهر الإسلام وللمنافقين، والمعروف أن الشريعة حرمت الزواج من المشرك لا من المبتدع والمنافق!» لكننا رأينا أن إمامهم المزعوم حكم على كفر الخلفاء الثلاثة في حديث "بحار الأنوار" حكما صريحا واضحا وقال بوجوب قتلهم!!

عجبا لأمر الشيعة! يرقصون على جميع الأحبال، ويغيرون ألوانهم كلما بدا لهم شيء، وفي كل موقف لهم لون، ويتصنعون الأحاديث حسب الحاجة والمواقف؛ فإن احتاجوا كفر سيدنا عمر صنعوا أحاديث تصرح بكفره ووجوب قتله، وإن اقتضى الحاجة إلى إبقائه في الإسلام لفقوا أحاديث أخرى تقول بإسلامه وتمسكه والتزامه بالشريعة المطهرة.

والآن بعد ما ثبت من خلال الروايات الصحيحة عند الشيعة كفر سيدنا عمر ـ والعياذ بالله ـ لم يبق داع لأن نتحدث عن عدم جواز نكاح المؤمنة بناصبي يظهر الإسلام (!) أو تخطئته، لأنه ينكر الكفر الظاهري ويحكم بالإسلام الصوري!

نرى من الواجب أن نجاريهم فيما يقولونه هنا كذلك ونبين لهم أن هذا التهرب لا يجديهم شيئا، فإن أصول المذهب لا يقبل هذا الزواج أيضا، فإنه مخالف للمذهب لا يرتضيه مهما حاول القوم!

الأمر الثاني: لا يجوز نكاح المؤمنة من ناصبي...

« روى الكليني عن الفضيل بن يسار قال: سألت أبا عبد الله ـ الإمام جعفر الصادق عليه السلام ـ عن نكاح الناصب. فقال: لا والله ما يحل. قال فضيل: ثم سألته مرة أخرى. فقلت: جعلت فداك، ما تقول في نكاحهم؟ قال: والمرأة العارفة؟ قلت: نعم. قال: العارفة لا توضع إلا عند عارف».

فقد وضعت هذه الرواية النقاط على الحروف وبينت بأنه لا يجوز زواج العارفة ـ أي: المؤمنة ـ إلا من رجل عارف ـ أي: مؤمن ـ. فلم يبق للشيعة إلا أن يقولوا بأن عمرا كان عارفا أي مؤمنا، أو أن أم كلثوم لم تكن عارفة، أي؛ مؤمنة!! ـ ونعوذ بالله من ذلك.

أي: أن الإمام لم يترك لهم مجالا ثالثا، إما أن يقولوا بهذا أو ذاك. والحق؛ أن هذا الحديث يثبت للعقلاء منهم أن عمر كان رجلا عارفا ومؤمنا، فلو لم يكن كذلك لم يزوجه سيدنا علي رضي الله عنه من ابنته قط، مهما صور الشيعة بأن ذلك وقع جبرا وإكراها، فإن معاني الجبر والإكراه تضعف أمام شجاعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، كما أنه يعرف أكثر من غيره ما تعنيه قول الله عز وجل: ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُوْلَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (النور٢٦)!

أو أنكم تتجرأون أن تقولوا بأن سيدنا علي رضي الله عنه كان ينكر ما قاله سيدنا جعفر الصادق من أن العارفة لا توضع إلا عند عارف؟!

فكيف يتصور أن يخالف سيدنا علي رضي الله عنه هذه الآية، وهذا الحكم من الإمام؟!..

وبما أننا أثبتنا أن هذا الزواج لم يقع عن إجبار وإكراه فلسنا بحاجة من أن نناقش كذب ما نسبه علماء الشيعة إلى الإمام جعفر من كلام قبيح لا يليق بمقام ذلك الرجل الفاضل التقي:« هو أول فرج غصبت منا».

لكن عبرة للقوم اسمحوا لي أن أتطرق إلى هذا الكذب والافتراء كذلك لئلا يبقى لهم مجال للتلاعب.

وقد سبق أن أوردنا الرواية التي زعمت أن رجلا سأل الإمام الصادق عليه السلام عن هذا النكاح، فأجابه الإمام بقوله:« هو أول فرج غصبت منا».

يعلق صاحب "التحفة الإثنا عشرية" رحمه الله على هذا بقوله:« سبحان الله! ما أعظم الفرية والكذب والبهتان على الإمام! فها هي السماوات تكاد تتفطر، وها هي الأرض تكاد تنشق من هذه الشتيمة القبيحة التي رموا بها هذه الطاهرة العفيفة بضعة الرسول وفلذة كبد البتول، ما أخبث هذه الفرية التي جرحوا بها عرض هذه الطاهرة المطهرة، وما أخبث ما اتهموا بها سيدي شباب أهل الجنة؛ الحسن والحسين، وأبوهما الأمير ـ رضي الله عنهم ـ من الدياثة وعدم الغيرة! وما أجرأهم على الإمام الصادق الذي وضعوا على لسانه هذه الكلمة الخبيثة التي تفوح منها رياح الدياثة وعدم الحياء والغيرة! فلا يمكن أن يلفظ الكبار بمثل هذه العبارات السوقية الخبيثة الرخيصة، ولاسيما ذكر هذا العضو المستور، والمعروف إذا كان الأمر يتعلق بالأقارب فحتى الأراذل والأوباش يحترزون من ذكره».

وقد رد العلامة الكشميري على صاحب "التحفة" قوله بهذه العبارة:« هذا كلام باطل من عدة وجوه: **الوجه الأول**: إذا افترضنا صحة هذه الرواية فما قاله الرجل ليس إلا تسويلا وتحويلا». من هذه العبارة يظهر أن العلامة الكشميري لا يجزم بصحة الرواية؟! فليست هذه العبارة « على افتراض صحة الرواية» منه إلا من قبيل الضحك على الأذقان وخداع عامة

الشيعة، فهذا الحديث ثابت وموافق لأصول المذهب الشيعي من عدة جوانب منها:

الأول: فقد روى هذا الحديث بهذه العبارة الكليني في "الكافي" الذي يعده الشيعة أصح الكتب عندهم.

الثاني: روى القاضي نور الله الشوستري هذا الحديث في "مصائب النواصب" في أكثر من موضع، وعند حديثه عن زواج أم كلثوم من عمر أورد الحديث أكثر من مرة كذلك. ولم ينكره أبدا وقد أقر كلامه وذكره صاحب "إزالة الغين" بعبارته:« .. وأما خامسا: أما قول الإمام الصادق عليه السلام من أن هذا أول فرج غصبت منا، لا يستلزم عندنا وقوع الزنا»، ثم إنه في هذا البحث نقل قول صاحب "الاستغاثة" الذي قال:« أخبر جماعة من المشايخ الثقات منهم جعفر بن محمد بن ملك الكوفي عن أحمد بن فضل عن محمد بن أبي عمير عن عبد الله بن سنان أنه قال: سألت جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن تزويج عمر من أم كلثوم. فقال: هذا أول فرج غصبت منا»، ثم علق القاضي على هذه الرواية بقوله:« وهذه الرواية تشاكل ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام حيث قال: هذا أول فرج غصبت منا».

وكذلك لما تحدث عن صبر سيدنا علي رضي الله عنه وثباته على وصية الرسول صلى الله عليه وسلم علق السيد القاضي هذا بقوله:« لما تقدم عمر إلى سيدنا الأمير يطلب يد ابنته تحير الأمير عليه السلام وفكر في نفسه: إذا امتنعت من زواجه فسوف يدبر قتلي، وإذا أراد قتلي فسوف أقاومه وأدافع عن نفسي وهذا يعني أنني أنجر إلى الخروج عن طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، فرأى أن تسليم ابنته في هذا الحال أصلح وأفضل من القتل ومن مخالفة وصية رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، ففوض أمرها إلى الله، وقد علم بأن ما فعله عمر من اغتصاب أموال المسلمين وما أنكره من الحق، وجلوسه في مقام الرسول صلى الله عليه وسلم، وتغييره لأحكام الله عز وجل وتبديله لفرائض الله كما سبق أن ذكرناها أعظم وأقطع وأشنع

عند الله من اغتصاب هذا الفرج، فسلمها إياه صابرا»!!..

وغير هذا فقد ثبت الحديث عن طرق كثيرة بنفس العبارة، فما قاله العلامة الكشميري:« من أننا لو افترضنا صحة الرواية» ليس إلا مكرا وخداعا منه على شاكلة علماء الشيعة سلفا وخلفا. فإذا كان الإمام لم يقل بهذا أو أنه لم يرد في كتبهم كان ينبغي أن ينكره صراحة، وإذا كان الأمر ثابتا عندهم فكان ينبغي أن يقر به، فما معنى قوله: على افتراض صحة الرواية؟!

ولم تبق الآن أية شبهة على صحة هذا الحديث، وآن لنا أن نتصفح في توجيه علماء الشيعة وتأويلاتهم على هذه العبارة.

يقول العلامة الكشميري في "النزهة":« هذا الكلام يعني أن هذا النكاح وقع في الأسرة العالية بغير طيب نفس من الأولياء وبالإجبار والإكراه لمقتضى المصلحة في حينه، وبما أنه وقع بالإجبار والإكراه عبر عنه الإمام "بالغصب"، ولا قباحة ولا شناعة في هذا المعنى! ومع وضوح المرام لا عبرة بالألفاظ! ولا يستلزم عقد النكاح الذي وقع عن غير طيب النفس، الزنا». وخلاصة ما يريده الرجل هو: أن الغصب يعني عدم الرضا، وأن قول الإمام:" أول فرج غصبت منا" يعني أن الإمام يريد أن يقول بأن هذا أول نكاح في أهل البيت الأطهار الذي وقع دون رضا الولي وبجبر وإكراه. وأن لفظ "الغصب" لا يعني الزنا. وهذا توجيه متكلف في غير مكانه، فالمعنى كان في بطن الإمام وقلبه، فكان ينبغي له أن يوضح المعنى كما أراده القاضي! لا أن يقوله في هذه العبارة القبيحة والكريهة ـ حاشا جنابه عن ذلك ـ وأما حمل كلمة "الغصب" على عدم الرضا دون وجه وقرينة يعد إجحافا للغة. زد على ذلك أن أي نكاح لم يصح يستلزم منه وقوع الزنا!!

وقد ثبت في كتب فقه الشيعة المعتبرة مثل "الغنية" و"التبصرة" و"كنز العرفان" و"غاية المرام" وغيرها أنه لا يصح زواج المؤمنة من ناصبي. فإذا كان لا يصح زواج مؤمنة ـ من عامة

المؤمنات ـ من رجل من عامة النواصب فكيف يصح زواج قدوة المؤمنات بنت فلذة كبد أفضل خلق الله من رجل كافر أو منافق، بل من رئيسهم؟!

وأما قول العلامة الكشميري " لا شناعة ولا قبح في هذا المعنى" يليق بمثله لا بمثل هؤلاء الأفاضل والأكارم من أئمة الهدى!

لا يشعر بجمال هذه العبارة إلا عبد الله بن سبأ اليهودي وأتباعه الذين يتظاهرون بحب أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقلبوا أصول الشريعة وفروعها وليقلعوا شجرة الإسلام ودين الرسول من جذورها، ويتاجروا بالدين للحصول على حطام الدنيا ودنسها، فيجمل عندهم أن يقال بأن حفيدة الرسول صلى الله عليه وسلم وابنة فاطمة الزهراء رضي الله عنها وأخت حسن المجتبى وشهيد كربلاء اغتصبه قائد المرتدين ورئيس المنافقين، وأن الغاصب بدأ يصول ويجول كما يحلو له وأن أسد الله وحسن المجتبى وشهيد كربلاء لم ينطقوا ببنت شفة ووقفوا صامتين يتفرجون على هذه الحادثة التي تشيب من هولها الصبيان وتسلب عقول العقلاء!

أما نحن ضعاف الإيمان (!) فتكاد قلوبنا تتمزق وأفئدتنا تتفجر ونكاد نجن ونحن نسمع مثل هذه الترهات، فتصرخ صدورنا وقلوبنا الضعيفة ﴿ .. أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾!

وأنى لنا هذا المعنى القبيح للحب والمحبة الذي يتمتع به الشيعة الذين يضعون على لسان إمامهم "أول فرج غصبت منا"، ثم يقولون "لا قبح ولا شناعة في ذلك"، ثم يرددون هذا الكلام القبيح بهذه الألفاظ الشنيعة ويستمعون إليها وهم يبتسمون ويفرحون، ويزعمون أنهم أكمل الناس إيمانا وأصلحهم دينا وأثبتهم على الحق! ولا يتصورون أن هذا لا يليق بمقام الأئمة أو أنه طعن في فضلهم ومقامهم.

ويقول العلامة الكشميري:« إذا أجبر ظالم رجلا على طلاق زوجته، فيقال في العرف

"غصبت زوجته" لكن إذا نكح الظالم تلك المرأة لا يعد ذلك زنى عند الإمام الأعظم أبو حنيفة الكوفي، ولا يعد ذلك الظالم زان». لا ندري ماذا كان يتصور العلامة الكشميري بعلمه وعقله الكبير من إيراد هذه الجملة في رده على "التحفة"؟!

فقد كان الشاه عبد العزيز رحمه الله يرد عليه بناءا على أصول المذهب الشيعي لا المذهب الحنفي! فكان ينبغي أن يرد عليه بناءا على ما في مذهبه لا على ما ينقل عن الإمام أبي حنيفة! إذا هو يريد أن يتبع الإمام أبا حنيفة في مسائله الفقهية فهذا يرجع إليه ويثير فرحنا، لكن لا تنجيه من الكارثة التي هو فيها إذ لا ينفعه التشبث بالفروع دون أصول العقائد، فإن كان صادقا فليتبع أبا حنيفة فيما يراه من الفضل للفاروق رضي الله عنه، وبذلك تنتفي كل هذه الترهات التي أشاعوها عن زواج سيدنا الفاروق من أم كلثوم، ويحلو له عند ذلك أن يتلو كلام الله مفتخرا معتزا ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُوْلَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (النور٢٦)! لكنه إذا بقي يتشبث بعقائد الشيعة الإمامية من أن زواج المؤمنة لا يصح من الناصبي فماذا ينفعه قول أبي حنيفة الفقهية؟!...

وإذا راجعت ما قاله الشيعة عن سيدنا عمر وما يرونه فيه بدقة فستتضح لك شناعة قولهم وقبح ما زعموه من أنه " أول فرج غصبت منا" أكثر فأكثر، فها هو الشيخ صدوق يعد عمر في "معاني الأخبار" من أولاد الزنا ـ العياذ بالله من كل ذلك، وناقل الكفر ليس بكافر ـ وقد أوصل سند حديثه وافتراءه إلى الإمام المعصوم (!)، وهذا نص ما ورد في "معاني الأخبار":« حدثنا علي بن أحمد بن موسى رضي الله عنه قال: حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي عن موسى بن عمران النجفي عن عمه الحسين بن يزيد النوفلي عن علي بن أبي جعفر عن أبي بصير قال: سألته عما روي عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: إن ولد الزنا شر الثلاثة. قال

عليه السلام: عنى به الأوسط» ـ أنه شر ممن تقدمه وممن تلاه ـ.

فماذا عسى أن يقول أصحاب هذا المذهب النجس إذا لم يتهموا الأئمة بمثل هذه العبارات السوقية الكريهة، وإذا لم يضعوا على ألسنتهم أن عمر من أولاد الزنا ـ العياذ بالله ـ وأن ابنة فاطمة الزهراء قد انكحت من مثل هذا الرجل وأن الإمام قد قال:" أول فرج غصبت منا"، فإذا لم يسودوا وجوههم في الدارين بهذه العبارات القبيحة ماذا عساهم أن يصنعوا؟!

وإذا تصورنا أو افترضنا أن أصول المذهب الشيعي لا يقول بكفر سيدنا عمر (!) ويعتبره مسلما وملتزما بالشريعة، وإذا افترضنا كذلك أن المذهب يقول بجواز نكاح الناصبي من مؤمنة أو عارفة، فهل يستطيع الشيعة أن ينكروا نفاق عمر وابتداعه في الدين؟! وهل يستطيعون أن يقولوا بأنه كان مؤمنا مخلصا يتبع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم؟! فإذا قالوا بأن عمر لم يكن منافقا ولا مبتدعا بل كان مؤمنا صادقا وأنه كان يتبع السنة، فنعم الوفاق!..

وإذا لم يقبلوا ذلك ولم يقولوا به فكل تلك التأويلات والتوجيهات التي قدموها في نكاح أم كلثوم تذهب هباءا منثورا، وتعد هراء لا قيمة لها. وذلك لأن تلك الشناعة والقبح التي تأتي من وراء زواج مكروه من كافر تأتي أضعافها من الزواج بالمنافق! وهذا ما أقر به صاحب "النزهة الإثنا عشرية" حيث تحدث عن ذلك بقوله:« قال الفاضل الناصب: الرابع: يقال أن السادة كانوا يزوجون بناتهم وأخواتهم من الكفرة والفجرة، مثل زواج السيدة سكينة من مصعب بن زبير، وعلى هذا القياس نكحوا أقاربهم للكفرة والنواصب، وقد جاء شرح ذلك بالتفصيل في كتاب "الإلهيات". نقول وبه نستعين: يقصد بالكفار رجلين، فإذا قصدوا به المشرك وأن الأئمة كانوا يزوجون بناتهم وأخواتهم منهم فهذا كذب محض، لم يقل به أحد من الإمامية، وإذا كانوا يقصدون به المبتدع الذي لا يخرجه بدعته إلى الكفر ويطلق عليه الكافر أو المنافق الذي يظهر الإسلام ويلتزم بأحكام الشريعة فلا مانع من ذلك إذ لا يتعارض مع قوله

تعالى :﴿ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (البقرة٢٢١)، فالآية تقول بحرمة الإنكاح مع المشركين ولا دليل فيها على حرمة النكاح من المبتدع الغالي أو المنافق، وقياس الواحد على الآخر يعد قياسا مع الفارغ، وإن كان حرمة المنافق أشد وفساده في الشريعة أقبح من الكافر وعذابه في النار أشد إذ هو في الدرك الأسفل من النار يعذب عذابا أليما، لكن جرت حكمة الله عزوجل أن تفصل بين أحكام المشركين والمنافقين في الدنيا، ومن هنا عاقب المشركين بقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة٥) في حين أنه ترك المنافقين يمرحون في الأرض إلى حين».

ولي أن أشكر العلامة الكشميري على هذا الجواب وأرفع إليه أجمل معاني الشكر إذ كلف نفسه بكتابة ما كنت أريد أن أقوله، فقد رفع عن كاهلي هذا التعب عندما تجشم قائلا: حرمة المنافق أشد وأعظم وفساده على الشرع أقبح. وبذلك رد على نفسه بما كنا نريد أن نرد به عليه!

لكن ما يحيرنا هو أن العلامة الكشميري ذكر هذا الكلام على سبيل الرد على صاحب "التحفة الإثنا عشرية" حيث قال: بأن الشيعة يزعمون أن الأئمة زوجوا بناتهم من الكفار، فجاء العلامة ورد عليه وقال: بأنهم لم يزوجوهنّ من الكفار وإنما زوجوهنّ من المنافقين. وجوابنا عن ذلك: ليس هناك دليل عقلي يمنع زواج المؤمنة من كافر، وإنما في ذلك قباحة شرعية، وهذه القباحة نفسها تنطبق على زواجها من منافق معلوم النفاق، بل القباحة أشد لما ذكره العلامة الكشميري نفسه! فللدارسين والمنصفين أن يتمعنوا في هذا الرد، هل الرد أبطل الشبهة أم ثبتها ودلل لها؟

بقي أن نشير إلى أن أحكام المنافقين في شريعتنا أخف من أحكام الكفرة!

وذلك لأن المنافقين يظهرون الإسلام في الظاهر ويقرون به ويلتزمون بأحكامه فيأمنون بذلك من القتل وغيره، وكذلك لأن الله وحده يعلم ما في السرائر، فلا يعرف المسلمون ما يجري في قلوب المنافقين ولا يميزونهم في صفوفهم، فحفاظا على التلاعب والهرج في الصف الإسلامي حقنت الشريعة دماءهم، لكن بناءا على أصول الشيعة أوتي الأئمة علم ما كان وما يكون، فلم يكن يخفى عليهم شيء وكانوا على علم بما يجري في قلوب الناس، فكان يجب عليهم أن يحترزوا منهم وأن يذللوهم وأن يعادوهم وألا يناكحوهم، وإذا احتاجوا إلى المساعدة في أمر من أمور الدين لا ينبغي لهم أن يطلبوا العون منهم، وألا يشاركوهم في شيء من أمور الدين. وقد أمر القرآن الكريم نبي الله أن يعامل المنافقين الذين كشف الله أوراقهم لنبيه وأخبره بأسمائهم معاملة شديدة. وكما أن الله عز وجل أمر نبيه بقتال الكفار أمره كذلك بجهاد المنافقين، فقد قال تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدْ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (التوبة٧٣).

أي: إذا كشف الله ستر فريق من المنافقين واتضح أمرهم للمؤمنين فيجب عليهم أن يعاملوهم معاملة الكفار ويجاهدوهم ويغلظوا عليهم، كما يجاهدون ويشددون على الكفار! فبعد هذا؛ ما الفرق إذن في الزواج بين كافر ومنافق معلوم النفاق؟!

فلم يبق أمام الشيعة إلا أن يسحبوا حكم الكفر والنفاق عن سيدنا عمر رضي الله عنه، ويتوبوا إلى الله من قولهم بحرمة هذا النكاح.

نرى علماء الشيعة يحاولون جاهدين أن يستروا الحقائق عن عامة الناس ويضحكوا على أذقانهم ويخدعوهم بعبارات رنانة كقولهم؛ إن عمرا كان يظهر الإسلام، ويتخذون ذلك ذريعة في القول بجواز هذا الزواج، لكن في الحقيقة هذه خطة رخيصة للضحك على الناس

ولانخداع العامة والجهال لكنها لا تثبت أمام الأدلة والبراهين والبحث العلمي، ومع النقاش يذهب هباءا منثورا؟

فليسمحوا لنا أن نستفتيهم ونسألهم بعض الأسئلة، ونريد منهم ألا يتفلسفوا ولا يتلاعبوا مع الألفاظ وليجيبوا على أسئلتنا بالإيجاب أو النفي فقط:

السؤال الأول:

ماذا يرى سعادة علماء الشيعة؛ هل يجوز أن نزوج فتاة مؤمنة عارفة من رجل منافق حرف كتاب الله عز وجل وغير سنة رسوله الأمين، واغتصب حق سيدتنا فاطمة الزهراء، وقد ضرب تلك المرأة الطاهرة المعصومة ضربة قاسية جرحته وسببت في إسقاط جنينها الذي مات شهيدا، وكذلك حرم سيدة النساء رضي الله عنها من حقها واعتبرها كاذبة فيما ادعت من إرث أبيها، وقد غصب حق الخلافة المنصوص عليها من سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقد ظلم عليا وآذاه بأشد ما يؤذى المرء؟!

السؤال الثاني:

ماذا يرى سعادة علمائنا الأفاضل في رجل رزقه الله قوة وشجاعة وهيبة لم يرزق مثله أحدا من خلقه، فقد كان يملك عضلات تدك الجبال الراسيات، وشجاعة كان بها يقاتل عشرة آلاف فارس دون خوف منهم ولا وجل، وقد زوج ابنته المؤمنة العارفة من رجل منافق مرتد غاصب خائن لمجرد أن هدده ببعض الكلمات!

ما حكم الشريعة في هذا الرجل؟ أ هو آثم أم لا؟!

وإذا لم يرتض سعادة العلماء الأفاضل أن يجيبونا على هذا الاستفتاء وبدأوا بالتفلسف والتلاعب بالألفاظ فنستميحهم عذرا لنسألهم سؤالا واضحا صريحا: ما رأي علماء الدين ومجتهدي الشرع المتين في نكاح المؤمنة من سني ناصبي، هل يجوز أو لا يجوز؟!

ما يجيبون به على هذا السؤال يكفي لحل كل ما أثاروه في هذا الباب، وينبغي أن نطوي كل هذا الكلام فيما يجيبوننا به، ولا حاجة لكل هذه التأويلات والتفسيرات، فهذه القصة تنتهي في كلمة واحدة تتفق عليها القوم.

فيا سادة الشيعة ويا أيها العلماء الأفاضل! أجيبونا بكلمة واحدة وانهوا هذه الحكاية عن بكرة أبيها!

وكذلك قال العلامة الكشميري في رده على "التحفة الإثنا عشرية":« والأغرب من كل ذلك استبعاده ذكر الفرج المستور الاسم على لسان الأكابر والأفاضل، وهذه حماقة لا يقول بها إلا الحمار (!)، فقد ورد اسم هذا العضو المستور الاسم في كلام الله أكثر من مرة، وألم تسمع عائشة الصديقة وهي تذكر عضو المخصوص لسيد الأنام عليه السلام على لسانها في المحافل والمجالس...»!

أي أن العلامة الكشميري يستغرب من كلام صاحب "التحفة" الذي قال بأن ذكر الفرج صراحة في هذه العبارة لا يليق بمقام الإمام وقد ذكر هذا العضو المستور في كلام الله عز وجل.

كما أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كانت تذكر اسم العضو المستور صراحة ولا تكني، فإذن ما ذنب الإمام في ذكره؟!

نقول في الجواب أن هذا الرد إن دل فيدل على جهل العلامة الكشميري وتغافله فإن الآيات والأحاديث إن ذكرت هذا الاسم فقد ذكرته من باب بيان الحكم الشرعي والمسائل والأحكام الدينية أو في مجال مدح المؤمنين وذكر مناقبهم، لا أن تذكره في مثل هذه العبارة وفي مثل هذه القضية الشنيعة والشائكة، ثم إن إيضاح المسائل الشرعية يستدعي الصراحة في البيان دون الكناية.

أجل، لو كان صاحب "التحفة" يؤاخذ الشيعة في تلك الأخبار والأحاديث التي رويت على ألسنة الأئمة في بيان المسائل الشرعية والأحكام الفقهية وقد ذكر فيها هذا اللفظ كان للعلامة الكشميري أن يجادله في قوله بما قاله هنا، لكننا نرى مئات من الأحاديث ذكرها الشيعة على لسان أئمتهم وفيها صرح بهذه الكلمة وغيرها صراحة دون أن يكنى لها في مقام بيان الحكم الشرعي ولم يشر "التحفة الإثنا عشرية" إلى واحد منها ولم يطعن فيها ولم يعترض عليها، لكنه اعترض على هذا المقام الذي يقتضي الغيرة والحياء، وحتى أراذل الناس وعامتهم إذا اغتصب فاجر أختهم أو ابنتهم لا ينطقون بمثل هذه العبارة ولا ينسبون الغصب إلى فرج أخواتهم وبناتهم، فهل يمكن أن ينطق لسان الإمام الكريم الشريف العزيز بمثل هذه العبارة الركيكة؟!

بل لو وقع هذا الزواج بالجبر والإكراه أو بإظهار عمر الإسلام أو التمسك بالشريعة لكان الزواج جائزا، ولم يكن يليق أن يوصف بهذه الألفاظ الكريهة التي تتحمل ألف معنى ومعنى.

فيا ترى، أين هذا من ذكر الله عز وجل لهذه الكلمة في بيان الأحكام الشرعية؟! وأين هذا من ذكر عائشة رضي الله عنها لها عند الضرورة وهي تبين حكما شرعيا وقضية فقهية؟!..

القول الثالث:

فقد شعر كثير من علماء الشيعة بالإحراج؛ فقد وجدوا بأن إنكار هذا النكاح يعني القول بتكذيب تلك الأحاديث والروايات التي وردت في كتبهم، ولاسيما حديث الإمام الصادق عليه السلام الذي رواه الكليني : أول فرج غصبت منا. فتكذيب هذا الحديث طعن في الإمام، كما أن تركه دون توجيه وتأويل طعن قبيح في العقل والإيمان والغيرة والعزة، فشمروا عن سواعدهم في البحث عن طرق يحملون معاني الألفاظ من الحقيقة إلى المجاز، ولما فشلت هذه

المساعي كلها ولم تجدي شيئا إلتفتوا إلى نوع آخر من التأويلات البعيدة والسعي عن طرق جانبية تغطي مساوئ الموقف كالقول "بالصبر" أو "الوصية" أو"التقية"، ونحن هنا نتطرق إلى هذه التأويلات ونفصل الكلام فيها:

التأويل الأول: الصبر ...

قال بعض علماء الشيعة أن ما حدث لسيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لم يكن بدعا من أمره، فقد حدث مثله لكثير من الأنبياء والأوصياء وصبروا مثل صبره! ورفع الله بذلك درجاتهم، فقد حدث ذلك لسيدنا لوط عليه السلام فقد جاءه الملائكة في صورة آدميين فجاء القوم يريدون بهم شرا فلم يجد نبي الله بدا إلا أن يقدم لهم بناته، وقال:﴿ يَاقَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾ [1]بل قال لهم بالحرف الواحد: ﴿ قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾(الحجر٧١).

فما أعجب أمر السنة النواصب؛ فها هم يرون نبي الله لوط يقدم بناته لهؤلاء الفجار وينطق بمثل هذا الكلام الفاحش ﴿ قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾، وقد سجلت آيات القرآن الكريم تلك الحكاية المؤلمة ثم يعترضون على أمير المؤمنين عليه السلام ويقولون: لماذا قدم ابنته لعمر؟!

فهذا اعتراض فارغ لا يصح أبدا، فليعتبروا ما يجيبونه عن قصة سيدنا لوط جوابنا لهم عن قصة سيدنا أمير المؤمنين!!

فقد ذكر هذا الكلام القاضي نور الله الشوستري في "مصائب النواصب" واحتفل به علماء الشيعة من بعده في كتبهم، وكذلك استشهدوا في هذا الموقف بقصة سيدنا إبراهيم عليه

(١) ﴿ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَاقَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ (هود٧٨)

السلام وقصة سيدتنا آسية زوجة فرعون، وها نحن سنتطرق إلى كل شبهاتهم وردودهم إن شاء الله.

وما كتبوه عن صبر سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه جمعه السيد المجتهد في كتابه "السيف الصارم" وطبعه بعد المراجعة عام ١٢٦٧م في المطبعة الجعفرية (أي المطبعة الإثنا عشرية)، وقد حاول المؤلف أن يجمع في كتابه أقوال جميع علماء المذهب ومجتهديهم ويقدم خلاصتها للقارئ، فانظر إلى ما كتبه بالدقة ثم احكم على عقلية القوم وعلى حيائهم وشرفهم.

حقا! ما أحسن ما قيل: إذا لم تستح فقل ما شئت!

وإليك نص ما قاله صاحب "السيف الصارم":« والآن ظهر كالشمس في رابعة النهار أن زواج فتاة معصومة صغيرة من هذا الشخص الذي كان يظهر الإسلام وقد تحدثنا عنه لا يوجب خلوة ونكاحا أو اقترابا وجماعا، فلم يكن الأمر في الواقع إلا إظهار العضلات من رجل عجوز فان هرم لا يبغي إلا إيذاء الناس وإجبارهم إلى اتباع شهواته والتهتك بالعواطف وإثارة مشاعر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والبحث عن طريقة لإتمام الحجة على نفسه، وإظهار قوته وفرعنته على الناس وأنه قادر أن يغلب الجميع!

ولا شك أن ما يعنيه الزواج والمناكحة من الاتصال والمباشرة والوصال كان ممنوع الوجود في هذا الزواج البتة، وذلك لأن الرجل كان عجوزا فانيا هرما، وكذلك تلك المعصومة كانت فتاة صغيرة جدا لا تعي هذه الأمور، فهذا الأمر كان واضحا وجليا سواءا من حيث الظاهر الذي أشرنا إليه أو من حيث العلم الباطني ، فقد كان سيدنا ومولانا علي ـ رضي الله عنه ـ قد عرف ذلك عن طريق العلم الباطني.

ولم يكن نكاح الرجل يمتنع شرعا لإظهاره الإسلام، وإقراره برسالة الله عز وجل

وشرائع رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لكن من حيث الواقع ومن حيث ما راج بين خاصة الناس وعامتهم كان يعد ذلك انتهاكا لحرمة ولي الله عليه السلام. ولا ينقض هذا الزواج من شأن صهر الرسول وابن عمه فاتح خيبر وغالب كل غالب، ومن وصفه المصطفى بـ "لا فتى إلا علي، ولا سيف إلا ذوالفقار"، فهذا النكاح من هذا الشيخ العجوز الفاني لا يأتي إلا من سيد العرب والعجم أمير المؤمنين الصديق والفاروق علي بن أبي طالب.

يشهد النواصب كذلك؛ بأن النفس الإنسانية لا تستطيع أن تتحمل موقفا كهذا، وأن الناس لا يمكن أن يرضخوا بأقل من هذا الموقف كأن نقول لأحدهم زوج ابنتك من شيخ عجوز يدعي بأنه أسلم حديثا، مع أن الشرع يبيح ذلك ويجيزه، فلا يستطيع أن يتحمل مثل هذا الموقف إلا النفوس الكبيرة والقلوب المتصلة بالسماء كقلوب الأنبياء والأوصياء، فهذا يقتضي صبرا ورضى لا يتأتى إلا من أمثال هؤلاء السادة عليهم التحيات والبركات، وذلك بما يقتبسون من نور الله وعطائه، فقد وهب لهم الرحمن بإعجازه مثل هذه القوة في الصبر والثبات. ولا يستطيع أي بشر دونهم أن يتحمل مثل هذا الموقف فهذا يتطلب غاية الكمال».

يا أيها المسلمون!

اصحوا من نومكم وسباتكم العميق وانتبهوا إلى ما يقوله هذا المتصابي الجاهل مؤلف "السيف الصارم"، وما يتفوه به هؤلاء العلماء الذين يتبرء العلم منهم، وهؤلاء المجتهدين الذين ليس بينهم وبين الاجتهاد أية قرابة، عقول مراهقة في أشكال مشيخة علمهم سراب، لا يملكون حياءا ولا غيرة، ما أحوج عقولهم بالبكاء عليهم! وما أحوج إيمانهم وإنصافهم بالرثاء! ولا ندري أنضحك على عقولهم أم نبكي على حالهم؟ ما أعجب أمرهم يقلبون الليل نهارا ويصورون السواد بياضا ويرون في العيب مكرمة وفي الدياثة غيرة، ثم يدعون محبة أهل البيت! وهم الذين يقولون فيهم ما تقشعر منه الجلود ويشيب لهولها الولدان، يرمونهم بالدياثة

ثم يصفونهم بالشجاعة! يطعنون في أعراضهم ثم يسمون ذلك صبرا وحياءا.

يا أصحابنا!..

هل تعدون هؤلاء من محبي أهل البيت؟! وهم يطعنون في أعراض من نزلت فيهم آيات التطهير، وفيمن أقسم بعصمتهم وطهارتهم؟!

يا إخوتي!..

يقولون بأن الصبر عند هؤلاء الأكارم الأطهار يعني: أن يغتصب منافق ابنتهم ثم يحملها إلى بيته جبرا وإكراها وينكحها بزواج لا يصح (!) فيقعد هؤلاء الأطهار صامتين ينظرون إلى ما يحدث لهم دون أن يحركوا ساكنا أو ينطقوا ببنت شفة. وهم الذين أعطوا من المعجزات ألوانها ومن القوة والشجاعة ما لم يعط أحد من العالمين لكنهم يعطلون كل تلك القوى الغيبية في سبيل الصبر!

أنشدك الله عز وجل أن تقول لي دون أن تتعصب لمذهبك ودون أن تميل إلى الأوهام والخيال بما أوتيت من العقل والحياء: هل ما يسميه السادة الشيعة بالصبر والثبات يعد عندك وفي عقلك وصدرك صبرا أم دياثة وقلة حياء؟!

فوالله لا أراه إلا هذا، فهم من وراء ستار المحبة يذللون أهل البيت ويشتمونهم بأقبح الشتائم وأرذل القبائح والعياذ بالله من كل ذلك.

تصور معي؛ إذا ذهب رجل يضرب به المثل في الشجاعة ولا يضاهيه أحد في قوته وجبروته ويملك من الدنيا مالا لم يكن يملكه قارون إلى بيت أحد من عامة الناس وأراد أن ينكح ابنته جبرا وإكراها غصبا عنه، ماذا سيحدث؟ أ يبقى ذلك الرجل العامي صامتا ينظر إلى ما يجري دون أن يحرك ساكنا أم أنه يفدي عرضه وشرفه بروحه؟!

فيا أيها الشيعة!

إنكم جعلتم أمير المؤمنين يعسوب الدين، صاحب ذوالفقار، جد الأئمة الأطهار في شرفه وهمته وشجاعته وغيرته أقل من عامة الناس ، وسميتم الوقاحة وعدم الغيرة صبرا وثباتا!

وما تضحك العقول وتدمع العيون من أمركم هو أنكم ترمونه بكل هذه القبائح وبكل هذه المعاني الشنيعة ثم تقفون كالصخور الجامدة دون أدنى شعور بالخجل والحياء وتقولون بأنه كان غالب كل غالب، ومطلوب كل طالب، وأمير البررة وقاتل الكفرة والفجرة، وقد خاطبه سيد الأبرار بـ "لا فتى إلا علي، ولا سيف إلا ذوالفقار"!

يا قوم! ما أعجب أمركم! لا تستحيون من الله، ولا تعرفون للرسول حرمة ومكانة ولا للدين والإيمان حقيقته ومرامه، وقد قلبتم شريعة الرحمن رأسا على عقب، وغلبتم الشيطان في خططه وسياساته، فما عدتم جندا له وإنما انتهى بكم الحال حتى صار لكم جندا، وكأن لسان حال مذهبكم يقول:

وكنت امرءاً من جنود إبليس فانتهى بي الحال حتى صار إبليس من جندي!

دعوني لأتطرق إلى قصة سيدنا لوط عليه السلام بشيء من الاختصار لأوضح معنى الآية التي استدللتم بها:

لا شك، بأنه لا يمكن حمل الآية وتأويلها إلى ما زعمه الشيعة من أن سيدنا لوطا عليه السلام كان قد قدم بناته إلى القوم من دون نكاح ليزنوا بهن!!.. وإنما قال لهم سيدنا لوط عليه السلام: انكحوا بناتي وتزوجوا منهن ولا تخزوني في ضيفي، وبما أن الزواج من الكافر في شريعته لم يكن حراما، فما كان في الأمر أي محذور شرعي، وهذا ما عبر عنه الله عز وجل على لسان سيدنا لوط عليه السلام " هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ "، والطهارة لا تكون في غير نكاح!

وإذا قال أحد الشيعة بأننا لا نقبل هذا الكلام، فالآية لم تصرح بكلمة "النكاح"، نقول له

راجع تفاسير علمائك ومفسريك في الآية ولا تلتفت إلى تفاسير أهل السنة البتة. فستجد ما قلناه على لسان أئمتك ومجتهديك ومفسريك. من ذلك ما كتبه أمين الدين الطبرسي في تفسير "مجمع البيان" الذي يعد أوثق التفاسير لدى الشيعة وقد طبع في طهران ـ العاصمة الإيرانيةـ إذ جاء فيه :« قال: يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم. وكان يجوز في شرعه تزويج المؤمنة من الكافر».

وإذا قال أحد علماء الشيعة: وإن دلت عبارة هذه الآية على النكاح، لكن الآية الثانية تصرح بالفعل " قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ"؟!

ونحن لا نتعب أنفسنا بسرد أدلتنا لهم بل نعزوهم إلى تفاسيرهم هم، ننقل لهم نص ما ذكره أئمتهم في التفسير. يقول العلامة الطبرسي في تفسيره السابق الذكر "مجمع البيان":« قوله : إن كنتم فاعلين" كناية عن النكاح، أي: إن كنتم متزوجين».

وإذا لم تطمئن قلوبهم إلى ما قاله العلامة الطبرسي فليستمعوا إلى ما قاله العلامة فاضل الكاشاني في تفسيره "خلاصة المنهج":« قال لوط: يا قوم هذه بناتي، اطلبوهن فهن أطهر لكم، فإما اشترط الإيمان للزواج من بناته أو أن الزواج من الكافر لم يكن قد حرم في شريعته».

خلاصة الكلام: لا علاقة بين قصة لوط هذه وبين زواج أم كلثوم، فالفرق بينها كالفرق بين الثرى والثريا. ففي شريعة لوط عليه السلام لم يكن الزواج من الكافر حراما وأن لوطاً دعا قومه للزواج الشرعي من بناته لا أن يزنوا بهن ـ والعياذ بالله ـ! لكن في شريعتنا المطهرة حرم الرسول صلى الله عليه وسلم زواج المؤمنة من الكافر، وكما يقول الشيعة في أصول مذهبهم أن الزواج من عدو أهل البيت ومن الناصبي حرام. زد على ذلك أن أحدا لم يتجرأ أن يقترب من بنات سيدنا لوط وأن يغتصبهم فيبقى ذلك وصمة عار على عرضه وعصمته، لكن القضية هنا على عكس ذلك تماما؛ فسيدنا عمر ـ على ما يزعم القوم ـ اغتصب البنت بالجبر والإكراه،

ونكحها نكاحا حراما لا تجيزه الشريعة المطهرة وحملها إلى بيته وظلت البنت تحته إلى أن مات وقد ولدت له أولادا. فالقضيتان لا تجتمعان في شيء، والفرق بينهما كالفرق بين السماء والأرض!

يا أيها السادة الشيعة!

إلى متى تجرون وراء التأويلات! وإلى متى تتصنعون الأدلة؟ فكلما غزلتم كذبا صرخت الحقيقة عليه فانكشفت سوءته، وكلما اخترعتم تأويلا وجدتم فيه طعنا صريحا في أهل البيت. أرجوكم أن تتحاكموا إلى عقولكم وراجعوا ما قلناه، هل تجدونه كذبا، أم هو حق لابد أن يتبع!

فآن لكم أن تكشفوا الأقنعة عن وجوهكم، ولا تدعوا محبة أهل البيت كذبا وزورا، واكشفوا عن حقيقتكم وارفعوا لواء العداوة في وجه أهل البيت! راجعوا عقائدكم واحدة تلو أخرى، وتمعنوا فيها بعين الإنصاف والحياد، وانظروا فيها ثم احكموا هل هي تعني الحب أم البغضاء والكره والعداوة لأهل بيت الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم، فإن أملى عليكم تعصبكم الممقوت بأنها تعني الحب، فاسألوا أنفسكم: هل يليق بمقام الأئمة وأهل البيت أن يطعنوا بمثل هذه القبائح وهذه المعاني الشنيعة التي تخلو من الغيرة والحياء! ـ نستغفر الله من كل ذلك ونتوب إليه، ونتبرأ ممن يطعن في الأئمة بمثل هذه القبائح ـ.

يا "جامي" أنى لك الطهارة .... وكل هذه النجاسة على لباسك![1]

الآن وقد اتضحت صورة قصة سيدنا لوط وانتفى عنها وجه استدلال القوم، أتطرق إلى قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام، فقد قال بعض علماء الشيعة بأن أحد الملوك جلب السيدة سارة زوجة سيدنا إبراهيم إلى نفسه، ولم يكن لسيدنا إبراهيم إلا أن يلتجئ إلى الصبر و الدعاء.

---

(١) جامى چه لاف ميزنى از پاک دامنى بر خرقه تو اين همه داغ شراب چيست

فلنقرأ معا ما ذكره صاحب "السيف الصارم" في هذا الباب، فقد قال:« ... أرى أن أشير بالاختصار إلى ما ذكره صاحب "التفسير العزيزي" في هذا الباب ليتعظ أتباعه ومريديه، ومن أراد التوسع يمكنه الرجوع إلى التفسير المذكور: كانت سارة زوجة إبراهيم عليه السلام امرأة في غاية الجمال. هربت مع زوجها إبراهيم من ظلم الأشقياء وجبروتهم وبدأوا يقطعون الصحاري صوب مصر، وكان يومذاك على مصر ملك جبار، وكان من عادته إذا وجد امرأة جميلة قتل زوجها وسجن إخوانها واغتصبها. فلما وصلت سارة وزوجها إلى مصر، ابتليت بهذا الملك الظالم، فقد أخذ جنود الملك الظالم إبراهيم وزوجه وسألوه: من تكون لك هذه المرأة؟ فقال سيدنا إبراهيم: هي أختي. وكان ينوي من قوله ذلك أنها أختي في الدين، وأختي في الإنسانية فكلنا من أولاد آدم عليه السلام ـ وللمنصف أن يدرك من هنا أن التقية من شعار الأنبياء، فقد أخذ بها سيدنا إبراهيم لما شعر بالإحراج والاضطرار ، والأوصياء يقتدون بالأنبياء والمؤمنون يقتدون بالأوصياء. ولو كان للقوم شيء من الحياء لفكروا فيما كتبه شيخهم وسيدهم "عزيز"! ـ فترك الجنود سيدنا إبراهيم وحملوا السيدة سارة بقوة السلاح إلى الملك الظالم. لم يكن لإبراهيم في هذا المقام حول ولا قوة فلجأ إلى الصلاة وبالغ في التضرع والدعاء. أخذت سيدتنا سارة إلى الملك الشقي، ولما رأى الملك جمالها طار عقله وعشقها وأراد أن يقترب منها، رفعت سيدتنا سارة يديها تدعو على الظالم فشلت يديه. الخلاصة: أنه أظهر الندامة فدعت سارة له فشفي، ثم تكرر المشهد ثلاث مرات، وأخيرا اضطر الملك أن يتركها ووهب لها "هاجر"».

أرى من الواجب، أن أقدم شكري الجزيل للمؤلف الذي تجشم بذكر هذه القصة في هذا المقام، فقد كفانا تعب البحث عنها أو نقلها، فقد ذكر شيئا أثبت به ما نريد، وقد أبطل بها أدلته ومذهبه من حيث لا يشعر. فالقصة حجة عليه كما هي حجة لنا، ولا أدري كيف عجز عقله

عن أن يدرك هذا المعنى؟!

خلاصة الحكاية: أن جنود الملك الظالم أسروا السيدة سارة زوجة نبي الله إبراهيم عليه السلام، وحملوها إلى ملكهم الذي أراد بها شرا، فلما رأى إبراهيم الموقف التجأ إلى الله عز وجل بالدعاء والتضرع بين يديه، فقبل الله دعاءه وسلب القوة من أيدي الملك وعصم عرض السيدة الطاهرة، بل وقد أرى الملك الظالم معجزات صغرت أمامها نفسه ولم يجد إلا أن يقدم لسارة أمة لتخدمها تكفيرا لما صنع.

والآن، هل يمكن أن نقارن بين هذه القصة وبين قصة سيدتنا أم كلثوم، وهل نجد بينهما وجه شبه ولو ضئيل؟!

فلو كانت الحكاية مع سيدتنا أم كلثوم على نفس الشاكلة وأن عمر حملها إلى بيته جبرا وإكراها فكان لسيدنا علي أن يبالغ في الدعاء عليه ليشل الله أيدي عمر وليريه من آياته ومعجزاته ما تملأ قلبه خوفا ورهبة، فيرجع أم كلثوم إلى بيت أبيها معززا مكرما سالما غانما دون أن يمسها بسوء. بل ويهب لها أمة اعترافا بمقامها وتكفيرا لذنوبه. فلو حدث ذلك لكانت هذه القصة صورة من قصة سيدنا إبراهيم بتفاصيلها وفحواها.

لكن الحكاية ـ كما يزعم الشيعة ـ على خلاف ذلك تماما، فعمر نكح أم كلثوم إكراها وحملها إلى بيته وظلت المعصومة عنده ثماني أو عشر سنوات، وقد رزق منها بولد وبنت، وبقيت السيدة أم كلثوم تعيش راضية مختارة سعيدة في بيت عمر إلى آخر أيامه. ولما توفاه الله تزوجت من ولد عمها جعفر الطيار.

أولا تتعجب أيها الرجل من أن الله عز وجل ينجي السيدة سارة من الملك الظالم ويحفظ عرضها بمعجزات تملأ قلب الملك الجابر خوفا ودهشة وتشلل يديه، في حين أن بحر غضب الجبار يظل هادئا وقهره وجلاله يبقى صامتا، وهو يرى منافقا مرتدا يغتصب السيدة أم كلثوم

بنت فاطمة بنت رسول الله وحبيبه ومصطفاه؟! فلا معجزة تتجلى ولا أيادي تشل، ولا يحفظ عرض حفيدة رسول الله ومجتباه وخليله. أو لا يدل ذلك على أن رب الشيعة وإلههم خاف من عمر فلم يحرك ساكنا وظل صامتا، أو أنه صبر كوصي رسوله وذلك لأن عامة الناس وأدناهم لا يستطيع الصبر في مثل هذه المواقف ويفدي عرضه بروحه ودمه، لكن مقام الإمام والوصي أرفع من هذا بكثير، فـ"رب القوم" صبر على هذا الموقف صبر أئمتهم! ـ نعوذ بالله من هفواتهم(شطحاتهم) ومن سوء اعتقاداتهم ـ.

وبقيت في القصة شبهة جاهلة أخرى قد تثيرها العقول الهشة، فأرى أن أشير إليها وأوضحها هنا قبل أن يحتج بها القوم وهي: فقد ثبت في كتب التاريخ والسير أنه لما قبض الملك الظالم على السيدة سارة زوجة نبي الله إبراهيم، دعا خليل الله ربه وتضرع بين يديه، فكان أن أظهر الله تلك المعجزة التي شلت أيدي السلطان الجائر. لكن سيدنا علي المرتضى لم يدع بعد ذهاب ابنته ليقبل الله دعاءه، فتظهر المعجزات! فقد صح أن سيدنا علي المرتضى لم يدع وكذلك صح أن سيدنا الأمير سكت على اغتصاب ابنته، فماذا يصنع الله عز وجل؟ فهو لا ينزل غضبه من غير دعاء أو سؤال!

لكن، يا ترى! ماذا كان يمنع سيدنا الأمير من أن يدعو؟ لماذا سكت على هذه الجريمة النكراء؟ وإذا كان يخاف القوم ويخشاهم على نفسه، فلم لم يغلق أبواب بيته على نفسه في ظلمة الليل ولم يرفع يديه بين يدي ربه ليدعوه والناس نيام؟! فإن سكت على الموقف الصعب اضطرارا وخوفا، ما الذي منعه من البوح بما في صدره في دعاء في ظلمة الليل البهيم وليس بينه وبين الله حجاب؟! فهل كان يخاف من ظل عمر وخياله. وهل كان يتصور أن خيال عمر يعسعس في الليل ويطير بين القلوب ليرى ماذا في قلوب الناس، وما يجري في صدورهم! فلو وجد الأمير يدعو عليه لآذاه ولعذبه ولحدث له ما كان يحذر منه، أي؛ القتل!

لكن هذه الأسطورة تتلاشى أمام الحقيقة المرة؛ فالدعاء لا يتطلب صوتا مسموعا ولا شفاها متحركة وكان يكفي لسيدنا علي أن يطرق أبواب السماء بدعاء في خلجات صدره وقلبه لا يسمعه إلا الله سبحانه وتعالى، فإنه يعلم ما في الصدور وأخفى.

فيا ترى! إذا جاريناكم في ترهاتكم وقلنا بأن سيدنا علي المرتضى، أسد الله وفاتح خيبر هاب عمر فسكت، ولم يتكلم خوفا على نفسه، ثم إنه لم يدع مخافة أن يسمعه عمر، فيا ليت شعري ، كيف نجاريكم على أنه لم يدع في خلجات صدره في الليل البهيم خلف الأبواب المغلقة؟ هذا لا يستطيع عاقل أن يتصوره. ويا ليت أحد الشيعة يتكرم علينا فيوضح لنا الأمر!

وإذا يقول أحد علماء القوم: ما الحاجة إلى الدعاء بعد أن تم النكاح؟! معاذ الله ثم معاذ الله، لم يكن عمر زانيا أو فاسقا حتى يشعر سيدنا علي بإحراج من هذا النكاح.

وهذا ما نقوله. لكن ماذا ستصنعون بحديث:" أول فرج غصبت منا"، وكيف عسى أن تمسحوا العار من تلك المئات بل الآلاف من الصفحات التي سودتموها وأنتم توجهون هذا الزواج يمينا وشمالا وتلتمسون له الأعذار والأدلة. فإذا قلتم بأن سيدنا عمر رضي الله عنه كان يحب سيدنا عليا رضي الله عنه، وكان راضيا منه، وأن سيدنا علي رضي الله عنه كان يحب أخاه عمرا رضي الله عنه وكان راضيا من سيرته، وكان كل منهما يشهد بالإيمان والإخلاص للآخر، وأن هذا الزواج حدث برضى من الطرفين، فقد انتهت المشكلة وليس بيننا خلاف. لكن هذا يعني بطلان المذهب الشيعي، وأن كل هذه العقائد التي نسجت على أوتار من العنكبوت تتلاشى وتتضح الحقيقة كالشمس في رابعة النهار!

فلو وصل الشيعة إلى هذا لا يبقى أمامهم إلا الاعتراف بكذب المذهب وضلاله، ومن ثم تركه إلى الحق المبين والمحجة البيضاء التي ليلها كنهارها، والتي لا يزيغ عنها إلا هالك.

ويا ليت شعري! ما جدوى ما صنعه علماء القوم من أن سودوا آلاف الصفحات يحرفون

الكلم عن مواضعه ويؤولون النصوص والروايات التي رووها هم بأنفسهم عن هذا الزواج إلا أن يطمسوا الحقيقة ويصوروا النور ظلاما، فمنهم من قال بأن الزواج تم خوفا من القتل، والآخر زعم بأنه صورة من الصبر يعجز عنها البشر، ومنهم من شبه الحكاية بما جرى لسيدنا لوط، ومنهم من مثل لها بحكاية سيدتنا سارة وسيدنا إبراهيم مع الملك الظالم، ومنهم من زعم أن جنية تمثلت دور سيدتنا أم كلثوم كل تلك السنوات. فكل قد أدلى بدلوه وسود آلافا من الصفحات ليقعد رأيه على الكرسي وليقدم مئات الأعذار والأدلة ليثبت جواز هذا النكاح وليشبهه بأكل لحم الميتة في حالة الضرورة الشرعية[1].

فيا ترى، لم كانت كل هذه المحاولات؟ إنها جاءت لتحول بين القول بالكفاءة في هذا الزواج وأنه كان يليق لسيدتنا أم كلثوم أن تتزوج من سيدنا عمر رضي الله عنه، ولتحول بين القول برضا سيدنا علي رضي الله عنه من هذا النكاح. فقد جاءت كل هذه المحاولات الفاشلة لإنكار فضيلة سيدنا عمر وقد أدى ذلك إلى كل تلك التحريفات والتأويلات التي اتهموا بها أهل البيت بأشنع الأوصاف وأقبح الصفات. ولعل لسان حالهم كان يقول: لا نرضى لعمر بمنقبة ولا فضيلة ولا نقبله أبدا وإن أدى ذلك إلى شتم أهل البيت والطعن في أعراض بناتهم الطاهرات وإلى اتهام الأولياء والأوصياء بأقبح الصفات. فنقبل كل هذه المساوئ ونرضى بكل هذه الدناءة لكننا نرفض أن نسلم لعمر بأية فضيلة أو منقبة!

التأويل الثاني: الوصية[2]...

---

(١) وهذا ما قاله صاحب "النزهة الإثنا عشرية" إذ زعم بأن : « الزواج في مقام الضرورة والاضطرار رخصة، كجواز أكل الميتة في حالة المخمصة والاضطرار».

(٢) وهاك نص هذه الوصية وهذا العهد الذي ذكر في حديث لأصول الكافي في الصفحة/ ١٧٣، من الطباعة الهندية بلكهنو:« فكان فيما اشترط عليه النبي بأمر جبريل عليه السلام فيما أمر الله عز وجل أن قال له: يا علي!

تفي بما فيها من موالاة من والى الله ورسوله والبراءة والعداوة لمن عادى الله ورسوله، والبراءة منهم على الصبر منك على كظم الغيظ وعلى ذهاب حقك وغصب خمسك وانهاك حرمتك. فقال: نعم»!

ثم ورد بعد أسطر: « قلت: نعم، قبلت ورضيت، وإن انتهكت الحرمة وعطلت السنن ومزق الكتاب وهدمت الكعبة وخضب لحيتي من رأسي بدم عبيط صابرا محتسبا أبدا حتى أقدم عليك».

لكن الشيعة يوم أن وضعوا هذا الكذب على لسان سيدنا أمير المؤمنين لم يكونوا يدركون حجم ما سيجنونه على أنفسهم من المشاكل، فهم بهذا الكذب قد حفروا بئرا لأنفسهم وأوقعوا أنفسهم في مهالك لا يستطيع أن يخرجهم عنها حتى الإمام الغائب! فمن تلك المهالك:

الأول:

يطرح سؤال نفسه: هل كانت سيدتنا فاطمة الزهراء على جهل بهذه الوصية أو العهد الذي أخذه الرسول صلى الله عليه وسلم على علي رضي الله عنه أم أنها كانت تعلم ذلك، لكنها مع ذلك كانت تحاول أن تجبر عليا على العمل خلاف وصية الرسول صلى الله عليه وسلم!

(يتبين لنا من حديث الوصية الذي ورد في الصفحة/ ١٤٣ من "أصول الكافي" أن سيدتنا فاطمة كانت على علم بهذه العبارة أو الوصية. فقد جاء بعدها:« ثم دعا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وأعلمهم مثل ما أعلم أمير المؤمنين عليه السلام. فقالوا له: مثل قوله». إذن فقد أمرت فاطمة رضي الله عنها كذلك بهذه الوصية. وأنها قد خالفت الوصية عندما حاربت عمر وأخذت بتلابيبه. كما ورد ذلك في أصول الكافي!)

فقد وردت في أحاديث الشيعة أنه لما كثرت المظالم على سيدتنا فاطمة الزهراء من قبل الخلفاء وضاقت عليها الأرض بما رحبت، جاءت ثائرة إلى زوجها تصرخ في وجهه متجاهلة كل الآداب الزوجية والاحترام، فخاطبت زوجها بكلمات تفيض زجرا وتوبيخا وبعبارات لا يمكن أن تسمع مثلها في بيوت الشرفاء والأكارم. ففي صفحة / ٥٩ من كتاب "الاحتجاج" للطبرسي ـ المطبوع في إيران ـ جاء:« قالت لأمير المؤمنين عليه السلام: يا ابن أبي طالب اشتملت شملة الجنين وقعدت حجرة الظنين».

يقول العلامة المجلسي في شرح هذه الرواية في الصفحة / ٢٣٣ من كتاب "حق اليقين" ـ المطبوع في إيران ـ :« خاطبت سيد الأوصياء بعبارات شديدة مثل قولها: فقد جلست كالجنين وراء الخدور وآويت إلى بيتك كالخونة، وأنت الذي كنت تهلك شجعان الدهر وتغلبهم».

اتضح للجميع بطلان ما قالوه من حكاية الصبر، وآن أن نتطرق إلى تأويلهم الثاني والرد عليه.

لما وجد علماء الشيعة أن ما قالوه عن الصبر وما أولوا به القصة إلى الصبر لا يثبت وأن الصبر لا يمكن أن يكون عذرا أو دليلا في مثل هذه المواقف الحرجة، بحثوا عن تأويل آخر يغطون تلك السوءة المكشوفة التي قد تزلزل عقائدهم وتثير الشبهات على أصول مذهبهم، واستطاعوا أخيرا أن يتصنعوا شيئا آخر اشتهر بقضية "الوصية".

فقد زعموا بأن سيد الكونين وإمام المرسلين صلى الله عليه وسلم أوصى وصيه وإمام أمته ألا يحرك ساكنا وأن يصبر وأن يتحمل من خلفاء الزور كل ظلم وزور يصدر منهم، وأنه صلى

الثاني:

وردت كلمة الصبر في الوصية مطلقا ولم تقيد لا بالزمان ولا بالأشخاص، بل عاهد سيدنا علي رضي الله عنه عهدا واضحا صريحا أنني سأصبر حتى الموت! إذن قتاله لسيدنا طلحة والزبير وأم المؤمنين في واقعة الجمل ولسيدنا معاوية في واقعة الصفين كان خلافا للوصية ومعصية كبرى ارتكبه سيدنا علي رضي الله عنه حسب ما يزعم القوم!

الثالث:

لو قلنا بصحة هذه القصة الموضوعة للزمنا أن نطعن في الرسول صلى الله عليه وسلم ، ونقول: لماذا أوصى بهذه الوصية الهشة دون أن يكون لها أي داع، تلك الوصية التي تسمح بتخريب دين الله وتحريف كتاب الله وهدم بيت الله. ويدعو عليا في كل ذلك بالصمت وعدم الحركة!

فهذه وصية لا قيمة لها ولا ينبغي أن تكون، ولا يمكن أن تجد لها مثيلا في شريعتنا هذه، ولا في أية شريعة سماوية!

الرابع:

حدث أن خالف علي رضي الله عنه هذه الوصية المزعومة في أيام الخلفاء الثلاثة مرارا. وقد ذكرنا في ذلك بعض ما رواه الشيعة في كتبهم.

الله عليه وسلم قد أخبر سيدنا عليا رضي الله عنه عن كل الوقائع التي ستحدث له بالتفصيل وأوصاه عن كل منها بالصبر. فكيف كان يمكن للوصي أن يعارض وصية النبي صلى الله عليه وسلم وألا يصبر كما أمر؟!

شرح القاضي نور الله الشوستري هذا المعنى في كتابه "المصائب" وإليك نص ما قاله كما ذكره صاحب "إزالة الغين":« فقد قال بعض الجهال منهم: لماذا سلم علي ـ رضي الله عنه ـ بهذا الزواج من هذا الرجل الذي قلتم فيه ما قلتم؟! نقول لهم: هذا هو عين الجهالة والحمق. وأصل القصة هو أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد أوصى عليا عند وفاته بكل ما كان يحتاج إليه وأخبره بكل ما سوف يحدث له من أمر المستولين واحدا بعد الآخر. فسأل علي: بم تأمرني يا رسول الله! فقال الرسول: اصبر حتى يرجع الناس إليك طوعا عند ذلك قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، ولا تنازع أحدا من الثلاثة ـ أي: الخلفاء الثلاثة ـ لئلا تلقي بنفسك في التهلكة فيرجع الناس من النفاق إلى الشقاق. إذن فقد كان علي عليه السلام يحفظ وصية الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويعمل بها ليحفظ بها الدين فلا يعود الناس إلى جاهليتهم الأولى. ولما خطب عمر أم كلثوم منه فكر علي في نفسه وقال: إذا رفضت وامتنعتها عنه فسيسعى في قتلي، وإذا أراد قتلي ودافعت عن نفسي فقد عصيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخالفت وصيته ويدخل في الدين ما كان قد حذرني منها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ. فوجد أن أخف الضررين هو أن يسلم ابنته فينجو من القتل ومن مخالفة وصية الرسول صلى الله عليه وسلم، ففوض أمرها لله وكان يعلم أن ما غصبه عمر من أموال المسلمين وما ارتكبه من إنكار الحق والجلوس مكان الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن تغيير الأحكام السماوية ومن تبديل الفرائض الربانية كما سبق أن بينا، أعظم عند الله وأقطع وأشنع من اغتصاب هذا الفرج، فسلمها له وصبر كما أمره رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بذلك».

خلاصة هذه الوصية المزعومة هي أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أمر سيدنا عليا رضي الله عنه في وصيته هذه ألا يحرك ساكنا أمام الخلفاء الثلاثة وألا يعارضهم وألا يخالفهم، فليرتكبوا ما يحلوا لهم من الظلم والفسق، وليغتصبوا ما يحلوا لهم من الأموال والأعراض، فلا تحرك رأسا ولا تنطق ببنت شفة أمام طغيانهم وظلمهم. وهذا كان السبب في أن سيدنا عليا لم يتكلم في قضية الإمامة والخلافة وسكت عنها تماما. ولا يخفى على أحد صور الفساد التي نتجت عن خلافة عمر. وإن اغتصاب الخلافة والتصرف في أموال المسلمين وإبعاد سيدنا أمير المؤمنين عن منصب خلافة الرسول صلى الله عليه وسلم والجلوس على كرسي الخلافة مكانه أشنع وأقبح عند الله من اغتصاب فرج أم كلثوم! فما الغرابة إذن في أن يصبر سيدنا علي على اغتصاب فرج ابنته أم كلثوم. وهو قد صبر على أعظم وأقبح وأشنع منه عملا بوصية الرسول صلى الله عليه وسلم يوم أن اغتصبت الخلافة منه وجلس أناس مقام الرسول صلى الله عليه وسلم ظلما وزورا؟!

وقد أطال القاضي نور الله الشوستري لسانه بكل لطف ولين فدس السم في العسل في كتابه "مصائب النواصب" إلى أن وصل إلى درجة أن مزق ستائر الحياء والغيرة كلها وكشف عن حقيقته وجوهره وزعم أن ما فعله عمر من اغتصاب الخلافة والجلوس على مسند الرسول صلى الله عليه وسلم أشنع وأعظم عند الله من اغتصاب ألف فرج، ما رأيك بفرج واحدة.

وإليك نص ما قاله كما ورد في "إزالة الغين":« إنما زعمه لنفسه من الإمامة ظلما وزورا وتعديا. ومن مخالفته أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم من دفع الإمام المنصوص عليه من قبل الله عز وجل ومن قبل رسوله صلى الله عليه وسلم ، ومن الاستيلاء على أمور المسلمين والحكم على غير ما أنزل الله عز وجل وما أمر به رسوله، أعظم عند الله من اغتصاب ألف فرج مؤمنة، فأين منها فرج واحدة»!

فيا أيها الحيي من المؤمنين، ويا أيها الشيعي الغيور: أ نشدك الله وأذكرك بحياءك وصفائك أن تتمعن في لطافة هذا الكلام الظريف (!) الذي سرده القاضي نور الله الشوستري، وأن تعيد النظر في ألفاظه ومعانيه ليتضح ما طعن به الرجل في الأئمة الأطهار وبناتهم الطيبات، وإلى شناعة ألفاظه في بيان نكاح سيدتنا أم كلثوم بنت فاطمة الزهراء ابنة رسول الله ومصطفاه محمد صلى الله عليه وسلم!!..

سبحان الله! ما أغرب أمرهم! يدعون محبة ابنة الرسول صلى الله عليه وسلم سيدة النساء فاطمة الزهراء، ثم يطعنون في عرض ابنتها ويتهمونها بهذه الشناعة والقبح! فتكاد الأرض تنشق وتكاد السماء ترتعد منها فترمي برق غضبها ورعد زجرها على تلك الأفواه النتنة التي تتفوه بمثل هذه الكلمات الجارحة القبيحة. أولا يدرك هؤلاء مقام تلك الفتاة المعصومة الطاهرة التي تربت في بيت النبوة ولم ير أحد وجهها العفيف الطاهر وهي ابنة فاطمة الزهراء تلك التي تتقدم يوم الحشر فينادي مناد "غضوا أبصاركم" فإن العفيفة الطاهرة ابنة الرسول صلى الله عليه وسلم تمر من هنا. فلا يلتفت إليها أحد. أي: أن الشيعة الإمامية يتلاعبون بعرض فتاة شرف الله أمها ورفع مقامها إلى هذه الدرجة العالية، فيقولون في فلذة كبدها كل هذه القبائح والشتائم التي لا يستطيع اللسان تردادها في حق فتاة من عامة الناس!

أما التشبث بوصية الرسول عليه التحية والثناء فعذر أقبح من الذنب لا يقبله العقل ولا يرتضي به النقل!

أما العقل فيقول بأن الرسول لم يبعث إلا لهداية الناس وإرشادهم، فقد كان عمله أن يجنب الناس من الضلال وأن يخرجهم من الظلمات إلى النور وأن يوصي خلفائه ووزراءه بأن يكملوا مسيرته وأن يسعوا في سبيل كل ما يجنب الناس من الضلال، فكيف للعقل أن يقبل أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أوصى سيدنا أمير المؤمنين بأن يسكت وهو يرى الخلفاء

الثلاثة يغتصبون الخلافة منه، ويضيعون أمر الله ورسوله فيه، ويتصرفون في مال المسلمين على أهوائهم ويحرفون كتاب الله ويبدلون سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويغتصبون بناته، وأن يبقى صامتا أمام كل هذه الفجائع وأن يشعر بالسعادة في نفسه وهر يرى كل ذلك! فهل يستطيع عاقل أن يتصور بأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد نطق بمثل هذا الكلام ـ نعوذ بالله منه ـ؟!..

وانظر إلى التهمة الشنيعة التي وجهت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم!!..

وكذلك ما زعموه في أنه فعل كل ذلك إتباعا لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم: ليبقى الناس على ظاهر الإسلام ولئلا يرتكبوا الكفر والشرك علانية؛ خلاف العقل السليم.

فبالله عليكم! هل يعقل بأن الصحابة الذين تجاوز عددهم مئة ألف إنسان آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم مع الأيام وتربوا في مدرسته وفدوه بأموالهم وأرواحهم ووقفوا صفا واحدا يبذلون له أموالهم ودماءهم في ميادين الجهاد، وقد رأت عيونهم آلاف المعجزات، وقد أنزل الله تعالى في شأنهم وفضلهم عشرات من الآيات البينات تتلى إلى يوم القيامة و... سوف يتركون دينهم إذا رأوا عليا رضي الله عنه يعارض الخلفاء الثلاثة، ويظهرون الكفر ويشركون بالله ويعودون إلى جاهليتهم الأولى قبل نبوة خاتم الأنبياء عليه أفضل التحيات وأتم التسليم؟!

وهل يعقل أن يقوم سيدنا علي رضي الله عنه بالحق ويشهر سيفه أمام الخلفاء الثلاثة دفاعا عن أموال المسلمين وأعراضهم ودمائهم وأن ينادي بحفظ دين الله عز وجل من التحريف والتبديل وإخراج الناس من الظلمات إلى النور فيلبس الناس لامتهم للحرب عليه مكان أن يلتفوا حوله وينادوا بما ينادي، ويساعدوه ويعينوه في دعوته؟! فهل يعقل أن يخرج المسلمون عن بكرة أبيهم على هذه الدعوة، فيرموا دينهم وإسلامهم جانبا ويعودوا إلى عبادة الأصنام؟!

فيا ترى! ما الفائدة من إيمان مثل هذه الجماعة ومن إسلامهم؟ أولا يستوي إسلامهم

وكفرهم؟!

وما جدوى وصية الرسول عليه التحية والثناء لعلي أن يصبر لئلا يكفر هؤلاء القوم، وقد كفروا. فما فائدة وصية تمنع عليا من الأمر بالمعروف حذرا من أن يقع ما قد وقع قبل زمن، فهؤلاء قد تخلوا عن الإيمان والإسلام؟!

وما الفائدة من الحرص على ظاهر إيمان قوم إذا دعاهم سيدنا علي رضي الله عنه للدفاع عن حوزة الإسلام بالوقوف أمام خلفاء ظلمة جبارين اغتصبوا الخلافة وسرقوا أموال الناس وغيروا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرفوا كتاب الله واغتصبوا حفيدة المصطفى صلى الله عليه وسلم، لا يساندونه فحسب بل ينكرون رسالة المصطفى صلى الله عليه وسلم؟!

هل يرضى العقل بأن يتحمل سيدنا الأمير رضي الله عنه كل هذا الظلم والفسق والفجور والتحريف في دين الله واغتصاب أعراض المسلمات حفاظا على ظاهر إسلام هؤلاء القوم!

وماذا جنت وصية الرسول بالصبر أمام أناس بهذه الشراسة والكفر والنفاق؟! ولم هذا التأكيد منه صلى الله عليه وسلم لوصيّه على الصبر؟!

يا أيها السادة!

ليس الأمر هينا ليقف عند كلمات رخيصة تتفوهون بها :"أول فرج غصبت منا"، راجعوا أنفسكم وعقولكم قليلا.

تصور معي عبدا أو خادما أو موظفا بسيطا عمل عند سيده أياما وقد أكل على مائدته وشرب من فضل كرمه، ثم بعد أن مات سيده رأى رجلا يغتصب ماله أو يتعرض لعرض بنت من بنات أسرته، فماذا عساه يصنع؟ هل يستطيع هذا الخادم أن يصبر أمام ما يرى أم أنه يفدي مشاعر سيده الميت بروحه عرفانا لما صنعه في حقه.

فيا ترى! أ لم يكن في أربع مئة ألف صحابي رجل واحد يملك غيرة هذا العبد ليقف

بجوار علي رضي الله عنه، وليدافع عن عرض أسرة الرسول صلى الله عليه وسلم وعفتها وعصمتها؟! أترك أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وقل فيهم أنهم قد ارتدوا جميعا (!) أو لم يكن في بني هاشم رجل رشيد واحد ليقوم بجوار علي وليقطع تلك اليد المنافقة التي كانت تريد أن تهتك أعراض بناتهم؟!

ولعل السادة الشيعة يقولون بأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أوصى هؤلاء الناس كلهم بالصبر وقال لهم من شاء أن يظلم فليظلم، ومن شاء أن يغتصب بناتكم فليفعل، ومن شاء أن يصنع ما يحلوا له فليصنع، أما أنتم فلا تحركوا ساكنا. فنسأل القوم: فلماذا نسي القوم هذه الوصية في حروب الشام والصفين؟ ولماذا أريقت دماء آلاف الناس فذهبوا هدرا؟!

ولعلهم يقولون بأن الوصية كانت موقوتة بزمن الخلفاء الثلاثة ألا يقاتلوهم وانتهى مفعولها مع عهد "معاوية"، فلهم أن يقاتلوه.

استدراك وتعليق مناسب!..

فيا ترى! أ كانت هذه وصية أم تأليفا بدأ ينضج مع الأيام، فكلما حدث شيء أضيف إليها ملاحظة وتعليق يناسبها. وهل كان لهذه الوصية أي سبب أو وجه، إذا كان الداعي إليها ألا تراق الدماء وتذهب النفوس هدرا فقد حدث ذلك في الحرب مع "معاوية" إذ أريق دماء آلاف من الناس! وإذا كان السبب: الخوف من ألا يساند الصحابة عليا رضي الله عنه في موقفه فيذهب روحه هدرا ويقتل وحيدا شريدا، فقد اتضح كذب ذلك في الحرب مع معاوية إذ وقف بجواره المهاجرون والأنصار وأهل الحل والعقد وكبار علماء الدين، وقد استشهد آلاف منهم في ركابه، فهل يعقل أن من سانده فيما بعد كان يخذله قبل ذلك لو قام، وأنهم كما قاتلوا معاوية ما كانوا يقاتلون الخلفاء الثلاثة قبله؟!

فقد اتضح جليا أن هذه الوصية مصنوعة وهي افتراء على الرسول عليه التحية والثناء.

ولو كنت تشك في ذلك سنثبت لك ما ادعيناه من خلال النصوص الثابتة لدى القوم.

ما عدا ما سردناه من الأدلة العقلية التي تبوح بحقيقة هذه الوصية وتكشف زيفها فأية نظرة فاحصة في أحاديث الشيعة وأخبارها ورواياتها تثبت بطلان هذه الوصية المزعومة. وذلك لأن الوصية تأمر سيدنا عليا بالصبر أيام الخلفاء الثلاثة وألا يفتح فاه أمام أي ظلم أو زور أو فسق يصدر من هؤلاء. فإن راجعنا سيرة سيدنا علي رضي الله عنه في هذه الفترة ووجدناها كما زعم القوم بأنه بقي طوال هذه الفترة صابرا محتسبا لا يعارض أي حكم منهم ولا يخالفهم في شيء، لا شك أننا لابد أن نسلم بإمكان وجود مثل هذه الوصية، لكن إذا ثبت لنا أن سيدنا علي رضي الله عنه احترم مكانته وهيبته وأنه عامل الخلفاء الثلاثة بشدة، وأنه عارضهم وخوفهم وهددهم، وحتى أبدى استعداده لقتلهم، فكيف يمكننا أن نصدق وجود هذه الوصية؟! وذلك لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لو وصى عليا بمثل ما زعمتم لأمتثل سيدنا علي بالأمر ولم يخالفه أبدا، لكن إذا وجدناه يعارضهم في أمور بسيطة جدا ويستعد لقتلهم وقتالهم ولو ذهب رأسه، أي؛ يعارض قول النبي صلى الله عليه وسلم ووصيته في أمور هينة بسيطة، ثم نقول بأنه صبر في الأمور الهامة الكبيرة كاغتصاب ابنته أم كلثوم عملا بالوصية، فهذا كلام يعارض بعضه بعضا، ولا يمكن أن يقبله عقل سليم. إلا إذا كانت عقول الشيعة ترتضيه فلست أدري!

والآن أنقل مجموعة من الأحاديث الصحيحة والأخبار الموثوقة من الكتب المعتبرة لدى الشيعة لأثبت أن عليا رضي الله عنه كان يعارض الخلفاء في كثير مما يصنعونه، بل ويستعد لقتالهم.

الرواية الأولى:

« فقد روى صاحب "كشف الغمة" عن محمد بن خالد الضبي أنه قال: سأل عمر بن

الخطاب في إحدى خطبه الناس: إذا أردت يوما أن أزيغكم عن المعلومات الدينية والمعتقدات اليقينية، وعن الأحكام الشرعية المحمدية وآمركم بأن ترجعوا عن عقائدكم الجديدة إلى ما كنتم عليه في الجاهلية، ماذا ستفعلون بي؟ هل تتبعونني فيما أمرتكم به أم تعارضونني وتخالفونني؟ سكت الناس كلهم ولم يردوا عليه. فكرر عمر كلامه وأعاد سؤاله. ولم يسمع جوابا. فأعاد كلامه ثالثا، وأعاد سؤاله. فقام صاحب الولاية ـ رضي الله عنه ـ وقال: إذا رأينا ذلك منك، ووجدناك قد انحرفت عن دين المصطفى صلى الله عليه وسلم طلبنا من ينوب عنك، وإذا تبت قبلنا توبتك، وإذا لم تتب ضربنا عنقك. فلما سمع عمر هذا الكلام من سيد الأولياء قال: وفي ديننا رجال إذا انحرفنا عن الطريق أقامونا على الصراط المستقيم، وأثبتونا عليه». انتهى بلفظه.

فيا ترى! إذا كان سيدنا علي رضي الله عنه يرد على عمر بمثل هذا الكلام الشديد لمجرد أن استفسر عن أمر مكروه، وأبدى له استعداده التام في أن يضرب عنقه، إذا حدثته نفسه بذلك، فلو عمل عمر ذلك بأن حاول في هدم الدين وتغيير الأحكام الشرعية المحمدية، فماذا سوف يكون موقف علي رضي الله عنه، أو لا يفي بما هدد به عمر؟! فلا شك أنه سيشهر سيفه ويضرب به عنق عمر!

ولكن لماذا لم يسل علي نفس السيف ولم يضرب به نفس الرجل الذي اغتصب ابنته نهارا جهارا. فأين ذهبت تلك المعارضة والشجاعة التي وجدناها في هذه الرواية؟!..

الرواية الثانية:

أورد العلامة ملا باقر المجلسي في كتابه "حياة القلوب"[1] حديثا طويلا يثبت أن عمر

---

(١) حياة القلوب، لملا باقر المجلسي، ج/ ٢، ص/ ٣٤٧. ط/ لكنهو. وفي الترجمة الأردية من "حياة القلوب"، ج/ ٢، ص/ ٥٦٣.

الفاروق كان يخاف سيدنا عليا رضي الله عنه ويهابه إلى درجة أنه كان يفقد وعيه ولا يكاد يتمالك نفسه لمجرد رؤيته، وهاك نص الرواية: « عن علي بن إبراهيم عن أبي واثلة أنه قال: خرجت يوما مع عمر بن الخطاب في طريق، فرأيته توقف مضطربا يرتجف و يخرج من صدره صوت كصوت من غلبه الخوف الشديد. قلت: ماذا أصابك يا عمر؟ فقال: ألا ترى أسد الشجعان ومعدن الكرم والبطولة، قاتل الطغاة والبغاة، صاحب السيف البتار والتدبير الجبار، فلما نظرت فإذا بعلي بن أبي طالب. فقلت: يا عمر، هذا علي بن أبي طالب. قال: اقترب مني لأحكي لك غيضا من فيض شجاعته وبطولته وبسالته: اعلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم جمعنا يوم أحد وأخذ منا عهدا ألا نهرب، ومن هرب فقد ضل ضلالا مبينا، ومن استشهد يضمن له الرسول صلى الله عليه وسلم الجنة، فلما اصطفينا هجم علينا مائة من صناديد قريش وأبطالها وكان مع كل واحد منهم مائة فارس أو أكثر. فألقوا الرعب في صدورنا، فهربنا جميعا، ورأيت عليا يومذاك حمل على جيش الكفر كالأسد الهائج الذي يهجم على جيش من النمل، فكان يخوض في قلب العدو ولا تخيفه رماحهم ولا سيوفهم ، ولما رآنا لا نستمع إليه ولا نعود هجم علينا، وكان بيده سيف قوي يمطر موتا، وصرخ فينا: فقد عاهدتم الرسول صلى الله عليه وسلم ونقضتم عهدكم فوالله أنتم أحق بالقتل من هؤلاء الكفار. ولما نظرنا إلى عينيه وجدناهما كمشكاتين امتلأتا وقودا واشعلت فيها النيران، واحمرت وجنتاه من شدة الغضب كقدحين من الدم. فأيقنت أنه سيقتلنا جميعا بحركة واحدة، فاقتربت إليه من دون أصحابي وقلت له: يا أبا الحسن أنشدك الله والرحم ألا تقتلنا، فهذه عادة العرب في الحروب يكرون مرة ويفرون مرة، فكرهم يمسح فرهم. وكأنه استحيا مني ورفع سيفه عنا، وهجم على الكفار وحده. من ذلك اليوم سيطر علي رعبه ووحشته، فكلما أراه أرتجف خوفا و وجلا».

فيا قوم، أين العقول؟! ... هل من يخاف سيدنا عليا رضي الله عنه مثل هذا الخوف الذي

يفقده توازنه ولا يكاد يتمالك نفسه لمجرد رؤيته ولا يقدر على الوقوف على أقدامه يستطيع أن يغتصب ابنة علي رضي الله عنه ويهدده ويخوفه. حاشا وكلا[١].

الرواية الثالثة:

يقول المجتهد الشيعي الأعظم مولوي دلدار علي في "عماد الإسلام":« فقد ورد في كتب الإمامية أن الله عزو جل أمر رسوله بأن يسد جميع الأبواب التي تفتح في المسجد النبوي إلا باب علي. وبعد أيام طلب العباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم من النبي أن يدعو الله بأن يسمح له أن يفتح باب بيته في المسجد. فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: هذا لا يمكن أبدا. فقال العباس: إذن أدع الله لميزابي. استجيب طلب عباس، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيديه الطاهرتين ميزابا على بيت عباس. وظل هذا الميزاب إلى ثلاث سنوات في عهد عمر. إلى أن سقط منه الماء على ملابس عمر فأمر أن يقلع ذلك الميزاب. وقال في غضب وغيظ شديد: سأقطع رأس من تحدثه نفسه بأن يعيد هذا الميزاب إلى هذا المكان مرة أخرى. وكان العباس في تلك الأيام يعاني من مرض لا يستطيع الحراك، لكنه تكلف وجاء متكئا على أولاده إلى سيدنا أمير المؤمنين علي المرتضى رضي الله عنه وصرخ: كانت لي عينان؛ أحدهما رسول الله صلى الله عليه وسلم والأخرى أنت، وقد انتقلت إحدى عيني إلى الرفيق الأعلى ولم تبق منها

---

(١) اسمع إلى حكاية أعجب من هذه، تلك القصة التي أظهر فيها سيدنا علي رضي الله عنه، معجزة عصا سيدنا موسى أمام عمر فخوفه. ففي الصفحة العاشرة من كتاب "الخرائج" ـ المطبوع في إيران ـ تجد: «**عن سلمان الفارسي قال: إن عليا بلغه عن عمر ذكره شيعته فاستقبله في بساتين المدينة وفي يد علي قوس فقال: يا عمر! بلغني عنك ذكرك شيعتي. فقال: اربع على ظلعك. فقال: إنك لها هنا؟ ثم رمى بالقوس على الأرض فإذا ثعبان كالبعير فاغرا فاه وقد أقبل نحو عمر ليبلعه فصاح عمر: الله الله يا أبا الحسن لا عدت بعدها في شيء وجعل يتضرع إليه، فضرب بيده إلى الثعبان فعادت القوس كما كان**».

إلا واحدة. لم أكن أتصور أن يظلمني أحد وأنت حي!! فقال سيدنا علي المرتضى: يا عمي العزيز! عد إلى بيتك وسترى ماذا أصنع. «**ثم نادى: يا قنبر! علي بذي الفقار فتقلده ثم خرج إلى المسجد والناس حوله وقال: يا قنبر! اصعد ورد الميزاب إلى مكانه فصعد قنبر فرده إلى موضعه وقال علي: وحق صاحب هذا القبر والمنبر لئن قلعه قالع لأضربن عنقه وعنق الآمر له بذلك ولأصلبنهما في الشمس حتى ينفد. فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فنهض ودخل المسجد ونظر إلى الميزاب وهو في موضعه، فقال: لا يغضب أحد أبا الحسن فيما فعله وتكفر عنه عن اليمين فلما كان من الغداة مضى علي بن ابي طالب إلى عمه العباس فقال له: كيف أصبحت يا عم؟ قال: بأفضل النعم ما دمت لي يا ابن اخي. فقال له: يا عم! طب نفسا وقر عينا فوالله لو خاصمني أهل الأرض في الميزاب لخصمتهم ثم لقتلتهم بحول الله وقوته ولا ينالك ضيم ولا غيم. فقام العباس فقبل بين عينيه وقال: يا ابن اخي! ما خاب من أنت ناصره. فكان هذا فعل عمر بالعباس عم رسول الله وقد قال في غير موطن وصية منه في عمه: إن عمي العباس بقية الآباء والأجداد فاحفظوني فيه، كل في كنفي وأنا في كنف عمي العباس، فمن آذاه فقد آذاني ومن عاداه فقد عاداني، فسلمه سلمي وحربه حربي. وقد آذاه عمر في ثلاث مواطن ظاهرة غير خفية منها؛ قصة الميزاب ولولا خوفه من علي عليه السلام لم يتركه على حاله**».

وقد علق السيد المجتهد بعد ما ذكر مطاعنَ عديدة في سيدنا عمر رضي الله عنه بأنه لو لم يكن عمر يخاف سيدنا عليا لم يكن يسمح بإعادة الميزاب إلى مكانه!

فيا ترى! إذا كان سيدنا الأمير يثور على مثل هذا الأمر البسيط، هذه الثورة ويغضب هذا الغضب، ويغيظ مثل هذا الغيظ، فينادي قنبر ليحضر سيفه ذوالفقار ثم يقدم إلى المسجد غاضبا وينصب الميزاب، ونحن في السنة الثالثة من خلافة عمر أي أنه كان في عز خلافته وشبابه، فها هو علي لا يخاف منه ولا يهابه، بل يسل سيفه ويبدي استعداده لقتاله وقتله، وأكثر

من هذا يتحدى العالم كله ويستعد لقتال جميع الناس إن خالفوه!

فكيف يمكن أن نصدق الوصية المزعومة التي أمر فيها الرسول صلى الله عليه وسلم عليا بالصبر الصامت! فإن كانت الوصية صحيحة فكيف خالفها وعارضها سيدنا الأمير وتناساها في قصة الميزاب، وشهر سيفه وخرج ثائرا يريد قتال الناس، وإذا لم يكن سيدنا عمر رضي الله عنه يخاف سيدنا عليا رضي الله عنه فكيف بقي صامتا ولم يعارضه فيما صنعه بالميزاب خلافا لأمره؟

ما أعجب أمر الشيعة!

تراهم ينفخون في سيدنا علي رضي الله عنه حينا فيصورونه وكأنه أسد شجاع يثور ويغضب لأدنى شيء ويستعد للقتل والقتال في أخف الأمور وأبسطها، وأحيانا يقلبونه رأسا على عقب فيصورونه رجلا جبانا خائفا وجلا يظل صامتا أمام الأمور الخطيرة والمواقف الصعبة ثم يسمون سكوته بالصبر والشكر!

فيا سادة الشيعة!

اغتصاب سيدة الطاهرات أم كلثوم بنت سيدة نساء العالمين فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أقل عندكم وأحقر شأنا من ميزاب على سقف بيت سيدنا عباس ؟! فهنا غضب وثورة وقتال وعز وهناك صمت وسكوت وذل!

ويا ليتكم جعلتم سيدنا عليا رضي الله عنه يسكت عن ميزاب سيدنا عباس سكوته في حكاية نكاح أم كلثوم، ويا ليتكم جعلتموه يثور ثورته في الميزاب في هذا الموقف، فتظهر هيبته وجلاله وغضبه للعالمين وهو ينادي قنبرا ليحضر "ذوالفقار" ثم جعلتموه يخرج في وجه عمر ويستعد لقطع رقبته. وعند ذلك كنا نقول أن هذه الثورة تليق بمثل هذا المقام!!..

ولست أدري أين يضع علماء الشيعة قضية النكاح، هل يعتبرونها وقعت قبل قصة

الميزاب أم بعدها؟

إذا كان النكاح قد سبق قصة الميزاب فيستبعد القياس أن يأتي عباس بمظلمته إلى علي رضي الله عنهما، وذلك لأن عباسا كان يعرف بأن عليا يخاف عمر ولن يحرك ساكنا، فهو قد تنازل عن عرض ابنته وقدمها لعمر خوفا منه، فأنى لعباس أن يطلب العون منه؟! فهل عباس يرجوا أن يعينه علي رضي الله عنهما في أمر هين كهذا وهو يعرف جيدا أنه قد صبر وسكت عن أمر خطير كعرض ابنته؟!

وإذا كانوا يضعون قصة النكاح بعد قضية الميزاب، فكان ينبغي لسيدنا علي أن يجيب عباسا وقد أتاه ينصحه للتنازل لعمر، الذي يسعى ويفكر في إيذاءه أن يقول له: أو لا تذكر يا عماه ما فعلته يوم الميزاب؟! أو لا تذكر كيف هددت عمر وخوفته، فكيف تريدني أن أتنازل له في أمر خطير كهذا؟ وأنى لمثلي أن يخاف منه. وكان ينبغي أن ينادي قنبر في هذا الوقت ليحضر ذوالفقار مرة أخرى فيخرج إلى عمر ويخوفه بمثل ما خوفه يوم الميزاب. فلو عمل هذا لما تجرأ عمر أن يعود إلى ما نوى ولجبن كما جبن يوم الميزاب!!

فآن للشيعة أن ينظروا إلى هذه الروايات وألا يعيدوا الكلام في الصبر والوصية. فهذه الروايات قد أبطلت ما زعموه من الوصية بطريقة لم يبق لأحد مجالا للنقاش والتفلسف!

التأويل الثالث: التقية!..

وإن كان ما قلناه في مبحثي "الصبر" و"الوصية" يبطل زعم "التقية" كذلك، لكن لتطمئن قلوب القوم أفردنا لهذا التأويل أيضاً مبحثاً مستقلاً.

فقد قال بعض علماء الشيعة بأن سيدنا علي رضي الله عنه كان مأمورا أن يلتزم بـ"التقية". إذن فقد كان معذورا ومضطرا للأخذ بها في قضية النكاح، فهو بسكوته ذلك كان يؤدي واجبا ألزمه الله به وأنه امتثل أمر الله عز وجل ابتغاء أجره وثوابه.

وقد عبر عن هذا المعنى صاحب "النزهة الإثنا عشرية" في رده على "التحفة الإثنا عشرية" حيث قال:« يرى القائلون بالتقية، أن الله عز وجل قد جعل ما يفعل "تقية" مقام الأمر الواجب المأمور به، أي أن العمل به هنا كان امتثالا لأمر الله عز وجل وهذا يقتضي الأجر وابتغاء المثوبة».

وكذلك علق على هذا الموقف سيد مرتضى علم الهدى وابن مطهر الحلي حيث زعما: هذه التقية هنا ليست أعظم مما صنعها الإمام في باب الإمامة. وما ذكرناه عن صاحب "النزهة" هي بعينها نفس العبارة التي رددها صاحب "مصائب النواصب" في اعتراضه الرابع.

خلاصة الكلام: تتضح من روايات القوم واجتهاداتهم أن سيدنا الأمير زوج ابنته من عمر "تقية"، وبما أنه كان مأمورا بالتقية من عند الله عز وجل فهو يستحق بعمله هذا الأجر والمثوبة من الله عز وجل لا الطعن والمحاسبة عليه.

لكننا نرى بأن تأويل "التقية" تأويل باطل لا جدوى له هنا، وذلك لعدة وجوه:

الوجه الأول:

ليست التقية إلا اتهاما وافتراءا افترى به القوم على أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم عنها برآء، فلم يأخذ بالتقية أحد من الأئمة قط، ولا كانوا قد أمروا بها. وهذا الكلام سنثبته في مبحث التقية ـ إن شاء الله.

الوجه الثاني:

لا يظهر لوجوب "التقية" هنا إلا سببان: إما خوف من ذهاب النفس، أو خوف العرض.

إما العرض فقد انتهك بهذا النكاح فلا مجال للقول به هنا، إذ لا خوف على ما ذهب فأين "التقية" هنا.

أما الخوف من ذهاب النفس والقتل فلم يكن لسيدنا الأمير رضي الله عنه أن يأخذ بالتقية فيه! وهذا ما ذهب إليه علماء الشيعة وأقروا به، ترى ذلك فيما كتبه العلامة الكنتوري في "تقليب المكائد": « لا يقول الشيعة أبدا أن سيدنا أمير المؤمنين لم يقاتل أبابكر ولم يعارضه خشية على نفسه من أن يقتل. بل يؤمنون أن سيدنا الأمير لم يترك فريضة ولا واجبا قط خشية الموت أو ذهاب دمه، وإنما كان يأخذ "بالتقية" مخافة أن يهتك عرضه».

الوجه الثالث:

إذا نسلم لهم بأن عليا كان يخاف من أن يقتله عمر فيثور علينا علماء الشيعة ويرفضون ذلك، ويرموننا بتلك الروايات الكثيرة التي ثبتت عندهم من أن أبابكر الصديق وعمر الفاروق ـ رضي الله عنهما ـ قد قصدا مرارا أن يقتلا سيدنا عليا ـ رضي الله عنه ـ لكنه استطاع بشجاعته وبسالته أن يرد كيدهما ويرجع سهامهما في نحورهما.

من تلك الروايات الكثيرة ما رواه ملا باقر المجلسي في "حق اليقين"[1] من أن عليا رضي

---

(١) وإليك نص الرواية كما ذكرها صاحب كتاب "الخرائج" في صفحة / ١٢٣:« إن أبابكر أمر خالد بن الوليد أن يقتل عليا إذا سلم من صلاة الفجر بالناس فأتى خالد وجلس إلى جنب علي ومعه سيفه. ففكر أبوبكر في صلاته في عاقبة ذلك فخطر بباله أن بني هاشم يقتلونني إن قتل علي، فلما فرغ من التشهد التفت إلى خالد قبل أن يسلم وقال: لا تفعل ما أمرتك به، ثم قال: السلام عليكم. فقال علي لخالد: أكنت تريد أن تفعل ذلك؟ قال: نعم. فمد يده إلى عنقه وخنقه بأصبعيه حتى كادت عيناه تسقطان من رأسه فأخذ يناشده بالله أن يتركه وشفع إليه الناس فخلاه ثم كان خالد بعد ذلك يترصد لعلي ويترقب الفرصة والفجاءة ليقتله غرة. فبعث أبوبكر بعد ذلك عسكرا مع خالد إلى موضع فلما خرجوا من المدينة وكان خالد مدججا وحوله شجعان قد أمروا أن يفعلوا كلما يأمرهم خالد فرأى عليا يجيئ من ضيعته منفرداً بلاسلاح، فلما دنى منه وكان في يد خالد عمود من حديد فرفعه ليضرب به على رأس علي فانتزعه علي من يده وجعله في عنقه وفتله كالقلادة فرجع خالد إلى أبي بكر فاحتال القوم في كسره فلم يتهيأ لهم ذلك فلما علموا حاله قالوا: علي هو الذي يخلصه من

ذلك كما جعله في جيده وقد ألان الله له الحديد كما ألانه لداود فشفع أبوبكر إلى علي فأخذ القلادة وفك بعضه من بعض بأصبعه فبهتوا ».

وفي هذه الرواية عجائب تحير العقول، منها؛ أ يعقل أن يؤمر المرء بالقتل بعد السلام (!) أو ليس أفضل المواقع للقتل عندما يكون المرء ساجدا؟!

كيف لم يفكر أبوبكر في عاقبة الأمر عندما قرر وخطط للمؤامرة، حتى اضطر أن يفكر أثناء الصلاة!

ويظهر من هذه الرواية أن أبابكر كان يخاف بني هاشم حتى في أيام خلافته، لكن ما تتفوه بها الروايات الشيعية تزعم غير ذلك، فهم يزعمون أن أبابكر اغتصب الخلافة من علي رضي الله عنه، واغتصب منه "الفدك"، ولم يستطع بنوهاشم أن يرفعوا الطرف أمام أبي بكر!

ما أوردناها من هذه الروايات واللطائف قطرة في بحر لجي من الروايات الشيعية تغشاها مزاعم من فوقها تأويلات وهي في مجملها تجعل قصة اغتصاب عمر لأم كلثوم ابنة علي رضي الله عنه وتهديد عمر لعلي وتخويفه هباءا منثورا.

وكذلك رد السهم في نحور القوم عندما زعموا بأن الاستفادة من المعجزات كانت محرمة على الأئمة، فها هو الإمام قد استغل المعجزات للقضاء على مخالفيه، وبذلك أصبحت قصة "الوصية" المزعومة كذلك هباءا منثورا.

ولم يبق الآن إلا سهم كليل أخير يتشبث به الشيعة وهو زعمهم في أن؛ أحاديث الأئمة صعبة مستعصية على الأفهام لا يدركها. ولا يرتقي إلى فهمها كل الناس!

فقد عقد محمد بن يعقوب الكليني في الصفحة / ٢٥٤ من "أصول الكافي" - المطبوع بلكهنو - بابا بهذا العنوان سماه: باب فيما جاء أن حديثهم صعب مستصعب. وأورد في هذا الموضوع أحاديث عديدة منها:

«**قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن حديث آل محمد صعب مستصعب لايؤمن به إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للايمان، فما ورد عليكم من حديث آل محمد فلانت له قلوبكم وعرفتموه فاقبلوه وما اشمأزت منه قلوبكم وأنكرتموه فردوه إلى الله وإلى الرسول وإلى العالم من آل محمد وإنما الهالك أن يحدث أحدكم بشيئ منه لا يحتمله فيقول: والله ما كان هذا والله ما كان هذا. والانكار هو الكفر**».

وهذا هو السهم الأخير، فقد سيطر عليهم العجز من كل جانب، وبقوا فاغري الأفواه أمام أحاديثهم لا يستطيعون الإجابة على ما فيها، وقد سدت جميع أبواب التأويل والتسويل أمامهم. فبهذه الحربة يمسكون

الله عنه عامل أبابكر وعمر في قضية الفدك معاملة قاسية وخاطبهما بكلام شديد ووقف في وجههما وقفة باسلة، فنادى أبوبكر عمر وقال له: فقد رأيت ما صنعه اليوم علي، إذا عاد مرة أخرى إلى ما فعله اليوم فسيقلب الأمور علينا ويكشف أوراقنا. فقال عمر: أرى أن يقتل علي، وأرى بأن تأمر خالد بن الوليد أن يقتله، واتفقوا أن يتم قتله في صلاة الفجر. فلما حضر علي لصلاة الفجر ووقف آخذا بالتقية وراء أبي بكر ليصلي، وقف خالد مدججا بالسلاح بجواره. ولما جلس أبوبكر للتشهد شعر بالندامة وفكر فيما سوف تسببه خطته هذه من الهرج والمرج والفساد، وقد تذكر كذلك سطوة سيدنا الأمير وشجاعته وبسالته فخاف خوفا شديدا لم يستطع إكمال الصلاة، وبدأ يعيد التشهد مرة بعد أخرى ومن شدة الخوف لم يسلم ونادى خالدا وقال له: لا تفعل ما أمرتك به. وبعد الصلاة سأل علي خالدا: بماذا كان قد أمرك أبوبكر؟ قال خالد: كان قد أمرني بقتلك. ولو لم يمنعني لقتلتك. فغضب الأمير ورفع خالدا وضربه على الأرض. فتحرك عمر وسائر الناس صوبه، عند ذلك ترك سيدنا الأمير خالدا وأمسك بتلابيب عمر وصرخ في وجهه: لو لا وصية الرسول والتقدير الإلهي لكنت ترى اليوم من الضعيف منا؟!

وفي رواية أخرى: رفع سيدنا الأمير خالدا بأصبع واحد وضربه على الأرض ضربة

الجهال من الناس على مذهبهم ويزعمون بأن هذه الأحاديث لا يفهمها كل الناس وإنما هي من أسرار الإمامة، وأسرار الإمامة لا يدركها حتى الملائكة والأنبياء وقد خصص فهمها على ملك مقرب أو نبي مرسل أو مؤمن قد وصل إلى كمال الإيمان!

وهذا ما استمسك به العلامة المجلسي في "حق اليقين" حيث قال:« لا يطلع الناس ولا يدركون غرائب أحوالهم ولا خفايا أسرارهم، ولا يقدر على سماعها إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه فبلغ كمال الإيمان وتنور صدره بنور الإيمان».

ولا شك أن مثل هذه الحيل والهروب من الحقائق هي من سمات المذهب الشيعي لا غير!

فجميع أهل المذاهب والأديان يستحيون من مثل هذه الترهات ويتهربون منها.

كادت تخرج روحه.

وظل خالد ملقيا على الأرض لا يستطيع الحركة وأرجله ترتجف ولسانه لا يستطيع الحراك، وكل من أراد أن يقترب إلى خالد ليساعده كان سيدنا الأمير الشجاع يرمي إليه بنظرة ينجمد في مكانه. وأخيرا حضر عباس وأقسم على سيدنا الأمير أن يترك خالدا وشأنه[١].

يا أيها السادة الشيعة!...

أنظروا إلى هذه الرواية وتمعنوا في شجاعة أسد الله وصي رسوله وإلى بسالته ورجولته وقوته، ثم انظروا نظرة أخرى إلى قضية نكاح أم كلثوم! ثم اسألوا أنفسكم: يا ترى، هل يمكن أن يحدث مثل هذا النكاح دون إذن ورضى من سيدنا الأمير الشجاع؟ فلو لم يكن الأمير راضيا هل كان يستطيع عمر أو أي شخص آخر أن يهدد سيد الشجعان ويخوفه، ثم يسرق ابنته ويذهب بها حيث شاء. وهل كان سيدنا الأمير يبقى صامتا أو أنه كان يرفع عمر بأصبع واحد ويضربه على الأرض ضربة تخرج أمعاءه، وإذا جاء أحد لمساعدته كان سيدنا الأمير يلقي إليه نظرة ينجمد في مكانه ولا يستطيع الحراك من شدة الخوف والوجل ما عاش.

فإذا قبلنا هذه الرواية من العلامة المجلسي فلا يتطرق إلى أذهاننا أبدا أن سيدنا الأمير خاف في قضية زواج أم كلثوم من أعداءه خوفا شديدا فلم يستطع أن يعارضهم، فقبل أن يغتصب ابنته مضطرا.

وإذا لم يطمئن قلبك بهذه الرواية نسرد لك رواية أخرى بسند آخر تصور شجاعة سيد الأسود أمير المؤمنين وبسالته. فقد روى الملا باقر المجلسي في "حق اليقين":« كتب سيدنا أمير المؤمنين بعد أن غصب أبوبكر الفدك رسالة في نهاية الشدة وبأسلوب حاد لأبي بكر وهدده تهديدا بالغا. فلما قرأ أبوبكر الرسالة خاف خوفا شديدا وأراد أن يترك الفدك ويتنازل عن الخلافة من شدة الخوف».

---

(١) هذه خلاصة ما ورد في الروايات المختلفة. وقد ذكرنا لك نص ما جاء في كتاب "الخرائج".

إذا كان سيدنا أبوبكر الصديق رضي الله عنه يخاف من رسالة واحدة أبدى فيها سيدنا علي المرتضى رضي الله عنه غضبه، هذا الخوف الشديد الذي جعله يستعد للتنازل عن الفدك ولترك الخلافة، فيا ترى؛ ماذا منع سيدنا عليا المرتضى رضي الله عنه من أن يكتب رسالة حادة مثل هذه لعمر ويذكره بشجاعته وبطولاته، وبما كان له من السطوة والقوة فيخوفه بها. لكن لم تثبت أية رواية لدى الشيعة أن سيدنا عليا المرتضى رضي الله عنه قد كتب رسالة إلى عمر أو أنه هدده وخوفه، فلو فعل شيئا من ذلك لأتم الحجة علينا، لكننا لا نستطيع أن نفهم سكوت سيدنا الأمير في مثل هذا الموقف الحرج والخطير. ولا نفهم وجها "للتقية" في مثل هذا الأمر العظيم.

أو أن في الأمر من أسرار الإمامة ما نعجز عن إدراكها، ولا غرو فإن أسرار الإمامة يعجز عن إدراكها الناس جميعا ولا يفهمها إلا الملك المقرب أو النبي المرسل أو المؤمن الكامل فقط. كما قال ذلك ملا باقر المجلسي في "حق اليقين":« لا يستطيع الناس أن يدركوا خفايا أسرار الأئمة، بل لا يتحمل الاستماع إليها إلا الملك المقرب أو النبي المرسل أو المؤمن الكامل الذي امتحن الله قلبه ثم نوره بنور الإيمان».

وهنا أتذكر حديثا للإمام محمد الباقر عليه السلام وقد رواه الكليني[1] بسند صحيح أنه قال: للإمام عشرة علامات وذكرها واحدة تلو أخرى، وذكر العلامة التاسعة بأن قال: يخرج رائحة المسك من فضلات الإمام وغائطه، وقد وكل الله الأرض أن تخرج هذه الفضلة ولا تقضي عليها.

ما أعجب أمر الشيعة!..

من جانب يغالون في الأئمة إلى درجة أنهم يعتقدون في فضلتهم بمثل هذا الاعتقاد، فلا يسمحون للأرض أن تبلع فضلاتهم ويقولون بأنها تعطر الجو برائحتها الشجية! ومن جانب آخر يقولون عن فلذة كبد هذا الإمام ونور عينه أنها اغتصبت بيد الغاصبين والإمام صامت

(١) أصول الكافي، ص/ ٢٤٦، ط/ نولكشور لكنهو. والشافي ترجمة الكافي، ج/ ٢، ص/ ٣٩٤.

يتفرج!

وإذا كان الله عز وجل يكرم فضائل الأئمة ولا يعاملها معاملة فضائل الآخرين، فيحفظها من الضياع ويعطر رائحتها لئلا ينزجر الناس عنها، فهل كانت أم كلثوم بنت سيدة النساء وفلذة كبد سيد الأوصياء أقل شأنا عند الله من فلذة الأئمة فلم يحفظها ولم ينجها من براثن الغاصبين لئلا تهتك عرض علي سيد الأوصياء وعرض فاطمة سيدة النساء وأعراض الأئمة الأطهار!!!..

فيا إخوتي!...

استحيوا من أنفسكم وراجعوا ما تتفوهون به، ثم لا تجدون إلا أن تعترفوا بأن عمر كان كفئا لأم كلثوم، وأن كل هذه الافتراءات هي أساطير غزلها علماءكم الأولين.

الدليل الرابع: "الجنية"!!..

لما وجد علماء الشيعة أن تأويلهم في "الصبر" قد فشل ولم يثبت أمام العقول، وأن كذب "الوصية" قد ظهر، و تفسير "التقية" قد انهار، فلم يصلوا من وراء كل ذلك إلى شيء ولم تثبت دعائم المذهب، بل بدأت تنهار واحدة تلو أخرى، وكاد المذهب يذهب أدراج الرياح، فقالوا بأن كل ما ذكرناه كذب لا أساس له وإنما الحقيقة هي أنه لم يحصل في هذا النكاح خلوة ولا معاشرة زوجية ولا جماع. استمع إلى ما قاله صاحب "السيف الصارم":« لم تحدث غاية المناكحة التي هي الاتصال والمباشرة أو الجماع وذلك لأن الشيخ كان عجوزا هرما وأن المعصومة كانت فتاة صغيرة، فسواء باعتبار الظاهر أو باعتبار علم الباطن الذي كان يعرفه سيدنا الولي كانت غاية المناكحة ممتنعة الوجود»!

ثم بعد عدة صفحات يكتب المؤلف المذكور:« فليرجع أهل الإيمان إلى "المواعظ الحسينية" وغيره من الكتب الحقة ليروا بأم أعينهم تلك التصاريح الواضحة التي تقول بأن الجماع لم يحدث أبدا. فقد أثبتت الروايات الصحيحة التي وردت عن طريق أهل البيت الأطهار أن سيد المؤمنين قد تحمل كل هذه المصائب لكن في الحقيقة لم تحدث نكاح حقيقي، لأن غاية

النكاح من الجماع والمقاربة والمواصلة بالمعصومة الطاهرة لم تحدث قط، بل عن طريق الإعجاز بعناية الكريم أحضرت جنية مشكلة بشكل المعصومة أم كلثوم وأرسلت إلى بيت عمر، وأما السيدة المعصومة الطاهرة قد أخفيت عن أنظار الناس إلى أن مات العجوز الهرم. وراجع التصاريح في المبسوطات».

ثم ذكر صاحب "السيف الصارم" عددا من المراجع والكتب ليحرض المشتاقين إلى الرجوع إلى مصادره ليعرفوا إلى ماذا وصل إليهم علماءهم الأجلاء من كشف أسرار الوجود!!

وأرى من الواجب أن أتصفح في تلك المصادر ليعرف القارئ ما كتبه هؤلاء الأعلام من الترهات في هذا الباب، ولئلا يظنوا أن هذه همسات صامتة نفث بها الشيطان في قلب صاحب "السيف الصارم" فقط، وإنما هي عقائد مزورة صنعتها عقول خارقة خرقت الحقيقة واصطنعت مذهبا ما أنزل الله بها من سلطان!

وإليك ما أورده قطب الدين الراوندي مؤلف "خرايج وجرائح" من قول المجتهد الأعظم لدى الشيعة مولوي دلدار علي في المواعظ الحسينة من كتابه: «قال: قلت للإمام الصادق عليه السلام يحتج علينا المخالفون ويقولون: لماذا زوج علي ابنته من الخليفة الثاني؟ وكان الإمام متكئا فجلس وقال: أو يقولون ذلك؟! حقا من يزعم ذلك فهم قوم لا يهتدون سواء السبيل، سبحان الله، ألم تكن لسيدنا أمير المؤمنين قدرة في أن يحول بين الخليفة وبين ابنته؟!.. إنهم يكذبون، فلم يكن الأمر كذلك؛ فقد طلب الخليفة الثاني من أمير المؤمنين ابنته، لكن سيدنا الأمير رفض ذلك، فقال الخليفة لعباس إذا لم تنكح لي ابنة علي فسآخذ منك سقاية الزمزم. فجاء عباس إلى سيدنا الأمير وأخبره بالحكاية. لكن سيدنا الأمير رفض ذلك. ولما أصر عباس على ذلك وألح، استعان سيدنا الأمير بمعجزته وطلب جنية من أهل نجران وكانت يهودية، وأمرها أن تتشكل بصورة أم كلثوم، ثم ستر سيدنا الأمير ابنته أم كلثوم بإعجازه عن أعين الناس. وبقيت الجنية في بيت عمر مدة طويلة إلى أن أدرك عمر يوما من

بعض القرائن أن زوجته ليست أم كلثوم ابنة علي وفاطمة، بل إنها ليست من بني آدم! فقال: لم أر أسحر من بني هاشم، ولما أراد أن يظهر هذا الأمر قتل. فرجعت الجنية إلى بيتها و ظهرت أم كلثوم»!

يا أيها السادة الشيعة!...

اعرفوا لسيدكم وشيخكم قطب الأقطاب حقه ومقامه، واجعلوه قبلتكم وكعبتكم في العلم والعقل، واشكروا له دوما، فقد حل كل مصائبكم بهذه الأسطورة الجميلة التي تصلح أن توضع مقدمة لكتاب "ألف ليلة وليلة"!

فها هو قد رد على كل المآخذ التي يوردها أهل السنة ـ الناصبيون ـ بهذه القصة اللطيفة والأسطورة الخيالية الجميلة!

وها هو قد عصم عرض المعصومة الطاهرة برفضه الجماع، وانكاره المعاشرة والخلوة، وأنه أثبت لسيدنا الأمير قدرة لا يبارى فيها، وإعجازا يحسده فيه الأنبياء، فقد شكل جنية بصورة أم كلثوم!

ما أعظمها من أسطورة!..

ضربت بكل مآخذ الناصبيين وشبهاتهم عرض الحائط، فلا أحد الآن يستطيع أن يطعن في عصمة المعصومة، ولا أحد يستطيع أن يرمي سيدنا الأمير بالعجز، ولا أحد يستطيع أن يثبت للخليفة الثاني فضيلة ولا منقبة، ولا أحد يستطيع أن يشير إلى أعراض أهل البيت بسوء.

لكن يبقى سؤال حيران في الأذهان يثير القلاقل والأحزان...

يا ليت شعري، من بطن من خرج الأولاد الذين نسبوا إلى أم كلثوم بنت علي وعمر الفاروق؟

هل خرجوا من بطن تلك الجنية أم من بطن أم كلثوم بنت علي وفاطمة رضي الله عنهم

أجمعين؟!

وأن زيد بن عمر الذي عاش إلى أن بلغ ثم توفاه الله عز وجل كان ابنا لأم كلثوم أم كان جنيا من أم جنية لا تعرف[1]؟!...

والحمد لله تعالى أولا وآخرا، وصلى الله تعالى على النبي وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان صلاة دائمة أبدا ما دامت السماوات والأرض، وسلم عليهم سلاما دائما أبدا ما تعاقب الليل والنهار[2].

---

(١) وكذلك تحدث ولا حرج عن تناقض هذا القول مع سائر الأقوال التي سبق أن أيدها الأئمة المعصومون!

لكننا لا نخوض في تلك الدائرة التي تصرخ بكذب القوم وذلك لأن أقوال الأئمة ـ كما زعموا ـ وأحاديثهم صعب مستصعب لا يستطيع فك أسرارها الملائكة والأنبياء!!!

ويجدر أن ننهي موضوع نكاح أم كلثوم بلطيفة جميلة:

فقد أظهر القاضي نور الله الشوستري معادن شرفه وغيرته في "مصائب النواصب" وقد نقله عنه صاحب "إزالة الغين" كذلك حيث كتب: «ما ادعاه عمر لنفسه من الإمامة ظلماً وزوراً، وما خالف فيه أمر الله ورسوله في أن نصب نفسه إماماً واستولى على أمور المسلمين ودفع إمامة من نص الله عز وجل ورسوله على إمامته، وحكم الناس بغير ما أنزل الله ورسوله أكبر وأعظم عند الله من اغتصاب ألف فرج من فروج المؤمنات المحصنات، فما قيمة الفرج الواحد».

فحوى كلامه: إن عمر عزل علياً من الإمامة المنصوص عليها من قبل الله عز وجل، وهذا ظلم يفوق في شناعته اغتصاب ألف فرج مؤمنة، فيا ليته قد اكتفى باغتصاب فرج واحد!

أجل! هذا هو الحياء، وهذه هي الغيرة عندهم!!...

وهذه هي الحمية والشرافة عندهم!!

استغفر الله ثم استغفر الله ، من كل ذلك وأتوب إليه.

(٢) طبع هذا الجزء ـ الجزء الأول ـ من كتاب "الآيات البينات" للمرة الثانية بمطبعة "مصطفائي" بلكهنو الهند عام ١٣٠١هـ، ثم للمرة الثالثة طبعته دار الإشاعة في كراتشي، وقد اعتمدنا نحن في ترجمتنا العربية على الطبعة الرابعة المصححة التي أخرجتها دار الإشاعة عام ١٩٧٥م، وعلى الطبعة المصححة التي أخرجتها "إداره

تكملة نكاح أم كلثوم[١]

للشيخ محمد فراست الهندي

فقد عالج المؤلف رحمه الله نكاح سيدنا عمر من سيدتنا أم كلثوم رضي الله عنهما معالجة علمية دقيقة، لم يبق معها مجال للشبهات والمطاعن، فقد أثبتها من خلال تتبعه لأحاديث الأئمة الكرام ولأقوال علماء الشيعة العظام، فلم يبق أمام المنصف والباحث عن الحقيقة إلا الإقرار بكل ما قاله المؤلف. لا يستطيع أي دارس أو أي إنسان مؤمن أوتي شيئا من الإخلاص في البحث العلمي أن ينكر هذه الحقيقة التي أثبتها المؤلف بالأدلة الساطعة والبراهين الواضحة التي لا مجال لإنكارها أبدا.

بعد هذه الدراسة العلمية الشاملة أصبح إنكار زواج سيدنا عمر من أم كلثوم أشبه بإنكار ضوء الشمس في رابعة النهار. لكن مع الأسف هناك من نذر حياته للدفاع عن آراء المذهب مهما تبين له خطئها وضلالتها، ليحتفظوا بالألقاب التي يهبها لهم أتباعهم من عامة الناس كـ: فخر المحققين، وآية الله في العالمين، وقد غفلوا أن هذه الألقاب في غير موضعها وهي كالهر يحكي انتفاخا صولة الأسد!

ومن يك ذا فم مر مريض   يجد مراً به الماء الزلالا

فقد اتخذ هؤلاء الناس أسلوب الكهان في خداع الأتباع، حيث يدسون لهم السم في

إشاعت حق" عام ٢٠٠٦م بالهند بإشراف من شيخ محمد فراست. كما أننا اعتمدنا في معظم الهوامش على التعليقات الفارسية للعلامة محمد عبد الشكور رحمه الله على ترجمته الفارسية للكتاب. والحمد لله عز وجل.

(١) هذه التكملة وضعها الشيخ محمد فراست، وضمها للطبعة المنقحة التي أشرف عليها في الهند عام ٢٠٠٦م، ورأينا أن نضمها للكتاب لما فيها من الطرافة. فإنها توضح مكائد القوم أكثر من ذي قبل.

العسل، فيحفرون في الأساليب والعبارات ويغالون في الترهات المتفلسفة ويتلاعبون على نمط أهل الكلام، فيخرجون كلاما لا تعرف رأسه من عقبه، ويضحكون به على أذقان عامة الناس بلبس الحق بالباطل، وكأنهم يتعمدون أن يدكوا رؤسهم معاندين بالأحكام القرآنية الواضحة التي أبلغتهم أمر ربهم، ليضربهم القرآن بمطارقه الآمرة ثم الناهية :﴿ وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ * وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة/ ٤١-٤٢)

قبل فترة وجيزة قدم لي صاحب لي كتابين في هذا الموضوع. أحدهما؛ لعالم شيعي يلقب بفخر المحققين وهو المدير السابق لمجلة "الإصلاح" الشيخ السيد علي حيدر (المتوفي ١٣٨٠هـ) بعنوان" عقد أم كلثوم". والثاني؛ عصارة أفكار الشيخ السيد كلب جواد[١] بن الشيخ كلب عابد بعنوان " الثورة الإسلامية في إيران؛ التشيع وفتنة الوهابية"[٢] وهو كتاب وضعه ردا على كتاب " الثورة الإيرانية؛ الإمام الخميني والتشيع"[٣] للشيخ محمد منظور النعماني نور الله مرقده.

وقد تطرق المؤلف في الصفحة / ٢٢٥ من كتابه لموضوع "نكاح أم كلثوم رضي الله عنها"، لكنه لم يأت بشيء جديد وإنما أعاد خلاصة ما ذكره فخر المحققين في كتابه.

ولعله يجدر الإشارة إلى أن والد الشيخ السيد علي حيدر وهو آية الله في العالمين السيد علي أظهر خصص هذا الموضوع قبل ابنه هذا بكتابين اثنين هما: " كنز المكتوم في حل عقد أم

---

(١) أرجو ألا يتصور القارئ الكريم أننا لا سمح الله نشتم الرجل! وإنما هو اسمه كلب جواد بن كلب عابد، ولا فخر! فالشيعة يسمون أولادهم بكل اعتزاز وفخر بـ"كلب علي" و "كلب جواد" و كلاب سائر الأئمة (!) تواضعا منهم (!)

(٢) إيران كا اسلامي انقلاب فتنه وهابيت اور شيعيت.

(٣) ايراني انقلاب امام خميني أور شيعيت.

كلثوم"، و"رفع الوثوق عن نكاح الفاروق"، ويبدو بأن الإبن شعر بنقص في كتابي أبيه، وأنهما لم يؤديا حق الموضوع كما ينبغي فوضع كتابه هذا.

وقد جاء هذا الكتاب في عصر متأخر ليحرف تاريخا شهد به آلاف من الناس!

فما أجرأ الكاتب على التزوير! وما أجرأه على التاريخ! وعلى الإنسانية وعلى العلم وعلى الضمير!

فقد جعل المؤلف رسالة كتابه أن يثبت بأن السيدة أم كلثوم زوجة سيدنا عمر لم تكن بنتا لسيدنا علي وإنما كانت بنتا لسيدنا أبي بكر!!!...

فهو يرفض أن يزوج سيدنا علي رضي الله عنه ابنته لعمر بقوله:« كيف كان لسيدنا الأمير أن يزوج ابنته لعمر، أ كان سيدنا الأمير يجهل قول الله تعالى ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُوْلَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (النور/ ٢٦)»؟!

يقول فخر المحققين بأن حكم القرآن واضح جلي لا يجهله أي مسلم، فكيف يمكن أن يزوج سيدنا علي رضي الله عنه؛ العالم بالقرآن والملتزم بحدوده وحروفه، ابنته المؤمنة الطيبة من رجل منافق خبيث؟!

يريد المؤلف أن يطهر عرض سيدنا علي رضي الله عنه من هذه النقيصة ومن هذا الطعن ـ حسب زعمهم ـ لكنه بهذا الكلام قد طعن في عرض الرسول صلى الله عليه وسلم دون أن يشعر! وذلك لأنه صلى الله عليه وسلم قد تزوج من اثنتين من المنافقات ـ حسب زعم الشيعة ـ وظل يعيش معهما إلى آخر أيامه ـ

أ كان الرسول صلى الله عليه وسلم جاهلا بمعنى الآية القرآنية الواضحة والصريحة؟! أم أنه تغاضى الطرف عن معنى الآية اتباعا لشهوته ـ والعياذ بالله – .

و بما أن الأمرين لا يثبتان فيجب على الشيعة أن يعتقدوا بأن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ـ سيدتنا أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر، وسيدتنا أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنهم ـ كانا مؤمنتين، وهذا خلاف ما يعتقده الشيعة!

وهذا من عجائب القدرة الإلهية؛ أن الرجل إذا تعمد إنكار الحقيقة الواضحة فسيبتليه الله عز وجل بالقضاء على أصوله والطعن في عقيدته.

أراد فخر المحققين هذا أن يقدم للعالم وللتاريخ وللبشرية اكتشافه بل اختراعه بشكل واضح، فأفرد لذلك بابا في نهاية كتابه سماه "حقيقة هذا البهتان". وأورد فيه :« ... ولد لأبي بكر بعد وفاته مباشرة بنت سميت كذلك بأم كلثوم. ويمكنك أن ترجع في ذلك إلى "الاستيعاب"، و"تاريخ الطبري"، و"تاريخ الكامل" وغيرها من الكتب التاريخية ولأن سيدنا علي تزوج أرملة أبي بكر أسماء والدة أم كلثوم، فهي حملت البنت معها إلى بيت سيدنا علي ... وكل الأحداث التي تحدث الناس عنها تدور حول أم كلثوم بنت أسماء زوجة أبي بكر، ولأنها كانت تعيش في بيت سيدنا الأمير ظن الناس خطأ أنها بنت سيدنا الأمير ... وقد لعب بنو أمية في هذا الباب دورا رخيصا وتأثر بهم مؤرخو أهل السنة ومحدثيهم فصوروا خطأ بأن أم كلثوم بنت أبي بكر وأسماء كانت بنتا لسيدنا الأمير وفاطمة، وذلك لأنها كانت تعيش في بيت سيدنا الأمير»[1].

يفهم من كلام فخر المحققين الشيخ علي حيدر عدة أمور، وهي:

١. أم كلثوم التي نكحها عمر لم تكن بنتا لعلي، وإنما كانت بنتا لأبي بكر رضي الله عنهم أجمعين.

٢. أمها لم تكن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما كانت أسماء بنت

(١) أنظر: سيدتنا أم كلثوم، ص/ ١٦٧-١٦٦.

عميس[١].

٣. أم كلثوم هذه هي التي رافقت أمها أسماء إلى بيت سيدنا الأمير.

٤. أخطأ مؤرخو أهل السنة ومحدثيهم إذ اعتبروا أم كلثوم ابنة أبي بكر وأسماء بنتا لسيدنا الأمير وفاطمة.

فقد بنى الشيخ علي حيدر نظريته هذه على أسس هشة لا أصل لها.

فأدنى طالب علم له إلمام ولو قليل بالتاريخ الإسلامي يدرك بأن والدة أم كلثوم بنت أبي بكر كانت تسمى "حبيبة بنت خارجة"، لا أسماء بنت عميس!

ولا أريدك أن ترجع في إثبات هذا الكلام ـ أي أن والدة أم كلثوم بنت أبي بكر كانت حبيبة بنت خارجة ـ إلى كتب أهل السنة أو النواصب أو بني أمية وإنما ارجع في ذلك إلى "ناسخ التواريخ" أشهر كتب التواريخ لدى الشيعة لميرزا محمد تقي خان رئيس الوزراء في إيران أيام حكومة السلطان ناصر الدين القاجاري. وهو كان يلقب في بلاط الحكم بـ "لسان

(١) لسيدتنا أسماء بنت عميس الخثعمية مكانة جليلة بين المهاجرين الأولين، فهي من المهاجرات إلى الحبشة. ذكر العلامة ابن سعد رحمه الله وكذلك ابن هشام رحمه الله أن سيدتنا أسماء بنت عميس رضي الله عنها تشرفت بالإسلام في وقت مبكر، فلم يكن عدد المسلمين يوم إسلامها يزيد عن ثلاثين مسلما. تزوجها الشقيق الأكبر لسيدنا علي المرتضى سيدنا جعفر الطيار رضي الله عنهم. أنجبت لجعفر ثلاثة أولاد، هم: عبد الله ومحمد وعون. بعد أن استشهد جعفر في غزوة مؤتة، في السنة الثامنة من الهجرة ـ أي أيام غزوة الحنين ، بعد ستة أشهر من استشهاد زوجها ـ زوجها النبي صلى الله عليه وسلم لصديقه الحميم سيدنا أبي بكر رضي الله عنه، وقد ولدت له ولدا سمي "محمد". في العام الثالث عشر من الهجرة النبوية بعد وفاة سيدنا أبوبكر الصديق تزوجها سيدنا علي. في هذه الفترة كان عمر محمد بن أبي بكر زهاء ثلاث سنوات، فحملها أمها إلى بيت سيدنا علي وتربى الولد في بيت سيدنا علي. وولدت أسماء لسيدنا علي ولدا سمي "يحيى". توفيت بفترة وجيزة بعد شهادة سيدنا علي رضي الله عنهم أجمعين في السنة الأربعين من الهجرة. (شيخ محمد فراست)

الملك"[١].

يقول ميرزا محمد تقي خان في الصفحة / ٧٢١ من كتابه "ناسخ التواريخ" عن حبيبة بنت خارجة:« ... حبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبي زهير بن مالك بن امرؤ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن خزرج كانت زوجة لأبي بكر، مات عنها أبوبكر وهي حبلى، فولدت له بنتا سمتها عائشة ـ رضي الله عنها ـ؛ أم كلثوم. خطبها عمر بن الخطاب لنفسه لكنها رفضت الزواج منه وقالت بأنها لا تستطيع أن تعيش مع رجل غليظ الطبع كعمر بن الخطاب».

وذكر هذا المؤرخ أولاد حبيبة بنت خارجة زوجة أبي بكر الصديق رضي الله عنه في مكان آخر، فقال:« ... كانت حبلى يوم أن مات أبوبكر، فأنجبت له بنتا سميت أم كلثوم»[٢].

فها هو المؤرخ الشيعي هدم بمعول الحقيقة صرحا بناه فخر المحققين على أطلال من التزوير، فقد ثبت بأن والدة أم كلثوم بنت أبي بكر كانت حبيبة بنت خارجة ولم تكن أسماء بنت عميس. وبما أن سيدنا علي رضي الله عنه تزوج من أسماء بنت عميس فلم تنتقل أم كلثوم بنت حبيبة إلى بيته!

أجل، فقد صح أن أسماء بنت عميس ولدت لأبي بكر ولدا ـ وليس بنتا ـ سمي محمد بن أبي بكر.

وهذا المؤرخ ذكر في ترجمتها:«.. تزوجها أولا سيدنا جعفر ـ رضي الله عنه ـ وقد رافقته في هجرة الحبشة، وقد عادت برفقة زوجها جعفر بن أبي طالب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخيبر، وبعد أن استشهد عنها جعفر تزوجها أبوبكر ـ رضي الله عنه ـ ... ولدت له محمد

---

(١) أنظر: عقد أم كلثوم للشيخ عبد المؤمن الفاروقي رحمه الله ، ص/ ٢٧.

(٢) أنظر: ناسخ التواريخ، ص/ ٢١٥.

بن أبي بكر، وبعد وفات أبي بكر تزوجها علي عليه السلام، فأنجبت له ابنه يحيى»[١].

وكذلك نثبت لك من خلال كتب الشيعة أن أم كلثوم التي تزوجها سيدنا عمر رضي الله عنه كانت بنتا لسيدنا علي بن أبي طالب، ولم تكن من بنات سيدنا أبي بكر.

قال ميرزا محمد تقي خان في "ناسخ التواريخ"، « تزوج عمر بن الخطاب من أم كلثوم بنت علي عليه السلام وولدت له: زيدا ورقية. ماتت أم كلثوم مع ابنها زيد في وقت واحد، وقد أوردنا تفاصيل قصتها في كتاب عمر»[٢].

فقد ثبت مما نقلناه من "ناسخ التواريخ" أن سيدتنا أم كلثوم زوجة سيدنا عمر كانت بنتا لسيدنا علي رضي الله عنه، لكن لم نثبت بعد أنها كانت من بطن فاطمة الزهراء. ولذا أرى أن أثبت ذلك من كتب الشيعة كذلك.

فقد جعل أشهر مؤرخي الشيعة في القرن الثالث عشر الهجري ميرزا عباس علي قلي خان ـ الذي يعد خليفة مؤلف "ناسخ التواريخ" وكان رئيس الوزراء لملوك قاجار كذلك بابا مستقلا سماه "حكاية تزويج أم كلثوم من عمر بن الخطاب"، في كتاب "تاريخ طراز مذهب مظفري" ـ يبدأ هذا الباب في الطبعة الإيرانية للكتاب من ص/ ٤٧ إلى ص/ ٦٧ ـ جاء فيه:«... كانت سيدتنا أم كلثوم الكبرى بنت فاطمة الزهراء في بيت عمر بن الخطاب، وقد ولدت له أولادا كما سبق أن ذكرنا، ولما قتل عمر تزوجها محمد بن جعفر بن أبي طالب»[٣].

وقد أورد كذلك هذا المؤرخ في كتابه دراسة مفادها: أيعد أولاد سيدتنا فاطمة الزهراء أولادا لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أم لا؟ كتب في هذا الباب :« ... وقيل بأن من

---

(١) ناسخ التواريخ، ص/ ٧١٨.

(٢) ناسخ التواريخ، ص/ ٧٣٢.

(٣) تاريخ مذهب مظفري، باب: حكاية تزويج أم كلثوم من عمر بن الخطاب، الطبعة الإيرانية.

خصائص رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أولاد فاطمة سلام الله عليها ينسبون إليه، لكنهم أخرجوا بنات ابنته صلى الله عليه وسلم من هذه الخصيصة، فيجري فيهن ما أجراه الشرع في غيرهن من أن الولد ينسب إلى أبيه لا إلى أمه. ولهذا يقال أن الولد لا يعد شريفا إذا لم يكن أبوه شريفا. فأولاد فاطمة ينسبون إلى رسول الله، وأولاد الحسن والحسين ينسبون إلى آبائهم وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أما أولاد أخواتها السيدة زينب وأم كلثوم فينسبون إلى آبائهم عبد الله بن جعفر وعمر بن الخطاب ولا ينسبون إلى أمهاتهم ولا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك لأنهم أولاد بنات ابنة الرسول صلى الله عليه وسلم وليسوا أولاد ابنته»[1].

ودعوني هنا أذكر صحة خبر هذا الزواج من على لسان أشهر مجتهد شيعي في القرن الثاني عشر الهجري، وهو الذي كان ينصح أعظم مجتهدي القرن الرابع عشر؛ إمام الثورة الإيرانية آية الله العظمى روح الله الخميني أتباعه وشيعة العالم بقراءة كتبه أي المجتهد الأعلى ملا باقر المجلسي، وقد ذكر زواج أم كلثوم ابنة علي رضي الله عنه من سيدنا عمر رضي الله عنه.

وقد فصل الكلام في ذلك في مرآة العقول شرح أصول الكافي وفروع الكافي[2] ورد في كتابه على منكري هذا النكاح، وفي النهاية وصل إلى إثبات هذا الزواج قائلا:« والأصل في الجواب أن ذلك وقع على سبيل التقية والاضطرار».

وبهذا فقد أثبت مؤرخي الشيعة ومجتهديهم ومحديثهم أن سيدتنا أم كلثوم التي تزوج منها سيدنا عمر رضي الله عنه كانت ابنة علي المرتضى من بطن فاطمة الزهراء، وكانت أختا لريحانتي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة سيدنا الحسن والحسين رضي الله عنهما، ولم تكن ابنة سيدنا أبي بكر رضي الله عنه، ولا ابنة أسماء بنت عميس!

---

(١) تاريخ مذهب مظفري، ص/ ٣٤.٣٥.

(٢) مرآة العقول، ج/ ٣، ص/ ٤٤٢، الطبعة الإيرانية القديمة.

ولم يبق أي قيمة لما زوره الشيخ علي حيدر على التاريخ وعلى رجالاته ولزعمه:« أن بنو أمية قد زوروا التاريخ وقد تأثر بهم مؤرخي أهل السنة ومحدثيهم، فنسبوا خطأ أم كلثوم بنت أبي بكر وأسماء إلى سيدنا الأمير وفاطمة الزهراء»!

لم يقصد فخر المحققين من ترهاته هذه إلا إضلال عامة الشيعة وتركهم يضربون الحابل بالنابل ولا يهتدون سبيلا. وبرمي التهم على بني أمية وأهل السنة يهدئ الرجل من روع عامة الشيعة ويجعلهم يعيشون في جو نفسي كئيب تحكمه المؤامرات فيشكون في كل شيء له أدنى صلة بالحق مخافة أن يكون بنو أمية وأهل السنة تلاعبوا فيه، وفيرضون لما هم عليه من التزوير للتاريخ وللدين!

ونحن نتمنى لأصحابنا الشيعة أن يفتحوا عيونهم على الحقائق ويرتفعوا على التعصبات المذهبية ويحكموا في الأمور بعقولهم لا بعواطفهم. فلهم أربع كتب معتبرة تعرف ـ بالأصول الأربعة ـ وهي تعتبر أوثق كتبهم وهي:

١. "الكافي" لمحمد بن يعقوب الكليني الرازي (المتوفى ٣٢٩هـ).
٢. "من لا يحضره الفقيه" لشيخ الصدوق أبو جعفر بن علي بن بابويه القمي (المتوفى ٣٨١هـ).
٣. "الاستبصار" لأبي جعفر محمد بن حسن الطوسي المعروف بشيخ الطائفة (المتوفى ٤٦٠هـ)
٤. "تهذيب الأحكام" لأبي جعفر محمد بن حسن الطوسي.

هذه الكتب الأربعة كلها ما عدا "من لا يحضره الفقيه" ذكرت زواج أم كلثوم ابنة علي رضي الله عنه من سيدنا عمر بأسناد من أئمتهم المعصومين. وكذلك استنبط الإمام المعصوم أحكاما فقهية من هذا الزواج. ويعرف طلاب العلم أن أية أحاديث تصلح أن يستنبط منها

المجتهد الأحكام، وها هو الإمام المعصوم يستنبط الأحكام الفقهية من هذه الواقعة، فما درجة الصحة عنده!

فقد ورد في فروع الكافي على لسان الإمام المعصوم في باب : المتوفي عنها المدخول بها أين تعتد وما يجب عليها :«... عن سليمان بن خالد قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن امرأة توفي عنها زوجها أين تعتد، في بيت زوجها أو حيث شاءت؟ قال: بل حيث شاءت. ثم قال: إن عليا صلوات الله عليه لما مات عمر أتى أم كلثوم فأخذ بيدها فانطلق إلى بيتها »[1].

ونفس هذه الفتوى من الإمام جعفر الصادق، ورد كذلك في باب العدة من كتاب "الاستبصار"[2]، وباب: عدة النساء، من كتاب الطلاق، من "تهذيب الأحكام" يمكنك أن ترجع إليه.

نقل الإمام جعفر الصادق عن أبيه الإمام محمد الباقر ما رواه عنه "تهذيب الأحكام" في المجلد الأخير في كتاب "الميراث"[3]: « عن جعفر عن أبيه قال: ماتت أم كلثوم بنت علي وابنها زيد بن عمر بن الخطاب في ساعة واحدة لا يُدرى أيهما هلك قبل فلم يورث أحدهما من الآخر وصُلّي عليهما جميعا».

يا أيها الكرام!

فقد كشف الروايات السابقة الستر عما كان يخفيه الشيخ علي حيدر وفضح أمره على العالمين وفي ذلك كفاية. وأتصور أن من وهبه الله شيئا ولو بسيطا من العقل السليم لا يحتاج أن يتعب نفسه كثيرا في البحث عن الحقيقة، فالحقيقة واضحة جلية يراها كل من رفع ستار

---

(١) فروع الكافي، باب: المتوفي عنها زوجها المدخول بها أين تعتد وما يجب عليها. ج/ ٢، ص/ ٣١١، ط/ نول كشور لكنهو١٨٨٦م.

(٢) "الاستبصار"، ج/ ٣، أبواب: العدة، ص/ ١٨٥ وص/ ١٨٦، مطبعة الجعفرية.

(٣) "تهذيب الأحكام"، ص/ ٢٣٨، كتاب: الطلاق، باب: عدة النساء، طبع في إيران عام ١٣١٦هـ.

التعصب الممقوت عن عينيه.

ولأهل العلم أن يتمعنوا في أنه ماذا جعل محمد بن يعقوب الكليني الذي يعتبر من تلامذة الإمام الحادي عشر ويزعم الشيعة أن كتابه "الكافي" أقر به الإمام الثاني عشر ـ المزعوم ـ وصدقه، أن يخصص بابا مستقلا عن "زواج أم كلثوم من عمر" في كتابه؟!

ثم نقل شيخ الطائفة محمد بن حسن الطوسي في كتبه "الاستبصار"، و"تهذيب الأحكام" هذه الواقعة بعينها.

وترى بأن نفس الحكاية تصدق على كل من؛ الشريف المرتضى علم الهدى صاحب الشافي (المتوفى ٤٠٦هـ)، والشيخ زين الدين أحمد العاملي المعروف بالشهيد الثاني (المتوفى ٩٢٤هـ)، والقاضي نور الله الشوستري المعروف بالشهيد الثالث (المتوفى ١٠١٩هـ)، ومجتهد القرن الثاني عشر الهجري ملا باقر المجلسي (المتوفى ١١١١هـ) وأكبر مؤرخي الشيعة في القرن الثالث عشر ميرزا محمد تقي خان رئيس وزراء السلطان ناصر الدين القاجاري في كتابه "ناسخ التواريخ" وخليفته وابنه ميرزا عباس علي قلي خان رئيس وزراء الملك القاجاري في كتابه "طراز مذهب مظفري"، ومجتهد القرن الرابع عشر الهجري الشيخ عباس قمي في كتابه "منتهى الآمال"، فكل هؤلاء وغيرهم اعترفوا بزواج سيدنا عمر بن الخطاب من سيدتنا أم كلثوم في كتبهم.

فهل كل هؤلاء كانوا من أهل السنة؟ أم أنهم انخدعوا بدعايات بني أمية أو كانوا من عملائهم؟!

حقا ما أصدق نواب محسن الملك مؤلف "الآيات البينات" رحمة الله عليه حيث قال بأن الشيعة قد تقلدوا مئآت الجلود أمام هذه الواقعة التي قصمت ظهورهم، فكل رقص على هواه عسى أن ينكر ضوء الشمس في رابعة النهار! لكن هيهات هيهات! منهم من أنكر هذا الزواج عن أصله، ومنهم من أنكر أن تكون أم كلثوم ابنة سيدنا المرتضى، ومنهم من سمى هذا النكاح

اغتصابا، ومنهم من أنكر مستلزمات الزواج من المقاربة والخلوة، ومنهم من زعم أن جنية نجرانية تشكلت بصورة أم كلثوم وكان سيدنا عمر كان يعاشرها، ومنهم من رأى في ذلك أعلى صور الصبر والثبات لسيدنا علي المرتضى، ومنهم من غطاه بغطاء التقية. فكل كان يرقص على وتر موسيقاه وكان لكل منهم أسطورة وأغنية يهواها ويسمعها غيره.

فقد تعدت أقوالهم بتعدد أفواههم، لكن أبت أفواهم أن تنطق بالحق!

وظلت هذه الحقيقة شوكة في حلقوم علماء الشيعة لا يستطيعون إخراجها ولا بلعها. وستبقى كذلك ما لم يقروا بالحقيقة وما لم يركنوا للمحجة البيضاء التي ترك عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا الهالك!..

تراجم أعلام الكتاب[(١)]

العلامة عبد الشكور الفاروقي اللكنوي

هو العلامة الفقيه والبحاثة الهندي والكاتب الفريد من العلماء الأعلام والمحدثين والدعاة المخلصين النشيطين والفقهاء المتقنين البارزين في الهند، في القرن الرابع عشر الهجري؛ سماحة الشيخ عبد الشكور الفاروقي اللكهنوي المعروف بإمام أهل السنة وحجة الإسلام في شبه القارة الهندية، والذي إليه انتهت رئاسة أهل السنة والجماعة في العهد الأخير. وهو الذي أوقد في قلوب كثير من المسلمين في العالم شمعة الحق والتوحيد، و على يديه أوقدت كثير من المصابيح الدعوية، وكثير من منارات الهداية في رد البدع وإحياء السنة، وقد تخرج على يديه كثير من الأئمة الأجلاء والعلماء الأعلام وخدام الدين.

ولد عام ١٢٩٣هـ بقرية "كاكوري" ونشأ "بفتحبور" بولاية "اترابراديش" الهندية، وهو الابن البار للشيخ المولوي ناظر علي المتوفى عام ١٣٢٩هـ، والذي كان تلميذا للعالم الرباني الشيخ عبد السلام الهنسوي المتوفي عام ١٢٣٤هـ، ومحصلا للخراج من قبل الحكومة في عهده. تتلمذ الشيخ في بداية أيامه على الشيخ نور محمد الفتحبوري، ثم سافر إلى مدينة "لكناؤ" عام ١٣١٠هـ وأكمل الدراسة المنهجية على يدي سماحة العلامة الشيخ عين القضاة بن محمد وزير الحيدر آبادي المتوفى عام ١٨٥٨م، رافق الشيخ مدة طويلة ثم ذهب إلى دلهي، ومكث بها في مكتب الطباعة والنشر لميرزا حيرت الدهلوي المتوفى عام ١٩٢٨م فترة من الزمن، وكان الميرزا

(١) هذه التراجم كلها مأخوذة من الهوامش الأردية التي وضعها الشيخ محمد فراست على الطبعة الهندية للكتاب والتي خرجت عام ٢٠٠٦م. ما عدا ترجمة الشيخ عبد الشكور فهي للأستاذ عبد الرحمن الفاروقي من كتاب له عن الشيخ عبد الشكور الفاروقي، تحت الطبع. ترتيب الأسماء لا يخضع لمنهج خاص، وإنما حاولنا أن يكون حسب ورودها في الكتاب.

هذا أحد علماء وكتاب الهند في ذلك العصر، وهو الذي حرضه على ترجمة معاني القرآن الكريم وصحيح البخاري للإمام محمد بن إسماعيل البخاري. وأخيرا رجع إلى لكناؤ، وأخذ يدرس بالمدرسة الفرقانية التي أسسها العلامة عين القضاة لتدريب المسلمين والعلماء على الدعوة إلى الإسلام وتربيتهم على منهاج نموذجية في الدعوة، وتزويدهم بالمعارف الإسلامية وأصول الدين وأسراره وحكمه، وظل يمارس التدريس بها إلى أن اعتزل عنه وانقطع للتأليف.

خاض كثيرا من ميادين الدعوة والفكر الإسلامي، وظل خلالها يدافع عن الإسلام بالذود عن الشبهات التي يثيرها المبتدعة والحاقدون. وقد ساهم في شتى مجالات الدعوة؛ ناظر الفرق الضالة المنحرفة وناقشهم في عقائدهم الباطلة، كما تحدى كثيرا من رموز البدع وقادة الديانات، تحداهم في الساحات المفتوحة والجلسات العامة والمناظرات الجماهيرية التي شهدها الآلاف من أتباع الفريقين وأرغمهم على الإزراء إلى جحورهم. وأدى دورا بارزا في الرد على الشيعة الإمامية التي كانت لها صولات وجولات في عهده، وانتصر لمذهب أهل التوحيد؛ أهل السنة والجماعة، ودافع عن الصحابة والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم دفاعا مستميتا يعتز به تاريخ الفكر الإسلامي في الهند، فقد أثبت الحق لهم وأجلى محاسنهم، ونشر مناقبهم، وبين فضلهم على المسلمين، ووضح بأن الخلفاء الراشدين والصحابة الكرام أدوا دورا حياتيا لنهضة الإسلام وإقامة شرعه المبين و صرحه العالي في العالم ، وإليهم يرجع جميع مفاخرنا ، فلهم من الفضل على هذه الأمة ما لا يحظى به شخص من أشخاصها، وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم في أننا مهما بذلنا لهذا الدين وأنفقنا في سبيله لن نصل مد أحدهم ولا نصيفه. فقد كان يعتبر الدفاع عنهم والحرص على شخصياتهم والإشادة بهم علنا وجهارا، أكبر قربة و أفضل جهاد في تلك البيئة التي كانت تتقرب إلى ربها بسب الصحابة وشتمهم وتكفيرهم والطعن فيهم ! واستطاع الشيخ أن يكشف اللثام عن عقائد الشيعة في مناظراته وخطاباته للجميع،

فترك الجيل الذي عاصره على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، كما أنه ترك ذخرا علميا للأجيال القادمة؛ في شكل مؤلفات ورسائل، وما نقل عنه في كتب من عاصره من العلماء. تفيض كتاباته قوة وحيوية، فهي تعرف بالدين وترشد الناس إلى العقيدة السليمة وتهذب أخلاقهم وتقوم سيرهم وتجدد الإيمان في صدورهم، وتشحذ قلوبهم يقينا وإخلاصا، وتمدهم بالمعارف والمعلومات التي لا يستغني عنها المسلم الملتزم والداعية الرباني، وطالب العلم. فقد أبرز مكانة الصحابة الكرام والخلفاء الراشدين وقيمتهم وخطورتهم في ضوء الحقائق التي تستنبط من نصوص الحديث والآيات القرآنية الكريمة. وقد كان رحمه الله طرازا فريدا في عصره يتميز بعدة خصائص، من أبرزها؛ التواضع والبساطة والقيام بأموره الشخصية، والثقة بالنفس، والتفاني في العلم والعكوف على التحقيق والدراسة، فهذه كانت أهم سمات شخصيته الفذة. وكان له دور عملاق في مجال التأليف فقد تناول كثيرا من المواضيع الإسلامية بالكتابة، وخصص دراسات عميقة في محاربة الطوائف المنحرفة التي كانت تستهدف الإسلام بهمجيتها وسذاجتها، فقد ناقش شبهاتهم وكشف عن نواياهم الدفينة ووجههم إلى الحق المبين بأسلوب يفيض حيادية في البحث عن الحق، فمن أبرز من كتب عنهم ودرس آرائهم وتحدا أئمتهم في المناظرات العامة؛ القاديانية، والشيعة، والبريلوية، والآرية، والحركات المعادية للدين من قبل الإحيائية الهندوسية والتبشير المسيحي.

وبما أن الشيعة كانوا أنشط الفرق الضالة في عصره فقد قاد مع زملائه العديد من المناظرات معهم، كما وضع عددا من الكتب والخطب والرسائل في هذا الموضوع. وقد أوتي لسانا زربا وقلما لاذعا أدى شكرهما بما كتبه من المؤلفات القيمة وما أقامه من المناظرات والخطب الرنانة التي ملأت أسماع الناس علما ويقينا، ولا تكاد تجد مدينة أو قرية في شبه القارة الهندية إلا وقد شرفها بالسفر إليها وإقامة برنامج دعوي فيها.

وكان له شغف خاص بالقرآن الكريم، وتلاوته، والتدبر في ألفاظه ، والغوص في معانيه، ودراسته وتدريسه وتفسيره، والعناية بفهم دلالاته ومغزى آياته، والتعمق في مرادفاته، والبحث عن أسراره ووجوه إعجازه. وقد كانت له مكتبة عامرة يضرب بها المثل. فقد كان الشيخ شغوفا في اقتناع الكتب والقراءة فيها.

وقد وضع العديد من المؤلفات في التعليم الديني المنهجي والدراسات العملية، ولعل أبرزها كتاب "علم الفقه" باللغة الأردية، وهو كتاب فقهي يتحدث عن قضايا فقهية ومسائل شرعية تمس ضرورات المجتمع الإسلامي والحياة الإسلامية قديما وحديثا، وهو يضاهي كتاب "بهشتي زيور" للعلامة حكيم الأمة الشيخ أشرف علي التهانوي، المتوفى ١٣٦٢هـ، وأربعون عقيدة عند الشيعة، وترجمة الخلفاء الراشدين، ومن توجيهات أبي الأئمة، والشيعة والقرآن، كلها مطبوعة وله رسائل لم تزل مخطوطة.

وكذلك قام بترجمة "أسد الغابة"، وترجمة "تاريخ الطبري"، وترجمة "إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء"، وكتاب"مجموعة تفسير آيات الإمامة والخلافة"، وكتاب في السيرة النبوية سماه "التحفة العنبرية" و"سيرة الحبيب الشفيع من الكلام العزيز الرفيع".

وكان من مؤسسي "حركة مدح الصحابة"التي أسست عام ١٩٠٥م، والتي كانت تهدف الدفاع عن مكانة الصحابة، وكان الشيخ موضع رئيس لها.

وحرصا على الرد على الأهواء والبدع والتقاليد الشيعية الجاهلية والعقائد التي تسربت إلى بيوتات السنة وانتشرت في أسرهم نتيجة اختلاطهم للشيعة ونتيجة سيطرة القوم على الحكم وما كان لهم من النفوذ على البلاد والعباد ، أسس عام ١٣٥١هـ مدرسة دينية سماها "دار المبلغين" كحركة دينية ولسان حال لمسلمي السنة في ذلك العصر.

توفي إلى رحمة الله تعالى في السابع عشر من ذي القعدة عام ١٣٨١هـ، ودفن بلكنأو.

العلامة الحلي

هو جمال الدين حسن بن يوسف بن علي بن مطهر الحلي المعروف بـ" العلامة الحلي".

ولد في التاسع والعشرون من شهر رمضان المبارك لعام ٦٢٨ الهجرية بمدينة "الحلة". أخذ علم الأصول والأدب والفقه وعلم الكلام من الشيخ نجم الدين أبو القاسم جعفر بن سعيد الحلي. ومن والده يوسف بن علي بن مطهر الحلي. كما تتلمذ لدى خواجه نصير الدين الطوسي الشهير في الفلسفة والحكمة. كذلك تتلمذ على عدد من علماء السنة والشيعة أمثال علي بن عمر الكاتبي القزويني الشافعي، والعلامة محمد بن أحمد الكيشي ابن أخت ملا قطب الدين الشيرازي و...

كتب اليافعي في تاريخه أن ابن مطهر الحلي ألف أكثر من ثمانين كتابا. وقد وضع كتابا ضخما في إثبات المذهب الشيعي ردا على أهل السنة سماه "منهاج الكرامة في معرفة الإمامة"، حاول أن يبين فيه فضائل الأئمة الإثنا عشرية ويدلل على إمامتهم وعصمتهم بالآيات والنصوص من الأحاديث والروايات، كما سعى جاهدا أن يطعن في الخلفاء الثلاثة والصحابة الكرام من خلال تلوية أعناق الأحاديث والآيات والسيرة والنصوص التاريخية!

شمر له ولمطاعنه شيخ الإسلام الحافظ احمد تقي الدين ابن تيمية الحراني رحمه الله عن ساعدي الجد فوضع كتابه الشهير "منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية"، نقض فيه كلما غزله صاحب "منهاج الكرامة" ورد عليه بأدلة واضحة صريحة. قال عنه وعن كتابه الشيخ أبو الحسن علي الندوي نور الله مرقده: فقد أدى العلامة ابن تيمية بكتابه هذا فرض الكفاية عن علماء الأمة إلى يوم القيامة في رده عن مطاعن الشيعة في الصحابة.

مات ابن مطهر الحلي هذا في ٢١/ المحرم/ ٧٢٦ من الهجرة، في الحلة.

سيد محمد قلي بن سيد محمد حسين

هاجر جده الكبير سيد شرف الدين مع هجمة هولاكو خان من خراسان إلى الهند واستقر في منطقة "كنتور" من محافظة "باره بنكي". ولد سيد محمد قلي في "كنتور" يوم الاثنين الخامس من ذي القعدة عام ١١٨٨هـ الموافق لعام ١٧٧٤م.

ذكر مؤلف "تذكرة العلماء" اسمه من ضمن قائمة أبرز تلامذة الشيخ دلدار علي نصير آبادي الملقب بـ "غفرانمآب". تولى منصب القضاء والإفتاء في مدينة "ميرت" حينا من الدهر، ثم ترك العمل وسافر إلى "لكنهو" واستقر فيها وانشغل بالتأليف والتصنيف.

في تلك الآونة كان كتاب "التحفة الإثنا عشرية" لإمام أهل السنة الشيخ عبد العزيز الدهلوي قد أقام الدنيا ولم يقعدها، فكان حديث مجالس العلم ونوادي الجدل والمناقشات. وكان قد خرج علماء الشيعة عن بكرة أبيهم يحاولون الرد على "التحفة" بما أوتوا من العلم والجدل والمنطق والفسلفة والكلام، ولكن دون جدوى.

وقد خاض سيد محمد قلي هذا غمار هذه المعركة كذلك فوضع "تشيد المطاعن وكشف الضغائن" في الرد على الباب الثامن من التحفة، و"السيف الناصري" في الرد على الباب الأول، و"تقليب المكائد" في الرد على الباب الثامن، و"برهان السعادة" في الرد على الباب السابع، و"مصارع الأفهام" في الرد على الباب الحادي عشر.

توفي في التاسع من شهر المحرم عام ١٢٦٠هـ الموافق لـ ١٨٤٤م في "لكنهو"، ودفن في مقبرة "إمام باره غفران مآب".

نورالله الشوستري

هو نور الله بن سيد شريف بن نور الله، يلقبه الشيعة بالشهيد الثالث. ولد في مدينة "شوستر" من توابع محافظة "خوزستان" الإيرانية عام ٩٥٦هـ الموافق لـ ١٥٤٩م. وكان آباءه من آمل عاصمة طبرستان ـ المازندران الحالية ـ.

بدأ رحلة العلم بالتتلمذ لدى أبيه ثم لدى مشايخ عصره مير سيف الدين محمد ومير جلال الدين. عام ١٥٧١م انتقل إلى مدينة "المشهد" وظل بها ١٢ عاما يدرس لدى أشهر علمائها عبد الواحد، ولما اضطربت الأجواء السياسية في المشهد عام ١٥٨٤ هاجر إلى الهند ونزل ضيفا على الحكيم أبو الفتح الكيلاني في "فتحبور سيكري". عرفه الحكيم على الملك "أكبر" (١٥٥٦ ـ١٦٠٥م)، فلما رآه الملك أعجب به فعينه قاضيا على مدينة "لاهور" عام ١٥٨٦م. وكان هذا أول مرة في تاريخ الهند يعين فيه شيعي على منصب القضاء. في ١٥٩١م أرسله السلطان أكبر برفقة القاضي علي إلى كشمير لإصلاح الأمور الإدارية والمالية هناك. في ١٥٩٩م عين قاضيا على جيش "آكره". في عام ١٦٠٣م قرر العودة إلى بلده إيران إلا أن السلطان أكبر لم يوافق على ذلك.

بدأ رحلة التأليف قبل قدومه إلى الهند واستمر على ذلك في الهند كذلك، فوضع كتبا في شتى مجالات العلم كـ : التفسير والحديث والرياضيات والمنطق والفلسفة والتاريخ والصرف والنحو وغير ذلك. يبلغ عدد مؤلفاته زهاء مائة وأربعة كتاب من أشهرها "مجالس المؤمنين"، و"إحقاق الحق" و"مصائب النواصب".

ألف كتابه "إحقاق الحق" ردا على كتاب "إبطال الباطل" للعلامة روزبهاء، الذي كان قد وضعه العلامة في الرد على "كشف الحق" للعلامة الحلي الإثنا عشري.

قتل الشوستري في يوم الجمعة ١٨/ جمادي الثاني/ ١٠١٩هـ الموافق لـ ٧/ سبتمبر/ ١٦١٠م، في آكره في عهد الملك جهانكير (١٦٢٧ـ ١٦٠٥). ذكر السيد صغير حسين زيدي في كتابه "صحيفه نور" أن جهانكير طار صوابه لما سمع أن القاضي قد شتم شيخه السيد أجميري رحمه الله ـ وكان السلطان أكبر والسلطان جهانكير من بعده يحترمون الأجميري كثيرا ـ، وكذلك نسب إليه رسالة شتم فيها الشيخ سليم ـ والشيخ سليم هو الرجل الذي كانت أسرة السلطان

يحترمونه ويجلونه كثيرا، إلى درجة أن لقبه السلطان باسمه ـ . المهم: أنه قتل نتيجة سبه وشتمه لكبار العلماء والمشايخ.

دفن في منطقة "ديال باغ" من "آكره". وفي عام ١٧٧٤م أي بعد مائة وأربع وستين عاما من وفاته بنى سيد محمد منصور حسيني نيشابوري قبة على قبره وأصبح مزارا للشيعة يزار.

الشيخ الحافظ علي فيض آبادي

هو الشيخ الحافظ علي فيض آبادي بن محمد حسن ولد في فيض آباد "يوبي".

تتلمذ في صغره على يدي بعض علماء الشيعة أمثال الشيخ نجف علي وميرزا فتح علي وحكيم مير نواب، ثم سافر إلى دهلي وتشرف بالحضور في مجالس المحدث الدهلوي الشاه عبد العزيز والشاه رفيع الدين الدهلوي والشيخ رشيد الدين خان الدهلوي. فاق أقرانه في علم المناظرة وعلم الكلام. وقد درس كتب الشيعة دراسة ممتازة. كتب العالم الشيعي الكبير العلامة حكيم سبحان علي خان (١٢٦٨هـ) كتابا في الفارسية حمله كثيرا من الشبه والافتراءات، فشمر الشيخ علي فيض آبادي عن ساعدي الهمة ورد عليه في كتاب سماه "منتهى الكلام". أحدث كتابه القيم هذا ثورة في الصف الشيعي وزلزل عقائدهم وأقام دنياهم من الهند إلى إيران فوقفوا منبهرين صامتين أمام أدلته الباهرة وحججه الساطعة. ونهاية وضع المجتهد الشيعي الكبير حامد حسين الكنهوي (١٣٠٦هـ) كتابا ضخما سماه "استقصاء الأفحام" حاول فيه الرد على "منتهى الكلام". لكنه عجز عن أن يعالج في كتابه أدلة المؤلف ولم يتطرق إلا إلى بضعة صفحات من وسط الكتاب وعجز عن الرد على خمسمائة الصفحة الأولى وما ورد في بضع مئات من الصفحات الأخيرة!

وله كتب أخرى في الرد على مزاعم الشيعة ومعالجة عقائدهم وأفكارهم الخرافية من أشهرها: "إزالة الغين عن بصارة العين" في ثلاثة أجزاء، و"نكاح أم كلثوم"، و"نضارة العينين

عن شهادة الحسين"، و"كاشف البشام عن تدليس المجتهد القمقام"، و"الداهة الحاطمة على من أخرج أهل بيت فاطمة" و...

وتوفي إلى رحمة الله عام ١٨٨١م في حيدر آباد ودفن هناك.

المجتهد سيد دلدار علي نصير آبادي

هو الشيخ السيد دلدار علي نصير آبادي بن السيد محمد معين.

ولد في "رائي بريلي" من توابع "نصير آباد" ـ جائس ـ عام ١١٦٦هـ الموافق لـ ١٧٥٣م.

أخذ المرحلة الإبتدائية في بيته ثم خرج للدراسة إلى "إله آباد"، تتلمذ في "رائي بريلي" على الشيخ باب الله، وفي "إله آباد" على السيد غلام حسين الدكني، وفي "سنديله" على الشيخ حيدر علي سنديلوي بن ملا أحمد.

بعد إكمال الدراسة في الهند بعث عن طريق الحكومة إلى العراق و إيران، وتتلمذ على مشايخ تلك البلدان أمثال السيد محمد باقر بهبهاني (١٢٠٨هـ)، والسيد مهدي الطباطبائي (١٢١٢هـ)، والسيد مهدي موسوي شهرستاني (١٢١٦هـ) والسيد علي صاحب "رياض المسائل" (١٢٣١هـ).

حصل على الإجازة في العلم من علماء النجف والكربلاء والسامرا ثم جاء إلى إيران ليحضر درس السيد مهدي بن هداية الله الإصبهاني، وحضر درس علماء القم والمشهد كذلك. (أنظر: مطلع أنوار، ص/ ٢٢٠ـ٢٢١)

رجع إلى لكنهو عام ١١٩٤هـ وعين مجتهدا وإماما للشيعة في منطقة "فرنكي محل" من قبل الحكومة وقد عرفه السيد مهدي بن سيد نجف الرضوي الشيعي في كتابه "تذكرة العلماء" كأول مجتهد للشيعة في الهند.

ذكر صاحب "وقائع دلبذير" في الصفحة / ١٠٢ من مقدمة كتابه أن أصول آباء السيد

دلدار علي يرجع إلى أهل السنة والجماعة. كما ذكر ذلك السيد محمد مخدوم الحسيني في كتابه "توضيح السعادات"، وقال بأن آباءه كانوا من أهل السنة والجماعة وترجع شجرة نسبهم إلى جعفر الكذاب.

(يصف الشيعة جعفر بن علي رحمه الله بالكذاب، وذلك لأنه أعلن بأن أخيه حسن العسكري رحمه الله توفي ولم ينجب ولدا قط، ويؤمن الشيعة بالأئمة الإثنا عشرية ولابد لهم من أن يفترضوا إماما ثاني عشرا، فمن هنا وصفوا الرجل التقي الصالح جعفر بن علي بالكذاب، وزعموا بأن حسن العسكري كان له ولد هو الإمام المهدي الغائب**!)**

كتب صاحب "نزهة الخواطر" مدير ندوة العلماء في لكنهو الشيخ الحكيم عبد الحي رحمه الله عن أول صلاة الجمعة للشيعة جماعة: أقام نواب حسن رضا خان بعد حركة قادها الشاه علي أكبر جشتي المودودي، والشيخ محمد علي فيض آبادي أول صلاة للجمعة في الهند أم الناس فيها السيد دلدار علي في ١٣/ رجب/ ١٢٠٠هـ. وهذا كان أول يوم في تاريخ وسط الهند تقيم الشيعة صلاة الجمعة جماعة. (أنظر: كل رعنا، ص/ ١٥٤ـ١٥٣)

للشيخ دلدار علي عدد من المؤلفات، عد منها صاحب "مطلع الأنوار" سبعا وعشرين كتابا. وضع ست رسائل في الرد على "التحفة الإثنا عشرية" للشاه عبد العزيز الدهلوي رحمه الله، حاول في "الصوارم الإلهيات"، و"حسام الإسلام"، و"إحياء السنة" أن يجيب على ما ذكره "التحفة" في أبواب: الإلهيات والنبوة والمعاد والحجة. وفي كتابه "ذو الفقار"حاول أن يعالج ما ذكره التحفة في باب الثاني عشر منها. وفي نهاية كتابه "الصوارم" حاول أن يثبت قضية الإمامة عندهم، ورسالته "الغيبة"جاءت لترد على ما ذكره " التحفة" عن الغيبة.

ومن كتبه المشهورة: "أساس الأصول" و"عماد الإسلام".

وقد أدى دورا بارزا في نشر المذهب الشيعي في شمال الهند. وما تراه اليوم من ازدهار

للمذهب الشيعي هناك يعد ثمار جهوده التي بذلها هو.

مات في ليلة التاسع عشر من شهر رجب لعام ١٢٣٥هـ الموافق لـ ٣/ مايو/ ١٨٢٠م. في غازي الدين بلكنهو. صلى عليه الجنازة الابن الأكبر لسلطان العلماء السيد محمد، والآن يسميه الشيعة بـ "غفران مآب".

الشيخ الصدوق

هو أبو جعفر محمد بن علي بن حسين بن بابويه القمي، ويلقب بالصدوق. ولد في أوائل القرن الرابع الهجري. ويعتبر من كبار محدثي الشيعة. كتابه "من لا يحضره الفقيه" يعد من الصحاح الأربعة لدى الشيعة. وله عدد من المؤلفات كلها تعد من المصادر والمراجع الرئيسه في المذهب الشيعي. يقول الشيعة أن مدينة "قم" لم تشهد أحدا بذكاءه وحفظه وعلمه. مات عام ٣٨١هـ، ودفن في مدينة "ري" الإيرانية.

ملا باقر المجلسي

هو ملا محمد باقر بن ملا محمد تقي بن مقصود علي المجلسي. ولد عام ١٠٣٧هـ في عهد الشاه عباس الأول في قرية "المجلس" بإصبهان. وقال البعض بأن جده الأكبر مقصود علي كان شاعرا كبيرا لقب نفسه بـ "المجلسي"، وبه اشتهر ملا باقر. كان معاصرا لشاه سليمان الصفوي والسلطان حسين الصفوي، وقد تولى لهما منصب الشيخ الإسلامية والفتوى وإدارة الشؤون الدينية في عاصمتهما إصبهان. وقد ألف كتبا عديدة بالفارسية والعربية. يقول علماء الشيعة بأن المذهب لم يشهد رجلا بكثرة تأليفاته وتصانيفه مثله بعد الشيخ الحلي. كتبه المشهورة تبلغ ستين كتابا، أشهرها كتابه "بحار الأنوار" في خمس وعشرين مجلدا بالعربية. ويعتبر دائرة معارف في المذهب الشيعي. وكتابه "مرآة العيون" في شرح الأصول الكافي. ومن كتبه

المشهورة بالفارسية "حياة القلوب"، و"جلاء العيون" و"حق اليقين" وغيرها...

وجد كتبه قبولا بين الشيعة أكثر من كتب سائر علماء الشيعة.

ولعل بعض السبب في ذلك يرجع إلى أن قائد الثورة الإيرانية آية الله روح الله الخميني كان يشير إلى الشيعة أن يقرأوا في كتب المجلسي الفارسية.

تمتلئ كتبه طعنا وشتما وانتقادا للخلفاء الراشدين وليس في المتأخرين من الشيعة من يفوقه في الشتم والبزاءة والفحش في الصحابة.

أشهر الأقوال أنه مات عام ١١١١هـ.

الشيخ مفيد

هو محمد بن نعمان العكبري البغدادي، ولد عام ٣٣٨هـ. واشتهر بين الشيعة بالشيخ مفيد. فهم يزعمون بأن الإمام الغائب لقبه بهذا اللقب. (أنظر: معالم العلماء، ص/ ١٠١)

ويعد من أكبر المشايخ والعلماء والأساتذة في المذهب، فكل المتأخرين عالة عليه. وكان له باع طويل في الفقه والكلام والحديث. وكان أكبر علماء الشيعة في عصره. وله زهاء مائتي كتاب ورسالة. (أنظر: روضات الجنات، ج/ ٦، ص/ ١٥٣)

ليتضح لك مكانة الشيخ مفيد لدى الشيعة يكفيك أن تعرف أنهم يزعمون فيه أن الإمام الغائب بعد اختفاءه في الغار، أي؛ بعد الغيبة الصغرى كان يراسل الشيخ مفيد ويكتب له الرسائل وكانت هذه الرسائل تصل إليه عن طرق غيبية إعجازية لا يدركها الناس. وقد ذكر الشيخ الطبرسي في كتابه "الاحتجاج" الذي يعد من مصادر المذهب بعضا من هذه الرسائل التي يظهر منها أنه كان من المعتمدين لدى الإمام.

مات في بغداد عام ٤١٣هـ، وصلى عليه الجنازة السيد المرتضى شقيق السيد الرضي.

السيد ميرن

هو السيد حسين عرف ميرن الابن الأصغر للشيخ دلدار علي نصير آبادي. ولد في ١٤/ ربيع الثاني/ ١٢١١هـ، الموافق لـ أكتوبر/ ١٧٩٦م. تتلمذ لدى والده ثم لدى أخيه الأكبر السيد محمد المجتهد.

بإشارة منه أسس حاكم الأوه أمجد علي شاه "المدرسة السلطانية"، وقدم للشيخ خاتما نقش عليه "إله مجتهد العصر سيد العلماء"، أصدر قرارا رسميا بأن يدعى الشيخ بهذه الألقاب.

وأصبح المشرف العام على التعليم غير الرسمي في البلد، واعتبر المفتي العام للشيعة على مستوى البلد كله.

خاتم المحدثين الشاه عبد العزيز

هو الشاه عبد العزيز المحدث الدهلوي بن الشاه ولي الله الدهلوي بن الشاه عبد الرحيم بن الشيخ وجيه الدين.

ولد ليلة الخميس ٢٥/ رمضان المبارك/ ١١٥٩هـ الموافق لعام ١٧٤٦م. في بيت اشتهر بالعلم والتقوى.

يكتب الشيخ محمد أكرم عن أبيه الشاه ولي الله الدهلوي وأسرته، بأن شجرة نسب الشاه ولي الله رحمه الله من جهة والده تصل إلى سيدنا عمر رضي الله عنه، ومن جهة والدته إلى الإمام الكاظم رحمه الله.

جده الأكبر الشيخ شمس الدين وصل في بداية الحكم الإسلامي في الهند إلى منطقة "رهتك". وظلت أسرته تعرف بالعلم والتقوى إلى أن ترك أحد أجداده منصب القضاء والتحق بالجند. فصارت الأسرة تعرف باشجاعة والبسالة.

الشيخ وجيه الدين جد الشاه ولي الله الدهلوي كان رجلا فاضلا جمع بين السيف والقلم. والشيخ عبد الرحيم والد الشاه ولي الله تعلم القرآن من أبيه.

أخذ الشاه عبد العزيز الدهلوي معظم علمه من والده، وكذلك تتلمذ لدى الشاه محمد يهتلي والشاه نور الله بدهانوي رحمهم الله.

وكان الله قد وهبه ذكاء خارقا وحافظة قوية. لم يكمل الخامسة من عمره إلا وقد فرغ من العلوم الرائجة في عصره من والده وبدأ بالتدريس. ولم يبلغ السابعة عشر من عمره إلا وقد انتقل والده رحمه الله إلى دار القرار، فعين خليفة من بعده وتولى مهام التدريس والموعظة والإرشاد عوضا عنه.

كان بحرا في العلوم، ولم يكن محدثا ومحققا وفقيها فحسب، وإنما كان له باع طويل في سائر العلوم الرائجة في عصره، فقد كان أديبا ألمعيا في العربية وله شعر جيد فيها، وله قصيدة طويلة بالعربية يشرح فيها تاريخ عصره لجده السيد الشاه أهل الله.

ترجع إليه أسانيد معظم المحدثين في الهند وباكستان وبنجلاديش إليه ومن ثم إلى أبيه الشاه ولي الله. ذكر الشيخ نسيم أحمد فريدي رحمه الله أربعا وأربعين من تلامذته، وقد أصبح لمعظمهم سمعة واسم في عالم العلم في شبه القارة، منهم:

الشاه رفيع الدين، والشاه عبد القادر، والشاه عبد الغني، والشاه محمد إسحاق، والشاه محمد يعقوب، والشاه محمد إسماعيل صاحب "تقوية الإيمان"، والشيخ عبد الحي بدهانوي، والشيخ حيدر علي فيض آبادي صاحب "إزالة الغين"، و"منتهى الكلام"، والشيخ رشيد الدين الدهلوي الذي قال عنه الشاه عبد العزيز أخذ أسلوبي في التأليف، ومن مؤلفاته "الصولة الغصنفرية" و"شوكت عمرية"ـ الشوكة العمرية ـ. والشيخ الشاه فضل الرحمن كنج مراد آبادي، والشيخ ميرزا حسن علي صغير المحدث اللكنهوي، والشيخ فضل حق خير آبادي، والمفتي صدر الدين آزرده وغيرهم الكثير.

انشغل الشاه عبد العزيز بالدعوة والإصلاح أكثر من التأليف، لكن ما وضعه من الكتب

أقام الدنيا ولم يقعدها. فأشهر كتبه "التحفة الإثنا عشرية" مؤلف فريد في مجاله، ويشهد على مدى قدرة الشاه العلمية، ويحق أن يعتبر دائرة معارف في الاختلافات الشيعية والسنية.

سبب تأليف "التحفة الإثنا عشرية":

يذكر المؤلف في مقدمة كتابه عن سبب تأليف كتابه:" فقد شاع المذهب الشيعي والدعايات الزائفة لها في أيامنا هذا إلى درجة أنك قلما تجد بيتا لم يتأثر منه رجل أو اثنان بها يذاع عن هذا المذهب، وقد رأيت الجهل يسري في الناس ويهيئ للبدعات أرضيتها، أخذت على عاتقي تأليف هذا الكتاب".

طبع الشاه عبد العزيز كتابه هذا عام ١٢٠٠هـ الموافق لعام ١٧٨٥م. ما أن خرج الكتاب إلى الناس إلا وقد قامت الدنيا ولاسيما في اللكنهو مركز الشيعة آنذاك.

وقد كتب الشيخ محمد أكرم عن ذلك:" اتضح لنا أهمية هذا الكتاب يوم أن رأينا علماء الشيعة قد جن جنونهم، ورأينا جميعهم قد شمروا عن سواعدهم يريدون نقض ما طرح الكتاب".

قبل حرب التحرير عام ١٨٥٨م لم يكن أمام الشيعة إلا الرد على هذا الكتاب ومسح ما أحدثه من الانقلاب في الوسط الشيعي. كان أكبر علماء الشيعة في اللكنهو آنذاك الشيخ دلدار علي المجتهد الأول، وقد وضع ستة كتب ورسائل يحاول فيها الرد على "التحفة الإثنا عشرية".

لم يكتب الحكيم ميرزا محمد كامل الدهلوي كتابه "النزهة الإثنا عشرية" في رد "التحفة الإثنا عشرية " فحسب بل أنفق حياته كلها في الرد على التحفة ومراجعة ما طرحه فيها.

وكذلك نذر محمد قلي كنتوري حياته كلها في الرد على التحفة الإثنا عشرية، وقد وضع كتبا عديدة في ذلك، منها: "تشييد المطاعن" و"كشف الضغائن" و"السيف الناصري" و"تقليل المكائد" و"مصارع الأفحام" و"برهان السعادة".

وهناك كتب أخرى كثيرة ألفت في الرد على "التحفة" منها ما ذكره سلطان العلماء سيد محمد خليفة الشيخ دلدار علي في كتابه "سوانح العمري".

أورد الحكيم حبيب الرحمن في "آسودكان داكه" أنه لما وصل كتاب "التحفة الإثنا عشرية" إلى داكا أرسل رئيس الشيعة مير أشرف عشرة آلاف روبية إلى العراق لمن يكتب ردا على التحفة. مير أشرف هذا هو جد الشاعر الفارسي الشهير سيد محمد آزاد جهانكيري، والأديب الأردي الشهير نواب سيد محمد وكلاهما كانا قد تقلدا مذهب أهل السنة والجماعة!

لكن كل ما فعله علماء الشيعة لم يستطع الوقوف أمام "التحفة الإثنا عشرية" فذهبت كلها أدراج الرياح، وبقي "التحفة" منار هداية للسالكين.

يحق لمن يؤرخ لتاريخ المذاهب في القرن الثامن عشر الميلادي أن يقول معتزا بأن كتاب "التحفة الإثنا عشرية" أدى دورا بارزا في القضاء على النشاط الشيعي المعادي في هذا القرن.

ويظل الكتاب يحتفظ بمكانته العلمية ما توالت الليالي والأيام.

انتقل الشاه عبد العزيز إلى رحمة الله بعد صلاة الفجر من يوم الأحد السابع من الشوال عام ١٢٣٩هـ الموافق لـ ١٧/ يوليو/ ١٨٢٣م عن عمر يناهز الثمانين. إنا لله وإنا إليه راجعون.

ودفن بجوار والده الشاه ولي الله المحدث الدهلوي رحمة الله عليهم.

ابن ميثم البحراني

هو كمال الدين ميثم بن علي ميثم البحراني. ولد في القرن السابع الهجري.

يقال: إن كمال الدين ميثم أخذ الحكمة من خواجه نصير الدين الطوسي، وأخذ الطوسي الفقه من كمال الدين ميثم. كان فيلسوفا، وحكيما، ومحققا له شروح على نهج البلاغة.

مات عام ٦٧٩هـ. (راجع: الكنى والألقاب، ج/ ١، ص/ ٤١٩)

علي بن عيسى الأربلي

هو بهاء الدين أبو الحسن علي بن حسين فخر الدين عيسى بن أبي الفتح الأربلي.

ولد في مطلع القرن السابع الهجري في "اربل" مدينة بجوار الموصل.

اتفق الإمامية على أن علي بن عيسى الأربلي من أعظم علمائهم. كتب عنه القمي : كان عالما، وفاضلا، وشاعرا، وأديبا، وكاتبا. وكان محدثا بارعا ورجلا ثقة عظيما. وهو صاحب كتاب "كشف الغمة في معرفة الأئمة" الذي لا ينتهي فضائله ولا يعد محاسنه، وقد ألفه عام ٦٨٧هـ.

وله قصائد كثيرة في مدح الأئمة ذكر بعضها في كتابه "كشف الغمة في معرفة الأئمة".

يعد كتابه "كشف الغمة" مؤلفا نفيسا وجامعا في المذهب الشيعي. مات عام ٦٩٣ ببغداد. (أنظر: الكنى والألقاب، ج/ ٣، ص/ ١٥-١٤، ط/ قم ، إيران).

سلطان العلماء سيد محمد

هو سلطان العلماء سيد محمد اللكنهوي الابن الأكبر للشيخ دلدار علي نصير آبادي وخليفته من بعده.

ولد في ١٧/ الصفر/ ١١٩٩هـ الموافق لعام ١٧٩٤م بلكنهو. حصل على الإجازة في العلم عام ١٢١٨هـ عن عمر ناهز التاسع عشر.

لقبه ملك "أوده" أمجد علي شاه بسلطان العلماء ومختار الكل. كان الشيعة في القرن الثالث عشر يعبرونه بـ "المقتدى الأعظم" لهم.

كانت رتبته عند ملوك "أوده" تضاهي رتبة "شيخ الإسلام" في البلاد السنية. أكمل النهضة الشيعية التي بدأها والده في شمال الهند.

له بعض المؤلفات من أشهرها:"ضربت حيدرية" ـ الضربة الحيدرية"، في مجلدين كتبه في

جواب "الشوكة العمرية"، و"طعن الرماح" و"البارقة الضيغمية" في موضوع المتعة ردا على الشاه عبد العزيز الدهلوي، و"البوارق الموبقة" في باب الإمامة ردا على "التحفة الإثنا عشرية"، ومؤلفات أخرى.

مات ليلة الخميس ٢٢/ ربيع الأول/ ١٢٨٤هـ الموافق لعام ١٨٦٧م عن عمر ناهز الخامس والثمانين في لكنهو، ودفن في إمام باره غفرانمآب.

مير حامد الموسوي

هو مير حامد حسين بن محمد قلي بن محمد حسين بن سيد زين العابدين الموسوي النيسابوري.

ولد في الخامس من المحرم عام ١٢٤٦هـ الموافق لعام ١٨٣٠م في "ميرت" من توابع "يوبي"، وكان والده يومذاك صدر الصدور "ميرت". درس العلوم الإبتدائية عند والده، وما أن بلغ الخامسة عشر من عمره مات والده (٩/ محرم/ ١٢٦٠).

أخذ الأدب عن الشيخ بركت علي الحنفي ومفتي محمد عباس، والمعقولات عن سيد المرتضى بن سيد محمد، والفقه وأصله عن سلطان العلماء سيد محمد وسيد حسين المعروف بالسيد ميرن.

بعد إكمال الدراسة رتب كتب والده أمثال: الفتوحات الحيدرية، ورسالة التقية، وتشييد المطاعن، وغيرها...

من أشهر كتبه: "استقصاء الأفحام"، و"أفحام أهل المين في رد إزالة الغين"، و"عبقات الأنوار".

مات في مكتبته بلكنهو في ١٨/ الصفر/ ١٣٠٦هـ الموافق لـ ٢٥/ اكتوبر/ ١٨٨٨م. دفن في إمام باره غفرانمآب. (أنظر: مطلع الأنوار، ط/ كراتشي).

أهم المراجع والمصادر

١. التوراة.

٢. الإنجيل.

٣. الصحيفة السجادية ـ الإمام زين العابدين.

٤. نهج البلاغة.

٥. شرح ابن ميثم البحراني على نهج البلاغة.

٦. شرح قطب الدين الرواندي على نهج البلاغة.

٧. خرايج وجرايح ـ قطب الدين الراوندي (ط/ إيران).

٨. شرح ملا كمال الدين على نهج البلاغة.

٩. نبراس الضياء ـ مير باقر داماد.

١٠. فوائد مدنية.

١١. إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء ـ الإمام الشاه ولي الله الدهلوي.

١٢. تفسير مجمع البيان ـ العلامة الطبرسي (ط/ تهران ، إيران ، عام ١٢٧٥هـ).

١٣. الاحتجاج ـ الطبرسي

١٤. حديقه سلطانية ـ السيد ميرن . (بالفارسية)

١٥. صوارم ـ السيد مولوي دلدار علي . (بالفارسية)

١٦. أساس الأصول ـ السيد مولوي دلدار علي.

١٧. عماد الإسلام ـ المجتهد الأعظم مولوي دلدار علي.

١٨. مواعظ حسينية ـ مولوي دلدار علي. (بالفارسية)

١٩. الفصول .

٢٠. جامع الأسرار ـ ملا حيدر آملي الإثنا عشري.

٢١. تقليب المكائد ـ (بالفارسية)

٢٢. كشف الغمة في معرفة الأئمة ـ الوزير علي بن عيسى الأردبيلي الإثنا عشري .

٢٣. روضة ـ ملا يعقوب الكليني.

٢٤. أصول الكافي ـ محمد بن الكليني. (ط/ لكهنو، الهند)

٢٥. حمله حيدري ـ العلامة باذل ـ(مطبع سلطاني، عام ١٢٦٧هـ)

٢٦. مجالس المؤمنين ـ القاضي نور الله الشوستري.

٢٧. إحقاق الحق ـ القاضي نور الله الشوستري.

٢٨. منتهى الكلام ـ القاضي نور الله الشوستري.

٢٩. مصائب النواصب ـ نور الله الشوستري.

٣٠. تفسير خلاصة المنهج ـ العلامة الكاشاني . (بالفارسية)

٣١. تفسير الإمام الحسن العسكري.

٣٢. الاستغاثة.

٣٣. بحارالأنوار ـ العلامة ملا باقر المجلسي (بالفارسية)

٣٤. تذكرة الأئمة ـ ملا باقر المجلسي.

٣٥. حق اليقين ـ العلامة المجلسي.

٣٦. زاد المعاد ـ ملا باقر المجلسي.

٣٧. حياة القلوب ـ العلامة ملا باقر المجلسي. (ط/ لكهنو، الهند)

٣٨. رياض النضرة

٣٩. معاني الأخبار ـ ابن بابويه القمي.

٤٠. إظهار الحق ـ ملا عبد الله.

٤١. نقض الفضائح ـ ملا عبد الجليل القزويني.

٤٢. علل الشرائع
٤٣. استقصاء الأفحام ـ العلامة الكنتوري (بالفارسية)
٤٤. إزالة الغين ـ الحافظ حيدر علي فيض آبادي.
٤٥. طعن الرماح ـ مولوي سيد محمد.
٤٦. إمامت ـ العلامة معز الدين.
٤٧. منهج المقال.
٤٨. الشافي ـ السيد المرتضى أبوالقاسم الثمانيني.
٤٩. تنزيه الأنبياء والأئمة ـ السيد المرتضى أبو القاسم الثمانيني.
٥٠. عيون أخبار الرضا
٥١. معاني الأخبار ـ الشيخ الصدوق
٥٢. مسالك الأفهام شرح شرائع الإسلام ـ أبو القاسم القمي.
٥٣. خلاصة الأقوال ـ أبو الحسن علي بن إسماعيل الإثنا عشري. (بالفارسية)
٥٤. شرح التجريد ـ الإمام الأعظم العلامة حلي.
٥٥. رسالة المكاتيب.(ط/ عام ١٢٦٨هـ)
٥٦. التحفة الإثنا عشرية ـ الإمام الشاه عبد العزيز الدهلوي. (بالفارسية)
٥٧. النزهة الإثنا عشرية ـ ميرزا أحمد الكشميري. (بالفارسية)
٥٨. ذوالفقار ـ مولوي دلدار علي (ط/ لدهيانه، عام ١٢٨١هـ بالفارسية).

(الغلاف الخلفي)

- السيد أبو الحسن الندوي رحمه الله: «كان الإمام محمدي مهدي علي رحمه الله من العباقرة الذين ساهموا في صياغة العقل المسلم المعاصر في شبه القارة الهندية. وكتابه "الآيات البينات" شاهد صدق على قوة شخصيته وعقليته العبقرية وبيانه الساحر المبين. وكأنه لسان الفطرة بعث ليزيل شبهات الضلال عن الرعيل الأول صحابة خير البشر صلى الله عليه وآله وسلم بأسلوب متوثب حي يدعو العقول إلى مراجعة صفحات المعتقدات الزائفة التي اختلقها الشيعة الإثنا عشرية».
- شمس العلماء الشيخ ذكاء الله الهندي: « فقد كان الشيخ مهدي علي عالما عبقريا فذا في العلوم الدينية بشتى تخصصاتها ومذاهبها.. وقد ألم بتاريخ المذاهب في العالم إلمامه بمذهبه وقد أثبت صدق الإسلام على سائر الملل والنحل، وكان يسعى دوما أن يزيل شبهات المسلمين ويهدئ عن تعصباتهم الممقوتة. ويقضي على ما تعلقت بهم من الخرافات بسلاح القرآن الكريم والسنة المطهرة...».
- العالم الهندوسي "رام بابو سكيسنة": « ... كان السيد المهدي يهدف بكتاباته تغيير مجرى الحياة لدى المسليمن ليعودوا إلى ما كان عليه سلفهم، فلن يصلح الخلف منهم إلا ما أصلح سلفهم، وإنهم لن يخرجوا من الفقر والضياع إلا إذا عادوا إلى مدارج السلف وأخلصوا في شتى مجالات التعليم وأصلحوا أخلاقهم وخاضوا غمار السياسة بروح المؤمن التقي الواثق بربه. ولا شك أن كتاباته تكشف عن رؤيته العلمية الواسعة وحبه للعدل والإنصاف..».

- الشيخ محمد فراست الهندي: كتاب "الآيات البينات" للإمام محمد المهدي علي رحمه الله أخذ بيدي وأخرجني من دياجير الظلام إلى نور الإيمان، وأرى أني لو أنفقت حياتي كلها في سبيل نشر هذا الكتاب لم أؤد عشر معشار ما له علي من فضل..».
- الشيخ ثناء الله الصديقي: « الإمام محمد المهدي صفحة ناصعة من تاريخ الإسلام في الهند، وهو وحده يمثل منارا في سماء البحث عن الحقيقة المفقودة للباحثين عنها، وكتابه ثروة علمية هامة لا يستغني عنه طلاب العلم وعامة المثقفين من الشيعة والسنة وطلاب مقارنة الأديان والملل والنحل. فمن يريد أن يجدد دينه ويقوي عقائده لابد أن يرتع في حديقته. ولا أظن أن يقع في ظمأ الشبهات من شرب من منهل هذا الكتاب الصافي»!
- الشيخ عبد الرحمن الفاروقي:« كان آية في الذكاء وقوة الشخصية، له قلم سيال ولسان ذرب في الرد على الكيانات المستهدفة للإسلام، رجح عقيدة التوحيد بعد تضلع في العلم والدراسة والتحقيق ..».